

نهج المستير وعصمة المستجير

تأليف
الدكتور السيد صلاح الدين الحسيني



مقدمة المركز

إهداء

تمهيد

أثر الإعلام على المستبصر

نقطة الاصطدام مع الأواد والمجتمع

الشعور بالغربة

ضرورة التعمق في فكر وتراث أهل البيت (عليهم السلام)

وجوب إحياء أمر أهل البيت (عليهم السلام)

فئات المجتمع وأصناف الناس

التناقض بين الشريعة والمألوف

من معاناة المستبصرين، رفض المسلمين تطبيق أحكام الشريعة

حي على خير العمل

صلاة التراويح

أتخشون الناس فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين

العقليّات المنغلقة

كيفية العلاج من أجل التغيير

زيادة المعرفة لزيادة اليقين

حقائق عن مذهب أهل البيت (عليهم السلام)

موقف العامّة من الحقائق

انتظار الفوج عبادة وثبات

ظاهرة الاستبصار دلالة على قوب الفوج

رحلة استكشاف حقيقة الإيمان

التوفيق الإلهي من أهم عوامل الاستبصار

عوامل استجلاب التوفيق

تكميل العقل بحبّ الحسين (عليه السلام)

نداءات الحقيقة في حياة المستبصر

نداءات الحقيقة وامواج المعرفة القلبية مع المعرفة العقلية

رحلة الإيمان المستقر

أنواع النداءات القلبية وأشكالها

1 . النداءات لضرورة التدقيق في المواقف التلخيصية

بطولات الصحابة

أغنياء أم فقراء

الألوار المخفية

لماذا لم يصل عمر في المسجد الأقصى؟

من هم الأئمة الاثنا عشر؟

فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين

رزية الخميس وعمر بن الخطاب

جيش أسامة بن زيد

يوم وفاة سيد الخلق وكفنه

ادعاء ملازمة عمر لرسول الله

معلضة عمر وحواته على رسول الله

رضاعة الكبير أم خلل في التلخيص

العشوة المبشرون بالجنة

حفظ القرآن ورعايته وجمعه

محبة أهل البيت (عليهم السلام) والحقيقة التلخيصية

حقيقة رسول الله عند أغلب المسلمين

محاولة الانتحار حقيقة أم تهمة؟

هل يجوز في حقّ الرسول أن يكون مسحوراً؟

هل يجوز في حقّ الرسول أن يجهل الوحي؟

شخصية رسول الله في القرآن تتناقض مع كتب الحديث

هل يجوز في حقّ الرسول أن ينسى كتاب الله تعالى؟

هل يجوز في حقّ الرسول أن ينسى في صلاته؟
تهم أخرى لرسول الله لصنع فضائل للصحابة
هل يجوز في حقّ الرسول أن ينسى الطهارة من الحدث؟
هل يجوز في حقّ الرسول أن ينسى مهمته الوسالية؟
هل يجوز في حقّ الرسول أن يهمل أمور بيته وعرضه؟
هل يجوز في حقّ الرسول أن يكون بيته مرتعاً للشيطان؟
روايات أخرى تقوّر وجود نزامير الشيطان في بيت رسول الله
هل يجوز في حقّ النبي أن يستحي من عثمان ولا يستحي من الله؟
وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم
موافقات عمر لوبّه
قصّة الغوانيق وسجود رسول الله للأصنام
لماذا يتّهمون الرسول بشرب النبيذ؟
معاوية والخمر
هل كان رسول الله شهوانياً؟
روايات تتهم رسول الله مباشرة
هل يمكن أن يجيز النبي رضاعة الرجل الكبير؟!
هل كان رسول الله فحاشاً وبذيئاً وظالماً؟
خلاصة نداءات القلب والعقل لإعادة دراسة التلويح
2. النداءات لمعاينة واقع المؤمنين في العالم
نصوص خاصة بالشيعة
3. نداءات الحقيقة من خلال السفر والزيارة
الفرق بين الشرك والإذن الإلهي
التوسّل برسول الله وأهل البيت (عليهم السلام)
زيارة الرسول (صلى الله عليه وآله)
البكاء على أهل البيت (عليهم السلام)
حديث لا تشدّ الرحال وعلاقته بالفرزات الشريفة
السلام عليكم يا أهل بيت النوة والرحمة

3 . نداءات الحقيقة من خلال الرؤى المنامية

4 . نداء الحقيقة بصحة ما عليه الشيعة من أدلة خصومهم

التوحيد

الرؤية

الرجعة

البداء

التقية

عدد الأئمة عند المسلمين

إمامة أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام)

العصمة

المسح في الوضوء

السجود على الأرض

التكثف في الصلاة

التسليم والخروج من الصلاة

التأمين بعد الفاتحة في الصلاة

الجهر بالبسملة من علائم الإيمان

أشهد أنّ علياً وليّ الله

عيد الولاية، عيد الغدير

الطلاق وحكمه

زواج المتعة

حجّ التمتع

الجمع في الصلاة

التكبيرات في صلاة الجنّة

خلاصة إثبات المذهب الحقّ من أدلة الخصوم

كلمة لا بد منها

مصادر الكتاب



مقدمة المركز :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على خاتم

الموسلين محمد وآله الغرّ الميامين

من الثوابت المسلمة في عملية البناء الحضري القويم، استناد الأمة إلى قيمها السليمة ومبادئها الأصيلة، الأمر الذي يمنحها الإرادة الصلبة والعزم الأكيد في التصدي لمختلف التحديات والتهديدات التي تروم نخر كيانها وزلولة وجودها عبر سلسلة من الأفكار المنحرفة والآثار الضالة باستخدام رقى وسائل التقنية الحديثة .

وإن أنصفنا المقام حقّه بعد مزيد من الدقّة والتأمّل، نلاحظ أن المرجعية الدينية المباركة كانت ولا زالت هي المنبع الأصل والملاذ المطمئن لقاصدي الحقيقة وموآبها الرفيعة، كيف؟! وهي التي تعكس تعاليم الدين الحنيف وقيمه المقدّسة المستقاة من مدرسة آل العصمة والظهرة (عليهم السلام) بأبهى صورها وأجلى مصاديقها .

هذا، وكانت مرجعية سماحة آية الله العظمى السيّد علي الحسيني السيستاني . مدّ ظله . هي السبّاقة نوماً في مضمار الذب عن حمى العقيدة ومفاهيمها الرصينة، فخطت بذلك خطوات مؤرّقة والثّومت وامج ومشريع قطفت وستقطف أينع الثمار بحول الله تعالى .

ومركز الأبحاث العقائدية هو واحد من التشرييع المباركة الذي أُسس لأجل نصرة مذهب أهل البيت (عليهم السلام) وتعاليمه الرفيعة.

ولهذا المركز قسم خاص يهتم بمعتنقي مذهب أهل البيت (عليهم السلام) على مختلف الجهات، التي منها ترجمة ما تجود به أقلامهم وأفكلهم من نتاجات وآثار - حيث تحكى بوضوح عظمة نعمة الولاء التي منّ الله سبحانه وتعالى بها عليهم - إلى مطبوعات تزوّع في شتى أرجاء العالم .

وهذا المؤلّف - " نهج المستنير وعصمة المستجير " - الذي يصدر ضمن "سلسلة الرحلة إلى الثقلين" مصداق حيّ وأثر عملي بارز يؤكّد صحة هذا المدعى .

على أنّ الجهود مستورة في تقديم يد العون والدعم قدر المكنة لكلّ معتنقي المذهب الحقّ بشتى الطرق والأساليب، مضافاً إلى استواء واستقصاء سورة الماضين منهم والمعاصرين وتنوينها في "موسوعة من حياة المستبصوين" التي طبع منها عدّة مجلّدات لحدّ الآن، والباقي تحت الطبع وقيد المراجعة والتأليف، سائلين المولى تبارك وتعالى أن يتقبّل هذا القليل بوافر لطفه

ختاماً نتقدّم بجزيل الشكر والتقدير لكلّ من ساهم في إخراج هذا الكتاب من أعضاء مركز الأبحاث العقائدية، ونخصّ بالذكر الأخ الكريم الشيخ حكمت الوحمة، الذي قام بمراجعة واستخراج كافة مصادره، فلله درهم وعليه أجورهم

محمد
الحسنو

مركز
الأبحاث
العقائد

28
صفر
1429 هـ

الصفحة
على
الانترنت
mmad

البريد
الإلكتروني
d.com

الصفحة 12

إهداء

إلى من بهم هدانا الله إلى الصراط المستقيم، وإلى من قبلونا أن نكون معهم في سفينة الناجين، وإلى من أخذوا بأيدينا إلى بر الآمنين، وإلى من رفعوا لنا منارات العلم والهدى، وأناروا لنا معالم الطريق، وإلى من أخرجونا من الظلمات إلى النور، إلى العروة الوثقى وحبل الله المتين، إلى سادتي وأئمتي المعصومين الأربعة عشر، أهدي هذا العمل، سائلاً العليّ القدير أن يجعله منزلة تضيء للمستبصرين سبيلهم، وتوضّح للواجبن آمالهم، حتّى نلقى الله تعالى وهو راض عنا، بحق أهل البيت الطاهرين، إنّه سميع مجيب، وهو على كلّ شيء قدير.

الصفحة 13

تمهيد

الحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصلاة والسلام على رسول ربّ العالمين، محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى يوم الدين .
بعد أن وفقني الله بمنه وكرمه وفضله إلى الهداية والاستبصار، وبعد أن قمت بإنجاز عدة أعمال متواضعة خدمة لله تعالى، وإقراراً بربوبيته، والتّوأم بالعبودية له، وعنوان وفاء ومحبة للحبيب محمد (صلى الله عليه وآله)، وللأئمة من أهل بيته الطاهرين المعصومين (عليهم السلام)، والتي كان منها كتاب "سبيل المستبصرين إلى الصراط المستقيم وسفينة الناجين"، الذي اعتوه العديد من علمائنا الأجلاء، ضرورة لكل باحث عن الحقيقة الغائبة المغيبيّة، ولكل مستبصر يريد أن يُزيد من غزيمته وولائه ومتابعته لأهل البيت (عليهم السلام)، ولكلّ منصف يريد معرفة حقائق تزيخية لطالما غيبتها الحاقنون المبعضون لأهل البيت (عليهم السلام) عن الناس، وحاولوا طمسها وإخفاءها ومنع تداولها.

وكان مما قدّمت أيضا كتاب "الابتلاء سنة إلهية على بساط العبودية" والذي حاولت فيه الإجابة عن كثير من الإشكالات التي تواجه المستبصرين وغيرهم فيما يتعلّق بحقيقة الابتلاء ومعناه.

وكذلك كتاب "محرّية حديث الثقلين في العقيدة والأحكام"، والذي أظهرت من خلاله الارتباط الوثيق بين النصوص القوانية وأهل البيت (عليهم السلام)، من خلال إظهار الروابط التي يتحقّق بمعرفتها المستبصر.

الصفحة 14

ثم إنني أحببت أن أكمل طريق التعبير عن حقيقة وأحقية مذهب أهل البيت (عليهم السلام) من خلال البحث والكتابة، وللإجابة على كثير من التسؤلات والإشكالات، والتي طالما يطرحها العامة علينا أتباع أهل البيت (عليهم السلام) هنا خصوصا في المناطق التي يقلّ فيها عدد المؤمنين ويكثر فيها العامة، إما للتشكيك بمذهب أهل البيت (عليهم السلام)، عن طريق أناس أو علماء يدّعون العلم والمعرفة، حتّى يشوّهوا معتقدات وشعائر أهل البيت (عليهم السلام) في نظر العامة، أو يطرحها العديد من الناس بين بعضهم البعض، حتّى يطهروا للآخرين مدى معرفتهم واطّلاعهم على ما يجري في العالم.

وهذا أمر كثير الحصول بين المسلمين، فإذا رفع الله شأن قوم، فإنّ الجهلاء والرئاس، وكذلك الحساد والحاقدين المبغضين، لا بدّ لهم بأن يثبتوا لأنفسهم مكانا أو قيمة بين نظرائهم، خصوصا إذا توفرت تربة خصبة لوجود عاطفة قوية أو تفكير مستتير اتجاه من رفع الله شأنهم .

ولذلك جاء هذا البحث المتواضع والمختصر، والذي حاولت فيه أن أرسم معالم طريق المستبصر، والتي أدت في النهاية إلى التوصل إلى الحقيقة المغيبيّة، وكل ذلك عبارة عن توصيف لما قد حصل مع مجموعة من الإخوة المؤمنين الذين هداهم الله تعالى لحقيقة الإيمان بمنّه وفضله.

فالبحت عبارة عن قالب يرتكز عليه من كتب له الله تعالى الاستبصار، بحيث ينتشعب من هذا القالب مسائل عديدة توصف طريقة التفكير، وكيفية زوج النداءات العقلية مع النداءات القلبية، وكيفية الجذب من خلال مراحل الحياة، وحتى الوصول إلى صراط النجاة القويم، فهذا الكتاب إذن، ومن عنوانه، هو طريق لمن أراد سلوك طريق الاستئذلة والهدى، وهو عصمة لمن أراد أن يستجير ويحتمي بسفينة الناجين وولاية أهل الحق المعصومين.

الصفحة 15

ومع أنّني وضعت في كلّ بحث ما يوفيه حقه بشكل مختصر وغير ممل، بحيث لو قرئ وبشكل منفصل، فإنه يوصل إلى المضمون، إلا أنّني أدعو القارئ العزيز إلى مطالعة البحث كاملاً حتّى يتم استيعاب القالب الرئيسي، والذي يعبر عن وجهة نظر المستبصرين، وكيفية وصولهم إلى الحقيقة.

بالإضافة إلى ذلك فإنني وأثناء البحث أتطرق لعدد كبير من النصائح والأحكام، والتي تتعلّق بالموضوع من أجل الفائدة، وكذلك ربّما أعبر عن كثير مما يعاني المستبصر أو يعانيه من خلال ذكر روايات وأحاديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومن حديث أئمة أهل البيت وخطبهم عند الحاجة، وسوف يكون الاعتماد في عدد كبير من المواضيع على ما عند العامة

ولكنني سأبدأ من لحظة اصطدام المستبصر بما خفي عنه من حقائق، ومن لحظة انقلاب المولدين والمفاهيم، ثم أعود للماضي وأربطه بالحاضر، وأبين كيفية ارتقاء المستبصر، وتوجهه في السلوك الإيماني، موضحاً ذلك من خلال ما حصل معنا ومع مجموعة كبيرة من الإخوة المؤمنين، الذين أكرمهم الله تعالى، وتفضل عليهم بالهداية وسلوك الصراط المستقيم وركوب سفينة الناجين.

ثم إننا في البدء وفي الختام دوماً نودد ونقول : حمداً وشكراً لله تعالى على نعمة الإيمان والهداية، ونودد قوله تعالى في سورة الأعراف : **{ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ }⁽¹⁾** .

ونودد ونقول قوله تعالى في سورة آل عمران : **{ رَبَّنَا لَا تَوَخُّعَ قُلُوبُنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ }⁽²⁾** .

1 - الأعراف : 43.

2 - آل عمران : 8 .

الصفحة 16

ونودد ونقول قوله تعالى في سورة آل عمران : **{ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَوْلِيَاءِ }⁽¹⁾** .

أثر الإعلام على المستبصر:

لقد أكرم الله تعالى البشرية في هذه الأيام بوجود العشوات من المحطات الفضائية التي تنقل أفكار وعقائد وأحكام أهل البيت (عليهم السلام) من خلال ما يقدمه العلماء الأفاضل من دروس ومحاضرات تعرف الناس حقيقة المذهب الحق وتفصيله.

وكذلك فقد أكرم الله تعالى المسلمين ودين الإسلام بأهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم، فمن خلال محافظتهم ومحافظتهم أتباعهم وشيعتهم على الشعائر الإيمانية والدينية، والتزامهم بذلك طوال مئات السنين، صانوا خلالها الدين وأحكامه من

التحريف والضياع، وواظوا على إقامة شعائر الله، والله تعالى يقول في سورة الحج : **{ لَوْ مِنْ يَعْظُمُ شُعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ }⁽²⁾** ؛ لأجل ذلك فقد ظهر للعالم أجمع مدى حرص الشيعة الإمامية على حب أهل البيت (عليهم السلام)، وولائتهم،

وحمل رايبتهم، ومدى التزامهم بالإسلام الحقيقي ومبادئه الأصيلة التي أرادها الله ورسوله.

ونتيجة لكل ذلك، فقد لُرداد عدد المستبصرين بمذهب أهل البيت (عليهم السلام)، وفتح الباب أمام العشوات بل المئات من

الناس، لسلوك طريق الاستبصار، والعودة إلى الحقيقة الغائبة المغيبيّة، واستئناف الإيمان المتمثل ولاية أهل

البيت (عليهم السلام) واتباعهم والافتداء بهديهم، ومتابعة نهجهم، وسلوك صراطهم المستقيم، حيث لا سبيل للنجاة من فتن الدنيا وضلالاتها ومحنها وإحناها، إلا باتباعهم (عليهم السلام) والافتداء بهم وبهديهم؛ لأنّ في ذلك النجاة والأمان في الدنيا والآخرة، وهذا تصديق وتطبيق لقول الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) الذي روته عنه كلّ فئات المسلمين والذي يوجه فيه الناس ويعبّر لهم بأوضح المعاني إلى معنى الهداية الحقيقي ويحوّهم أيضاً من الويغ والضلال من بعده.

فقد روت صحاح المسلمين ومسانيدهم عن كثير من الصحابة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّه قال: " تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي" (1).

وروى الحاكم النيسابوري في المستدرک والسيوطي في الدر المنثور وغيرهما كثير عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه، قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: "مثل أهل بيتي مثل سفينة فوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق" (2).

هذا بالإضافة إلى مئات الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التي تتعلّق بأهل البيت (عليهم السلام)، وفضيلتهم، وفضائلهم، وحقّهم وأحقّيتهم، وحقّيتهم، عموماً ومنها التي تختص بأمر المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) خصوصاً من حيث الفضائل والوصية بالولاية، ومقرّنته من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وحقّه وأحقّيته، كآية التطهير، وآية المباهلة، وآية المودة، وآية الولاية، وآية التبليغ، وآية إكمال الدين وتمام النعمة، وسورة الإنسان، وسورة الكوثر، والعاديات، والبيّنة،

1 - أنظر حديث الثقلين في سنن النسائي 5 : 130 ، سنن الترمذي 5 : 329 ، مسند أحمد 5 : 182 ، المستدرک على الصحيحين 3 : 193 ، وغيرها.

2 - أنظر المستدرک على الصحيحين 2 : 343 ، 3 : 151 ، الدر المنثور 3 : 334.

والأعواف، وحديث الدار، وحديث الطير، وحديث المقرّلة، وحديث الولاية، وحديث الثقلين، وخطبة الغدير، وحديث خاصف النعل، وكذلك الأحاديث التي تتعلّق بالسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وكذلك بالإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام)، وكذلك أحاديث الأئمة الاثني عشر، وأنهم من أهل البيت (عليهم السلام)، وإنّ آخوهم الإمام المهدي (عليه السلام) وعجلّ الله تعالى فوجه الشريف، وغيرها من الآيات والأحاديث التي تتعلّق بالإمامة والولاية لأهل البيت (عليهم السلام)، وكذلك التي تتعلّق بأعدائهم وأحوالهم في الدنيا والآخرة، وغير ذلك مما يخفيه عادة العلماء عن العامة أو يؤولونه بحسب الرأي والمصلحة، أو ما يتناسب مع الأوضاع السياسيّة، ويخفونه عنهم ولا يسمحون بالبحث عنه أو فيه.

قال تعالى في سورة البقرة: { إِنَّ الدِّينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَدْمَا بِنَاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ } (1).

كلّ ذلك أدّى إلى وجود صدمة حقيقية يواجهها المستبصر، أمام ما يكتشفه من حقائق، تؤدّي إلى نظرة واقعية جديدة بالنسبة له اتجاه العقائد والأحكام والأفكار وكذلك اتجاه المجتمع والناس. يحصل ذلك معه في فترة قصيرة وزمن سريع، يؤدّي به إلى حساسية عالية في المعاملات مع ذلك الواقع الجديد، وكذلك يعطي اندفاعاً ربما يكون متهوراً في كثير من الأحيان مع المجتمع والناس، وأقصد بالمجتمع هنا ما اجتمع عليه الأثواد وتعرفوا عليه من أفكار وسلوكيات وعادات وتقاليده ومألوفات.

ثمّ إنّه وبعد مزيد من التعمق في علم وراث أهل البيت (عليهم السلام)، تنتظم تلك

1 - البقوة : 159.

الصفحة 19

الاندفاعات الناتجة عن هول الحقيقة وتأثير الصدمة، فتأخذ سلوكيات المستبصر بالتحسن التريجي، فكلما زداد معرفة بأئمته (عليهم السلام)، وتطبيقاً لفكرهم وراثهم، فإنه يستشعر لذة الحقيقة والمعرفة الصحيحة الحقّة التي فيها رضى الله تعالى، ورضى رسوله والأئمة من أهل بيته عليهم الصلاة والسلام.

نقطة الاصطدام مع الأثواد والمجتمع:

لكنني رأت أنّ أهمّ ما على المستبصر سلوكه، هو أن يتعلم كيفية المعاملة مع أصناف الناس وفئات المجتمع، وهذا يقتضي التدقيق من أجل معرفة تلك الفئات وكيفية التعامل معها، على شوط أن لا ينتزل عن طريقه وعقيدته وأحكامه، ولا يتعامل مع الآخرين بطريقة التهور والانفعالات التي تؤدّي إلى السقوط في مهوي الفتن ومتهاتها، وإلى الصواعات الضرة غير المأمونة، وإلى العواقب الوخيمة.

إنّ هذه المعرفة ضرورية جداً للمستبصر، وحاجة ملحة له خصوصاً في البلاد التي يكثر فيها العامة ويقلّ الخاصّة. ومن أهمّ أسباب ضرورتها، قلّة الناصر لأهل البيت (عليهم السلام) ولشيعتهم، وعدم استطاعة المستبصر طرح أفكاره ومعتقداته بشكل مباشر للمجتمع والناس، وبسبب سياسات التجهيل والإخفاء والطمس لحقيقة أهل البيت وأحقيّتهم والتي مورست خلال مئات السنين عن قصد أو عن جهل، خصوصاً أن الإنسان عادة ما يكون عدوّ ما يجهل، تلك السياسات التي جعلت من المسلم ينكر الحقيقة والأحقية بسهولة ويسر ومن دون تفكير أو بحث، وجعلته يستسيغ الإنكار والطمس للحقائق، ويتلذذ بعملية إلغاء الآخر، ويفرض الحوار، ويستهنون التكفير، ويستخف بشعائر الإسلام وشعوراته، وجعلت من تفكره

الصفحة 20

تفكراً جامداً، ومن مشاعوه مشاعر العصبية النتنة المنفصلة تماماً عن العقل والفكر.

إنّ المستبصر الذي يبصر حقيقة أهل البيت (عليهم السلام) وأحقيّتهم في الولاية والإمامة، ويبصر عشرات الحقائق ومن خلال ما عند العامّة من مصادر تليخيّة، ومن خلال الأحاديث وكتب السير الممتلئة بالحقائق المغيبيّة، يظن أنه يستطيع أن يبيّن كلّ الحقيقة للناس والمجتمع، فكما سهل الله له معرفة الحقيقة ووفقاً لها، من خلال وضوحها وتجليها الذي لا يمكن أن

يخفى على أحد، ومن خلال موافقتها للعقل والفتوة، وتوافقها مع الإرادة الإلهية والأوامر النبوية، يظن أن طرح الحقيقة للناس والمجتمع، سوف يؤدي إلى أن يخضع الناس لتلك الإرادة الإلهية، والأوامر النبوية الشريفة، فيقوم وبشكل اندفاعي كبير وتهور شديد في أغلب الأحيان بطرح الحقيقة بعنف شديد، فيؤدي ذلك إلى ردأت فعل عكسية شديدة، والتي تكون قاسية جداً عليه ولا يتوقعها من إخوانه في الإسلام، فكل ما يريده، هو تقديم الحقيقة لهم رجاء تبصوهم بها، والأخذ بأيديهم إلى الصراط المستقيم، وإلى برّ الأمان والهدى، وتجنبيهم مهلوي الضلال والزلل.

من هنا تبدأ نقطة الاصطدام بشكل غير متوقع مع المجتمع والناس، ومع العادات والتقاليد، ومع ما ألفه الناس وجموا عليه من أفكار وعقائد، وكذلك مع عقليات ونفسيات لم يكن يظن أنها موجودة في الأفراد، من عقول متحوّرة، ونفسيات مويضة، وحساد ونوي ضغائن (فطروا أنفسهم عليها) وأهل الدنيا، والمتكبرين والمرائين، والمكفّرين، ونوة ناوة جداً من أهل العقول السليمة والمشاعر الصادقة النبيلة.

الصفحة 21

الشعور بالغربة:

في هذا الوقت يشعر المستبصر بالغربة في مجتمعه وبين أهله وعشيرته، ويشعر بالحزن والأسى لكثرة ما يعاين من عقليات ونفسيات غريبة، متناقضة مع ما يعرفه عن حبّ المسلم للحقيقة، واستسلامه لأوامر الله تعالى وانقياده لها، ومتناقضة مع ما يعرفه عن المسلمين من حبهم لرسول الله وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام، والتّوأمهم بطاعتهم، بل على العكس من ذلك، فإنّه يبصر أن الحقيقة ليست هي الحقيقة، فكل تلك الشعرات من حبّ لله ولرسوله، وشعرات طاعة الله ورسوله، وشعرات الإخلاص وابتغاء ما فيه رضا لله ولرسوله، لا قيمة لها نهائياً عندهم، بل إنّ المولّين هي الأخرى متناقضة لأمر الله تعالى ونهيه، ومغاورة لنهج رسوله (صلى الله عليه وآله)، ومتضربة مع العقل والفتوة، فيبدأ الإحساس الشديد بالغربة مع المجتمع والناس، وليس للمؤمن المستبصر في هذه اللحظات إلا إيمانه الشديد، وغريمته الصادقة، بالإضافة إلى ما يسوي عنه في غرته من نصوص شوعية تجعله مطمئناً غرزا شامخاً رأساً.

روى الترمذي والسيوطي والطوي والقوي وغوهم كثير أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: "إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء يوم القيامة. قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: هم الذين إذا فسد الناس صلحوا، ثم قال: ألا لا غربة على مؤمن، وما مات مؤمن في غربة غائباً عنه بواكيه، إلا بكت عليه السماء والأرض، ثم قرأ رسول الله (صلى الله عليه وآله): {فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ} (1)، ثم قال: ألا إنهما لا يبكيان على الكافر" (2).

1- الدخان : 29.

2 - سنن الترمذي 4 : 129 ، الدر المنثور 6 : 30 ، تفسير الطوي 25 : 162 ، تفسير القوي 16 : 140 - 141

وروى في كنز العمال عن أنس قال: "قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): متى ألقى أحبائي، فقال بعض الصحابة: أوليس نحن أحبواك؟ قال: أنتم أصحابي، ولكن أحبائي قوم لم يروني وآمنوا بي أنا إليهم بالأشواق" (1).

وروى السيوطي في الجامع الصغير عن أنس أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: "يأتي على الناس زمان يكون المؤمن فيه أذل من شاته" (2). ورواه ابن عساكر عن أمير المؤمنين علياً (عليه السلام)، في تزيخ دمشق والتمتقي الهندي في كنز العمال.

وروى السيوطي في الجامع الصغير عن أنس أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: "يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر" (3).

وروى في كنز العمال عن ابن مسعود أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: "التمسك بسنتي عند اختلاف أمتي كالقابض على الجمر" (4).

هذا حال المؤمنين في زمن الضلال والجهل، وهذا هو حال المؤمن المستبصر في زمن قلّ فيه الناصر وكثر فيه النفاق والضلال، ولكنّ المؤمن المستبصر وبالرغم من كلّ ما يواجهه من ظروف ومن تقلبات الزمان والأحوال، يبقى عزواً بالله قوياً شامخاً، مؤمناً بالله تعالى ووعده ونصوه للمؤمنين، صابراً على الأذى، متحملاً في سبيل الله كل ذلك، مقتدياً برسول الله (صلى الله عليه وآله) والأئمة من أهل البيت (عليهم السلام)، مستشوراً حال أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)، موقناً أنّ العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

فإذا ما بين المستبصر حقيقة معيئة وأقام عليها الدليل الشعري والعقلي، فإنّ

1- كنز العمال 14 : 51.

2- الجامع الصغير 2 : 759، تزيخ دمشق 54 : 414، كنز العمال 11 : 137.

3- الجامع الصغير 2 : 759.

4- كنز العمال 1 : 184.

النتيجة عند أغلب الناس هي المروعة والتشكيك والإنكار، وربّما التأويل النفسي والشهواني، أو رفض كلام الله تعالى، وحديث رسول الله، ورفض القواعد العقلية البديهية، مقابل رأي أو هوى لشخص ممن يسموّنهم علماء يستسلمون له ولكلامه واجتهاده، تركين كلام الله تعالى، وأحاديث الرسول الكريم، ضلّبين بها عرض الحائط، وبعد البيان وعند إفلاسهم يوجّهون لك سؤالاً ينبع من مقاييس جاهلية لطالما حذرّ الشروع المقدسّ منها ومن نتائجها، وهي الاحتكام إلى ما ألفوا ووجوا عليه آباءهم، وليس تحكيم الشوع والعقل، ويكون السؤال على الشكل التالي وبشكل استهوائي وبسخرية واستكبار:

هل أنت على صواب، وكلّ تلك الجوع من العلماء والناس على خطأ؟. أو يكون السؤال بصيغ مختلفة، لكنّها تحمل نفس مضمون السؤال المذكور. المهم أنّه يبيّن المقياس العددي الذي يحتكمون إليه، فإذا رفض أغلبية المجتمع مبادئ الإسلام وأحكامه فبحسب مقياسهم الديمقراطي المذكور، فإنّ النتيجة يجب أن تكون مقبولة وطبيعية. ثم بعد ذلك يواجه المستبصر التكفير والتشهير والمقاطعة، والنظرة الغريبة المريبة، وفي كثير من الأحوال يصبح العدو الأول للإسلام والمسلمين.

قال تعالى في سورة يونس: **{ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحَيِّطُوا بِعَلْمِهِ }** (1) .

ضرورة التعمق في فكر وتراث أهل البيت (عليهم السلام):

إنّ طبيعة التعامل مع المجتمع والناس من خلال مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، تتطلب المزيد من التواضع والمعرفة لأحكامه وعقائده الإسلامية الأصيلة من

1- يونس، 39.

الصفحة 24

قبل المستبصر، وتتطلب أيضاً التعمق بؤاسة أخلاق وسلوكيات الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام)، ومن ثمّ تعلم تطبيقيها، قبل التسويع في نقل كلّ ما يعرف وإذاعته بين العوام بشكل ربمّا لا يرضي الله تعالى، ولا يرضي رسول الله ولا أئمة الهدى من أهل البيت عليهم الصلاة والسلام.

ولذلك حتّى الأئمة (عليهم السلام) أتباعهم وشيعتهم على تعلم كيفية معرفة واستنباط فئات المجتمع، وكيفية التعامل معها. وكذلك شدّوا على موضوع ومضمون النقيّة، وعلى معرفة مفهومها وكيفية تطبيقها، كما أكنوا (عليهم السلام) على كتمان سرّ أهل البيت، وصونه عن كلّ من لا يستحقّه، ونهوا شيعتهم أن يكونوا بزوا مّدايع، وأمروهم بأن يكونوا زينا لهم لا شينا عليهم، وأن يكونوا دعاة لهم بغير أسنتهم، وأن يلتزموا بالتطبيق الصحيح المطابق لقول رسول الله وفعله وتقوره والأئمة من أهل بيته عليهم الصلاة والسلام.

روي في بحار الأنوار، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّه قال لكميل بن زياد في وصية طويلة :

"يا كميل، إذا جادلت في الله تعالى فلا تخاطب إلا من يشبه العقلاء.

يا كميل هم على كلّ حال سفهاء كما قال الله تعالى : **{ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ }** (1) .

يا كميل، في كلّ صنف قوم رُفِعَ من قوم، وإياك ومناظرة الخسيس منهم، وإنّ أسمعوك فاحتمل وكن من الذين وصفهم الله

تعالى بقوله : **{ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا }** (2) .

يا كميل، قل الحقّ على كلّ حال ، ووزر المتقيّين ، واهجر الفاسقين .

1 - البقرة، 13.

يا كميل، جانب المنافقين، ولا تصاحب الخائنين .

يا كميل، إياك وإياك والتطرق إلى أبواب الظالمين، والاختلاط بهم والاكْتساب منهم، وإياك أن تُطيعهم، وأن تشهد في مجالسهم بما يسخط الله عليك .

يا كميل، إذا اضطرت إلى حضورهم، فداوم ذكر الله تعالى والتوكل عليه و استعذ بالله من شوهم، واطرق عنهم وانكر بقلبك فعلهم، واجهر بتعظيم الله تعالى لِتُسمعهم، فإنهم يهابوك، وتكفي شوهم .

يا كميل، إن أحب ما امتثله العباد إلى الله، بعد الإقرار به وبأوليائه، التجلُّم والتعفف والإصطبار .

يا كميل، لا بأس بأن لا يعلم سرك .

يا كميل، لا تزين الناس افتقرك واضطورك، واصطبر عليه احتساباً بعزٍّ وتسترٍ .

يا كميل، لا بأس بأن تعلم أخاك سرك .

يا كميل، ومن أخوك ؟. أخوك الذي لا يخذلك عند الشدة، ولا يغفل عنك عند الجروة، ولا يخذعك حين تسأله، ولا يتورك وأمرك حتى تعلمه، فإن كان مميلاً أصلحه .

يا كميل، المؤمن مرآة المؤمن يتأمله، ويسدّ فاقته، ويجمل حالته .

يا كميل، المؤمنون إخوة، ولا شيء آثر عند كلّ أخ من أخيه .

يا كميل، إذا لم تحب أخاك فليست أخاه .

يا كميل إنّما المؤمن من قال بقولنا ، فمن تخلف عنا قصر عنا ، ومن قصر

(1)

عنا لم يلحق بنا ، ومن لم يكن معنا ففي البرك الأسفل من النار..." .

وروي في الكافي قال: خرجت هذه الرسالة من أبي عبد الله (عليه السلام) إلى أصحابه:

"بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد: فاسألوا ربكم العافية، وعليكم بالدعة والوقار والسكينة، وعليكم بالحياء والتوّه عما تتوّه عنه الصالحون قبلكم، وعليكم بمجاملة أهل الباطل، تحمّلوا الضيم منهم، وإياكم ومماظنتهم، دينوا فيما بينكم وبينهم إذا أنتم جالستموهم وخالطتموهم ونزل عتموهم الكلام، فإنّه لا بدّ لكم من مجالستهم ومخالطتهم ومنزل عتمهم الكلام بالتقية التي أمركم الله أن تأخذوا بها فيما بينكم وبينهم، فإذا ابتليتم بذلك منهم فإنهم سيؤنّونكم وتعرفون في وجوههم المنكر، ولولا أن الله تعالى يدفعهم عنكم، لسطوا بكم، وما في صدورهم من العدوة والبغضاء أكثر ممّا يبدون لكم، مجالسكم ومجالسهم واحدة، وأرواحكم وأرواحهم مختلفة لا تأتلف، لا تحبّونهم أبداً ولا يحبّونكم، غير أن الله تعالى أكرمكم بالحق وبصركمّوه ولم يجعلهم من أهله، فتجالسهم وتصبرون عليهم، وهم لا مجاملة لهم ولا صبر لهم على شيء، وحيلهم وسواس بعضهم إلى بعض، فإن أعداء الله

إن استطاعوا صدوكم عن الحق، فيعصمكم الله من ذلك، فاتقوا الله وكفوا ألسنتكم إلا من خير" إلى أن قال :
"فاتقوا الله أيتها العصابة الناجية إن أتم الله لكم ما أعطاكم به، فإنه لا يتم الأمر حتى يدخل عليكم مثل الذي دخل على
الصالحين قبلكم، وحتى تبتلوا في أنفسكم وأموالكم، وحتى تسمعوا من أعداء الله أذى كثرا فتصبروا وتعركوا بجنوبكم، وحتى
يستذلوكم ويبغضوكم، وحتى يحملوا عليكم

1- بحار الأنوار، 74 : 269.

الصفحة 27

الضيم فتحملوا منهم، تلتمسون بذلك وجه الله والدار الآخرة، وحتى تكظموا الغيظ الشديد في الأذى في الله عز وجل
يجتومونه إليكم، وحتى يكذبوكم بالحق ويعادوكم فيه ويبغضوكم عليه، فتصبروا على ذلك منهم، ومصدق ذلك كله في كتاب
الله الذي أتوه جبرئيل (عليه السلام) على نبيكم (صلى الله عليه وآله)، سمعتم قول الله عز وجل لنبيكم (صلى الله عليه وآله): {
اصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولَاؤُا الْعُومِ مِّنَ الرِّسَالِ وَلَا تُسْعِجْ لَهُمْ } (1) . ثم قال: { وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رَسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا
وَأُولُوا } (2) . فقد كُذِّبَ نبي الله والرسول من قبله، وأولوا مع التّكذيب بالحق، فإن سركم أمر الله فيهم الذي خلقهم له في الأصل
، أصل الخلق من الكفر الذي سبق في علم الله أن يخلقهم له في الأصل، ومن الذين سمأهم الله في كتابه في قوله: { وَجَعَلْنَاهُمْ
أَنَّمَا يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ } (3) . فتدبروا هذا، واعقلوه ولا تجهلوه، فإنه من يجهل هذا وأشباهه مما افترض الله عليه في كتابه مما
أمر الله به ونهى عنه، ترك دين الله وركب معاصيه، فاستوجب سخط الله، فأكبه الله على وجهه في النار" (4) .
وروي عن ميسرة قال، قال أبو جعفر الباقر (عليه السلام): "يا ميسرة، ألا أخورك بشيعتنا، قلت: بلى جعلت فداك. قال:
إنهم حصون حصينة في صدور أمينة، وأحلام رزينة، ليسوا بالمذاييع البذر (5) ، ولا بالجفاة الروائين، رهبان بالليل، أسد
بالنهار" (6) .

1- الأحقاف، 35.

2- الأنعام، 34.

3- القصص، 41.

4- الكافي 8 : 2 - 5.

5- البذر : القوم الذين لا يكتمون الكلام.

6- مشكاة الأنوار : 126.

الصفحة 28

وروي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) قال: "إنما الشيعة من لا يعدو سمعه صوته، ولا شجنه بدنه، ولا

يحبّ لنا مبغضاً، ولا يبغض لنا محباً، ولا يجالس لنا غالياً ولا يهرّير الكلب، ولا يطعم طمع الغراب، ولا يسأل الناس وان مات جوعاً، المتتحّي عن الناس، الخفي عليهم، وان اختلفت بهم الدار لم تختلف أفلوئيلهم، إن غابوا لم يفقوا، وان حضروا لم يؤبه بهم، و إن خطوا لم يزوجوا، يخرجون من الدنيا و حوائجهم في صدورهم، إن لقوا مؤمناً أكرموا، وان لقوا كافراً هجروا، وإن أتاهم ذو حاجة رحموا، وفي أموالهم يتواسون. ثم قال: يا مهزم، قال جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام) ، يا علي، كذب من زعم أنه يحبني ولا يحبك أنا المدينة و أنت الباب و من أين توتى المدينة إلا من بابها" (1)

وروي في التفسير المنسوب للإمام العسكري (عليه السلام) أن الرسول (صلى الله عليه وآله) قال: "إن شيعتنا من شيعنا، واتبع أثرتنا، واقتدى بأعمالنا" (2)

وروي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) قال: "امتحوا شيعتنا عند مواقيت الصلاة، كيف محافظتهم عليها؟" والي أسولنا، كيف حفظهم لها عند عوتنا؟، والي أموالهم، كيف مواساتهم لإخوانهم فيها؟" (3)

وروي سليمان بن مهوان أنه قال: دخلت على الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) وعنده نفر من الشيعة وهو يقول: "معاشر الشيعة، كونوا لذابينا ولا تكونوا علينا شينا، قولوا للناس حسنا، واحفظوا ألسنتكم وكفوها عن الفضول وقبح القول" (4)

1 - مشكاة الأنوار، 125.

2 - تفسير الامام العسكري : 307.

3 - قوب الاسناد : 78.

4 - الأمالي، الشيخ الصدوق، 484.

الصفحة 29

وروي في الكافي عن عمرو بن أبي مقدم أنه قال: سمعت أبا عبد الله الصادق (عليه السلام) يقول "خرجت أنا وأبي حتى إذا كنا بين القبر والمنبر، إذا هو بأناس من الشيعة، فسلم عليهم، ثم قال: إنني والله لأحب رياحكم وأرواحكم، فأعينوني على ذلك برع واجتهاد، واعلموا أن ولايتنا لا تتال إلا بالبرع والاجتهاد، من ائتم منكم بعبد فليعمل بعمله، أنتم شيعة الله، وأنتم أنصار الله، وأنتم السابقون الأولون، والسابقون الآخرون، والسابقون في الدنيا والسابقون في الآخرة، قد ضمنا لكم الجنة بضممان الله عزوجل، وضممان رسول الله، والله ما على نرجة الجنة أكثر أرواحا منكم، فتتأسفوا في فضائل الرجاة، أنتم الطيبون، ونسألكم الطيبات، كل مؤمنة حراء عينا، كل مؤمن صديق. ولقد قال أمير المؤمنين لقنبر: يا قنبر؛ أبشر وبشر واستبشر، هو الله لقد مات رسول الله وهو على أمته ساخط إلا الشيعة، إلا وان لكل شيء عوا وعز الإسلام الشيعة، إلا وان لكل شيء دعامة ودعامة الإسلام الشيعة، إلا وان لكل شيء ثروة وثروة الإسلام الشيعة، إلا وان لكل شيء سيدا وسيدا المجالس مجالس الشيعة، إلا وان لكل شيء شوقا وشوق الإسلام الشيعة، إلا وان لكل شيء إماما وإمام الأرض لرض (1)

وجوب إحياء أمر أهل البيت (عليهم السلام):

بالمقابل فإن الواجب على المستبصر أن يحيي أمر أهل البيت (عليهم السلام)، ويفوح لفوحهم ويخزن لحزنهم، ويربي نفسه ومن معه على أخلاق أهل البيت (عليهم السلام)، وعلى عقائدهم وأحكامهم، مع المحافظة على عدم تجاوز المحاذير التي حثَّ على الحذر منها واجتنبها أئمتنا (عليهم السلام)، فيعيش مع واقعه وأفواد مجتمعه كواحد

1- الكافي، 8 : 212 - 213.

الصفحة 30

منهم، بينما في داخله بركان يغلي حباً وولاءً وصدقاً وإخلاصاً ومُتَابَعَةً وَاقْتِدَاءً لأهل البيت (عليهم السلام)، وكذلك حزناً وألماً عند ذكر مظلوميات أهل البيت (عليهم السلام)، أو عند رؤية ما يعانیه المؤمنون في مشرق الأرض ومغربها من ظلم وبطش وتقتيل وتكفير .

ولذلك فإن المؤمن المستبصر يحاول نوما أن يجمع بين شخصيَّتين، وهذا يوجب عليه التدقيق في أحوال الناس الذين يعايشهم، حتَّى يطلِّع على فئاتهم ويتعرف على أصنافهم وأقسامهم، ويتعلم كيف يتفاعل مع واقعه من خلال تطبيق ما أمر به الأئمة الأطهار من أهل بيت العصمة والرسالة (عليهم السلام)، حتَّى يعيش في أمن وأمان وراحة بال وطمأنينة، وهو العنوان الذي وعد الله تعالى به أوليائه المؤمنين المتقين، المطيعين للرسول الكريم، والموالين لأولياء الله تعالى الأئمة المعصومين عليهم جميعاً أفضل الصلوات وأتمّ التسليم.

قال تعالى في سورة يونس : { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ؟ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ؟ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }⁽¹⁾

وقال تعالى في سورة الزمر : { وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَتَانُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ؟ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هُدَاهُمْ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْوَالِدُونَ الْأَلْبَابُ }⁽²⁾

فئات المجتمع وأصناف الناس:

وبناء على ذلك، فإن المؤمن المستبصر المدقق في أحوال المسلمين الذين

1- يونس : 62 - 64.

2- الزمر : 17 - 18.

الصفحة 31

يعيش معهم وبينهم، يستطيع أن يصنّفهم ويقسمهم إلى عدة أصناف وأقسام، لابد للمستبصرين من معرفتهم، ولابد لكل

منصف محب للحق أن يمزهم، حتى يعرف كيفية التعامل معهم في غربته ووحده، وحتى يستطيع المحافظة على عقيدته وإيمانه، وحتى يعرف متى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ومتى تتحقق شروطه ومتى لا تتحقق، حتى تكون أفعاله وتصرفاته مقبولة، وسلوكه متوافق مع ما فيه رضا الله تعالى ورسوله والأئمة من أهل البيت عليهم الصلاة والسلام أمام كل تلك الفئات.

ومن تلك الفئات، فئة المكّوين النواصب من العلماء، وكثير من العوام، والذين يطعنون في مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، وينصبون العداة لهم عن علم أو بسبب الضلال والجهل الذي أخوه عن ضلال وجهال ممّن سبقهم، ويدعون أنهم عن البدع يتوقّعون، لكنهم بينها يضطجعون كما قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام).

يقول الإمام عليّ (عليه السلام) في خطبة له من نهج البلاغة: "...وأخر قد تسمّى عالماً وليس به، فاقتبس جهائل من جهال، وأضاليل من ضلال، ونصب للناس شوكا من حبايل غرور وقول زور، قد حمل الكتاب على رأئه، وعطف الحق على أهوائه، يؤمن من العظائم، ويهون كبير الجرائم، يقول: أفّ عند الشبهات وفيها وقع، واعتول البدع وبينها اضطجع، فالصورة صورة إنسان، والقلب قلب حيوان، لا يعرف باب الهدى فيتبعه، ولا باب العمى فيصدّ عنه، فذلك ميت الأحياء، فأين تذهبون" (1) .؟

وهؤلاء هم خورج العصر الحديث، الذين يُصلّون ويصومون ويقروؤون

1 - نهج البلاغة بشرح الشيخ محمد عبده 1 : 153.

الصفحة 32

القآن ويدعون إلى الإسلام، وكلّ همهم هو تكفير المسلمين، خصوصاً أتباع مؤسسة أهل البيت (عليهم السلام)، فهم دوماً يكفرونهم ويستخزؤون بهم ويثيرون حولهم الشبهات، ويكيلون لهم التهم، بل تجاوز الأمر إلى أكثر من ذلك بأن أباحوا دماء المؤمنين من أتباع أهل البيت (عليهم السلام)، وما ذنبهم إلا أن آمنوا بالله وأطاعوا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والتزموا بالشرعية السمحاء، وعملوا على تطهير أنفسهم باتباع أهل البيت (عليهم السلام) الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهوا.

قال تعالى في سورة البروج : **{ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ؟ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }** (1) .

وقال تعالى في سورة الأعراف : **{ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مَنْ قَرِينِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ }** (2) .

وهؤلاء المكفرون والتكفيريون النواصب (الذين يعادون الله ورسوله، ويحلبون أحباب الله من المؤمنين الموقنين بوعده الله ونصوه) قد وصفهم القآن الكريم وحذّر منهم الرسول الكريم، حتى لا يندخ الناس بهم وبكذبهم وفتنتهم، فالله متمّ توره ولو كره المبغضون والمكفرون الحاقنون؛ لأنهم وللأسف الشديد استطاعوا بمظاهرتهم وغرورهم أن يخدعوا ويضلّوا كثرا من

الناس، ويضعوهم في دائرة المجرمين لكي يلاحقوا المؤمنين ويستنزئوا بهم، ويتهمونهم بالضلال، وحتى لا يبصروا الحق وان أبصروه تكفه نفوسهم، فيدخلون في قائمة من يحرب الله ورسوله.

قال تعالى في سورة المطففين: **{ إِنَّ الَّذِينَ أُجْرِمُوا كَاتِبُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَصْحَكُونَ ؟ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ؟ وَإِذَا انْقَلَبُوا**

إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكُهُينَ ؟

1 - البروج : 8 - 9.

2 - الأعراف : 82.

الصفحة 33

وإِذَا رُؤُوهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُونَ ؟ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ⁽¹⁾ :

وقال تعالى في سورة الزخرف: **{ لَقَدْ جَنَانِكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كُرْهُونَ }**⁽²⁾ .

وقال تعالى في سورة المجادلة: **{ إِنَّ الَّذِينَ يَحَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرَسُولِي إِنَّ اللَّهَ**

قَوِيٌّ عَزِيزٌ }⁽³⁾ .

وقال تعالى في سورة المائدة: **{ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَرْبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا**

أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأرجلهم من خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جَزَاءُ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ }⁽⁴⁾ .

وقال تعالى في سورة الأحزاب: **{ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا }**

(5)

وروى الحاكم في المستدرک عن أنس بن مالك أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: "سيكون في أمتي اختلاف ورفقة،

قوم يحسنون القيل، ويسينئون الفعل، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم،

يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، لا يرجع حتى يرد السهم على فوقه، وهم شوار الخلق والخليقة، طوبى لمن قتلهم

وقتلوه، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولى بالله منهم، قالوا:

1- المطففين : 29 - 33.

2 - الزخرف : 78.

3- المجادلة : 20 - 21.

4- المائدة : 33.

5 - الأحزاب : 57.

الصفحة 34

يا رسول الله، ما سيماهم؟ قال: التحليق" .

وهناك فئة ثانية يعايشها المستبصر، وهم كما ذكرت الذين إذاروا شيئاً رفعه الله وأعلا شأنه، فإنهم لحسدهم يعملون لوضعه والخط من شأنه، وبسبب الأمراض النفسية التي تعشعش في عقولهم وقلوبهم، فإنهم لا يتحملون رؤية من هو أفضل منهم، ولا يستطيعون أن يرتفعوا إلى مترلته، فيقاومونه بمحاولات التحقير والاستهواء والطنن، وكل ذلك حسد من عند أنفسهم.

قال تعالى في سورة النساء : { أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مَلَكًا عَظِيمًا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا }⁽²⁾

وقال تعالى في سورة الأنفال : { إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَوَاءٌ دَيْنَهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهََ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }⁽³⁾

وفئة ثالثة قد ألفوا ما وجبوا عليه آباءهم وعلماءهم، فلا يقبلون سماع أو رؤية غيره مما هو موجود عند غيرهم، جمدت عقولهم وأفكلهم على ما ورثوا من عادات وتقاليد وجهالات لا يعرفون غيرها، ولا يستطيعون تغييرها، بل لا يقبلون البحث في واقعها، وهذا الواقع في المسلمين يمثل شريحة كبيرة جداً منهم، فنقول مثلاً : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) كذا، فيقول : قال آباؤنا وعلماؤنا أو قال ابن تيمية : كذا وكذا. وكما الفئة الأولى لها أصول وجنور منذ زمن بعيد كذلك هذه الفئة أيضاً لها جنور بعيدة، ويحضرني الحديث المروي في سير أعلام النبلاء "عن ابن عباس قال: تمتع رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليه وآله) ، فقال عروة: نهى أبو بكر

1 - المستترك على الصحيحين 2 : 147.

2- النساء : 54 - 55.

3- الأنفال : 49.



وعمر عن المتعة، فقال ابن عباس: فما يقول عوية؟ قال: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة. قال: رأهم سيهلكون، أقول: قال رسول الله، ويقولون: قال أبو بكر وعمر" (1).

ولقد حذر القرآن الكريم والحديث الشريف من هذه المحاكاة العمياء للأباء والأجداد، والجمود عليها، ورفض وإنكار ما سواها، كما أنّ الشراع المقدس قد حذرّ ونهى عن التقليد في المعتقدات.

قال تعالى في سورة البقرة: **{وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ}** (2).

وقال تعالى في سورة المائدة: **{وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَالْيَ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ}** (3).

وقال سبحانه وتعالى في سورة الأعراف: **{وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنْ لَمْ يَأْمُرِ بِالْفَحِشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ}** (4).

وفئة رابعة قد استحووا الحياة الدنيا على الآخرة، وشغلهم طول الأمل، فهم يعتبرون الدنيا دار خلود وبقاء، حتى أنّهم يرفضون كلّ ما يذكّهم بحقيقة دنياهم الفانية، ويتمسكون بكلّ ما يذكّهم بها، ويملكون من الاستعداد لبيع القيم والمبادئ بعرض من الدنيا قليل، وهؤلاء تجد منهم من يبيع الدين

1- سير أعلام النبلاء 15 : 243.

2 - البقرة : 170.

3- المائدة : 104.

4 - الأعراف : 28.

بالدنيا، وتجد منهم أيضاً من يتخذ الدين مطيةً لتحقيق مآربهم الدنيوية، فيصلون في الصفوف الأولى، ويقومون بالعبادات وأعمال البرّ والتقوى أمام الناس، ويطلقون اللحي، ولؤون فيها من أجل الشهرة والسمعة، حتى تتحقق لهم من وراء ذلك عمليات النصب والاحتيال على عباد الله تعالى. وفي الحقيقة فإنّ هذا الصنف من الناس يعمل على الصدّ عن سبيل الله، ولا يمكن له أن يحبّ الحقيقة لأنّها تضر بمصالحه، وبسبب حبهمّ للدنيا وزينتها، فإنّ دينهم السخرية من المؤمنين، والعمل على إبقاء العادات والتقاليد الفاسدة، وصدّ الناس عن رؤية فساد الواقع، حتى تبقى محريات الأمور تصبّ في صالحهم ومصالحهم، فهم على حسب اعتقادهم على القوم والمجتمع بسبب أموالهم ودنياهم، فلا يجوز أن يوجد بينهم من هو أفقه منهم.

قال تعالى في سورة إراهيم: **{ الَّذِينَ يَسْتَحْبُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ** (1)

في ضلال بعيد

- وقال تعالى في سورة البقرة : { **أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ** } (2)
- وقال تعالى في سورة البقرة : { **زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيُسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** } (3)
- وقال تعالى في سورة آل عمران : { **زَيْنٌ لِلنَّاسِ حِبِّ الشُّهُوتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ** }

1 - إِبْرَاهِيمَ : 3.

2 - البقرة : 86.

3 - البقرة : 212.

الصفحة 37

وَالْحَرَّتْ ذَلِكَ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (1)

وفئة خامسة لا يدرون ما هم عليه، ولا يوجد عندهم استعداد لمعرفة ما غاب عنهم من الحقيقة، بل أكثر من ذلك، إذ إنهم لا يريدون أن يعرفوا حقيقة ما هم عليه أصلاً، بل إنهم لا يستطيعون أعمال عقولهم وحواسهم إلا لخدمة شهواتهم الحيوانية، وهؤلاء لا يهتمهم دينهم فضلاً عن أهل البيت (عليهم السلام)، وإذا ما حاولت أن تستنقز عقولهم وحواسهم أو تستنهضها، فإنهم لا يسمعون ولا يعقلون ويولّون مديريين، قد طغت عليهم قوى الشهوة، فأظلمت عقولهم وقلوبهم فصلروا دون البهائم.

قال تعالى في سورة الأعراف: { **وَلَقَدْ نُرَانَا لَجْنَةً كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا**

يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ } (2)

وقال تعالى في سورة الفرقان: { **أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا** } (3)

وقال تعالى في سورة الروم: { **إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمُوتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وُلِّوا مَدْبِرِينَ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَى عَنْ**

ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُوْمَنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ } (4)

وفئة سادسة يعرفون الحقيقة والأحقية، ويركونها بل إنهم مستيقنون منها ولكنهم لخوفهم على أنفسهم وعلى مناصبهم

ومصالحهم الدنيوية ومراكزهم فيها، فإنهم يجحدون الحقيقة وينكرونها ويعادونها ابتغاء مرضاة أسيادهم،

1 - آل عمران : 14.

2 - الأعراف : 179.

3 - الفرقان : 44.

ومناصبهم ومصالحهم، وخشية أن تصيبهم دائرة، ولأجل المناصب والمصالح الدنيوية، فإنهم يصبون غضبهم على الحقيقة وأتباعها، بل ويعتبرونهم العدو الأول للإسلام والمسلمين، وبالتالي تستشري فيهم وبينهم الأمراض وعولضها، وأهمها جحد الحقيقة وإنكلها وبغضها والعدووة والبغضاء لحملتها.

قال تعالى في سورة النمل : **{ وَجَحْنُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ }⁽¹⁾** .

وقال تعالى في سورة المائدة : **{ فَتَوَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسُوعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى**

اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ }⁽²⁾ .

وفئة سابعة من الناس يحبون أهل البيت ويطربون عند سماع أخبارهم وفضائلهم، ولكنهم لا يريدون واسة التزيخ والبحث فيه، ولا ينتمون إلى مذهب معين، بل يقولون بكل ما يسمعون، ويأخذون من كل عالم، ويفضلون فصل الشريعة عن الحقيقة، ولذلك تجدهم إلى التصوف أقرب، فيحبون أهل البيت (عليهم السلام)، وفي نفس الوقت يتوضون على أعدائهم، أي أنهم يدعون محبة أهل البيت (عليهم السلام)، وفي نفس الوقت يوالون أعداءهم، وهذا الواقع غير مقبول شوعاً وعقلاً، لأن الأصل في المحبة هو الاتباع والافتداء، والولاية لأولياء الله والوادة من أعدائهم، ولا يمكن للمحبة أن تكون إلا بعد المعرفة، فمن ادعى المحبة من دون معرفة فهو كاذب، كما أنه لا يمكن للمحبة أن تتجسد إلا بالاتباع والافتداء والسلوك، وعنوان تجسدها الولاء والوادة، فمن ادعى المحبة من غير اقتداء فهو كاذب.

1- النمل : 14.

2- المائدة : 52.

قال سبحانه وتعالى في سورة المجادلة : **{ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مِمَّنْ حَادَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا**

آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ }⁽¹⁾ .

وقال تعالى في سورة آل عمران : **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِنُوا بَطَانَةَ مِمَّنْ لَّا يُؤْمِنُونَ بِحُبَالَا وَبُوا مَا غَنَمَ قَدِ بَدَتْ**

الْبَغْضَاءُ مِنْ أَقْوَامِهِمْ وَمَا تَخْفَىٰ صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيْنَا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تُعْقِلُونَ }⁽²⁾ .

وقال تعالى في سورة التوبة : **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِنُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءِ إِنْ أُسْتَحْبُوا الْكُفْرَ عَلَىٰ الْإِيمَانِ وَمَنْ**

يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }⁽³⁾ .

وقال تعالى في سورة الممتحنة : **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِنُوا عِيُوِي وَعِيُوِيكُمْ أَوْلِيَاءِ }⁽⁴⁾** .

وفئة ثامنة هي من أهل الواقع، وليس الواقع النفسية المويضة فقط، بل من دافع الفضول الشخصي أو الدافع الاخباراتي

لحساب أعداء الله ورسوله وأهل البيت عليهم الصلاة والسلام، فهؤلاء يسعون وراء المؤمنين المستبصرين ويتبنون أفكارهم، بل وربما يجعلون أنفسهم في المقدمة ويظهرون الانفعالات الشديدة المتعاطفة مع المؤمنين، ويتقربون منهم، من أجل أن يكونوا على قرب شديد من المؤمنين، حتى يكشفوا أحوالهم وأعدادهم وأماكن تواجدهم، ويعملون على معرفة كل صغيرة وكبيرة عنهم، خدمة لخواصهم

1- المجادلة : 22.

2- آل عمران : 118.

3- التوبة : 23.

4- الممتحنة : 1.

الصفحة 40

النفسية المريضة، من أجل التشهير بالمؤمنين، وإشاعة الشائعات الكاذبة، والافتراءات المضللة للبطء من المسلمين، أو تقوم هذه الفئة بتلك الأعمال، عمالة لمن يؤرهم من الجهات الاستخباراتية الشيطانية، حتى تكون تلك الجهات على معرفة بالمؤمنين من أجل استغلال أوضاعهم، لإثارة الفتن بين المسلمين، ومن أجل تحقيق مآرب سياسية معينة لصالح أعداء الله ورسوله وأهل البيت عليهم الصلاة والسلام، وهناك هدف آخر لهذه الفئة، وهو امتصاص عواطف الناس إذا ما توجهت نحو الحقيقة، ثم وفي اللحظة المناسبة يقومون بتوجيه مسار عواطف الناس إلى حيث يشاء هؤلاء الموجهون، لرضاء لخواصهم

الشيطانية والنفسية الخبيثة الموجهة. قال تعالى في سورة البقرة: **{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ }** (1).

وهذه الفئة لا تقلّ خطورة عن فئة التكفيرين والنواصب، بل إنّ التكفيرين حالهم مكشوف ومعروف للقاصي والداني، ولكن هذه الفئة أكثر خطورة منهم لأنهم يعملون تحت ستار الإيمان، ومعلوم أنّ المؤمن المستبصر الحقيقي، قلبه رفيف سريع التعاطف مع إخوانه المؤمنين، فربما يقع في المخاطر وهو يظن أنه في خدمة الله تعالى ورسوله وأئمة عليهم الصلاة والسلام، فالحذر الحذر إخواني المؤمنين، خصوصا أنّ المنطقة مقبلة على تغيير شامل نحو الخير والعدل، وأعلام التغيير واضحة للعيان، ودلائل قرب الفوج كثرة، والتقوية واجبة حتى يظهر الإمام المهدي (عليه السلام) وعجل الله تعالى فوجه الشريف.

1 - البقرة : 204 - 205.

الصفحة 41

قال تعالى في سورة الحوات : **لَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَئِهَا الَّذِينَ آمَنُوا** (1)

بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيْحَبَ أَحَدِكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ ثَوَابُ رَحِيمٍ {

قال تعالى في سورة النور : { إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ

عَظِيمٌ } وَلَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نُنْكَلُمْ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ؟ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعْبُوهَا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ

كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ؟ وَيَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ؟ إِنْ الَّذِينَ يَحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ وَأَنَّ اللَّهَ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ ؟ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا

تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ { (2)

وقال تعالى في سورة الأحزاب : { وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيَرٍ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا {

(3)

وقال تعالى في سورة الأحزاب : { لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم

لا يجاورونك فيها إلا قليلاً ؟ ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً ؟ سئءة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله

(4)

تبديلاً }

وهناك فئة تاسعة وهم قلة من الناس متعطشون لمعرفة الحق واتباعه؛ لأنهم

1 - الحوات : 12.

2- النور : 15 - 21.

3 - الأحزاب : 58.

4 - الأحزاب : 60 - 62.

الصفحة 42

أركوا أنّ هذه الحياة الدنيا قصوة وفانية، وهي دار ممر، مطية للمؤمن يسعى من خلالها للوصول الى رضوان الله سبحانه

وتعالى؛ لأنّ الله سوف يسألهم عن أعمالهم وتصرفاتهم وسلوكهم ، فهم دائماً يبحثون عن الحق، وإذا ما وجوه فإنهم يسرعون

لاتّباعه والافتداء بهديه بصدق وإخلاص وإرادة حقيقية.

قال تعالى في سورة المائدة : { وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ وَرَأَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ

(1)

يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ }

وفئة عاشرة من الناس هي فئة المتذبذبين الذين يتقلّبون بين كلّ ما ذكرنا من الفئات، ولا يستقرّ لهم قرار، تارة مع هؤلاء

وتارة مع أولئك، يميلون مع الواقع حيث يميل، ليس لهم شخصيّة واضحة، بل في الحقيقة شخصية ضعيفة ذليلة لا تملك موقفاً،

وربّما تتقلّب في الدقيقة الواحدة في أكثر من موقف، ولشدة ضلالهم ليس لهم سبيل واضح، وهم كما قال الله تعالى فيهم في

(2)

{ مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا }

هذا بالإضافة إلى فئة المؤمنين الصادقين الصابرين الذين عرفوا الله فعرفهم وصدقوا في حبهم وإخلاصهم، فأكرمهم الله تعالى بمعرفة نبيهم وأمتهم، فاتبعوهم بِلادة قوية وعزيمة صادقة، فأعوهم الله تعالى بكرامته لهم، بوالون من والى الله تعالى ونبيه والأئمة المعصومين، ويعاونون أعداءهم، فهم تحت الأمر الإلهي يتوجهون إلى حيث يوجههم بصدق وثبات وغوة منيعة، فله الغوة ولرسوله وللمؤمنين.

1- المائدة : 83.

2- النساء : 143.

الصفحة 43

هكذا رأيت الواقع الذي يحيط بالمؤمن المستبصر، يجد نفسه وحيداً فريداً، وحالة غريبة بين كل تلك الفئات المذكورة، يتألم مما راه حوله من دفن وطمس للحقيقة، ومن إنكار وتشكيك فيها وفي أتباعها، ويتألم لأولئك الذين يبحثون عنها دون جوى وعلى غير هدى، وهو لا يستطيع أن يجيب عن اشكالاتهم وتسؤلاتهم، مع أنه يعونها ويعرف الإجابة عليها، خوفاً من ربود الفعل اللامسؤولة، والتي يندفع بها أغلب الناس في أغلب المناسبات.

التناقض بين الشريعة والمألوف:

بعد كل ذلك، فإنّ المستبصر يتعامل وبشكل عام مع واقع نفسي تحكمه عادات وتقاليد ومألوفات تتناقض مع الشريعة المقدسة، ومع تعاليمها وأخلاقياتها، من خلال مجتمع يسهل فيه تكفير المسلم للمسلم، ويهون فيه دم المؤمن وماله وعرضه، ويكثر فيه الحسد والحساد، والكبر والرياء، وحبّ الدنيا وشهواتها على حساب الآخرة، مجتمع تطغى عليه العصبية والضغائن، وحبّ الشائعات والافتراءات، وحبّ الفاحشة والذيلة، وطغيان المادة، مجتمع ألف النفاق والوذيلة، وطمست فيه الحقيقة والفضيلة، وطغى فيه الحكم بالرأي النفسي والشهوي، وحسب المصلحة المادية والدينيوية الفانية، مجتمع لم يبق فيه من الإسلام إلا اسمه ومن القرآن إلا رسمه.

إنّ كل ما ذكرت، وأكثر من ذلك يعيشه المؤمن المستبصر مع تلة قليلة جداً من المؤمنين الثابتين على عهد الله تعالى، والمستيقنين بعزّ الله ونصوه، والمطمئنين بوفاء الله لوعده، ولذلك وبالرغم من كل ما يواجهه المؤمن المستبصر، فإنه دائماً يستشعر الغوة بالله تعالى والسكينة بذكر الله وطاعته، والقوة بتمسكه بالحق، والإقرار الدائم والمستمر ولاية أهل البيت وإمامتهم.

الصفحة 44

أورد المتقي الهندي في كنز العمال عن أبي أمامة أن رسول الله 2 قال: "لا زال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لعنوّهم قاهرين، لا يظوّهم من خالفهم إلا أصابهم من لأواء، وهم كالإناء بين الأكلة، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك، قالوا: يا رسول الله! وأين هم؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس" (1).

والحديث عواه المتقي إلى جرير الطوي، كما رواه أحمد

(3)

(2)

ومن الضروري جداً في هذا المقام تذكّر وصية لأمير المؤمنين (عليه السلام) ، أوصى بها المؤمنين الذين يعايشون واقعا كواقع المستبصرين، فيها توجيه جميل لكيفية التعامل مع كل الظروف التي تحيط بالمؤمنين المستبصرين.

فقد روي في كتاب وسائل الشيعة، عن الأصبع بن نباتة قال : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : " كانت الحكماء فيما مضى من الدهر تقول : ينبغي أن يكون الاختلاف إلى الأبواب لعشوة أوجه :

أولها: بيت الله عزّ وجلّ، لقضاء نسكه، والقيام بحقه وأداء فوضه .

والثاني: أبواب الملوك الذين طاعتهم متصلة بطاعة الله وحققهم واجب ، ونفعهم عظيم ، وضررهم شديد .

والثالث: أبواب العلماء الذين يستفاد منهم علم الدين والدنيا .

والرابع: أبواب أهل الجود والبذل، الذين ينفقون أموالهم التماس الحمد ورجاء الآخرة.

1- كنز العمال 14 : 46.

2- مسند أحمد 5 : 269.

3 - مجمع الزوائد 7 : 288.

الصفحة 45

والخامس: أبواب السفهاء الذين يحتاج إليهم في الحوادث، ويؤغ إليهم في الحوائج .

والسادس: أبواب من يتقرب إليه من الأشراف لالتماس الهبة والمروة والحاجة.

والسابع: أبواب من يرتجى عندهم النفع في الوأي والمشورة وتقوية الحزم وأخذ الأهبة لما يحتاج إليه.

والثامن: أبواب الإخوان لما يجب من مواصلتهم ويؤزم من حقوقهم.

والتاسع: أبواب الأعداء، الذين تسكن بالمدراة غوائلهم، وتدفع بالحيل والرفق واللفظ والزيلة عداوتهم.

والعاشر: أبواب من ينتفع بغشيانهم ويستفاد منهم حسن الأدب ويؤنس بمحادثتهم" (1) .

من معاناة المستبصرين، رفض المسلمين تطبيق أحكام الشريعة:

وأحبّ أن أصف للقرئ العزيز بعض الحالات مما حصل معنا أو مع بعض الإخوة المؤمنين المستبصرين التي زاها كل يوم عندنا، وأظنّ أنّها تحصل كثيراً مع المؤمنين في مناطق كثرة من العالم، ومنذ الزمن الغابر وحتى اليوم، حيث إنّ الفقه الإسلامي عند أهل السنّة والجماعة يحوي على مئات الأحكام التي خالفوا فيها وأمر الله ورسوله، وتكوها مقابل رأي لفلان أو فلان من الناس، وما سأذكره من حالات هو مجرد أمثلة لبيان حقيقة ما يواجهه المؤمن المستبصر، لكنّ الحقيقة أنّها ليست محصورة في مثال أو مثالين، بل إنّ أغلب

المواضيع عندهم تنطبق على طبيعة ما جمدت عليه عقولهم وأحبتهم نفوسهم ومالت إليه. فإذا ما وقع سؤال أو إشكال بين العامة، ووجنوا جواباً عند المؤمنين المستبصين على إشكالاتهم أو أسئلتهم، فإنهم يطربون ويسرّون لذلك الجواب خصوصاً إذا كان مع الجواب ذكراً لأحدرمزهم، فيسلمون للإجابة تسليماً مطلقاً. ولكن عند معرفتهم أنّ الجواب من طريق العترة الطاهرة وأتباعهم وشيعتهم، عندها يبدأ التشكيك والخوف من الصوغ بالحقّ الواضح البين، ثم يبدأ التأويل ويكثر، وذلك لدفع الحقّ وفرض الباطل، وإقصاء المعاني الحقيقية للدليل المعروض، من خلال التشكيك في المعنى، والتلون في الأخذ والردّ وتحريف الكلم عن مواضعه، وهذا من أشدّ ما يعانیه المستبصر في معاملته مع كل تلك الفئات. بينما لو قيل أنّ ذلك الأمر فرضه الصحابيّ الفلاني وخالف فيه رسول الله، فإنّ طربهم وسرورهم سيستمر ويستمر؛ لأنّ فيه اقتداء واتّباع لمن عصى الله ورسوله، وكأنّ فطرة البعض على غير الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وسأضرب عدة أمثلة لتوثيق رأيي هذا الذي طوحتّه الآن.

حي على خير العمل:

خذ مثلاً عبدة (حيّ على خير العمل) في الأذان الشعري، والتي قرّرها الله سبحانه يوم أسري برسول الله (صلى الله عليه وآله)، وعمل بها المسلمون حيناً من الدهر حتّى استبدلها الخليفة الثاني، ووضع بدلاً منها عبدة (الصلاة خير من النوم). ذكر الشوكاني في نيل الأوطار قال: قال في الأحكام: "وقد صحّ لنا أنّ حيّ على خير العمل كانت على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) يؤذّن بها ولم تطوح إلا في

زمن عمر. وهكذا قال الحسن بن يحيى، روي ذلك عنه في جامع آل محمّد وبما أخرج البيهقي في سننه الكرى بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمر أنّه كان يؤذّن بحيّ على خير العمل" (1).

وروى القوشجي في شوح التجرید أنّ عمر بن الخطاب قال وهو على المنبر: "ثلاث كنّ على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنا أنهى عنهنّ وأحرمهنّ وأعاقب عليهنّ وهي: متعة النساء ومتعة الحجّ وحيّ على خير العمل" (2).

وروى الترمذيّ وغوه عن مجاهد قال: "دخلت مع عبد الله بن عمر مسجداً وقد أذنّ فيه، ونحن نويد أن نُصليّ فيه، فثوب المؤذّن (أي قال الصلاة خير من النوم) فخرج عبد الله بن عمر من المسجد وقال: اخرج بنا من عند هذا المبتدع، ولم يصلّ فيه" (3).

وبالتالي صلت عبدة الصلاة خير من النوم عند القوم تشويحاً محترماً ومتبعاً أكثر من التشويح الإلهي والعبدة التي فرضها الله تعالى في الأذان، وهي حيّ على خير العمل صلت أژاً بعد عين. والدليل أنّه اليوم لا يجرؤ أحد على حذف عبدة الصلاة خير من النوم، وكذلك لا يجرؤ أحد على إعادة الجملة الأصليّة وهي عبدة حيّ على خير العمل، بالوغم

من وجود الأدلة الواضحة البيّنة في صحيح حديث رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وكذلك من خلال تطبيقات عشوات الصحابة والتابعين، إلا أنّ كلّ ذلك لا قيمة له مقابل فعل عمر بن الخطاب، طبعاً في المجتمعات السنّية وليس عند المجتمعات الشيعيّة والتي لا تتبع غير أمر الله الذي فوضه.

1- نيل الأوطار 2 : 19.

2 - شوح التجرید : 374.

3- سنن التومذی 1 : 128.

الصفحة 48

صلاة التواويح:

وخذ مثلاً أيضاً صلاة التواويح، والتي فرضها وأوجبها الخليفة الثاني، واعتوها بدعة كما هو مذكور في صحيح

(1) البخري و غيره من صحاح وأسانيد أهل السنة (2) .

روى البخري في صحيحه عن عبد الرحمن بن عبد القري أنه قال : "خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة في رمضان إلى

المسجد، فإذا الناس أوزاع متوقّون، يُصليّ الرجل لنفسه، ويصليّ الرجل فيصليّ بصلاته الوهط، فقال عمر: إني رُي لو

جمعت هؤلاء على قريء واحد لكان أمثل، ثمّ عزم فجمعهم على أبيّ بن كعب، ثمّ خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون

بصلاة قرئهم، قال عمر: نعم البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون، يريد آخر الليل، وكان الناس يقومون

(3) أوله".

فصلاة التواويح إذن لم يقرّها رسول الله(صلى الله عليه وآله) ، والتوم بذلك أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه

السلام) وأبو بكر وأغلب صحابة رسول الله(صلى الله عليه وآله)، لكنّه بعد أن شوّعها عمر التوم بتلك البدعة كثير من محبيّ

اتباع الآراء والأهواء المخالفة للشوع الحنيف، وعندما بويع لأمير المؤمنين (عليه السلام) ، منع المسلمين من أداء تلك البدعة

في فتوة خلافته، فخرج المسلمون من المسجد وهم يصرخون واعواه واعواه، فقد روي عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق

(عليه السلام) أنّه قال: "لما قدم أموال المؤمنين (عليه السلام) الكوفة، أمر الحسن

1 - صحيح البخري 2 : 252.

2 - أنظر مثلاً السنن الكوي للبيهقي 2 : 493 . والمصنّف لعبدالرزاق الصنعاني 4 : 258 - 259.

3 - صحيح البخري 2 : 252.

الصفحة 49

ابن علي (عليهما السلام)، أنّ ينادي في الناس لا صلاة في شهر رمضان في المساجد جماعة، فنادى في الناس الحسن بن

عليّ (عليهما السلام) بما أمره به أمير المؤمنين (عليه السلام)، فلما سمع الناس مقالة الحسن بن عليّ (عليهما السلام)، صاحوا واعرأه واعرأه، فلما رجع الحسن إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، قال له: ما هذا الصوت؟ فقال: يا أمير المؤمنين الناس يصيحون واعرأه واعرأه" (1).

أتخشون الناس فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين:

فهل يجرؤ المسلمون اليوم على الاعتراف بذلك، مع أن كل علماء أهل السنة الذين عاصرتهم يقرون بأنها بدعة، وأنها لم تكن في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولا في زمن أبي بكر، لكنّها العقول الجامدة المتحجرة التي لا يهّمها سوى اتباع الهوى والشهوات، فقد جعلوا حكم عمر مقدّما دائما على حكم الله، بل إذا تعرض حكم الله مع حكم أحدهم، فإنّ حكمهم مقدّم على حكم الله، ولطالما فعل المسلمون ذلك منذ بداية التريخ الإسلامي، واستفحل في أيامنا هذه بشكل لا يتصوّر.

روى البخاري في صحيحه في كتاب الحجّ وأحمد في مسنده عن مروان ابن الحكم قال: "شهدت علياً وعثمان بين مكة والمدينة وعثمان ينهى عن المتعة وأنّ يجمع بينهما، فلما رأى ذلك عليّ أهل بهما، فقال: لبيك بعوة وحجّ معاً، فقال عثمان: واني أنهى الناس عنه وأنت تفعله؟ قال: لم أكن أدع سنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) لقول أحد من الناس" (2).

وروى ابن كثير في البداية والنهاية أنّه يقال لابن عمر: "إنّ أباك كان ينهى

1- تهذيب الأحكام 3 : 70 ، وأنظر ما أورده المعقولي عن أموال المؤمنين B في شرح نهج البلاغة 12 : 283.

2 - صحيح البخاري 2 : 151، مسند أحمد 1 : 136، واللفظ لأحمد.

الصفحة 50

عنها (أي متعة الحج)، فقول: لقد خشيت أن يقع عليكم حجرة من السماء، قد فعلها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أفسنة رسول الله تتبّع أم سنة عمر بن الخطاب" (1).

وروى الذهبي في سير أعلام النبلاء عن ابن عباس، قال: "تمتّع رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال عروة: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة، فقال ابن عباس: فما يقول عوية! قال: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة، قال: رأهم سيهلكون، أقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ويقولون: قال أبو بكر وعمر" (2). ورواه أحمد في المسند (3).

روى المتقي الهندي في كنز العمال والهيتمي في مجمع الزوائد عن موزّق العجلي قال: "سئل ابن عمر عن الصلاة في السفر فقال: ركعتين ركعتين، من خالف السنة كفر" (4).

(5) قال الهيتمي: رواه الطواني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

روي في المحلى من طويق سفيان بن عيينة قال: "اعتلّ عثمان بن عفان وهو بمنى، فأتى الناس إلى عليّ (عليه السلام)، فقيل له: صلّ بالناس، فقال عليّ (عليه السلام): إن شئتم صليتّ لكم صلاة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، يعني ركعتين؛ قالوا لا، إلا صلاة أموال المؤمنين يعنون عثمان، ربّعاً فأبى عثمان" (6).

هذه بعض الكيفيات في التعامل مع كتاب الله وسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) من قبل المسلمين، وليست المسألة

محصورة في المثاليين المذكورين فقط، والتي ترك المسلمون فيها حكم الله ورسوله، واتَّبَعوا حكم وتشريع الأشخاص فيها،

- 1- البداية والنهاية 5 : 159.
- 2- سورة أعلام النبلاء 15 : 243.
- 3- مسند أحمد 1 : 327.
- 4- كنز العمال 8 : 240 ، مجمع الزوائد 2 : 154 - 155.
- 5- مجمع الزوائد 2 : 155.
- 6- المحلى 4 : 177.

الصفحة 51

فهناك مئات الأحكام في العقائد والتشريعات تمّ تركها أو تمّ استبدالها بأحكام وآراء وضعية لازالت حتى يومنا هذا مقدسة

عند أغلب المسلمين.

فقد كان يسهل عليهم ترك أمر رسول الله وسنته، مقابل اتباع الرأي الذي يخالف أمر رسول الله وسنته، بل إن أتباع سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو المستغرب والمستهج من قبل أولئك، فما بالك بسنة رسول الله اليوم خصوصاً في بلاد مثل بلادنا وفي بلاد المسلمين عموماً والتي يكثر فيها أغلب الأصناف من الناس الذين أوضحت معالم نفسياتهم وعقلياتهم. إن المؤمن المستبصر المقتدي برسول الله (صلى الله عليه وآله)، المطيع لسنته، يعتبر في نظر المجتمع الجامد على عاداته وتقاليده التي في مجملها مخالفة للشروع المقدس خرّجا عن المألوف، فهم يعتبرون الدين ما تناقلوه بالوراثة عن آبائهم من دون بحث أو تقصٍّ وحتى لو كان خطأ، فعندما توضّح لهم عن حكم شوعي أو سنة معينة أو حقيقة مغيبة، فبدلاً من تتبعها والبحث فيها ينظرون إليك نظرة الشاذّ المخالف للمجتمع المتورّد على المألوف من العادات والتقاليد الدينية المخالفة لشروع الله تعالى.

العقليات المنغلقة:

إنّ هذا الاعتقاد الجامد على المألوف من دون بحثٍ وتقصٍّ عن الحقيقة يوجب وجود العصبية والتعصب عند العامة عموماً،

مما يضع المسلم في دائرة مغلقة ، يفوق نفسه في داخلها، ولا يوجد عنده الاستعداد لتجاوز خطوطها وحدودها، فليس لديه

الاستعداد النفسي ولا الاستعداد العقلي لذلك، بل إنّ الفكر الجامد الجاف الذي يعتقد به هو عامل أساسي في توكية شخصيته،

ومن المهم هنا أن نتحدّث عن علاج هذا الجمود والانغلاق، فإذا ما تمّ كسر

الصفحة 52

بعض معالم دائرة الانغلاق تلك، فإنّه بالإمكان للمسلم أن يتجاوز المألوف، وبذلك يتمكن من رؤية دائرة أوسع من التي

ألّفها، فيتسع أفق المعرفة لديه، ويتحرر من توكية الشخصية السفيانية التي وضعت إحداثياتها منذ العصر الأول للإسلام، فكان

أن بُي عليها الانحرف عن الحق والحقيقة حتى صار شيئاً طبيعياً ومألوفاً عند المسلمين، بل إنك إذا ما طرحت موضوعها بين الناس المنغلقيين صوت أنت الخرج عن المألوف الملق عن طريق الآباء والأجداد.

كيفية العلاج من أجل التغيير:

وعلاج هذه الشخصية يبدأ من ذاتها، فإذا أترك المسلم أنه عبد لله تعالى، وأن عمله وسلوكه يجب أن يكون لله تعالى ويصب في مرضاته، وأنه عبد عاجز وضعيف يجهل حقائق الإيمان والعقيدة، ولا يمكن أن يتعلمها من إنسان جاهل مثله، ولكن من خلال من عصمهم الله تعالى، وجعلهم للناس أئمة يقتنون بهم وبهديهم.

وإذا أترك أن هذه الدنيا مرحلة بناء وأعداد لما بعدها، وأترك حقيقة الموت وسؤال القبر والوقوف بين يدي الله تعالى، وأترك حقيقة الثواب والعقاب والجنة والنار، وأن الله تعالى سوف يسأله عن عمره وعلمه واعتقاده وسلوكه، فإذا أترك كل ذلك مع وجود الإخلاص لله تعالى في البحث والطلب والعمل، ومع ضرورة وجود الاستعداد النفسي والعقلي والروحي لقبول الحق أينما وجد، والاعتراف بالحقيقة مهما كلفت، فإن دأوة الانغلاق لشخصية المسلم سوف يخترقها الفكر، وتتوسع مع ذلك دأوة البحث، وتزداد إمكانية الوصول للحق والحقيقة، وبذلك يكون الإبرك والإخلاص والاستعداد هو المرحلة الأولى من

العلاج للتحرر من الانغلاق والجمود

الصفحة 53

والتناقض في الشخصية السلبية التي ذكرنا معالمها.

ثم إنه لا بد من وجود الاستعداد للحوار ومعرفة الآخر وقبوله، والبحث فيما عنده قبل الحكم عليه، فربما كانت الحقيقة مع الآخر وكان الحق معه، فمع الجمود الفكري والنفسي لا يمكن الوصول إلى ما فيه رضى الله تعالى، فمن العلاج ما يقتضي نسيان الذات والتزل عن الأناية وترك العجب والفخر والكبر واجتتاب الرياء، لأنها كلها موانع قاتلة، وأمراض خبيثة، تعزز مصادم ومكائد إبليس اللعين على الصراط المستقيم. قال تعالى في سورة الأعراف: **{ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ**

الْمُسْتَقِيمَ ؟ ثُمَّ لَأُتَيْنَهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (1).

وأما من كان عنده الاستعداد للحوار وقبول الحق والحقيقة، وكان متسلحاً بالتواضع والإخلاص، والبعد عن الأناية واجتتاب كل تلك الأمراض النفسية الخبيثة، فإنه لا سلطان للهوى أو لإبليس عليه يمنعه من الوصول إلى سبل التوفيق وسلوك طريق الحق القويم. قال تعالى في سورة الإسراء: **{ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكُفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا** (2).

وبناءً على ما تقدم، فإن علاج الشخصية المتناقضة المنغلقة يكمن في الاستعداد القلبي والعقلي لتلك الشخصية، ويكمن في وجود بذرة الإيمان في قلب صاحب تلك الشخصية أو عدم وجودها، ويكمن في حب الشخصية للحق والحقيقة، أو عدم حبه

لهما، ويكمن في اجتتاب العديد من أمراض النفس الخبيثة والتي تويد من انغلاق الشخصية وتناقضها مع الفطرة الإنسانية

الأصيلة، ولكنَّ أهمَّ عاملٍ علاجيٍّ في كلِّ ما ذُكرت هو وجود بفرة الإيمان، ورواسب الإيمان، وأسس حقائق الإيمان عند الإنسان، فمتى توقّرت، كان حبَّ الحقيقة وعشقها من أهم ما يموتها في الظاهر، ولذلك ورد في الأحاديث ما يؤيد هذه النظرة العلاجية الصحيحة للتناقضات والمتناقضات.

روى في صحيح مسلم عن عليِّ بن أبي طالب (عليه السلام) أنه قال: "والذي فلق الحبة ورأى النسمة، إنه لعهد النبي الأمي (صلى الله عليه وآله) إليّ، أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق" (1).

وروي عن عليِّ (عليه السلام) أيضاً أنه قال: "لو ضربت خياشيم المؤمن بالسيف ما أبغضني، ولو نثرت على المنافق ذهباً وفضة ما أحببني، إن الله أخذ ميثاق المؤمنين بحبي، وميثاق المنافقين ببغضي، فلا يبغضني مؤمن، ولا يحبني منافق أبداً" (2).

لكن، وبالرغم من كلِّ تلك الظروف المحيطة، فإنه لا بد من تبيان الحقيقة وإيصالها للناس، فإن كانوا من الفئة المشككة الناصبة العدا لأهل البيت وأتباعهم، كان ذلك البيان حجة جلية واضحة، فله الحجة البالغة، فإن في البيان إظهار الحجة والقوة والأحقية لمذهب أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم، وفي ذلك رد كاف، ونور ساطع، وحجة بالغة تحرق كل مآولها من زيغ وباطل وضلال.

وأما إن كانوا من الفئة الباحثة عن الحقيقة، فلعل في إظهارها سبب من أسباب الهداية، وتبيان لنور الحق المبين، والصراط المستقيم، وفي ذلك يكون

1- صحيح مسلم 1 : 86.

2 - شوح نهج البلاغة، 4 : 83.

الثواب العظيم، والخير العميم.

زيادة المعرفة لزيادة اليقين:

ثم إنه من الضروري على المؤمن المستبصر بعد معرفة المجتمع الذي يعيش فيه ومعرفة فئاته كلها، أن يُداد معرفة وعلماً بمذهب أهل البيت (عليهم السلام)، ويسلك بذلك طريقيين.

الأول: فودي وعلى مستوى المؤمنين فقط، من خلال مذاكرة علم الأئمة (عليهم السلام)، ومن خلال الواسة المستورة لعقائد وأحكام المذهب، والتعمق في روايتها حتى تروجة التمكن، ومن خلال مطالعة ما كتبه علمائنا الأجلاء، وهذا يوسع آفاق المعرفة، ويثبت معالم الدين في قلب المؤمن وعقله، وأيضاً (وهو على لوجة عالية من الأهمية) الاتّوام بكثرة الدعاء وذكر الله تعالى وتطبيق علم السلوك والأخلاق من خلال علم التحلية والتخلية، تحلية النفس بالفضائل والأخلاق واجتتاب الودائل

والمذمومات، والمداومة على قِراءة القرآن وكثرة النوافل، كلّ ذلك بحسب ما جاء عن أئمتنا الأطهار عليهم الصلاة والسلام، وأيضاً بمتابعة أفراس أهل البيت وأخوانهم، وتذكّركم في كلّ الأحوال ودوام التوسّل بهم إلى الله تعالى، فكل ذلك يجلب التوفيق من الله تعالى، ويجعل إيمان المستبصر مستقوياً وليس مستودعاً.

وأما الطويق الثاني: فهو من خلال إقامة الدليل على عقائد وأحكام مذهب أهل البيت (عليهم السلام) من أدلة أهل السنة والجماعة، فكما كانت معرفة المستبصر بهذا المجال أكبر، كلما كان يقينه أقوى، فبالإضافة إلى الأدلة الصادقة الواضحة من عند أهل البيت (عليهم السلام)، فإنّه يضيف إليها أدلة من عند خصوم المذهب، وهذا يعزّز الثقة ويؤيد في اليقين ويؤيّد الحجّة، وبذلك يكون

الصفحة 56

موقفه أشدّ وأثبت أمام العامة الذين يريدون أدلة على مصداقية وأحقية أهل البيت وشيعتهم من خلال كتبهم ومصاوبهم، والتي هي في إثبات ما عليه أهل البيت وشيعتهم أقوى وأدلّ وأوضح منها على ما عندهم، فلا بدّ من المداومة على ذلك والمراجعة المستمرة له.

ولذلك كان هذا البحث الذي أتناول فيه عدّة مواضيع تطرح ضدّ الشيعة الإمامية في كلّ يوم، وهو ما يتعلّق بالشرك، والتوسّل، والبكاء وقول (عليه السلام) للأئمة، ووجوب الصلاة على أهل البيت (عليهم السلام) عند الصلاة على النبيّ محمّد (صلى الله عليه وآله)، وموضوع الأئمة وعددهم، وغيرها من المواضيع التي وبحسب تجربة المؤمن المستبصر تعتبر مقدّمة للمسلم المؤمن، ومفتاحاً لمغاليق القلوب الغافلة عن الحقيقة، عساها أن تُتنفع المؤمن المستبصر في غربته التي يعيشها، من أجل أن تُهيئهُ للتوسّع في معرفة الحقيقة بعد معرفة الأساسيات عن مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، وهي رُود على طعنات وتشكيكات ترد علينا دائماً من العامة، وكذلك أجوبة على بعض ما يواجهه المستبصر في بداية استبصاره وسلوكه الصواب المستقيم، معتمداً على الاختصار المفيد، وبأسلوب سهل وبسيط يفهمه حتّى الأقلّ ثقافة بين الناس، مستدلاً كما في كتابنا سبيل المستبصرين، وبقية كتبنا على ما في كتب وصحاح ومسانيد أهل السنة.

حقائق عن مذهب أهل البيت (عليهم السلام):

إنّ مذهب الشيعة الإمامية الجعفرية الاثنى عشرية أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، فيه ميزات كثيرة لا تحصى، فهو المذهب الحقّ، وهو المذهب الذي لا يحتوي على دخائل وأباطيل، بل هو صادر من عين النبوّة ونبع الرسالة المحمدية الصافي، وهو مذهب الفروة الناجية الذي فيه رضى الله تعالى،

الصفحة 57

ورضى رسوله محمّد (صلى الله عليه وآله)، وهو المذهب البعيد عن التناقضات والاختلافات، وهو المذهب الموافق للفظرة، وهو المذهب الذي يُؤمن فيه من الزلل والضلال، كيف لا وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): توكّلت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي أبداً، كتاب الله وعوّتي أهل بيتي⁽¹⁾، وهو أيضاً سفينة النجاة التي من ركبها نجا ومن تخلف عنها

غرق وهلك، كما ذكر رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حديث السفينة : مثل أهل بيتي فيكم كسفينة فوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهلك⁽²⁾ .

وهو مذهب من أمر الله ورسوله بالاهتداء بهديهم والافتداء بهم، وطريق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله تعالى عليه، باب مدينة العلم ودر الحكمة، الصديق الأكبر، وفاروق هذه الأمة، كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): " علي مع الحق والحق مع علي"⁽³⁾ . وقال أيضا: " علي مع القآن والقآن مع علي"⁽⁴⁾ .

وهو المذهب الموافق لكتاب الله تعالى، ففيه كلّ الحلول لكل ما يستجدّ من أمور، وجواب لكل سؤال أو إشكال بحيث يكون موافق لكتاب الله تعالى وإرادته، وليس للرأي أو القياس أو الهوى، فقد قال الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) بعدما تولت آية { **إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ** }⁽⁵⁾ : "أنا المنذر ولكلّ هاد وأوماً

- 1 - أنظر حديث الثقلين في سنن الترمذي 5 : 329 ، سنن النسائي 5 : 45 ، 130 مسند أحمد 3 : 26 ، 59 ، المستترك على الصحيحين 3 : 109 ، 148 و غيرها الكثير الكثير .
- 2 - أنظر حديث السفينة في المصنّف 7 : 503 ، المعجم الأوسط 5 : 306 ، 355 ، المعجم الكبير 3 : 46 ، المستترك على الصحيحين 2 : 343 ، 3 : 151 و غيرها من المصادر .
- 3 - تزيخ بغداد 14 : 322 ، تزيخ دمشق 42 : 449 .
- 4 - المستترك على الصحيحين 3 : 124 ، المعجم الأوسط 5 : 135 .
- 5 - الرعد : 7 .

الصفحة 58

بيده إلى منكب علي فقال : أنت الهادي، بك يهتدي المهتدون بعدي"⁽¹⁾ .

لكنّ الميزة الأهم والتي تهمنا في هذا البحث ، والتي لا توجد في أيّ مذهب آخر على الإطلاق إلا في مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، ألا وهي أنّه يستطيع أن يثبت نفسه من أدلّة خصومه، وهذه الميزة كان فيها مذهب أهل البيت، المذهب الأوحد، كيف لا وهو الصواب المستقيم، والنور الساطع، والحقّ الذي ليس معه ضلال، فماذا بعد الحقّ إلا الضلال. ولقد اطلعتُ على أغلب أحكام وعقائد مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، ووجدتُ أن أغلب ما عند الشيعة لا بد وأن تجد له أصلاً في كلّ مذاهب أهل السنة، وفي كلّ كتبهم وصحاحهم ومسانيدهم .

ومن العجيب أنّه في أغلب الأحيان نجد أن أدلّة أهل السنة تثبت وتدعم وبشكل قوي جداً ما عليه أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) أكثر وأقوى من دعمها لما هم عليه، وهذا والله شيء عجيب وميزة نادرة لمذهب أهل البيت (عليهم السلام) تستحقّ من كل باحث منصف أن يقف عندها ويمعن النظر؛ لأنّ الحقّ دائماً يدمغ الباطل، وأما الباطل فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس وهو من عند الله تعالى فيمكث ويثبت وله الغلبة دائماً في كلّ زمان ومكان.

قال تعالى : **{يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}**

- 1 - تفسير الطوي 13: 142 ، تفسير الثعلبي 5: 272 ، فتح البري 8: 285 ، تفسير الزلي 7: 14 ح 19 ، الدر المنثور 4: 45 و غيرها كثير .
2- الصف : 8.

الصفحة 59

موقف العامة من الحقائق:

وبالرغم من كل تلك المرات الواضحة والدلائل القوية الساطعة والتي دائما تقم كل مناظر بأحقية مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، وصدقه وصفاته ونقائه، وبالرغم من كل الشواهد والقوانين والتي تؤكد أن أتباعه هم أتباع الفوعة الناجية، فإن الكثيرين لا يعتبرونه مذهباً خامساً، ولا يعدون أصحابه من المسلمين خصوصاً فئة المشككين المكفوين للمسلمين من السلفيين والوهابيين وأتباعهم من خولج العصر الحديث، الذين ديدنهم تكفير أغلب طوائف المسلمين، وهذا هو البلاء العظيم . بينما ظهر الكثيرون من العلماء المنصفين من أهل السنة من الأهر وغوه من المؤسسات الإسلامية أفتوا فتوى مشوقة في حق الشيعة وقالوا صراحة باعتبار مذهب أهل البيت مذهباً خامساً وأنه مذهب إسلامي صحيح يجوز للمسلم أن يتعبد به، ومنها فتوى الشيخ محمود شلتوت شيخ الأهر رحمه الله تعالى الذي أفتى بجواز التعبد بالمذهب الجعفوي واليك نص الفتوى: "إن الإسلام لا يوجب على أحد اتباع مذهب معين، بل نقول: إن لكل مسلم الحق في أن يقلد بأدنى ذي بدء أي مذهب من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحاً، والمدونة أحكامها في كتبها الخاصة، ولمن قلد مذهباً من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره أي مذهب كان، ولا حرج عليه في شيء.

إن مذهب الجعفوية، المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، مذهب يجوز التعبد به شوعاً كسائر مذاهب أهل السنة، فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك، وأن يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة، فما كان دين الله وما كانت شريعته تابعة لمذهب أو مقصورة على مذهب، فالكل مجتهدون مقبولون عند الله تعالى، ويجوز لمن ليس أهلاً للنظر والاجتهاد

تقليدهم

الصفحة 60

والعمل بما يقررونه في فقههم، ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات". انتهى.

أما أولئك المكفوين للمسلمين، فلقد أنكروا الحق بسبب حقدهم وجهلهم وبغضهم لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأهل بيته الطاهرين، وهذا ليس من الإنصاف ولا من العدل، بل هو بسبب أعراض وأراض نفسية خبيثة، ورواسب شيطانية دنيئة، تدل على نجاسة متولثة.

أخوج الطواني، عن الحسن بن علي قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): "لا يبغضنا أحد ولا يحسدنا أحد، إلا زيد

(1)

يوم القيامة بسياط من نار" .

وأخرج أحمد وابن حبان والحاكم، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله-: "والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت رجل، إلا أدخله الله النار"⁽²⁾ .

وأخرج الطواني والخطيب من طريق أبي الضحى، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "جاء العباس إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله) ، فقال: إنك قد تركت فينا ضغائن منذ صنعت الذي صنعت، فقال النبي-: لا يبلغوا الخير أو الإيمان حتى يحبوكم"⁽³⁾ .

وروى المنقي الهندي في كنز العمال عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه قال: "بين رسول الله(صلى الله عليه وآله) أخذ بيدي ونحن نمشي في بعض سكك المدينة، فمررنا بحديقة فقلت: يا رسول الله ما أحسنها من حديقة، قال: لك في الجنة أحسن منها، ثم مرت بأخرى فقلت: يا رسول الله ما أحسنها من حديقة قال: لك في

1 - أورده السيوطي في الدر المنثور 6 : 7 والمنقي في كنز العمال 12 : 104.

2- المستدرج على الصحيحين 3 : 150، صحيح ابن حبان 15 : 435 ، وغواه في الدر المنثور إلى أحمد أيضاً 6 : 7.

3- المعجم الكبير 11 : 343، تزيخ بغداد 2 : 413 وأورده السيوطي في الدر المنثور 6 : 7

الصفحة 61

الجنة أحسن منها حتى مررنا بسبع حدائق كل ذلك أقول: ما أحسنها، ويقول: لك في الجنة أحسن منها، فلما خلا له الطريق اعتقني ثم أجهش باكياً: قلت: يا رسول الله ما يبكيك؛ قال: ضغائن في صدور أقوام لا يبديونها لك إلا من بعدي، قلت: يا رسول الله، في سلامة من ديني؟ قال: في سلامة من دينك"⁽¹⁾ .

ولقد تجسدت كل تلك الضغائن خلال عصر الرسول الأكرم محمد(صلى الله عليه وآله)، تمثلت وتجسدت بكل أنواع الأذى في حق أهل بيته (عليهم السلام) لدرجة أنه من شدة الأذى قال في رواة عديدة "ما أؤذي أحد مثل ما أؤذيت في الله"⁽²⁾ .

ثم امتد الأذى والبغض والحقد إلى ما بعد عصر رسولنا محمد(صلى الله عليه وآله) بأشكال أقسى وأشد ضد السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) من خلال الهجوم على بيتها وحرقة وضوبها وإسقاط جنينها وانتزاع حقوقها، وضد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) حتى قتله ابن ملجم أشقى الآخرين لعنه الله، ثم أؤذي الإمام الحسن (عليه السلام) وقتل بالسم الذي دسه له معاوية بن أبي سفيان، ثم سيد الشهداء الحسين (عليه السلام) ، قتله يزيد بن معاوية في كربلاء في العاشر من محرم الحرام، قتل هو وأهل بيته وأصحابه وسببت نسلوه، ويستطيع القارئ العزيز أن واجع بحثنا سبيل المستبصين تحت عنوان : اغتيال رسول الله، وبحث اغتيال السيدة الزهراء (عليها السلام)، وبقية الأبحاث التي تظهر ما تعرض له رسول الله(صلى الله عليه وآله) وأهل بيته وشيعتهم. فقد قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) "سيلقى أهل بيتي من بعدي

-
- 1- أخرجہ أبو یعلیٰ فی مسندہ 1 : 427 وابن عساکر فی تاریخ دمشق 42 : 322 وأوردہ فی کنز العمال 13 : 176.
- 2- حلّیة الأولیاء 6 : 333، الجامع الصغیر 2 : 488.



تطريداً وتشريداً في البلاد" (1) .

والتاريخ يذكر وكذلك كتب وصاحاح أهل السنة الأمر الأموي من معاوية ابن أبي سفيان بسبب وشتم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) على المنابر، الذي استمر أكثر من سبعين عاماً، وكذلك رسالته إلى الأمصار بإيذاء وقتل أهل البيت وأتباعهم وشيعتهم ، ثم ما تعرض له أتباع أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم في العصر العباسي وما بعده من العصور حتى يومنا هذا ، ودونك ما يجري في العواق حيث انتهكت حرمة موقد الامام علي (عليه السلام) وموقد الامام الحسين (عليه السلام) ومواقد الأئمة من اهل بيت النوة والرحمة ، وتفجير مقامي الامام علي الهادي والامام الحسن العسكري (عليهما السلام)، واغتيال العديد من العلماء والواجع، وحالات القتل اليومي للمؤمنين على أيدي خورج القون الواحد والعشرين الميلادي من المكوفين للمسلمين، خدمة للشيطان الأكبر، ولأعداء الدين، أعداء الله ورسوله وأهل بيته وشيعتهم.

انتظار الفوج عبادة وثبات:

ولم يذكر التاريخ فورة طويلة من مئات السنين أمتد فيها الأذى لنبى وأوصيائه وأتباعه كما حصل لرسولنا محمد (صلى الله عليه وآله) وأوصيائه وشيعتهم، لكننا على ثقة عظيمة بوعد الله ونصوه لرسوله وللمؤمنين، فكما قال رسولنا الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله): "إنتظار الفوج عبادة" (2) . وما على المؤمن إلا أن يتحلى بالصبر والحلم، وأن يثبت على إيمانه ويحافظ على دينه ويعمل لله تعالى بإخلاص ويقين، وأن يتوكل على الله تعالى في كل شؤنه، فالغرة لله ولرسوله وللمؤمنين.

1 - أنظر الرواية في المستترك على الصحيحين 4 : 464، المعجم الأوسط 6 : 30 وغوها.

2- تريخ دمشق 22 : 323، الجامع الصغير 1 : 416.

(1) قال تعالى في سورة التوبة : { هُوَ الَّذِي رَسَلْنَا رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ } (1)

وقال تعالى في سورة الفتح : { هُوَ الَّذِي رَسَلْنَا رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا } (2)

وقال تعالى في سورة القصص : { وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَىٰ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ } (3)

فهذه إشارات وعلامات ظهور قائم آل محمد إمامنا المهدي المنتظر، عجل الله تعالى فوجه الشريف، نوح في الافق الواحدة تلو الأخرى، تبشّر المؤمنين في رُجاء الأرض بأن انتظار الفوج عبادة ، وأن النصر قريب بقيادة الإمام الثاني عشر، الحجة ابن الحسن وأوليائه وشيعته؛ ليظهر العدل ويمحو الظلم والضلال ، ويحق الحق حتى يعود الحق لأهله ، ويظهر حكم الله تعالى كما أراد، على روع الأرض كلها، ويسعد المؤمنون بحياة العدل والخير بعيداً عن كل المتناقضات، وبعيداً عن كل تلك

العقليات والنفسيات التي مرّ وصفها، وبالتالي توتّفِع معاناة المؤمنين المستضعفين، تحت قيادة صاحب العصر والزمان، رافع الظلم والجور عن عباد الله.

ظاهرة الاستبصار دلالة على قرب الفوج:

إنّ ظاهرة الاستبصار الزمانية والمكانية والتي تعمّ أرجاء الكرة الأرضية في هذا الوقت بالذات، تدلّ دلالة واضحة على تلك الإشارات والعلامات. وهذا ما يقتضي من الباحثين العمل على مزيد من الوعي والإظهار للحقائق الإيمانية

1- التوبة : 33.

2- الفتح : 28.

3- القصص : 5.

الصفحة 64

المغيّبة، وهذا ما دفع العديد من الباحثين المستبصرين للإسراع في إظهار عدة أبحاث تلائم ما يحتاجه المؤمن المستبصر والظروف التي يمرّ فيها، وكذلك كلّ طالب للحقّ في أمكنة وزمنة يكثر فيها العامة، وتطغى فيها التناقضات، ومن تلك الأبحاث ما كتبه سابقاً، وهذا البحث أيضاً، محوّل فيها وبشكل خفيف على النفس يسير على الفهم، أن أوصل الحقّ إلى من يبتغيه أو يبحث عنه، ومن خلال القلم، خدمة ووفاء لحقّ مذهب أهل البيت (عليهم السلام) والمتعطّشين لمعرفة، واستجابة لأمر أئمّتنا عليهم الصلاة والسلام الذين قالوا: أحبوا أمرنا، رُحِم الله من أحيا أمرنا" (1).

رحلة استكشاف حقيقة الإيمان:

وربّ سائل يسأل: إذا كان المؤمن المستبصر يواجه كلّ تلك الصعوبات، وكلّ تلك الفئات، وكلّ تلك العقليات والنفسيات المتناقضة، فكيف إذن ظهر له نور الحقّ؟ وكيف عرف طريق أهل البيت (عليهم السلام)؟.

إنّ الحقيقة واضحة بيّنة، وكلّ ما يفعله المستبصر هو استكشافها، فإذا وقع عليها أنزلت قلبه وعقله فیتبعها، هذا هو ظاهر الحال، ولكنّه أعمق من ذلك، إذ إنّ حال المستبصر ومن خلال تجربتي مع نفسي، ومن خلال تجرب إخواني المستبصرين الذين استبصروا معي بحاجة إلى بيان وتوضيح من خلال معانٍ لأمر ربما تكون جديدة على الآخرين.

التوفيق الإلهي من أهم عوامل الاستبصار:

إنّ من الأشياء الرئيسية التي تجب معرفتها هو أنّ أهم عامل من عوامل الاستبصار هو توفيق الله تعالى للمؤمن الباحث عن الحقيقة، فبدون توفيق الله

تعالى ومَنه وفضله، لا يمكن للمؤمن وفي ظروف كالتّي وضحتّها وبينتّها في البحث أن يُصل إلى الحقيقة بدون هذا العامل الأساسي.

عوامل استجلاب التوفيق:

والذي يساعد على وجود توفيق الله تعالى هو الإرادة الصادقة الصحيحة من الباحث عن الحقيقة، فإذا ما وجدها اعتنقها، فوجود الصدق والإخلاص لله تعالى والإرادة القويّة ومعرفة أحوال الدنيا والآخرة، وحبّ الحقيقة من أجل اتباعها وتطبيقها هو الذي يوجد التوفيق الإلهي، والدليل أنّ كثراً من الناس يقرؤون مثلاً: حديث الثقلين أو حديث السفينة، ويكون ذلك كافياً للاستسلام لحقائق الإيمان، بينما تعاملنا مع أناس كثيرين من نوي العلم والمعرفة، وقأنا معهم كتباً كثيرة، وأظهرنا لهم حقائق كثيرة، لكنهم بعد كلّ ذلك العناء ظلت قلوبهم غلفاً عن حقائق الإيمان، بل وربما صاروا من أعدائها.

ولو نظرت إلى حال المستبصيرين، فإنك تجد أنّ حبّ الحقيقة والإرادة الصادقة الصحيحة والإخلاص والوفاء ومعرفة حقيقة الدنيا وأحوال الآخرة أصل أصيل عندهم، ظاهر على جرحهم وفي سلوكهم.

ومن عوامل استجلاب التوفيق الإلهي كثرة الدعاء والتضوُّع إلى الله تعالى بإخلاص صحيح وعبوديّة تامّة، أن يهدي إلى الصراط المستقيم وسلوك سبيل الناجين، وهذا من أقوى عوامل استجلاب التوفيق من الله تعالى، مع ضرورة المداومة الحثيثة عليه وضرورة اقتنائه بالعامل الأول وتوابعه.

ومن عوامل الدخول في طريق التوفيق التوبة النصوح، ويتبع ذلك الإيمان، وكذلك الإيمان بحقائق الإيمان، واليقين بالله تعالى، وصدق التوكّل عليه، وبأنه سبحانه وتعالى لا بد وأن يهدي عبده المؤمن للخير والحق، ثم يتبع كل

ذلك العمل الصالح الموافق لمراد الله تعالى ظاهراً وباطناً، فهذه العوامل حتماً ستؤدي إلى الهداية ولإيالة أهل البيت (عليهم السلام) واستبصار الحقيقة والأحقية.

تكميل العقل بحبّ الحسين (عليه السلام):

ومن عوامل تسريع وجود التوفيق الإلهي محبة الله تعالى الصادقة في الظاهر والباطن، فوجود هذه المحبة عند الباحث عن الحقيقة، يمنحه المحبوبة من الله تعالى، وتكون تلك المحبوبة من الله تعالى للعبد هي الدليل إلى طرق التوفيق الإلهي، فهناك محبة يجب أن يقدمها لله تعالى عن طريق المواظبة والدوام على متابعة أمر الله تعالى من خلال محبته وما أمر بحبه سبحانه، حتّى يحصل العبد على المحبوبة من الله تعالى ويكملها له ويوصله إلى التوفيق، مع التعهد الصادق والإرادة الصحيحة الحزمة، على أنّه إذا كشفت طرق التوفيق عن واقعها، وظهرت الحقيقة للعبد، أن يلتزم بها بكلّ صدق وأمانة، فإذا كان ذلك، ظهرت حقيقة الاستبصار للعبد، فتنادي صاحبها بعد أن تكشف له عن نبرها وصدقها وأحقيتها.

ولذلك، فإنّ التوفيق الإلهي لا يتأتى إلا بالمحبة الصادقة الصحيحة، ولا تتأتى المحبة إلا بمعرفة ما يحبه الله تعالى ومعرفة

من أمر الله تعالى بحبهم، ولا يتأتى ذلك إلا بالبحث المستتير من خلال القآن الكريم والحديث الصحيح من أجل معرفة من هم الذين أمر الله تعالى بحبهم، وليس الحب لمجرد الحب، وإنما من أجل المتابعة والافتداء. فإذا حصل الحب الصادق الحقيقي لما يحبه الله تعالى، عند العبد وثبت واستمر على ذلك، وأشهد الله تعالى عليه، فإن الله تعالى يكمل للعبد محبوبيته ويمنحه التوفيق للاستبصار، وذلك أن الله تعالى وعد أن يكمل للإنسان عقله، ويفتح له بصيرته عندما يتحقق لدى العبد الطالب للحق الحب الخالص الصادق لأهل بيت النبي

الصفحة 67

محمد (صلى الله عليه وآله)، خصوصاً حب الإمام الحسين (عليه السلام)، ذلك الحب المشفوع بالافتداء والاتباع للمحبوب. روي عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: "لما خلق الله العقل استنطقه، ثم قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إلي منك، ولا أكملتك إلا فيمن أحب، أما إني إياك أمر، وإياك أنهى، وإياك أعاقب، وإياك أئيب" (1).

إذن فالوعد الإلهي بالتوفيق للعبد يتحقق عندما يمن الله تعالى ويفضل على عبده بالمحوبية، والتي تتحقق عندما يقدم العبد حبه الصادق الحقيقي لما يحبه الله تعالى براءة قوية ونية صالحة وإخلاص لله تعالى، عندها يتحقق التوفيق الإلهي للهداية إلى الحق والحقيقة ومعرفة سبل الاستبصار.

روى الترمذي وغيره أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال "حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسين" (2). إذن فهذه هي المعادلة، أن من قدم حبا لله تعالى من خلال ما يحبه سبحانه، فإن الله تعالى يفضل عليه بالحب والمحوبية، والهداية إلى سبل التوفيق الإلهي، وإكمال العقل وتفتح البصيرة، ويؤتيه أيضاً الحكمة والتي هي معرفة الأمور على حقيقتها وتزويجها في محلها وفق هراء الله تعالى.

لاحظوا في الحديث عندما يقول رسولنا الأكرم (صلى الله عليه وآله) "أحب الله من أحب حسين" وفي الحديث القدسي عندما يقول الله تعالى مخاطباً العقل: "وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إلي منك، ولا أكملتك إلا فيمن أحب". فصار الأمر أن لا يكتمل العقل عند الإنسان إلا بعد أن يحب أهل البيت (عليهم السلام)،

1- الكافي 1 : 10.

2- سنن الترمذي 5 : 324، سنن ابن ماجة 1 : 51، مسند أحمد 4 : 172 و غيرها.

الصفحة 68

وخصوصاً حب أبي عبد الله الحسين (عليه السلام). فكان ذلك من أعظم أسباب استجلاب التوفيق الإلهي واستحقاقه وتحققه. وهكذا كلما تحقق القرب مما يحب الله تعالى وأحبابه وتوثقت الصلات بهم، كانت النتيجة مزيداً من المعرفة والتوفيق، على شوط أن يكون من تحب منصوص على حبه ومودته في القآن الكريم أو الحديث الصحيح، فالهوء مع من أحب. والإخلاص

سرّ من أسرار الله تعالى يودعه قلب من أحبّ من عباده، وأمر الولاية لا يتأتى إلا بالمحبة ووجود الإخلاص والصدق وتحقّق الإيمان ظاهراً وباطناً، ولذلك روي عن رسولنا الكريم (صلى الله عليه وآله) وأئمتنا (عليهم السلام) أنهم قالوا: " حديث آل محمّد صعب مستصعب لا يؤمن به إلا ملك مقوّب أو نبيّ مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان" (1).

فلا بد إذن من تقديم كلّ تلك المقدمات التي ذكرنا حتى تتحقّق الهداية ومعرفة الحقيقة والاستبصار، فالأمر بين أمرين ولا جبر ولا تفويض. ومن زرع يحصد ومن جدّ واجتهد وجد، وهذا حال من استبصر وهو واقع من عرفتهم من إخواني المؤمنين الذي ظلوا الحقّ وتعوا في البحث عنه حتى استكشّفوه، فوجدوه وعرفوه فأحبّوه واتبّعوه.

نداءات الحقيقة في حياة المستبصر:

لكنّه ومن الملفت للنظر خلال التدقيق في حياة أيّ مستبصر أن نداءات الحقيقة تكون لديه وفي مكونات نفسه طيلة حياته، وليس فقط عند ظهور الحقيقة وتجليها، ووجدت أنّ حبّ رسول الله الحقيقي والتفاعل والانفعال مع دقائق حياته وسيرته وكذلك حبّ أمير المؤمنين عليّاً وحبّ أهل البيت (عليهم السلام)،

1- أنظر الكافي 1 : 401، الخصال 208، 624، شرح نهج البلاغة 6 : 128، ينابيع المودة 1 : 89.

الصفحة 69

له محطات كثيرة في حياة المستبصر قبل استكشافه للحقيقة.

وإنّ المستبصر كثراً ما يتوقف في حياته عند محطات كثيرة في السورة النبوية وفي التاريخ الإسلامي عموماً، وعند كثير من المواقف في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومن خلال سيرة أهل البيت (عليهم السلام) وكثير من مشاهير الصحابة المنتجبين منهم وغير المنتجبين، فيتوقف عندها كثراً، فيطلب عقله وقلبه تفكيراً لها، وتتصوّل الإجابة بين باطنه وظاهره، فباطنه يُسمعه نداءات الحقيقة ويوجهه للبحث عنها ومعرفة حقيقتها، وظاهره يبرّر تفسّرات لها من خلال ما يسمع من الناس، أو يفوه العلماء من أجل إخمادها وطبّيها والمورور عنها، وبالرغم من عدم القناعة، ولأنّه لا يملك إجابة غير التي تملّى عليه من محيطه، فإنّ نداء الحقيقة الباطني يسكت لنيور موهّ أخرى مذكراً بتواجده ملفتاً للنظر إليه، وفي كلّ موهّ يثور فيها تكون ثورته أكبر من التي سبقتها، ولكنّ المشكلة أنّه لا جواب يشفي صدر المستبصر، فيدخل في حوة تمنحه في كلّ موهّ توافع أقوى وبشكل أوسع من أجل الوصول إلى الحقيقة والحصول على الأجوبة الشافية المقنعة لكلّ نداءات الحقيقة؛ ولذلك كان هذا الصواع في حياة المؤمن المستبصر قبل استكشاف الحقيقة بتمامها هو عملية تمهيد خلال سنوات طويلة، وإعداد نفسيّ عظيم من أجل قبول الحقّ والحقيقة والتمسك بها بقوة بعد الرحلة الطويلة في البحث عنها، وعند الإمساك بها واعتناقها تكون رحلة الاستكشاف قد انتهت، وبدأت رحلة جديدة في حياة المستبصر، وهي رحلة ذات مقاييس جديدة تتحدّث عن إنسان تائه في صواء كبيرة انقطعت عنه فيها كلّ مقومات الحياة، وإذا به ينتقل إلى واحة خضراء فيها كلّ ما يتمنّاه للحياة الإيمانية الآمنة المطمئنة.

حاول غزوي القارئ أن تستشعر كل تلك المعاناة، وكل ذلك الوقت الذي مر في حياة الضياع والغياب عن الحقيقة وحاول

أن تستشعر لحظة اكتشافها

الصفحة 70

وتجلى نورها، حاول أن تستشعر لحظات السرور العظيم والفرح الغامر، ولحظات الزمن الماضي والندم على ما ذهب منه ضياعاً، ولاحظ كل تلك المشاعر المختلطة والتي تبدو متناقضة ومتداخلة في بعضها، وما ينتج بعدها من انفعالات وسلوك جديد موافق للحق الذي استتبوه ومناقض تماماً للمحيط الذي يعيش فيه، حيث يعيش بين سرور الاستبصار واعتناق الحقيقة وعشقها، وبين الواقع الحزين المؤلم للمحيط، حيث لا يجد من يشركه لحظات سروره وفرحه إلا المؤمنين المستبصرين إن وجوا معه، أو أنه يبقى غريباً وحيداً، لكن التوفيق والتفضل الإلهي الرباني لا بد وأن ييسر للمستبصر كل العز والسكينة والطمأنينة، فيبدأ يستشعر معنى الأخوة من جديد وبمفهوم مغاير لما قد ألفه، فتبدأ الأرواح المؤتلفة بالتلاقي والتعرف بين الإخوة المتحابين محل ادعاءات الأخوة الوضيعة، وتبدأ رحلة التعرف على الحقيقة وسبر غورها، وتوطيد الصلة معها والترؤد الدائم منها والمحافظة على ذلك الكنز العظيم الذي وجده بعد رحلة من المعاناة والألم من أجل الوصول إليه.

نداءات الحقيقة وامواج المعرفة القلبية مع المعرفة العقلية:

وللتعرف على نداءات الحقيقة التي يسمعها المستبصر وتتبع من داخله، والتي تعبر عن معرفة قلبية معينة وكأنها متأصلة في داخله، تستفز المعرفة العقلية من أجل التحرك نحو اتجاه معين وحتى تتموج المعرفة العقلية مع المعرفة القلبية من أجل أن يتعاونوا معاً لاستكشاف حقيقة تلك النداءات وما الذي تريد أن توصل إليه، وبالتالي لا بد من بحث الطوق التي تؤدي إليها تلك النداءات، ولا بد من ذكر بعض الأحاديث الشريفة التي تبيّن أصل وواقع تلك النداءات، لكنه من المهم أن يعرف العبد أن بؤرة الخير وحب الحق والحقيقة

الصفحة 71

هي أمور لا بد وأن يكون قد أشهد عليها وأقواها في عالم الذر (وهو الآن يجسد ذلك الإشهاد في هذا العالم الدنيوي من خلال العمل الموافق لما تم الإقرار عليه في عالم الذر) فمن كان من المقوين بالولاية وكان من طينة أهل البيت وشيعتهم، فإنه سوف يصل في النهاية إلى التعرف على الحقيقة واستكشافها، وكذلك التعرف على أهلها واستكشافهم.

ولكن، وقبل ذلك لا بد وأن نبيّن عدة أمور وبعض الأمثلة التي عاشها أغلب المستبصرين قبل وصولهم إلى ولاية أهل البيت (عليهم السلام)، والتي غالباً ما تكون على عدة أشكال متنوعة بحيث تكون لحظة الوصول إلى الحقيقة وولاية أهل البيت (عليهم السلام) عن طويقها، والتي يدفع إليها ذلك النداء القلبي والروحي الذي يخاطب العقل والجرح بلغة لا بد للعقل أن يتعلمها حتى يفهم ذلك النداء ويعرف مراده منه، وحتى يقوم بكل ما يؤم من أفعال وسلوك تجسد النداء القلبي في النهاية للاستبصار فيضع المستبصر نفسه وبلادة وغزيمة واستسلام لله تعالى في المكان الذي ارتضاه الله تعالى له، ويضع روحه ونفسه في تناغم مع الأرواح التي تألف معها في عالم الذر وتعاهد معها أمام الله تعالى على محبة الله ورسوله وولاية أهل

البيت (عليهم السلام)، ويضع أيضاً جسده مع تلك الأجساد الطاهرة التي جبلت من طينة واحدة، وخلقت من طينة أهل البيت (عليهم السلام).

وهنا تَمُوج المعرفة القلبيةّ مع المعرفة العقليةّ، وينشط الجسد مع العقل في تعويض ما قد فات من طاعات وعبادات وتصحيح في الاعتقادات، ويتحوّل نداء الحقيقة الباطن إلى تطبيقات صحيحة من المستبصر توافق حقائق الإيمان. روي في بصائر الوجدات عن أبي جعفر الباقر وأبي عبد الله الصادق (عليهما السلام)، قال: "إنّ الله خلق محمداً من طينة من جوهرة تحت العرش، وإنه كان لطينته نضح، فجعل طينة أمير المؤمنين (عليه السلام) من نضح طينة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكان

الصفحة 72

لطينة أمير المؤمنين (عليه السلام) نضح، فجعل طينتنا من فضل طينة أمير المؤمنين. وكانت لطينتنا نضح، فجبل طينة شيعتنا من نضح طينتنا، فقلوبهم تحنّ إلينا وقلوبنا تعطف عليهم كعطف الوالد على الولد، ونحن خير لهم وهو خير لنا، ورسول الله (صلى الله عليه وآله) لنا خير ونحن له خير" (1).

وروي في بحار الأنوار عن أبي الحجاج قال: قال لي الإمام أبو جعفر الباقر (عليه السلام): "يا أبا الحجاج إنّ الله خلق محمداً وآل محمد صلى الله عليهم من طين عليين، وخلق قلوبهم من طين عليين، فقلوب شيعتنا من أبدان آل محمد (صلى الله عليه وآله)، وإنّ الله تعالى خلق عدو آل محمد من طين سجين، وخلق قلوبهم أخبث من ذلك، وخلق شيعتهم من طين نون طين سجين، فقلوبهم من أبدان أولئك، وكلّ قلب يحنّ إلى بدنه" (2).

وروي عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام)، عن جابر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعليّ ابن أبي طالب (عليه السلام): "ألا أبشرك ألا أمنحك؟ قال: بلى يا رسول الله قال: فإنني خلقت أنا وأنت من طينة واحدة، ففضلت منها فضلة، فخلق منها شيعتنا، فإذا كان يوم القيامة دعي الناس بأسمائهم إلا شيعتك، فإنهم يدعون بأسماء آبائهم لطيب مولدهم" (3).

وروي عن الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: "الأرواح جنود مجنّدة تلتقي فتتشام كما تتشام الخيل؛ فما تعرف منها انتلف، وما تتاكر منها اختلف. ولو أنّ مؤمناً جاء إلى مسجد فيه أناس كثير ليس فيهم إلا مؤمن

1 - بصائر الوجدات : 34 وعنه بحار الأنوار 15 : 22.

2 - بحار الأنوار 64 : 126 عن رياض الجنان.

3 - الأمالي للمفيد : 311، الأمالي للطوسي : 79 - 80.

الصفحة 73

(1) واحد، لمالت روحه إلى ذلك المؤمن حتّى يجلس إليه".

وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: "إنّ الأرواح جنود مجنّدة؛ فما تعرف منها في الميثاق، إنتلف هاهنا، وما

(2)

تتكرر منها في الميثاق، اختلف هاهنا. والميثاق هو في هذا الحجر الأسود".

رحلة الإيمان المستقر:

وليست هذه النتيجة الإيمانية هي نهاية المطاف عند المؤمن المستبصر، فلا يظنّ أحد أنه بعد الإيمان والاستبصار ووصوله إلى الحقيقة وسلوكه سبيل أهل البيت (عليهم السلام) وركوب سفينة الناجين معهم هو كلّ شيء، بحيث يركن إلى ضمانات النجاة والهداية من دون أن يحقق شروطها، بل إن الواجب يفرض على المؤمن المستبصر الذي طالما عشق الحقيقة وسعى وراءها حتى وصل إليها، بل تفضل الربّ تعالى شأنه بالتفضلّ عليه بها والتوفيق لمعرفتها بفضل منه ورحمة بعبده، قبل أن يوافيه الأجل وهو يجهل الحقيقة أو ينكرها ولا يعرف الولاية وأهلها، فهذا فضل عميم وكرم عظيم أن عرفنا الله تعالى أنمتنا في حياتنا وقبل مماتنا، فاعترفنا بحقهم وأحقّيتهم قبل فوات الأوان، فيجب الاعتراف والإقرار بهذه المنّة العظيمة دائماً وتذكروها في كلّ الأحوال ودوام شكر المنعم عليها في كلّ المناسبات واستحضرها في كلّ الأحوال، فالكون إلى الحقائق الإيمانية من غير عمل وورع وتقوى، يؤدّي إلى العجب والغرور والرياء وغيرها من الصفات الذميمة التي تطفئ نور الحقيقة في قلب

- 1 - كتاب المؤمن لحسين بن سعيد : 39 ، ونحوه عن الباقر عليه السلام في الأمالي للصدوق : 209 ، من لا يحضره الفقيه : 4 / 380 ونحوه أيضاً عن النبي صلي الله عليه وآله وسلم في صحيح البخاري 4 : 104 ، صحيح مسلم 8 : 41 .
- 2 - علل الشرائع 2 : 426 .

الصفحة 74

المستبصر، وتغضب الله عزّ وجلّ ورسوله والأئمة الطاهرين، وأعظم من ذلك أن تلك الصفات الذميمة هي دليل جحود بالنعمة التي تفضل الله تعالى علينا بها ونكران للتوفيق الإلهي الذي أوصل إلى الإيمان وحقائقه وحقوقه. ولأجل ذلك يجب على المؤمن المستبصر في هذه المرحلة أن يترك بشكل قاطع بأن ما وصل إليه من الحقائق الإيمانية وولاية أهل البيت (عليهم السلام) والاعتقاد بإمامتهم وحقهم وأحقّيتهم، منه ما هو مستقر ومنه ما هو مستودع. ومن هنا تبدأ رحلة أخرى في حياة المستبصر، وهي التعمق في حقائق الإيمان، والعمل على جعل الإيمان مستقراً دائماً باقياً إلى أن يلقى الله تعالى، وأن يعمل على أن لا يكون إيمانه مستودعاً، فيزوع منه قبل الموت والعياذ بالله تعالى. روى العياشي في تفسيره عن أبي بصير عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : قلت . "هو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع" قال: ما يقول أهل بلدك الذي أنت فيه ؟ قال : قلت : يقولون مستقر في الرحم، ومستودع في الصلب، فقال : كذبوا ، المستقر ما استقر الإيمان في قلبه فلا يزوع منه أبداً ، والمستودع الذي يستودع الإيمان زماناً ثمّ يسلبه وقد كان (1)

وروى عن أبي الحسن (عليه السلام) في قوله : **{وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمِسْتَوْدِعٌ}** (2) . قال : "ما

كان من الإيمان المستقر فمستقر إلى يوم القيامة أو أبداً، وما كان مستودعاً سلبه الله قبل الممات" (3) .

1- تفسير العياشي 1 : 371 ، وعنه بحار الأنوار 66 : 222.

2- الأنعام : 98.

3- تفسير العياشي 1 : 371 ، وعنه بحار الأنوار 66 : 323.

الصفحة 75

فالمستقر قوم يعطون الإيمان ويستقر في قلوبهم، والمستودع قوم يعطون الإيمان ثم يسلبونه⁽¹⁾.

ورحلة الإيمان المستقر هذه لها مقدّمات كثيرة لا بدّ من تحقيقها وتطبيقها والمداومة عليها، وهي كثرة وتشمل حقوق الله تعالى وحقوق رسوله (صلى الله عليه وآله) وحقّ الولاية وحقوق الأئمة (عليهم السلام)، وحقوق الأخوة في الإيمان والولاية، بالإضافة إلى نوامٍ الشكر على نعمة الإيمان، وديامٍ ذكر المنعم، والتذكّر الدائم لموقعية المؤمن التي ارتضاها الله تعالى له، وهي العبودية لله تعالى وتحقيق أركانها، وعنوان كل تلك الحقوق هو الاستعداد للتضحية بكلّ شيء من أجل حقائق الإيمان، ورفض منزل الذل والهوان، فالمؤمن بعد أن بصوه الله تعالى ووفقه لاعتناق الحقيقة وولايتها، يصبح عزيزاً بالله تعالى فله القوة ولرسوله وللمؤمنين، ويصير إلى الثبات والسكينة والطمأنينة، ويكون شعوره دائماً شعار الإمام أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) هيهات منّا الذلة.

وأما إذا كان الإيمان مستودعاً والعياذ بالله تعالى، فإنّ ما يكون متحققاً من التطبيقات والحقوق والمعرف عند أهل الإيمان المستقر لا يكون موجوداً عند أهل الإيمان المستودع، وإنّ ظهر منه شيء على الظاهر فإنّه يكون مجرد ادعاءات ودعوى يستثمرها حبّ الظهور والرياء والسمعة، مع وجود خلل كبير ظاهر في تطبيق الحقائق الإيمانية ومخالفات واضحة لتعاليم الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام).

ولذلك ينبغي على المؤمن المستبصر أن واعي كلّ الفروقات بين الإيمان المستقرّ والمستودع، وهذا لا يتأتى إلا بالالتزام

المطلق مع المرجع الأعلّم

1- المصدر نفسه 1 : 372.

الصفحة 76

الجامع للشرائط، والالتزام المطلق يعني الاستسلام للاستفادة من تجارب أهل الإيمان وأهل الحقّ والحقيقة، والاحتكام إليهم في كلّ حال، وهم موجودون دام فضلهم في هذا الزمان كما كانوا في كلّ زمان والحمد لله، فهم في الحقيقة امتداد للرسالة في عصر الغيبة.

وقد روي عن الإمام المهديّ عجل الله تعالى فوجه الشؤيف قوله المشهور: "وأما الحوادث الواقعة، فلجئوا فيها إلى رواة

حديثنا؛ فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله عليهم" .

وروى الكليني في الكافي عن عمر بن حنظلة قال: "سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن رجلين من أصحابنا بينهما منلعة في دين أو موات، فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاة، أيجل ذلك؟ قال: من تحاكم إليهم في حق أو باطل، فإنما تحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له فإنما يأخذ سحتاً وإن كان حقاً ثأبتاً له؛ لأنه أخذ به حكم الطاغوت، وقد أمر الله أن يكفر به، قال الله تعالى: **{ يُرِيدُونَ أَنْ يُتَّحَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ }**"⁽²⁾. قلت: فكيف يصنعان؟ قال: ينظران من كان منكم ممن قد روى حديثنا، ونظر في حالنا وحامنا، وعرف أحكامنا فليوضوا به حكماً، فإنني قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنما استخف بحكم الله، وعلينارد، والراد علينا الواد على الله وهو على حد الشرك بالله"⁽³⁾.

أنواع النداءات القلبية وأشكالها:

وأما بالنسبة إلى النداءات القلبية والتي توصل في النهاية إلى الاستبصار،

1- كمال الدين واتمام النعمة : 484.

2- النساء : 60.

3- الكافي 1 : 67.

الصفحة 77

فهي متعدّدة الأشكال، وهي ربّما تختلف من مستبصر إلى آخر، وربّما يشتركون في بعضها، فهي عبلة عن مظاهر معينة تأتي بعد توفر عوامل عديدة ذكرنا أغلبها في البحث يجب أن تتوفر في المؤمن، كالإخلاص وحبّ الله والنبّي وأهل البيت، وحبّ الحقّ والحقيقة وقبولهما عند وجودهما باستسلام ورضا، وسلوك سبل رحلة الاستكشاف والتعرف بين الأرواح والأجساد كما بيّنت الأحاديث السابقة من أجل أن تتآلف مع بعضها وتجسد واقعها الذي كان في عالم الذر، وهذه تقتضي وجود الأذن الواعية، ومعرفة الآخر وقبوله والحوار معه من أجل الوصول إلى الحقيقة، حتى يستطيع أن يستنبط من النداءات القلبية مرادها وهدفها، والتي تجسدها وقائع معينة توصل المدقق فيها بعد وجود التوفيق الإلهي إلى الإيمان والاستبصار واعتناق مذهب أهل البيت (عليهم السلام).

ومن الأنواع والأشكال التي توجّهها النداءات القلبية وتشير إليها في حياة المؤمن قبل استبصاره والتي هي من أسباب التوفيق الإلهي للمؤمن إذا أتقن استغلالها وعرف براميتها وأهدافها فمنها:

نداء القلب والعقل إلى ضرورة إعادة النظر في مواقف تليخيّة معينة من أجل الحكم الصحيح والواقعي عليها.

ومنها : نداءات وتوجيهات تأتي من خلال رؤى منامية صادقة توجه مسار حياة الفرد إلى أهل البيت (عليهم السلام)

والدعوة إلى معرفتهم وحبهم وسلوك سبيلهم وصراطهم المستقيم.

ومنها : معاينة واقع المسلمين السيئ الفاسد والحال المتشوّت المتشوّذ، والضلال الواضح، مما يدفع العبد المخلص المؤمن

للبحث عن الحقيقة من خلال نواثر أوسع من المحيط الذي يعاينه وألفه الناس.

ومنها : عدم لرتواء المؤمن ممّا يصوره علماء العقليّات المتناقضة والنواثر

الصفحة 78

المنغلقة والأجوبة المناقضة للشروع والعقل والفتوة.

ومن تلك النداءات أيضاً رؤية واقع وسلوك المؤمنين أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) عن قرب، عن طريق مشاهدة واقعهم وسلوكهم وعلم علمائهم الموافق للشروع والعقل والفتوة، ومقرنته بما يتّهمه به أعداؤهم من تهم شنيعة هم منها وآء، وواقع التهم هذا ضد أتباع أهل البيت، هو الذي ينشأ عليه الأواد في مجتمعات مثل مجتمعاتنا، فإذا شاهد المؤمن التناقض بين الواقع المشاهد والمستيقن وبين التهم الظنيّة وغير الواقعية، فإنّ ذلك سبباً رئيسياً لاستبصار الحق والحقيقة .

ومنها حبّ النبيّ محمد (صلى الله عليه وآله) وحبّ عليّ وفاطمة والحسن والحسين والأوار من أهل البيت عليهم الصلاة والسلام، والحنين القلبي والعقلي الدائم لهم، ممّا يدفع المؤمن إلى وجود حورة متصاعدة من القلب تدفع إلى البحث عن حقيقتهم وحقّهم وأحقّيتهم، ولو لاحظ المستبصر هذا الحنين لأهل البيت (عليهم السلام)، لوجد أنه كان وافقه منذ نعومة أظفاره، ولكنّه وبسبب فراغ محيطه من علم أهل البيت لا يوصله الحنين إلى الحقيقة، ويبقى الحنين متصاعداً إلى أن يُتيسر للمستبصر ملء الفراغ، وبسبب صدقه وإخلاصه وحبّه القلبي والعقلي يصل إلى حقيقة الاستبصار.

ومن تلك النداءات أيضاً السفر بقصد معيّن بحيث يوصل بتوفيق ربّانيّ إلى الحق والحقيقة وبشكل لا يصدقه ضعفاء النفوس والمشكّكين في الحقائق الإيمانية.

ومنها التناقض في الأحكام الشوعيّة وأدلتها عند أهل السنّة والجماعة، ومنها أيضاً كثرة الآيات والأحاديث والتي تدلّ على أهل البيت (عليهم السلام)

الصفحة 79

وفضائلهم ووجوب حبّهم ومتابعتهم والافتداء بهديهم .

وستحدث عن كلّ تلك النداءات وبشكل مطابق للوقائع، وكما حصلت معنا في مسار حياتنا من دون تفصيل ممل، ولكن بشكل يبيّن مقاصدنا التي نبتغي بها تبيان الحقيقة للمؤمنين، ومن أجل رسم دليل يبين مسار المستبصوين ورحلتهم إلى حقيقة وأحقّية أهل البيت (عليهم السلام).

1 . النداءات لضرورة التدقيق في المواقف التّاريخيّة :

أمّا بالنسبة إلى النقطة الأولى وهي النداءات القلبية إلى العقل من أجل حصول التوفيق وامّواج العقل والقلب، والتي تؤدي إلى سلوك مسار قواء التريخ وضرورة إعادة رواسته من جديد، بحيث يستطيع الباحث الوقوف عند كثير من المواقف ويتساءل عن مضامينها، ولا يكتفي بأجوبة أهل العقليّات المنغلقة والمتناقضة والمحجوبة عن الحق والحقيقة، بل يبحث عن أجوبة تنفع العقل وتشوح الصدر وتنير القلب، على شرط أن يرفع كلّ الحصانات المفروضة والعواطف غير الموصولة بالواقع

عن كلّ الشخصيات التاريخية ليسهل عليه بذلك توفر كلّ الأجوبة المنطقية من دون تحفظات أو قيود؛ لأنّ التحفظات والقيود تمنح قدسيّات لكثير من الشخصيات التاريخية، ولا تبيح البحث فيها أو في واقعها وتاريخها، ممّا يؤديّ إلى طمس الحقوق ومخالفة النصوص الشوعيّة في أغلب الأحيان، والانطواء في دائرة مغلقة من التقديس والتقوية لأشخاص ربّما لم يجعل الشلوغ المقدّس لهم حتّى ولو فضيلة واحدة.

ولذلك عندما تكرّر نداء ضرورة إعادة نواصة التزيخ عندي وعند العديد من أخواننا المستبصوين، وبتوفيق من الله تعالى استجبنا لذلك النداء على شوط أنّ نرفع كلّ الحصانات عن كلّ الشخصيات الإسلاميّة ما عدا رسول الله (صلى الله عليه وآله)

الصفحة 80

والذي لا يختلف على عصمته المطلقة إلا أصحاب العقول الجامدة والمغلقة على ما ورثوه من الآباء والأجداد. ثمّ بعد ذلك نشبّت فضائل أهل الفضائل من جديد، ولا نرضى إلا بمنّ جعل الله ورسوله له الفضائل بنصوص واضحة ثابتة وصحيحة، وبالتالي عند متابعة موقف تزيخي معين نستطيع أن نتجوّأ على الحكم عليه بما يرضي الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله)، وبما يقبله العقل والمنطق والنوق السليم.

ولو عاد كلّ واحد منّا إلى ماضيه، وتذكّر العديد من المواقف التاريخية والتي طالما صوخ عليها القلب من داخل الجسد، وتنبه لها العقل ولكن دون جواب، ويبقى حائواً إلى حين الاستبصار، فإنّه سوف يتأكّد من صدق مقالتي في ذلك، فقد حصل ذلك معي ومع إخواني المؤمنين المستبصوين وفي مواقف متعدّدة في حياتنا الواسية، فلقد كنا أيام النواصة الابتدائية قبل عقود من الزمن نقف ونسأل أساتذتنا عن مواقف معيّنة في تاريخنا الإسلامي، كانوا لا يجيبوننا عليها بما يريح النفس ويقنع العقل، وبقيت تلك الأسئلة تتردّد وتتكّرر على شكل نداءات قلبية من فرة إلى أخرى، إلى أن وجدت الحقيقة المقنعة لتستريح بعد ذلك من عناء الحوة ونصب الفكر.

بطولات الصحابة:

وأذكر هنا بعض المواقف فلقد كنّا نسمع عن بطولات كبار الصحابة، وعن إقدامهم وشجاعتهم، لروجة أنّنا صونا ننظر إليهم كمثل أعلى في التضحية والدفاع عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولكنّه في معركة الخندق وعندما طلب عمرو بن ود المبارزة بعد أنّ استطاع اختراق ثوة من الخندق، دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) الصحابة وفي مقدّمهم أبو بكر وعمر لمبارزته على أنّ من يبارزه يضمن له

الصفحة 81

الجنة، فلم يقد أحد سوى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، ثمّ إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كرّر النداء عدّة هوات فلم يستجب أحد سوى عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، الذي قام وبارز الكفر وقتل عمرو بن ود فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): "برز الإيمان كله إلى الشوك كله" (1).

ولقد كنّا في حوة تروض أسئلة عديدة لا يمكن الإجابة عنها إذا لم ترفع الحصانة المفروضة عن أولئك، فلماذا لم يقد أبو

بكر وعمر اللذين وعلى حد علمنا نعهد فيهما الشجاعة وحبّ التضحية وسوعة الطاعة والاستجابة لأمر الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله)؟.

هل كان حبهم لرسول الله (صلى الله عليه وآله) كما تعلمناه أم كانت الحقيقة مغايرة لما تعلمناه؟.

أغنياء أم فقراء:

ولقد كنّا نقوًا ونتعلم أنّ أبا بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف كانوا من أغنياء المسلمين، وكانوا يضعون كل أموالهم بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكنّا نقوًا ونتعلم كيف أنّ عثمان بن عفان كان يجهز الجيوش من أمواله، وأتته تروّع بقالفة كاملة محملة بالقمح والبر لوجه الله تعالى، فقد تعلمنا عنهم أنّهم كانوا ينفقون أموالهم في سبيل الله تعالى، وقرأنا عن أحوالهم الماليّة بعد وفاتهم، ووجدنا أنّهم كانوا من أصحاب الملايين. فلماذا إذن ومع وجود كل هذه الأموال كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يعاني من الجوع ومن قلّة المال؟. ولماذا كانت أم المؤمنين عائشة تقول: إنّ الله لم توقد نار في بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله)

1 - شرح نهج البلاغة 13 : 261، ينابيع المودّة 1 : 281، وفي المستترك 3 : 32 أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) قال : لمبارزة عليّ بن أبي طالب لعمر بن عبد ود يوم الخندق أفضل من أعمال أمّتي إلى يوم القيامة.

الصفحة 82

ولفترات طويلة⁽¹⁾ ؟ ولماذا كان يخرج من بيته في ليال عديدة وهو يربط حراً على بطنه الشريف من شدة الجوع؟⁽²⁾ . لماذا كان أهل بيت الرسول فاطمة وعليّ والحسن والحسين في أغلب حياتهم مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) جياعاً كما تصف الآيات في سورة الدهر⁽³⁾ وغرها وعشوات الأحاديث أيضاً؟⁽⁴⁾ . لماذا كان أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ومع وجود كلّ تلك الأموال بحاجة لأن يعمل عند يهودي لينضح الماء مقابل صحن صغير من التمر يسد فيه جوعه ووجع أهل بيت النبي صلى الله عليه وعليهم؟⁽⁵⁾ .

وهل كانت فضائل أولئك الأغنياء من كبار الصحابة حقيقيّة أم مصنّعة؟. وإذا كانت حقيقيّة، فلماذا تركوا رسول الله وأهل بيته جياعاً؟. وإذا كانوا أغنياء وأسخياء لماذا تذكر بعض الروايات أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) خرج في ليلة وهو يربط حراً على بطنه من شدة الجوع، فلقبه أبو بكر وعمر فقالوا ما أخرجنا إلا الذي أخرجك، أي أنّهم كانوا يعانون من الجوع أيضاً⁽⁶⁾ . فهل كانت فضائلهم حقيقيّة أو أنّ هذه الرواية تغطية على واقع معين؟.

الألوار المخفية:

ثمّ إنّنا عرفنا نور حزمة بن عبد المطلب ودور أمير المؤمنين عليّ بن أبي

2 - أنظر شرح نهج البلاغة 9 : 230 ، الطبقات الكوي 7 : 423 ، الجرح والتعديل 9 : 316 .

3 - أنظر تفسير الكشف والبيان للثعلبي 10 : 98 - 101 ، تفسير الكشاف 4 : 670 ، شواهد التنزيل 2 : 398 - 310 .

4 - صحيح البخاري 6 : 196 ، 205 ، 7 : 230 .

5 - أنظر سنن الترمذي 4 : 58 - 59 .

6 - أنظر صحيح ابن حبان 12 : 16 ، المعجم الأوسط 2 : 365 .

الصفحة 83

طالب (عليهما السلام) في معركتي بدر وأحد، فأين كان أبو بكر وعمر وعثمان فيهما؟. وأين بطولاتهم وشجاعتهم التي تعلمنا عنها الكثير الكثير؟. ولماذا هرب أغلب الصحابة من حول رسول الله في أحد وحنين وغوها من المعرك حتى بقي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحيداً في أحد ومعه أمير المؤمنين (عليه السلام)؟. أين كان أبو بكر وعمر في ذلك الوقت؟. فقد هرب أكثر من ثلث جيش المسلمين في معركة أحد وهرب الباقي بعد ذلك وتوكلوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحيداً مع أمير المؤمنين وشخص أو شخصين غوه، وقد شجَّ في جبهته وكسوت ربايعته، وقد روي عنه (صلى الله عليه وآله) أنه قال بعد ذلك: لا يفلح قوم صنعوا هذا بنبيهم ⁽¹⁾ .

وقد روي في الصحاح والسنن عن أنس : أن رسول الله - شج في وجهه وكسوت ربايعته ورمى رمية على كتفه فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسحه ويقول : كيف تفلح أمة فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى الله؟ فأقول الله تبارك وتعالى { **لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ** } ⁽²⁾ - ⁽³⁾ .

وهذا الحديث الذي يبين هروب الصحابة في معركة أحد وتوكلهم النبي (صلى الله عليه وآله) مع أمير المؤمنين عليا (عليه السلام) ، ويبين أيضا أثر هروبهم على رسول الله وكيف عوّضه للقتل والجرح وكشفوه للمشركين . لكنّ نواتر صناعة الفضائل وأجهزتهم زانوا في الحديث من عندهم زيادة واضحة، يدافعون فيها عن الهلبيين ويتهمون رسول الله بالتدخل بشيء ليس له

1 - تفسير الطوي 4 : 115 .

2 - آل عمران : 128 .

3 - سنن الترمذي 4 : 295 ، مسند أحمد 3 : 201 ، المصنّف لابن أبي شيبة 8 : 443 .

الصفحة 84

فيه دخل وإنّ الله تعالى لم يستجب دعاءه، واستخدموا تلك الآية المذكورة وحدثوا سبب نزولها، ولكنهم وقعوا في فخ كبير عندما استشهنوا بالآية الشريفة نتطرق إليه في بحث لاحق من هذا الكتاب . ثمّ هروب الرواة الخمسين ومخالفتهم أمر نبي الله (صلى الله عليه وآله) طمعاً في الغنائم وكان هروبهم سبباً في تحول نتيجة

ثم الهروب الكبير في معركة حنين، حيث فرّ من المعركة أكثر من عشرة آلاف صحابي وبقي مع النبي أمير المؤمنين (عليه السلام) وثلة من بني هاشم يدافعون عن رسول الله، وكان على رأس الفرّين عمر بن الخطاب، فقد روى البخاري في صحيحه وغوه كثير عن أبي قتادة قال: خرجنا مع النبي - عام حنين، فلما التقينا كانت للمسلمين جولة، وأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين، فضربته من ورائه على حبل عاتقه بالسيف فقطعت الوع، وأقبل عليّ فضمتي ضمةً وجدت من هاريج الموت، ثم أركه الموت فلرسلني، فلحقت عمر بن الخطاب فقلت: ما بال الناس؟ قال: أمر الله عزّ وجلّ (1) .

ثم هروبه في خيبر وهزيمتهم وعلى رأسهم كبار الصحابة أبو بكر وعمر، فما روي عن أبي بكر وهزيمته وعمر وتجبين أصحابه له عند بعثهم لفتح خيبر، صحّحه كل من الحاكم والذهبي فقد نقل الحاكم روايتين حول أبي بكر.

عن مسلمة بن الأوع قال: بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبا بكر إلى بعض حصون خيبر فقاتل وجهد ولم يكن فتح.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي في

1 - صحيح البخاري 5 : 100، صحيح مسلم 5 : 148.

الصفحة 85

(1) التلخيص: صحيح .

وعن أبي ليلي عن عليّ أنه قال: يا أبا ليلي أما كنت معنا بخيبر؟ قال: بلى، والله كنت معكم، قال: فإن رسول الله 2، بعث أبا بكر إلى خيبر فسار بالناس وانهم حتى رجع.

(2) قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص: صحيح .

ويروي الحاكم أيضا روايتين عن نور عمر يوم خيبر:

الأولى عن عليّ (عليه السلام) قال: سار النبي (صلى الله عليه وآله) إلى خيبر فلما أتاه بعث عمر وبعث معه الناس إلى مدينتهم أو قصوهم فقاتلهم فلم يلبثوا أن هزموا عمر وأصحابه فجاءوا يجبنونه ويجبنهم فسار النبي (صلى الله عليه وآله)، الحديث.

(3) قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص: صحيح .

والرواية الأخرى عن جابر، أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) دفع الرواية يوم خيبر إلى عمر فانطلق، فوجع يجبن أصحابه ويجبنونه.

(4) قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

إلى أن قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الحديث المتفق عليه عند أصحاب الحديث: لأبعثنّ غداراً جلا لا يخزيه الله

أبداً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله . وفي رواية (لا يولي الدبر يفتح الله على يديه) .

1 - المستترك على الصحيحين وبهامشه تلخيص المستترك 3 / 37.

2- المصدر نفسه 3 : 37.

3- المصدر نفسه 3 : 37.

4 - المستترك على الصحيحين 3 : 38.

5 - أنظر صحيح البخري 4 : 12، 207، 5 : 76، صحيح مسلم 5 : 195، 7 : 120 - 122.

6 - المستترك على الصحيحين 3 : 38.

الصفحة 86

ولقد تعلمنا من السورة النبوية عن دور عم الرسول وأخيه في الرضاة حفزة بن عبد المطلب (عليه السلام) ، وعن شجاعته وبطولته وتضحيته فداء لرسول الله وللإسلام، بعد أن أعلن إسلامه وبعد أن نصر به الإسلام والمسلمين، لماذا بعد كلّ ذلك يطغى دور عمر بن الخطاب ويطمس دور حفزة بن عبد المطلب (عليه السلام) ؟ بل إنّنا كنا نتساءل إذا كان عم الرسول أبو طالب رضوان الله تعالى عليه، هو الذي نصر الدعوة ودافع عنها بماله وأولاده، وحوصر مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في شعب أبي طالب ثلاث سنوات، فهل مات مشوكاً كما يقولون؟. بل أين أولئك نوي الفضائل المصطنعة؟. ولماذا لم تحاصوهم قريش مع بني هاشم في الشعب وتركتمهم يعيشون حياتهم الطبيعية خلافا لما فوضوه على نبي الله وبني هاشم؟.

لماذا لم يصل عمر في المسجد الأقصى؟

ولقد تعلمنا وحفظنا أنّ الذي فتح بيت المقدس هو عمر بن الخطاب، وكنا نتساءل، لماذا بعد دخوله القدس، ومعرفته بثواب الصلاة في المسجد الأقصى، وبعد أنّ أنعم الله عليه بفتح ثالث المساجد عظيمة وأهميّة في الإسلام، لماذا لم يقيم بالصلاة فيه ولو حتّى ركعة واحدة؟. ولماذا صلّى إلى جانب كنيسة القيامة في مكان يعرف اليوم بمسجد عمر، مع العلم بأنّ المسجد الأقصى لا يبعد سوى عشرات الأمتار عن كنيسة القيامة؟.

من هم الأئمة الاثنا عشر؟

ولقد كان أساتذة الشريعة في مدرّسنا يقرؤون علينا حديث الاثني عشر

الصفحة 87

خليفة من صحبي البخري ومسلم، حيث قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفي رواة عديدة : يكون عليكم اثنا عشر خليفة وفي بعض الألفاظ اثنا عشر أمواً⁽¹⁾ . وكنا نتساءل من هم هؤلاء الأئمة، وحاولنا رواة عديدة إحصاءهم من خلال الخلفاء الذين حكموا المسلمين في فترة الخلفاء، ثمّ الأمويين والعباسيين، ولكننا كنا لا نخلص إلى نتيجة، وبقي معنى تلك الأحاديث غامضاً بالنسبة لنا ولزددنا فيه حوة، إلى أنّ أكرمنا الله بالاستبصار ومعرفة حقائق الإيمان، فعرفنا أنّهم الأئمة من

أهل البيت (عليهم السلام)، أولهم أمير المؤمنين علياً (عليه السلام)، وآخرهم الإمام الثاني عشر الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فوجه الشريف وهو من عترة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) من ولد فاطمة الزهراء (عليها السلام) الذي سيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين:

ثم إننا درسنا وتعلمنا عن فاطمة الزهراء أنها سيّدة نساء العالمين وأنها بضعرة رسول الله ومن آذاها فقد آذى الله ورسوله وأنها كانت صادقة للهجة، فسيّدة بهذا المقام العظيم أين قوها؟. ولماذا دفنت ليلاً وأوصت أن لا يصلّي عليها الخليفة الأول ولا الثاني؟. ولماذا توفيت ولم تبايع أبا بكر بل ماتت وهي غاضبة عليه كما هو مروى في صحاح المسلمين ومنها صحيحي البخري ومسلم⁽²⁾؟.

رزية الخميس وعمر بن الخطاب:

ولقد درسنا في التريخ عن حادثة رزية الخميس، التي اتهم فيها عمر بن

1 - أنظر صحيح البخري 8 : 127، صحيح مسلم 6 : 3 - 4.

2 - صحيح البخري 5 : 82، صحيح مسلم 5 : 154.

الصفحة 88

الخطاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالهجر، حيث لم يسمح لرسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يكتب للمسلمين كتاباً إن اتبعوه فإنهم لن يضلوا بعد رسول الله أبداً، وقد حاول أهل السنة تهذيب كلام عمر فرووا : أنه قال : غلبه الوجد⁽¹⁾ ! لماذا لم يسمح عمر بذلك؟. وكيف يجرؤ على اتهام رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالهجر أي بالخوف؟. والأعجب من ذلك أن علماءنا كانوا يبررون تلك الرزية بمبررات لا يمكن أن يقنع بها أحد، بل إنهم يجعلون منها فضيلة عظيمة لعمر.

جيش أسامة بن زيد:

ولقد قرأنا وتعلمنا أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) عندما كان مريضاً وفي أيامه الأخوة وقبيل وفاته وانتقاله إلى الوفيق الأعلى قد أعد جيشاً بقيادة أسامة بن زيد وأمر المسلمين أن ينفخوا بعث أسامة، وحرص على ذلك أشد الحرص، بل إنه (صلى الله عليه وآله) قال لهم : جهّوا جيش أسامة، لعن الله من تخلف عنه⁽²⁾ . وكان من بين المأمورين أبوبكر وعمر⁽³⁾ ، وخوج الجيش وتوجه بالفعل إلى خوج المدينة⁽⁴⁾ ، ولكننا نؤأ في كتب التريخ والسير وكذلك في كتب الحديث أن أبابكر كان يصلّي في الناس بدل رسول الله⁽⁵⁾ (صلى الله عليه وآله)، وفي روايات أخرى نؤأ أن أبابكر كان عند زوجته في بيت له خوج المدينة في السنح⁽⁶⁾ ، فهل أطاعا

1 - أنظر صحيح البخري 1 : 37، 8 : 161 ، وأنظرها بلفظ (يهجر) في صحيح مسلم 5 : 76 ، الطبقات الكرى 2 : 242.

2 - أنظر الملل والنحل للشهرستاني 1 : 23 ، الموافق 3 : 650.

3 - الكامل في التاريخ 2 : 317 ، عمدة القري 18 : 76.

4 - الكامل في التاريخ 2 : 318 ، الطبقات الكرى 4 : 67.

5 - أنظر صحيح البخري 1 : 162.

6 - صحيح البخري 2 : 70 ، 4 : 193.

الصفحة 89

الله ورسوله وكانا خرج المدينة مع جيش أسامه؟. أم أنهما كانا في المدينة وقد خالفا أمر الله ورسوله؟. وهل كان أبو بكر يصلّي في الناس أو أنه كان عند زوجته خرج المدينة؟. أم هل كان في جيش أسامة؟.

يوم وفاة سيد الخلق وكفنه:

ولقد وُأت حديثاً في صحيح البخري يبيّن أن أبا بكر كان لا يعرف في أي يوم توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولا يعرف كيف كفّن رسول الله (صلى الله عليه وآله)،

فقد روى البخري في باب الجنائز كتاب موت يوم الاثنين عن عائشة قالت: دخلت على أبي بكر ، فقال: في كم كفنتم النبي-؟ قالت: في ثلاثة أثواب بيض سحولية، ليس فيها قميص ولا عمامة. وقال لها: في أي يوم توفي رسول الله -؟ قالت: يوم الإثنين⁽¹⁾.

فأين كان أبو بكر ذلك اليوم؟. وهل من الممكن نسيان يوم وفاة سيّد المرسلين وحبیب ربّ العالمين؟.

ادعاء ملائمة عمر لرسول الله:

ثمّ إنني وُأت حديثاً في صحاح المسلمين يخالف ما كان نعرفه عن عمر ابن الخطاب الذي كان دائماً ملائماً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) حسب ما لقننا أساتذتنا، وكان يضرب المثل بفقهه وعلمه، والحديث يبيّن أن عمر كان لا يعرف ماذا كان يقرأ رسول الله (صلى الله عليه وآله) في صلاة العيد.

روى مسلم في صحيحه في كتاب صلاة العيدين باب ما يقرأ في صلاة العيدين عن عبيد الله بن عبد الله: أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي: ما كان يقرأ به رسول الله- في الأضحى والفطر؟.

1 - صحيح البخري 2 : 106.

الصفحة 90

فقال : كان يقرأ فيهما بـ { ق وَالْقَوَانِ الْمَجِيدِ }⁽¹⁾ و { اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ }⁽²⁾.

وروى مسلم أيضا في نفس الباب عن أبي واقد الليثي: قال: "سألني عمر ابن الخطاب عما قوا به رسول الله - في يومٍ

العيد؟

فقلت: بـ {أقربت الساعة} و {ق والقوان المجيد} (4).

ثم قضايا أخرى كثيرة جداً كعدم معرفته حكم الاستئذان ورفع الصلاة عن الجنب إذا لم يجد الماء وقضية الكلاله

وغرها (5).

فإذا كان ملائماً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان على حسب ما يقولون وزواؤه، لماذا جهل هذه الأمور؟. وهي من

الأمور الواضحة جداً والتي كانت كثيرة التكرار في حياة الناس، فكيف لا يعرفها؟. أم أنه لم يكن من الملائمين لرسول

الله (صلى الله عليه وآله)، ولم يكن وزوه كما يدعون؟.

في الحقيقة تبين لنا بعد الاستبصار أن عمر كان يعترف أنه لم يكن ملائماً لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، وانما كان

منشغلاً عنه بالصفق بالأسواق، وكان يقولها صراحة وعلناً عندما كان يجهل أمراً ما، كان يعتذر قائلاً لقد شغلني الصفق

بالأسواق.

روى البخاري في صحيحه في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة عن عبيد ابن عمير قال: استأذن أبو موسى على عمر،

فكأنه وجده مشغولاً، فوجع، فقال

1- ق : 1.

2- القمر : 1.

3- صحيح مسلم 3 : 21.

4- المصدر نفسه : 3 : 21.

5 - أنظر الأحكام لابن حزم 2 : 239 وما بعدها، وأنظر الروايات في ذلك : في الاستئذان، صحيح البخاري 7 : 130، 8

: 157 ، وفي رفعه الصلاة عن الجنب، سنن النسائي 1 : 168 ، مسند أحمد 4 : 219 ، وفي قضية الكلاله، مسند أحمد 1 :

15 ، المستترك على الصحيحين 2 : 310.

الصفحة 91

عمر: ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس؟ انذوا له، فدُعي له، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: إنا كنا نؤمر بهذا.

قال: فأنتي على هذا ببينة أو لأفعلن بك، فانطلق إلى مجلس من الأنصار، فقالوا: لا يشهد إلا أصاغرنا، فقام أبو سعيد الخدري

فقال: قد كنا نؤمر بهذا، فقال عمر: خفي عليّ هذا من أمر النبي -، ألهانني الصفق بالأسواق (1).

معرضة عمر وجأته على رسول الله:

ومن المواقف التاريخية المثيرة هي حوأة العديد من الصحابة وقلّة الأدب مع رسول الله وبين يديه ورفع الصوت والصياح

والصراخ بل والتضرب بالنعال بين يديه، وكذلك معارضته في أغلب الأمور، وعدم طاعته واحترامه وجذبه من ثوبه وغير ذلك من التصرفات المسيئة والمشينة⁽²⁾.

وقد كان من أكثرهم جرأة ومعارضة ورفضاً وصواخاً عمر بن الخطاب، فقد كانت له عشرات المواقف والتي تصدى فيها لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، فكانت موضع إشكال كبير عند كل منصف ومدقق في الحقائق التاريخية، إذ إن تلك المواقف تتعرض مع ما منحه صانعو الفضائل لعمر وغوه، فكان لابد من التوقف والتفكير عند تلك المواقف العموية الجريئة والمشينة ومراجعتها حتى تتوضح الحقائق وتكتشف الخفايا.

روى البخاري في صحيحه وغوه عن عمر بن الخطاب أنه قال: عجبت بعد من جرأت على رسول الله-⁽³⁾.

روى البخاري وغوه عن عبد الله ابن عمر قال: لما مات عبد الله بن أبي

1 - صحيح البخاري 8 : 157.

2 - أنظر على سبيل المثال : صحيح البخاري 3 : 166، 6 : 46، 7 : 36.

3 - صحيح البخاري 2 : 100، 5 : 207.



جاء ابنه إلى النبي - فقال أعطني قميصك حتى أكفته فيه وصلّ عليه واستغفر له فأعطاه قميصه ثم قال : إذا فوغت فأذنوني أصلي عليه فجدبه عمر ⁽¹⁾ . (أي جذب رسول الله وشده من ثوبه).

رضاعة الكبير أم خلل في التاريخ:

وهناك مواقف تاريخية يتعرض لها المسلم من خلال لائحة السير وكتب الصحاح أكثر بكثير من التي ذكرتها، كنا نقف عندها ونسأل ونتساءل عنها من دون أن يكون هناك جواب مقنع، فمنها أيضاً مسألة الرضاعة ورضاعة الكبير على الخصوص، والتي أقرتها عدة من الأحاديث وأقرها بعض الصحابة، وهي أنه يجوز رضاعة الكبير حتى ولو كان رجلاً ويستنون إلى روايات يصحونها ⁽²⁾ ، مع أن الأمر مناف للشوع والعقل والفتوة، وكنا نتعجب من أجوبة العلماء على ذلك الإشكال، وتوداد حوة، هل أجاز رسول الله (صلى الله عليه وآله) هذا الفعل الذي لا يرضاه حتى الذي على غير ملة الإسلام، أو أن هناك خلل في تليخنا يوجب علينا واسته من جديد ضمن دائرة الشروط التي ذكرتها.

العشرة المبشرون بالجنة:

ثم من القضايا المثيرة للاهتمام والتساؤل حديث العشرة المبشرين بالجنة، فهذا حديث قد تعلمناه مبكراً وسمعناه ونسمعه كل يوم تقريباً، ولطالما كان لنا عليه ملاحظات كثرة، ولكننا لم نجد الجواب الشافي، أو بالأحرى كنا نمنع من السؤال عن موضوع العشرة المبشرين وخصوصاً قتال طلحة والزبير

1 - صحيح البخاري 7 : 36، سنن النسائي 4 : 27، سنن الترمذي 4 : 343.

2 - موطأ مالك 2 : 606، 5 : 605، صحيح ابن حبان 10 : 27 - 28.

لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

ومحل الإشكال عند ذكر حديث العشرة، ولأ في قتال الصحابة مع بعضهم بالوغم من أنهم مبشرون بالجنة، وثانياً هل المبشرون بالجنة هم العشرة فقط أم كان هناك مبشرون حقيقيون أكثر من هذا العدد؟ ولماذا حصر العدد بؤلاء العشرة واستثنى منه غورهم؟ وهل كان حديث العشرة معروفاً قبل عصر معاوية بن أبي سفيان أو أنه ولد في ذلك التاريخ؟، فمن المعروف والمقطوع به أن فاطمة الزهراء (عليها السلام) من المبشوات بالجنة، فهي سيدة نساء أهل الجنة ⁽¹⁾ ، وأيضاً الإمام الحسن (عليه السلام) من أهل الجنة، وكذلك الإمام أبو عبد الله الحسين (عليه السلام) سيد الشهداء، وهما (عليهما السلام) سيداً شباب أهل الجنة ⁽²⁾ ، وكذلك كان سلمان الفارسي من المبشورين بالجنة، وكذلك بلال وعمار والمقداد وأبو ذر الغفري رضي الله تعالى عنهم.

فقد أخرج أبو نعيم عن أنس بن مالك قال : سمعتُ نبيَّ الله - يقول: اشتاقت الجنة إلى أربعة: عليّ والمقداد وعمار

(3)
وسلمان .

وروى الحاكم في المستدرک عن أنس أن رسول الله قال: اشتاقت

1 - أنظر قول النبيّ صلى الله عليه وآله فيها في صحيح البخاري 4 : 183 ، سنن الترمذي 5 : 326 ، مسند أحمد 5 : 391 - 392.

2- أنظر الحديث في سنن الترمذي 5 : 321 ، المستدرک على الصحيحين 3 : 167 ، سلسلة الأحاديث الصحيحة 2 .
3 - حلية الأولياء 1 : 190 ، وأنظر تزيخ دمشق 21 : 411 وفيه (علي وسلمان وأبي ذر وعمار بن ياسر) والرواية عن حذيفة، وفي تزيخ دمشق 60 : 177 علي وأبي ذر وعمار والمقداد) والرواية عن ابن عباس .

الصفحة 94

(1)
الجنة إلى ثلاثة: عليّ، وعمار، وسلمان .

(2)
وروى في الحديث المتواتر أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) قال: سلمان منا أهل البيت .

وهناك غير هذه الأسماء اللامعة مبشّر بالجنة، ولكن لماذا اختزل حديث العشرة كل أولئك، واستبدلهم بغوهم، حتى أنّ اسم أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) قد وضع مع العشرة على استحياء، ففي أغلب الروايات كان اسم أمير المؤمنين (عليه السلام) في آخر القائمة.

ومن الملاحظ أنّ الأسماء المختولة والمبشّرة بالجنة على الحقيقة، أصحابها هم من أهل بيت النبي، أو من الصحابة الموالين لأمر المؤمنين عليّ (عليه السلام) وشيعته، فكأنّ واضعي حديث العشرة عندما وضعوه رأوا أن يُطمسوا حقيقة معينة ولأسباب واضحة، من أجل أن يبرزوا أفعال معاوية وغوه من الصحابة للتغطية على فضيلة شيعة علي (عليه السلام) وأتباعه من الصحابة، وللتقليل من شأنهم، وبالمقابل رفع شأن أعداء أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) الذين قاتلوه وناصروه العدا، فجعلوهم من أهل الجنة، فاستبدلت الحقيقة بالتريف والحقّ بالباطل. ويكفي بشرة بالجنة لعلي وشيعته قوله تعالى في سورة

البينة { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَاتٌ عِدْنَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ } (3)

روى ابن عساکر عن جابر بن عبد الله قال : كنّا عند النبيّ - ، فأقبل عليّ

1 - المستدرک على الصحيحين 3 : 137 ، وأنظر تزيخ دمشق 10 : 451 ، وفيه بلال بدل سلمان، وأخرجه الترمذي بلفظ : إنّ الجنة تشتاقت إلى ثلاثة : عليّ وعمار و سلمان . (سنن الترمذي 5 : 232).
2- المستدرک على الصحيحين 3 : 598 ، المعجم الكبير للطبراني 6 : 213.

ابن أبي طالب، فقال النبيّ -: "قد اتاكم أخي، ثمّ التفتت إلى الكعبة فضربها بيده، ثمّ قال: والذي نفسي بيده، إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة...، وتولت **{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ }** قال: فَكَأَنُّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) إذا أقبل عليّ قالوا: قد جاء خير البرية" (1).

وأخرج ابن عدي وابن عساكر عن أبي سعيد مرفوعاً: عليّ خير البرية. (2)

وأخرج ابن عدي عن ابن عباس قال: لما تولت **{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ }** قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعليّ: هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين" (3).

وأخرج ابن مردويه عن عليّ قال: قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله): ألم تسمع قول الله: **{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ }** أَنْتَ وشيعتك وموعدني وموعدكم الحوض إذا جثت الأمم للحساب تدعون غَوًّا محجلتين (4).

وروى الطواني في الأوسط وعنه الهيثمي في مجمع الزوائد عن جابر بن عبد الله الأنصري قال: خطبنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فسمعته وهو يقول: أيها الناس من أبغضنا أهل البيت حشوه الله يوم القيامة يهودياً. فقلت: يا رسول الله وإن صام وصلّى؟ قال: وإن صام وصلّى وزعم أنه مسلم، احتجز بذلك من سفك دمه، وأن يؤدي الجزية عن يدهم صاغرون، مثل لي أمتي في الطين، فمرّ بي

1 - تزيخ دمشق لابن عساكرة 42: 371.

2- الكامل لابن عدي 1 : 170 ، تزيخ دمشق 42 : 371.

3 - أورده السيوطي في الدر المنثور 6 : 379 ، وغواه إلى ابن عدي.

4 - أورده السيوطي في الدر المنثور 6 : 379 ، وغواه إلى ابن مردويه.

(1) أصحاب الروايات فاستغفوت لعليّ وشيعته .

ثمّ إنني لم أذكر الشهداء كشهداء بدر وأحد وغروهم وسيد الشهداء حنزة بن عبد المطلب وجعفر الطيار وآل ياسر، واكتفيت بذكر من بقي من المبشرين بعد رسول الله، على اعتبار أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) شهد لمن شهد منهم بالجنة قبل وفاته. وأذكر فقط من بقي بعد رسول الله وبقي على بيعته لأمر المؤمنين ومن شيعته (عليه السلام).

إنّ فهذه هي الملاحظة الأولى على حديث العشرة، وهي أنّ المبشرين أكثر من ذلك، وأنّه تمّ استبدالهم بغروهم نكاية بهم وبغضاً لهم؛ لأنهم من أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) أو من شيعة علي (عليه السلام). ووضعت أسماء غوها بحسب رادة معاوية بن أبي سفيان وأوامر دائرة صناعة الحديث والفضائل في سلطته ، وذلك للتغطية على قتال معاوية لعليّ بن أبي

طالب (عليه السلام) وشيعته، وأيضاً للتغطية على قتال بعض الأسماء الوردة في حديث العشرة وبغضهم لأمير المؤمنين (عليه السلام).

وأذكر أنّ هذه اللعبة كانت تملس في فلسطين أيام الانتفاضة الأولى والثانية أيضاً، فقد كانت توزع الفضائل ومقولة الشهادة بحسب رغبة الناس، وليس بحسب أمر الله تعالى. فقد كان يُقتل العديد من الفلسطينيين بتهمة التجسس مثلاً، فيُتهم القتل بأنه جاسوس، وبعد أسوع أو أكثر يتبين أنه ليس كذلك، فيعلن عنه شهيداً. وكذلك كان يقتل أشخاص ويعلن عنهم شهداء، ثم بعد فترة يتبين أنهم عملاء، فتسلب منهم مقولة الشهادة وهكذا. والذي أقصده من القصة أن بإمكان السلطة الحاكمة أن تدخل الجنة من تشاء وأن تُخرج

1- المعجم الأوسط 4 : 211 - 212 ، وعنه مجمع الزوائد 9 : 172 ، وأنظر تريخ دمشق 20 : 148 - 149.

الصفحة 97

منها من تشاء، بحسب مقاييسهم، ولكنّ المقياس يجب أن يكون من الله تعالى، وحسب أحكامه وشريعته، ومن هنا ننقل إلى الملاحظة الثانية على حديث العشرة.

وهي أننا يجب أن نلتم بالمقاييس الشوعية الربانية لتحديد من هو المبشر بالجنة، وأوليس بمبشر؟ إذ يجب أن تتطابق البشارة للشخص مع كلّ المقاييس الشوعية، ويجب أن لا تتعرض معها أبداً، كما ويجب أن لا تتعرض أفعال المبشر بالجنة مع تلك المقاييس الشوعية والأوامر الربانية أيضاً وإلا انتفت البشارة عن ذلك الشخص.

والمقاييس الشوعية والأوامر الربانية في هذه الحالة متعدّدة ومتوّعة، وسنتطرق إلى بعضها، ولكن أهمها هي ولاية أهل بيت النبي (عليهم السلام) وعلى رأسهم ولاية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وحبّه ونصوه ونصوته، وهذه كلّها أوامر ربانية ومقاييس شوعية يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار.

وروي في السيوطي في الجامع الصغير والحاكم في المستدرک عن جابر أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: عليّ إمام البررة، وقائل الفجرة، منصور من نصوه، مخذول من خذله⁽¹⁾.

وروي في صحاح ومسانيد وسنن المسلمين الحديث المواتر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث قال وهو آخذ بيد عليّ بن أبي طالب (عليه السلام): من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من

1- الجامع الصغير 2 : 177 ، المستدرک على الصحيحين 3 : 129 ، وأخرجه البغدادي في تريخ بغداد 3 : 181 ، وأورده المتقي الهندي في كنز العمال 11 : 602.

الصفحة 98

(1)

أبغضه، وأنصر من نصوه، وأخذل من خذله .

وروي في صحيح مسلم والنسائي والترمذي وغوهم كثير عن عليّ أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال له: "لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق" (2) .

وروي في كنز العمال عن عليّ قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): "لولاك يا عليّ ما عرف المؤمنون من بعدي" (3) .

وعليه صار الميزان الأول لحديث العشرة هو حبّ أهل البيت وولايتهم وموالاتهم ونصوهم ونصوتهم. ومن البديهي أنه إذا كان أمير المؤمنين (عليه السلام) هو المقياس في هذه الحالة، وكانت زوجته فاطمة الزهراء وابناه الحسن والحسين (عليهم السلام) من أسياذ أهل الجنة، وهو نفسه (عليه السلام) ساقى الناس على الحوض وهو قسيم الجنة والنار، فلا مزية في قوة ومصداقية ميزان ومقياس أهل البيت (عليهم السلام) وحبهم ونصوهم ونصوتهم وولايتهم وموالاتهم، وعدم بغضهم وقتالهم وخذلانهم، بل والمنع من إيذائهم بأي نوع من أنواع الأذى، ومن المعروف أنّ هذا الميزان قد استنبط من مئات النصوص الشرعية والمعنونة عند كلّ

- 1 - أنظر حديث الغدير بألفاظه المختلفة في: مسند أحمد 4 : 370، 5 : 419 ، خصائص أموالي المؤمنين للنسائي : 71 - 72 ، المستترك على الصحيحين : 3 / 109 ، السنّة لابن أبي عاصم : 630 ، صحيح ابن حبان : 15 / 376 ، مجمع الزوائد 9 : 105 وغواه إلى الزوار، سلسلة الأحاديث الصحيحة 4 : 330 ، واعلم أنّ جمعاً من كبار العلماء صوّح بواتر عبلة " من كنت هوله فهذا عليّ هوله" منهم الذهبي في سورة أعلام النبلاء 8 : 335 ، شمس الدين الجزري في أسنى المطالب في مناقب سيّدنا عليّ بن أبي طالب : 48، الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة 4 : 343 - 344 وغوهم.
- 2- أنظر صحيح مسلم 1 : 61، سنن النسائي 8 : 117 ، سنن الترمذي 5 : 306، مسند أحمد 1 : 95.
- 3- كنز العمال 13 : 152 ، والحديث أخرجه ابن المغزلي في مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب : 109.

الصفحة 99

طوائف المسلمين. وعليه صار من الواجب أن يعرض بقيّة التسعة في حديث العشرة على هذا الميزان وغوه من الموليين الشرعية، فإنّ انطبقت أحوال الشخص كانت البشلة صحيحة، وإنّ انتفت الموليين كانت بشلة مزيفة ومصطنعة ووضعية. ويجب أن يجزؤ المؤمن على الصنوع بها أمام الله تعالى، وأن لا يتغاضى عما هو مخالف لشوع الله تعالى وأوامر رب التوّة فرضى الله تعالى قبل رضى الخلق.

فمن التسعة من قاتل علياً (عليه السلام) وخذله ولم ينصوه ونكث بيعته معه، فكيف يكون بعد ذلك من المبشرين بالجنة؟! ومنهم من رفع سيفه على إمام زمانه، وخالفه ونقض عهده، فكيف يمكن أن يبشّر بالجنة؟! والرسول (صلى الله عليه وآله) يقول كما روى مسلم وأبو داود والنسائي وغوهم عن عبد الله بن عمرو : "من بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثرة قلبه فليطعه

ما استطاع، فإن جاء آخر ينزعه فاضربوا رقبته الآخر .

ومنهم من أمر الله تعالى ورسوله بقتالهم وسماهم القاسطين والناكثين كما في الحديث المروي في الدر المنثور للسيوطي حيث قال: أخرج ابن مودويه من طويق محمد بن مروان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن جابر بن عبد الله: "عن النبي (صلى الله عليه وآله) في قوله: **{ فِيمَا نَذَبْنَا بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ }**"⁽²⁾ **تَوَلَّى عَلِيٌّ بَنَ أَبِي طَالِبٍ، أَنَّهُ يَنْتَقِمُ مِنَ النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ بَعْدِي**"⁽³⁾ . وروي في كنز العمال وغره عن عليّ قال: "أمرني رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقتال الناكثين والملقين

- 1- صحيح مسلم 6 : 18، سنن أبي داود 2 : 301، سنن النسائي 7 : 153 واللفظ للأخير.
- 2 - الزخرف: 41.
- 3- الدر المنثور 6 : 18.

الصفحة 100

والقاسطين"⁽¹⁾ . فكيف من كان من الناكثين، بل إنّه رفع سيفه في وجه إمام زمانه ونكث عهده ونقض بيعته يكون من المبشّرين بالجنة؟.

ومنهم من آذى فاطمة الزهراء وعليّ بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام، ومعروف أنّ من آذى أهل البيت فقد آذى الله تعالى، ومن آذى الله تعالى فقد لعنه الله في الدنيا وأكبّه في جهنم في الآخرة، فكيف يكون من هذا وصفه من المبشّرين بالجنة؟.

ومنهم من آذى فاطمة الزهراء (عليها السلام) وهجم على بيتها وأحرقه وضربها وأسقط جنينها، ثم انتزع منها حقوقها التي منحها إيّاها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والحديث النووي الصحيح في مسلم وغره يقول: "إنما فاطمة بضعة مني، يؤذيها ما آذاها"⁽²⁾ .

ويقول عزّ وجلّ في سورة الأحزاب: **{ إِنَّ الَّذِينَ يُوذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا }**⁽³⁾ . فكيف من هكذا حاله يكون مبشّراً بالجنة؟.

ومنهم من توفيت فاطمة الزهراء وهي غاضبة وواحدة عليه، كما في الروايات الصحيحة⁽⁴⁾ ، والحديث النووي يقول: "فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني"⁽⁵⁾ فهل من أغضب رسول الله يكون مبشّراً بالجنة؟.

- 1 - أخرجه ابن عساكر في تزيخ دمشق 42 : 468، 470، والخطيب الغدادي في تزيخ بغداد 8 : 336، وأورده المتقي الهندي في كنز العمال 13 : 113 عن تزيخ دمشق.
- 2- صحيح مسلم 7 : 141، سنن الترمذي 5 : 360، مسند أحمد 4 : 5.

- 4 - أنظر صحيح البخري 5 : 82 - 83 ، صحيح مسلم 5 : 154 .
5 - صحيح البخري 4 : 210 ، المصنّف لابن أبي شيبة 7 : 526 .

الصفحة 101

ثم إنّ كلّ التسعة نقضوا بيعة الغدير ولم يطيعوا الله تعالى في ما أتوله على رسوله، ونقضوا عهدهم وأنوار رسولهم وظلموه هو وأهل بيته وحرّمهم من حقوقهم وغرّوهم بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعملوا على فصلهم عن المجتمع الاسلامي، وفصل المجتمع الاسلامي عنهم، فهل من فعل ذلك يكون مبشّراً بالجنة؟.

ولأجل ذلك كانت كلّ الوقائع لا تنطبق على المقاييس الشرعية والمؤيّنات الربانية، مما يؤكد أنّ الحديث هو صناعة أموية في نواتر صناعة الحديث والفضائل. ولا يمكن أن يرد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما يتناقض مع الشريعة ونصوصها القطعية.

ثم إنّ من الصحابة من كفرّ عدداً من التسعة وقد ذكر ذلك في كتب التزيخ والحديث، فقد روي أن عائشة كانت تعرضّ المسلمين على عثمان وكانت تقول لهم : اقتلوا نعتلاً فقد كفر ⁽¹⁾ .

فهكذا يتأكد أنّ رواية العشرة لا أصل لها ولم يقلها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ويجب أن تُرد.

حفظ القرآن ورعايته وجمعه:

ثمّ من القضايا الهامة والتي عرفناها وتعلمناها حفظ الصحابة للقرآن ورعايته وجمعه واهتمامهم به أيّما اهتمام، كيف لا وهو دستور الأمة ومعجزة الرسول محمد وكلام ربّ العالمين. ولكن كنا نصطدم بحقائق كثيرة تبينّ عكس هذا الواقع. فقد شهد العديد من الصحابة ضياع وفقدان العديد من الآيات والسور. وقد شهد بذلك عمر بن الخطاب وعدد كبير من الصحابة كما

- 1 - أنظر تزيخ الطوري 3 : 477 ، الكامل في التزيخ 3 : 206 .

الصفحة 102

سيأتي في الروايات عندما قال : إنّ سورة الأخواب كانت أكبر من سورة البقرة، وكذلك أمّ المؤمنين عائشة عندما ذكرت عن مسألة الرضاع وقالت : إنّ كان عندها الآيات التي تبينّ عدد الرضعات ولكنّ الداجن أكلها أو السخلة أكلتها ولا يعرف مصورها وغورها من شهادات الصحابة.

روى مسلم في صحيحه عن أبي حرب بن أبي الأسود، عن أبيه. قال:

بعث أبو موسى الأشعوي إلى قواء أهل البصرة. فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قوّوا القرآن. فقال: "أنتم خيار أهل البصرة وقوؤهم، فاتلوه، ولا يطولنّ عليكم الأمد فتفسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم، وإنّا كنا نقوّ سورة. كنا تشبهها في الطول والشدة بواء فأنسيتها غير أنّي قد حفظت منها: لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا

التواب وكنا نقول سورة كناً نشبهها بإحدى المسبحات، فأنسيته، غير أنني حفظت منها: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ } فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة" (1) .

وروى البخري في صحيحه عن عمر بن الخطاب قال: "إن الله بعث محمداً (صلى الله عليه وآله) بالحق، وأقول عليه الكتاب، فكان مما أتول الله آية الوجد، فوأنها وعقلناها ووعيناها، رجم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الوجد في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أتولها الله، والوجد في كتاب الله حق على من زنى إذا أحسن من الرجال والنساء، إذا قامت البيئة، أو كان الحبل أو الاعتراف، ثم إننا كنا نقول فيما نقول من كتاب الله: أن لا تغفوا عن آباءكم، فإنه كفر بكم أن تغفوا عن

1- صحيح مسلم 3 : 100.

الصفحة 103

آباءكم، أو إن كفوا بكم أن تغفوا عن آباءكم" (1) .

وروى ابن عبد البر في التمهيد بسنده عن عدي بن عدي بن عمرة بن فروة عن أبيه عن جدّه أن عمر بن الخطاب قال لأبي: "أو ليس كنا نقول من كتاب الله أن انتفاءكم من آباءكم كفر بكم؟ فقال: بلى، ثم قال: أو ليس كنا نقول الولد للفاش وللعاهر الحجر فيما فقدنا من كتاب الله؟ فقال أبي: بلى" (2) .

وروى الطواني عن حذيفة قال: "التي تسمون سورة التوبة هي سورة العذاب وما يقرؤون منها مما كنا نقول لإربعها" (3) . وفي مجمع الزوائد عن زيد بن رُقم قال: لقد كنا نقول على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله): لو كان لابن آدم واديان من ذهب وفضة لابتغى إليهما آخر، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التواب، ويتوب الله على من تاب . رواه أحمد والطواني والزوار بنحوه ورجالهم ثقات (4) .

وأورد المتقي في كنز العمال والسيوطي في الدر المنثور عن حذيفة قال: قال لي عمر بن الخطاب: كم تعنون سورة الأخاب؟ قلت اثنتين أو ثلاثا وسبعين، قال إن كانت لتقلب سورة البقرة، وإن كان فيها لآية الوجد . وأخرج مسلم والنسائي وغوهما عن عائشة أنها قالت: "كان فيما أتول من القرآن: عشر رضعات معلومات يحرم من ثمّ نسخن بخمس معلومات فتوفي

1 - صحيح البخري 8 : 26.

2- التمهيد 4 : 275 ، وأورده السيوطي في الدر المنثور 1 : 106 ، والهندي في كنز العمال 6 : 208.

3 - المعجم الأوسط 2 : 85 - 86 ، وأورده السيوطي في الدر المنثور 3 : 208 وغواه أيضاً إلى ابن أبي شيبة وأبو الشيخ والحاكم وابن مردويه، وأورده الهيتمي في مجمع الزوائد 7 : 28 وقال: رجاله ثقات.

رسول الله(صلى الله عليه وآله) وهنَّ فيما يَؤوُّ من القَوَانِ" (1).

وأخرج ابن ماجه عن عائشة قالت: "لقد تولت آية الرجم ورضاعة الكبير عشوا، ولقد كان في صحيفة تحت سوري. فلما مات رسول الله(صلى الله عليه وآله) وتشاغلنا بموته دخل داجن فأكلها" (2).

والسؤال هنا، هل توفي رسول الله(صلى الله عليه وآله) ولا يعرف الناس ما هو من القَوَانِ وما ليس منه؟. وأين دور حفظة القَوَانِ من الصحابة؟. ألم يجمع رسول الله(صلى الله عليه وآله) القَوَانِ في حياته، أم توكه دون رعاية؟. أين دور أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في حلِّ كلِّ تلك الاشكالات؟. لماذا لم يستعينوا به على حلِّ خلافاتهم في القَوَانِ، وقد أخوهم رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنَّ علياً مع القَوَانِ والقَوَانِ مع علي؟. ماهي حقيقة جمع القَوَانِ؟. ولماذا يتهم المسلمون رسول الله(صلى الله عليه وآله) بأنه توفي ولم يجمعه ولم يكن حريصاً على ذلك، بينما جعلت فضيلة جمع القَوَانِ لأبي بكر أو عثمان؟.

محبة أهل البيت (عليهم السلام) والحقيقة التاريخية:

ومن أهم المواقف التريخية والتي طالما توقفنا عليها وتحيرنا في واقعها وتطبيقاته العملية، هو ذلك الكم الهائل من الآيات والأحاديث التي تأمر بمحبة أهل البيت (عليهم السلام)، وتلفت الأنظار وبشدة إلى علي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة الطاهرين المعصومين من أهل البيت عليهم جميعاً أفضل الصلوات وأتم التسليم. والتي تأمر أيضاً ولايتهم واتباعهم واللجوء إليهم، وأيضاً تلك التي تنهى عن إيذائهم وبغضهم، وكذلك الأحاديث التي تبيّن

1- صحيح مسلم 4 : 167، سنن النسائي 6 : 100، صحيح ابن حبان 10 : 35.

2- سنن ابن ماجه 1 : 626.

فضلهم وفضائلهم وأفضليّتهم، وحقهم وأحقّيتهم.

لقد كنّا دائماً نؤوُّ عن ذلك كله ونتعلمه، وكان يبتابنا السرور العظيم، ويظهر علينا الاحترام والتقدير لأهل البيت (عليهم السلام)، وكنّا نعتقد أنّهم (عليهم السلام) كلّ الدين، ومنهجهم أحقّ بالتقديم، فكيف لا نقدم من اختاره الله تعالى واصطفاه واجتباها؟. لكنّه ومع الوقت تبيّن لنا أن ذلك كله كان مجرد مّشاعر وكلام نظري، لا وجود له في واقعنا، ولا يوجد له أي تطبيق، ولا محل له في عقيدتنا العمليّة وأحكامنا التطبيقية، بل إن كلِّ تلك الأحاديث والمواقف التريخية والفضائل، موضوعة في دائرة مغلقة، لا يطالها البحث العلميّ والعملي، بل إنّه لا يجوز إخراجها من تلك الدائرة، وكنّا إذاركنا عليها في واستنا وأظهورناها في الواقع العمليّ عندنا نتهم بالاستشراق أو بالتعصب، وكان كثوا ما يصل الأمر إلى الاتهام بالتشيع والخروج عن

ولقد كنّا نتساءل إذا كان كل ذلك الفضل والأفضلية والحق والأحقية لأهل البيت (عليهم السلام)، فأين هو نورهم في بناء العقيدة وتوضيح الأحكام؟ بل أين هي أحاديثهم ورواياتهم في كتب الحديث والسنن؟ وهل كان حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) في فضلهم وفضائلهم وأفضليتهم، وفي حقهم وأحقيتهم مجرد كلام لا معنى له، ولا ضرورة لوجوده في الواقع؟ أو أنّ كلامه (صلى الله عليه وآله) وحي من الله ولا ينطق عن الهوى؟ ولماذا تعامل المسلمون مع أهل البيت (عليهم السلام) على عكس ما أمرهم به رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأوصى عليه؟ ولماذا آوهم وشربوهم وقتلواهم؟ لماذا لم يتبعوهم واضطهروهم ولا حقوا أتباعهم وعدّوهم؟ ولماذا استبدلت فضائلهم وأفضليتهم ومنحت لقوم آخرين لم يكن لهم فضل ولا فضيلة؟ لماذا قدمت أحاديث غروهم على أحاديثهم؟ لماذا جمعوا لقتال عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)؟ ولماذا قرّر معلوية بن أبي سفيان لعنه وشتمه من

الصفحة 106

على منابر المسلمين بدلاً من إظهار فضله وفضائله، وحقه وأحقيته؟ لماذا جمع المسلمون لقتال الإمام الحسين (عليه السلام) وقتلوه عن سابق إصرار وتصدد؟ لماذا قتل الإمام الحسين (عليه السلام)؟ ولماذا صار يزيد اللعين أمير المؤمنين، بل كيف جاز أن يحصل ذلك؟

والسؤال المهم الذي ظهر لنا بعد ذلك، والذي أعتوه من أخطر الأسئلة التي توصلنا إلى حقيقة الجواب عليها فيما بعد وهو السؤال عن واقع رسول الله (صلى الله عليه وآله) عند أولئك الأوائل، هل كان الجميع ينظر إلى رسول الله 2 على أنه نبيّ مرسل من ربه، وأنه رسول معصوم؟ وهل كانوا يتعاملون معه على أساس ذلك؟ وهل كانوا يحبونه ويحترمونهم ويتبعونه كما وصل إلينا نظرياً؟ هل كانوا يسمعون له ويطيعون؟

فبعد أن تبين لنا واقع أهل البيت (عليهم السلام) بالنسبة للمسلمين قررنا النظر والتدقيق في واقع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكيفيّة تعامل الصحابة والمسلمين معه، وماهي موقعيته (صلى الله عليه وآله) في كتب الأحاديث والسنن، وكذلك في كتب التاريخ والمغربي والسّير؟

حقيقة رسول الله 2 عند أغلب المسلمين:

لقد تبين لنا أنّهم جعلوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) شخصاً عادياً غير معصوم، بل إنهم في كثير من الأحيان جعلوه أقل من الإنسان البسيط العادي، ولم يكتفوا بذلك، بل إنهم ألصقوا به تهماً كثرة لا تليق بإنسان فاضل من عوام الناس، فكيف به وهو رسول الله وحبيبه، وهو سيّد الأوّلين والآخرين وأفضل الأنبياء والمرسلين؟ وللأسف الشديد لزال كل تلك العيوب وما لا يليق برسول الله (صلى الله عليه وآله)، مدونة في كتب أهل السنة والجماعة ويقبلون بها، ويبررونها ويقرّونها

الصفحة 107

ويؤكّدون صحتها، ويسمحون بمداولتها، بل إنه في أغلب الأحيان يستنون إليها لتقريب أحكام شوعية كثرة وأمور عقائدية

والذي زادنا حوة وجعلنا ندقق أكثر في ذلك الواقع، هو أنهم جعلوا لشخصيات كثرة من الصحابة مثل أبي بكر وعمر وأبي هريرة فضائل أكثر من رسول الله، وجعلوا دينهم وفقههم وعقولهم وتطبيقهم لشروع الله أفضل وأكثر بكثير من تلك التي كانت لرسول الله (صلى الله عليه وآله).

هذه هي الحقيقة، وهذا هو التريخ، وكل مواقف بين أيديكم، دققوا فيها وافتحوا عقولكم وبصائرهم، فإنكم ستجدون ما قدمت لكم من تعبيرات أقل بكثير من حقيقة الواقع الذي كان الأولون يعاملون رسول الله (صلى الله عليه وآله) من خلاله، وكيف كانت، ولا زالت حقيقته (صلى الله عليه وآله) متناقضة، والنظرة إليه دون العادية، وإن ادعاء محبته والافتداء به وبهديه هو مجرد كلام لا واقع له، فلقد تبين لنا أن المسلمين يقتنون بأفعال أبي بكر وعمر ومعاوية ويؤيد أكثر من اتباعهم لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، بل إنهم في كثير من الأحيان يرون كلام الله تعالى ويؤولونه ليتوافق مع كلام وفعل أولئك.

فعندما نقول على سبيل المثال وليس الحصر كتابي البخاري ومسلم، فإنك سوف تجد عشرات التهم والأفعال ينسبون لها إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع أنها لا تجوز في حق إنسان عادي، فتصطدم في تلك الكتب بما لا يليق بمقولة النبوة ومقام الرسالة المحمدية، ولقد ذكرت عددا كبيرا من تلك التهم والافتراءات على رسول الله (صلى الله عليه وآله) في كتابنا سبيل المستبصيرين في بحث العصمة، ولكن لا مانع من ذكر بعض العناوين في هذا البحث حتى يظهر للقلوب الكريمة مدى تأثير قراءة التريخ والمواقف التزيخية بصدق وإنصاف وتدقيق على النفس المؤمنة، وهو ما يوصل عادة إلى الاستبصار.

محاولة الانتحار حقيقة أم تهمة؟

فمن الأمور الغريبة جداً أن كتاب صحيح البخاري يتهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأنه أراد الانتحار، ويؤكد على تكرار المحاولة عدة مرات، وذلك في صحيح البخاري في كتاب التعبير باب أول ما بدئ رسول الله به من الوحي في حديث طويل عن عائشة إلى أن تقول: "ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي (صلى الله عليه وآله)، فيما بلغنا، حزناً غداً منه هوراكي يتودى من رؤوس شواهد الجبال، فكلماً أوفى بنزوة جبل لكي يلقي منه نفسه تبدى له جبريل، فقال: يا محمد، إنك رسول الله حقاً. فیسكن لذلك جأشه، وتقر نفسه، فوجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غداً لمثل ذلك، فإذا أوفى بنزوة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك" (1).

فهذا الحديث موجود في أصح الكتب عند أهل السنة والجماعة بعد القرآن، وعند مطالعنا للحديث تعجبنا من ذلك وتساءلنا: هل يجوز من رسول الله ذلك الفعل أو تلك التهمة؟ وهل كان رسول الله إنساناً عادياً أو أقل من العادي حتى يقرر الانتحار؟ وهل يليق بنا أن نؤكد ونقر حصول ذلك الأمر على رسول الله؟ ووالله الذي لا إله إلا هو لو أنك اتهمت رجلاً جاهلاً بمحاولة الانتحار لأقام الدنيا عليك؛ لأن فيها وصمة عار أبدية، فكيف يجرؤ المسلمون على توجيه تلك التهمة لرسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ بل إنهم يقررونها ويشددون على صحة حدوثها، ويقول العلماء في شروحات الحديث، أن رسول الله عندما لم

يستطع أن يحمل أعباء الرسالة رُاد الانتحار، ومع أنهم يعلمون علم اليقين حرمة ذلك الفعل وشدة عقابه عند الله تعالى وشدة

تحريره

1 - صحيح البخري 8 : 68.

الصفحة 109

في القآن الكريم، بل إن البخري في صحيحه والذي يروي حصول رادة الانتحار من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، يروي أيضاً حرمة الانتحار الشديدة ويبين أن عقوبة ذلك الفعل الخلود في نار جهنم والعياذ بالله.

فقد روى في صحيحه في كتاب الطب، باب شرب السم، عن أبي هريرة، عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: "من تودى من جبل فقتل نفسه، فهو في نار جهنم يتودى فيه خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تحسى سماً فقتل نفسه، فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً" (1)

فهل كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ينهى عن فعل ويأتي مثله؟ أليس رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو القوة في الاتباع والافتداء؟ ألم يكن مثلاً أعلى في شدة التحمل والصبر والشجاعة؟ ألم يصفه رب العزة جل وعلا بأنه على خلق عظيم؟ ولماذا توجد مثل هذه الروايات أصلاً في كتب المسلمين؟ ولو أن شخصاً في يومنا هذا ألف كتاباً وطعن على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيه طعنة واحدة وبمستوى أقل مما هو موجود في كتاب البخري، لقامت الدنيا على مؤلفه ولم تقعد وسوف يقرّر الناس أن جهات خرجية داعمة لذلك المؤلف، وأنها الحروب على الإسلام وثقافته وعلى المسلمين، فلا يمكن للمسلمين أن يقبلوا ما يمسّ مقام النبي الأكرم ورسولنا الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله)، ولكن السؤال المهم في هذا المقام، لماذا يسكت الناس والعلماء على وجود ما لا يليق بشخص رسول الله في أهم كتبهم بعد القآن، ولماذا يعطون البخري العصمة ويصحّون كلّ ما ورد في كتابه (صحيح البخري)، ولا يمنحون العصمة لرسول الله التي منحها

1 - صحيح البخري 7 : 32.

الصفحة 110

الله تعالى له وأوقها؟. هل أن البخري هو أفضل من رسول الله بحيث إننا نجوز النقصان والعجز وقلة التحمل على رسول الله، ولا نجوز ذلك على شخص مثل البخري؟ ثم من هي تلك الشخصية التي نالت مقاما أسمى من مقام الرسالة ومقولة النبوة؟ ومن كان وراء وجود ذلك الكتاب؟. ومن الذي فرضه على المسلمين وجعله بتلك المقولة السامية الوفيعة؟ هل كان كتاباً أمّلته السلطة الحاكمة في ذلك الوقت، والتي كانت على عداً مباشراً وصريحاً مع رسول الله وأهل بيته المعصومين سلام الله تعالى عليهم جميعاً؟.

وهناك عشرات الأسئلة التي تنبثق عند مطالعة التناقضات في تلك الكتب، والتي توجب البحث والنقضي فيها وفي مضامينها والظروف المحيطة فيها، وأقلها سؤال هام جداً وهو أنه لماذا ترك المسلمون أهل البيت وثقافتهم وعلمهم (عليهم السلام) وتمسكوا بما فوضه عليهم أعداء أهل البيت من السلطة الحاكمة الظالمة؟.

وليس المقام هنا تحليل كامل لما هو موجود في صحاح المسلمين، وإنما أردنا بيان موقعية رسول الله 2 عند من يدعون محبة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ثم يتهمونه بما لا يجوز في حقه ولا يليق بمترلته.

هل يجوز في حق الرسول أن يكون مسحوراً؟

ثم إننا وأنا في كتب الصحاح وعلمنا أساتذتنا أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) سحر، سحره لبيد بن الأعصم اليهودي، وكان ذلك في أواخر عهده من الدنيا، وهذا ما رواه البخاري وغيره من صحاح أهل السنة، فهم يقررون حصول ذلك على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، بل ويستشهدون به دائماً، ويؤسونه للناس كما تعلمناه نحن في المدارس والمساجد.

الصفحة 111

فقد روى البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده، عن عائشة قالت : "سحر النبي (صلى الله عليه وآله)، حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله" (1).

والذي يثير حفيظة المدقق المنصف عند قراءته هذا الحديث والتأكيد على سحر رسول الله من قبل علماء السنة، هو أن حصول السحر جعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) يُخيل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله، وهذا يعني حصول خلل في عملية تبليغ الرسالة أو أي شيء من الوحي، فربما قال رسول الله شيئاً وهو مسحور على أنه وحي من الله تعالى وهو ليس كذلك بل من تأثير السحر عليه، أو ربما قال شيئاً من الوحي وظن من حوله أنه من تأثير السحر.

إن القول بجواز سحر رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو طعن في شخصه (صلى الله عليه وآله)، وطعن في مقام النبوة ومقولة الرسالة، وطعن في عقائد الدين وأحكامه، والقول بجواز وقوع رسول الله (صلى الله عليه وآله) تحت تأثير السحر هو مما لا يجوز شرعاً وعقلاً، ولا يمكن أن يقبل ذلك العقل الصحيح والمنطق السليم.

وعلاوة على ذلك فقد حزم القوان الكريم باستحالة وقوع رسول الله (صلى الله عليه وآله) تحت تأثير السحر، بل إنه اعتبر من يدعى جواز حصوله عند رسول الله من أشد الظالمين، والظلم من أشد المحرمات التي نهى عنها الشروع المقدس، وتوعد الظالم بالعقاب الشديد والعذاب الأليم في الدنيا والآخرة.

قال تعالى في سورة الإسراء : ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ

الْأَرْجَاءُ

1 - صحيح البخاري 4 : 91، وأنظر سنن ابن ماجه 2 : 1173، مسند أحمد 5 : 50، وأخرج حديث السحر عن زيد ابن

رقم أيضاً كما في : سنن النسائي 7 : 113، مسند أحمد 4 : 367.

(1) **مَسْحُورًا** .

فهل بعد هذا البيان المقنع والتفصيل القواني البين الواضح، يجوز للمسلمين أن يكونوا من أشد الظالمين لرسول الله(صلى الله عليه وآله)، وهل يدرك من يقرّر ذلك أنه يستحق غضب الله وسخطه؟. وهل من قرّر لنا صحة الأحاديث خصوصاً التي في صحيح البخاري ومسلم هو أفضل من شخص رسول الله(صلى الله عليه وآله)؟

والذي يتقرّر عندي أن المسلمين ما داموا يظلمون رسول الله(صلى الله عليه وآله) بأشدّ الظلم، وما دام العامة يكونون إلى هذا الظلم فإنهم لن ينالوا عهد الله ونصوه ووجهه، قال تعالى: **{وَلَا تَوَكَّنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ}** (2). وقال تعالى: **{لَا يَبَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}** (3) فما دام الظلم قائماً لرسول الله ومقرراً في مناهج المسلمين وكتبهم ويؤكدّه العلماء فستبقى الأمة تعاني من حال الضياع والضللال، حيث إنّها تركت ما إن تمسكت به، فإنّها لن تضل أبداً، ولجأت إلى تلك المواقف المزيفة واحتكمت إليها، وركنت إلى جهال أخنوا جهالتهم من جهال مثلهم، وركنت الأمة إلى الظالمين واحتكمت إليهم، فصار الحال كما ذكرت الآيات القوانية التي تصف أهوال الظالمين.

وليست هذه المظلمة هي الوحيدة التي ظلم بها أولئك رسول الله(صلى الله عليه وآله)، فهناك العشرات منها مدونة في كتب التلخيص والسير وفي كتب الصحاح والسنن، وسوف أضيف إلى ما ذكرت قسماً آخر منها على سبيل المثال، ولكي نبين أن من سبل الاستبصار التي توفّق المدقق للوصول إلى الحقيقة هي واسة التلخيص ضمن ما ذكرناه من شروط، وها نحن نذكر عدداً من المواقف

1 - الإساءة : 47.

2- هود : 113.

3 - البقرة : 124.

التاريخية، والتي وقفنا عليها قبيل استبصارنا وعند مطالعتنا لتاريخنا الإسلامي، وهي التي كانت من أسباب التوفيق للوصول إلى حقائق الإيمان بفضل من الله تعالى وكرم وتوفيق منه جلّ وعلا.

هل يجوز في حقّ الرسول أن يجهل الوحي؟

وكان من أوّل ما تعلمنا وقرأنا في بداية حياتنا الواسية، وهذا طبعا في بلادنا والتي غاب عنها فكر أهل البيت وثقافتهم، هو كيفية نزول الوحي على رسول الله(صلى الله عليه وآله) في غار حواء، حيث تذكر المصادر السنّية الكيفية التي تعامل الوحي فيها مع رسول الله، ونزول سورة العلق، ثمّ خوف النبي(صلى الله عليه وآله) وهروبه إلى مقول خديجة (1) ثمّ نزول سورة المدثر، وما إلى ذلك من أحداث لا تتناسب مقام النبوة إنّها تسبّء إلى نبي الإسلام أيما إساءة فإنه المعروف بداهة أن من

توكل إليه مهمّة ما من الناس العاديين، فإنّه لا بدّ له من أن يُحيط بماهياتها وظروفها ومواميها، والأهمّ من ذلك معرفة من أوكله بمهمّته تلك، وإلا فلا يتحقّق له تحقيقها فضلاً عن أن يكون أهلاً لها، فكيف برسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي اختاره الله واصطفاه لعلمه وكماله وخصوصية شخصيته غير الاعتيادية، مع العلم أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبحسب ما روته كتب الحديث أنّه كان نبياً وآدم بين الروح والجسد⁽²⁾ وإنّ حواً بمكّة كان يسلمّ عليه (صلى الله عليه وآله) قبل بعثه بالرسالة⁽³⁾، ثمّ خروجه لفترات طويلة إلى غار حراء يتعبّد الله تعالى

1 - صحيح البخاري 1 : 3 - 4 ، 6 : 88 ، صحيح مسلم 1 : 97 - 98 .

2 - أنظر سنن الترمذي 5 : 245 ، المستدرک على الصحيحين 2 : 608 - 609 ، السنّة لابن أبي عاصم : 179 .

3 - أنظر صحيح مسلم 7 : 58 - 59 ، مسند أحمد 5 : 89 ، المصنّف لابن أبي شيبة 7 : 424 .

الصفحة 114

هناك⁽¹⁾ ، فهذه شواهد وكافية لأن يكون على معرفة راسخة بحقيقة أمره، أضف إلى ذلك أنّ الله تعالى إذا اختار عبداً واجتباها واصطفاه، فإنّ من المقطوع به أنّ يحفّه بالرعاية التامة والإحاطة المقترنة بالتمكين وقبول كل ما يمكن أن يوكله الله تعالى به، فهل من الممكن بعد ذلك الطعن في عصمة رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ وهل من الممكن قبول مثل تلك الروايات التي تشكّك بمعرفة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالوحي؟

إنّه حقاً أمر خطير يستدعي من نوي البصيرة النظر والتدقيق وإعادة تراسّة وثائنا وتزليخنا من جديد من خلال ضوابط وشروط يقبلها الشروع والعقل حتّى يستطيع المسلم أن يعبر دربة على بينة، وحتى يصل إلى حقائق الإيمان المغيبيّة، وكان مما استدعى التدقيق والتفكير الرواية التالية من صحيح البخاري ومسلم وغيرهما من كتب أهل السنّة والجماعة، والتي وبعد التدقيق بها لا يمكن أن يقبلها مسلم منصف لما عليها من تحفّظات وماتحويه من تناقضات سنتطرق إليها بعد سرد الرواية.

روى البخاري في صحيحه أنّ عائشة زوج النبي (صلى الله عليه وآله) قالت:

أول ما بدئ به رسول الله (صلى الله عليه وآله) الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثمّ حببّ إليه الخلاء، فكان يلحق بغار حراء، فيتحنّث فيه - قال: والتحنّث التعبد - الليلي نوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله، ويتزوّد لذلك، ثمّ يرجع إلى خديجة، فيتزوّد بمثلها، حتّى فجئه الحقّ وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: إوّأ، فقال رسول

الله (صلى الله عليه وآله): "ما أنا

1 - صحيح البخاري 1 : 3 - 4 ، 6 : 88 ، صحيح مسلم 1 : 97 - 98 ، وأنظر شرح نهج البلاغة 4 : 115 .

الصفحة 115

بقري". قال: "فأخذني فغطّني حتّى بلغ منّي الجهد، ثمّ أرسلني فقال: إوّأ، قلت: ما أنا بقري، فأخذني فغطّني الثانية حتّى

بلغ منِّي الجهد، ثمَّ أرسلني فقال: إوأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثمَّ أرسلني فقال: **{ إوأُ باسم ربك الذي خلق ؟ خلق الإنسان من علق إوأُ وربك الأكرم }** (1) . الأيات .

فوجع بهار رسول الله (صلى الله عليه وآله) رجف بواوهِ، حتَّى دخل على خديجة، فقال: رُموني رُموني " فوملوه حتى ذهب عنه الروع. قال لخديجة: "أي خديجة، ما لي، لقد خشيت على نفسي"، فأخوها الخبر، قالت خديجة: كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعوم، وتقوي الضيف، وتعين على نوائب الحق. فانطلقت به خديجة حتَّى أتت به ورقة بن نوفل، وهو ابن عم خديجة أخي أبيها، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت خديجة: يا عم، اسمع من ابن أخيك، قال ورقة: يا ابن أخي، ماذا ترى؟ فأخوه النبي (صلى الله عليه وآله) خبر ما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أتول على موسى، لييتي فيها جذعا، لييتي أكون حيا،... (2)

وهكذا جعلت هذه الرواية في صحاح المسلمين، رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يروي أنه نبي ولا يعرف الوحي، وأنه كان خائفاً، مع العلم أنها أوتت بأنه كان يتعبد في غار حواء، ومن يستطيع أن يمكث في غار حواء في ذلك الزمان بعيداً عن

1- العلق : 1 - 3.

2 - أنظر الرواية في صحيح البخاري 1 : 3 - 4 ، 6 : 88 ، صحيح مسلم 1 : 97 - 98 .

الصفحة 116

الناس وبعيداً عن أجواء مكة التي كان لا يستأنس بها، بل كان يستأنس بالله في غار حواء، فهل يمكن لهذا الإنسان العظيم أن يخاف وهو مع الله؟.

يقول الله تعالى في سورة النمل: **{ يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون }** (1) .

وهذه الآية تؤكد أن الأنبياء والرسول لا يخافون ما داموا في حضرة الله عز وجل، فلقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حضرة الله عز وجل عندما كان في غار حواء، وعندما تول عليه الأمين جبرئيل (عليه السلام) كان أيضاً في حضرة الله تعالى ولديه، والآية الشريفة واضحة الدلالة بأن المرسلين لا يخافون بين يدي الله تعالى وفي حضوته.

ويقول الله تعالى في سورة القصص: **{ يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الأمنين }** (2) . وهذه الآية أيضاً فيها دلالة على

الأمان وعدم الخوف لأنبياء الله ورسوله، فما بالك بسيد المرسلين وحبیب رب العالمين، وبذلك فإن هذه الروايات تتعرض مع القرآن الكريم تعرضاً واضحاً وتتناقض معه تناقضاً بيناً، وبالتالي لا يمكن أن نقبل بها أو نقر خوف رسول الله من الوحي، أو جهله بأنه رسول، فلا نقبل ذلك ولا نرضى به.

ثم إن هناك قضية أخرى وهي أن الحديث ترويه عائشة وتتحدث عنه وكأنها عاينته، مع أنها لم تترك ذلك الزمان، وربما لم تكن ولدت بعد، فكيف عرفت مجريات تلك الأحداث، ولماذا انفردت بروايتها؟. أسئلة نجيب عليها من خلال البحث.

شخصية رسول الله في القرآن تتناقض مع كتب الحديث:

ثم إنك لو نظرت إلى صحاح أهل السنة والجماعة، وكذلك في كتب السير والمغربي لوجدت أنهم يجعلون من شخص رسول الله (صلى الله عليه وآله) شخصية نون العادية، وهذا ما يتناقض كلياً مع مولته الشريفة ومقامه الرفيع الذي اختاره الله تعالى له، وكذلك يتناقض وبشكل واضح مع الآيات القرآنية التي كشفت عن علو مقامه (صلى الله عليه وآله) في الأخلاق والسلوك والعلم والشجاعة والعدل وما إلى ذلك من مقامات تسمو عن مقامات البشر، بل إنها لا يمكن أن تكون محلاً للمقلنة معها، وهذا واضح جلياً في مئات الآيات القرآنية الكريمة، نذكر معاً بعضاً منها على سبيل المثال.

قال تعالى مخاطباً رسوله الكريم وحتى يبرك الناس جميعهم في كل وقت وحين، قال تعالى في سورة القلم : **{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}** (1) . وهي تشهد بعلو وسمو مقامه الأخلاقي الرفيع، الذي شهد له به كل الناس قبل البعثة عندما كان يلقب بالصادق الأمين، وبعد البعثة عندما سُئلت عائشة عن خلقه (صلى الله عليه وآله) فقالت: "كان خلقه القرآن" (2) .

وقال تعالى في سورة الفتح : **{ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ؟ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَزَّوهُ وَتَتَّقُوهُ وَتَسُبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا }** (3) . وهنا الأمر الإلهي بتعظيمه (صلى الله عليه وآله) وتقواه من قبل كل المسلمين، حتى تبقى متولة النبوّة ومقام الوسالة حاضراً أمامهم، وحتى يتذكروا على النوام أنه يعلو عليهم ويسمو عنهم فلا يقاس به أحد.

وقال تعالى في سورة التوبة : **{ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ }** (1) أي أرسله بالهداية والقيم العالية الرفيعة والأخلاق الحميدة ودعوة الناس كافة لها ولتطبيقها ورعايتها، فلا يمكن له (صلى الله عليه وآله) أن يدعو إلى شيء خرجاً عن إطار الهداية التي فيها رضا الله تعالى، ولا يمكن أن يدعو إلى ما يتناقض معها، ولا يجوز للمسلم المنصف أن يقبل ما يناقض تلك الأوصاف النبوية التي أعلنها الله تعالى في كتابه المجيد.

وقال تعالى في سورة الأنبياء : **{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }** (2) .

وقال تعالى مُقسماً بعمر النبي وحياته في سورة الحجر : **{ لَعَنَّاكَ إِنَّمَا لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ }** (3) ثم أقسم به في سورة (4)

يس حيث قال: **{يس؟ وَالْوَأْنِ الْحَكِيمِ}** ومعنى لعمرك : أي وحياتك يا محمد، وهذا مقام عظيم وتشريف كبير ودليل على

أنه (صلى الله عليه وآله) أكرم البرية عند الله تعالى.

وقال تعالى في سورة آل عمران: **{ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }**

(5)

انظر كيف ربط الله سبحانه وتعالى محبته باتِّباع سيدِّ الخلق محمد (صلى الله عليه وآله)، وهذا تأكيد صريح على عصمته

وعلى أنه سبب للهداية ومغفرة الذنوب، كيف لا وهو الرحمة المهداة للعالمين.

1- التوبة : 33.

2- الأنبياء : 107.

3- الحجر : 72.

4- يس : 1 - 2.

5- الأخاب : 56.

الصفحة 119

ويكفيك للتدليل على عظمته (صلى الله عليه وآله)، الأمر الإلهي في الوآن العظيم بالصلاة عليه وعلى أهل بيته وهو قوله

تعالى في سورة الأخاب : **{ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا }** (1).

وقال تعالى في الأخاب: **{ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ النَّبِيِّ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا }** (2). وهذه الآية الشريفة التي

دائماً نستشهد بها على طهارة أهل الكساء وعصمتهم، أستشهد بها في هذا المقام على طهارة وعصمة سيدِّ الخلق أجمعين، فهو

المعصوم قبل البعثة وبعدها، وهو الأول في كلِّ خير، وهو الطاهر المطهر الذي يبين أمر الله تعالى، وهو أول من يطبِّقه، وهو

الذي يبين المحظورات الشرعية وهو أول من يجتنبها، وهو الذي لا يمكن أن يسهو عن أيِّ جزء من مهامه الرسالية، ولا يمكن

أن يأمر بالشيء ويتركه أو ينهى عن شيء ويأْتيه، ولا يمكن له أن يتناقض أو يختلف في مواقفه وكلِّ أهله وأفعاله، ولا يمكن

أن يجور المسلمون عليه أي فعل يخل بالأدب، سواء كان على المسقوى الأخلاقي أم الاجتماعي أم الاقتصادي أم العسكري أم

غورها ممَّا يخطر على بالك من مستويات، فقد كان (صلى الله عليه وآله) مثال الإنسان الكامل في كلِّ نواحي الإنسانية، وهذا

مانتقزه الآيات الوآنية وهو مايقوره العقل السليم.

ولكنَّ السؤال المهم هنا هو : هل هذا هو الحال والوصف لرسول الله (صلى الله عليه وآله) في صحاح ومسانيد أهل السنة

والجماعة؟.

إنَّ الجواب على هذا السؤال يستطيع كلُّ مسلم مخلص النية صادق التوجه أن يتوصل إليه من خلال نظرة سطحية ومبسطة

في كتاب صحيح البخاري مثلاً، ولن يصدق ما سوى من تعبير واضح عن شخصية رسول الله (صلى الله عليه وآله)

عندهم، وكيفية معاملة الصحابة له، وكيفية إصاق التهم التي لا تليق بشخصه الكريم، وهذا ما سأبيّنه بعد قليل، ولقد نونت في كتابي سبيل المستبصرين العديد من الروايات الموجودة في أصحّ الكتب عندهم، ولا مانع هنا أن نذكر ببعضها أو أن نضيف شيئاً جديداً عليها.

فقد تقدّم معنا كيف جعلوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) يريد أن ينتحر مع أنه يعرف حرمة ذلك الفعل، وجعلوه مسحراً، وجعلوه لا يعرف الوحي، وجعلوه يتوقّى من غير أن يجمع كتاب الله تعالى، وجعلوه يسهو في صلاته، وجعلوه يُصلّى وهو جنب، وجعلوه لا يهتمّ بنسائه، وجعلوا منه شخصاً شهوانياً، وجعلوه لا يهتمّ بالقآن ويسهو عن حفظ آياته، وجعلوه يشرب النبيذ، وجعلوه لا يهتمّ بجيشه وتموينهم الغذائي والعسكري، وجعلوه يطوف بالبيت وهو عريان، وجعلوه يسجد للأصنام، وجعلوه يقرب الغني ويبعد الفقير، وجعلوه لا يصبر عن نسائه حتى في فرة الحيض، وجعلوه لا يهتم بستر نسائه، وجعلوه يبول على مرأى من الناس ولا يستر عورته أمامهم، وجعلوه يجتهد ويخطئ، وأدعوا بأنه توفي ولم يوص لعلي بن أبي طالب بعد وفاته، وأحرقوا حديثه الشريف بعد وفاته ومنعوا من تنوين سنته، وظلموا وأنوا أهل بيته أثناء حياته وبعدها، بل إنهم تعرّضوا لأذنيته شخصياً وحاولوا عدة مرّات قتله، ثم بعد عدة قرون وعندما جمعوا أحاديثه قبلوا فيها المتناقضات، فبينما تجد حديثاً يأمر بأمر ما، تجد في نفس الصفحة ما يخالفه، واعتبروا كلّ المتناقضات أنّها منه وهو منها واء، ثم بعد ذلك تركوا قوله وفعله وتقرّره واتّبعا غره في عشرات المسائل، ولا زالوا يعتبرون أولئك الأشخاص فوق النبي وأولى منه بالاتباع والافتداء، وتركوا متابعة أهل البيت الذين أمرنا الله تعالى باتّباعهم حتى لا نضلّ عن الصراط المستقيم.



أخي المؤمن الكريم، إنني أتحدث معك كمؤمن مستبصر، قد نورّ الله بصيرته بحقائق الإيمان وأسأله الثبات عليها، وأن يجعلنا من المؤمنين المستوّين في إيمانهم وعقيدتهم، ولتعلم أخي الكريم أنني لا أبالغ في كل ما ذكرت لك، بل إنك لو قوّت التاريخ بصدق وإخلاص وتوجّه صحيح إلى الله تعالى، فإنني واثق أنك سوف تصبح من المستبصرين للضوابط المستقيم، فالله تعالى لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

وإليك بعضاً من الأحاديث المذكورة في صحاح أهل السنة والجماعة تشهد بصحة ما ذكرت لك من أن شخصية رسولنا الكريم محمد (صلى الله عليه وآله) جعلوها عندهم وبالأوصاف التي أقرّوها تتناقض مع الشخصية الحقيقية التي بينها القرآن الكريم، والتي بيّنتها الأحاديث الواردة من طرق أهل البيت (عليهم السلام).

هل يجوز في حقّ الرسول أن ينسى كتاب الله تعالى؟

يقول الله تعالى في سورة الأعلى: **{ سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى }** (1) . هكذا وصف القرآن الكريم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأنه لا ينسى، وهذا ضمان من الله تعالى الذي قال: **{ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَحْنُ أَلْبَمُونَ }** (2) . من أجل توير شخصية رسول الله (صلى الله عليه وآله) التي أرادها الله تعالى وقرّرها العقل السليم والمنطق الوفيق، وقد أكّدت الأحاديث المتضافرة هذه الإرادة الإلهية بأن لا ينسى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنها كانت منذ بعثته (صلى الله عليه وآله) بالرسالة ويوم نزول سورة العلق.

فقد أورد السيوطي في الدر المنثور، المجلّد الثامن سورة العلق في حديث طويل عن عائشة عندما تول عليه الأمين جويثيل في الغار، من جملته أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال وهو يتحدث حتى جرى له مع جويثيل ثم قال لي:

1- الأعلى : 6.

2- الحجر : 9.

{ أَوْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ } إلى قوله: **{ مَا لَمْ يَعْلَمْ }** (1) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): فما نسيت شيئاً بعده (2) .

ولكن نظرة بعض الصحابة وكذلك أصحاب الصحاح والمسانيد ومن تبعهم وأيدهم من المسلمين هي الاختلاف مع هذا التعريف لشخصية رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وقالوا للقرآن الكريم: أنت تقرّ أن الرسول لا ينسى، ولكننا لا نوافقك، ونقرّ أنه ينسى ونثبته في قلوب العوام. وهذا هو الواقع اليوم الذي لا يقبل النقاش عند المسلمين من أهل السنة والجماعة.

فقد روى البخاري في صحيحه في كتاب الشهادات، باب شهادة الأعمى، عن عائشة قالت: "سمع النبي (صلى الله عليه وآله) رجلاً يقرأ في المسجد، فقال: رحمه الله، لقد أذكرني كذا وكذا آية، أسقطتهن من سورة كذا وكذا" (3) . ورواه البخاري في صحيحه أيضاً في كتاب فضائل القرآن باب نسيان القرآن (4) . وأيضاً في كتاب فضائل القرآن باب من لم ير بأساً أن يقول

سورة البقرة⁽⁵⁾ . ورواه أيضا في كتاب الدعوات باب قوله تعالى (وصلّ عليهم)⁽⁶⁾ . ورواه أيضا مسلم⁽⁷⁾ وغورهما من كتب الرواية والحديث⁽⁸⁾ .

وكما روى أخي الكريم فإنّ القوّان الكريم يقرّر رادة الله تعالى في شيء ما، ويأتي البخري وغوره ليناقض ذلك، ويلقى

كلامه القبول والتطبيق من

1- العلق : 1 - 5.

2- الدر المنثور 6 : 369 ، وغواه إلى ابن مردويه.

3 - صحيح البخري 3 : 152.

4- المصدر نفسه 6 : 110.

5- المصدر نفسه 6 : 111.

6- المصدر نفسه 7 : 152 - 153.

7- صحيح مسلم 2 : 190.

8 - أنظر مثلاً : السنن الكرى للنسائي 5 : 10 ، السنن الكرى للبيهقي 3 : 12.

الصفحة 123

أغلب المسلمين. والأغرب من ذلك أنّ البخري ومسلم وغورهما من أصحاب الصحاح يقرّون أنّ عدداً من الصحابة كان لا ينسى شيئاً مما حفظه، ويلقى هذا الرأي القبول الواسع عند جمهور العامة من المسلمين.

فقد روى البخري في صحيحه في كتاب العلم باب حفظ العلم عن أبي هريرة قال: قلت: يا رسول الله، إني أسمع منك حديثاً

كثوفاً أنساه؟ قال: "أبسط رداءك"، فبسطته، قال: فغوف بيديه، ثم قال: "ضمه" فضمته، فما نسيت شيئاً بعده⁽¹⁾ . ورواه

البخري أيضاً في كتاب المناقب باب سؤال المشركين أنّ يريهم النبي(صلى الله عليه وآله) آية⁽²⁾ .

وروى البخري في صحيحه في كتاب البوع أنّ أبا هريرة رضي الله عنه قال:

إنكم تقولون: إنّ أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وتقولون: ما بال المهاجرين والأنصار لا

يحدثون عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) بمثل حديث أبي هريرة، وإنّ إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم صفق بالأسواق،

وكنت أؤم رسول الله(صلى الله عليه وآله) على ملء بطني، فأشهد إذا غابوا، وأحفظ إذا نساء، وكان يشغل إخوتي من

الأنصار عمل أموالهم، وكنت امرأ مسكينا من مساكين الصفة، أعي حين ينسون، وقد قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) في

حديث يحدثه: "إنّه لن يبسط أحد ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه، ثم يجمع إليه ثوبه، إلا وعى ما أقول"، فبسطت ثوبه علي، حتى

إذا قضى رسول الله(صلى الله عليه وآله) مقالته جمعتها إلى صوي، فما نسيت من مقالة رسول الله(صلى الله عليه وآله) تلك

(3)

من شيء .

1 - صحيح البخاري 1 : 38.

2- المصدر نفسه 4 : 188.

3 - صحيح البخاري : 8 : 158.

الصفحة 124

يا سبحان الله! أوهوة لا ينسى ويحفظ كل شيء ويقرّر ذلك العلماء ويفتخرون واوية الإسلام ويقفون أمام ظاهرة حفظه موقف المقرّ المعترف بقوة أبي هوية، بينما رسول الله ينسى آيات القرآن⁽¹⁾ وينسى عدد ركعات الصلاة⁽²⁾ وينسى أنه جنب⁽³⁾ وينسى أمر الجيش وحاجته للماء وغير ذلك من أمور النسيان والسهو والإهمال التي يقرّونها ويسلمون لها. والغريب أنهم يعتقدون أنّ ظاهرة الحفظ وعدم النسيان عند أبي هوية كانت بفعل رسول الله الذي وضع تلك الخاصية عند أبي هوية كما في الروايات، ولكنهم يعتقدون بسهو ونسيان من أعطى تلك الخاصية، فهل من عنده القوة على جعل مثل أبي هوية لا ينسى ويمنحه القوة على الحفظ لا يستطيع أن يمنحها لنفسه؟.

وكما أذكر دائماً وأكرر أنّ كل تلك العيوب والنقائص التي يضيفونها ويلصقونها بشخص رسول الله (صلى الله عليه وآله) كانت من أجل جعله شخصاً عادياً وكذلك من أجل توير أفعال كانت تحصل من بعض الصحابة، فحتى يبررونها ويحافظون على قدسيّة تلك الشخصيات المصطنعة يلصقون التهم بالنبيّ المعصوم رسول ربّ العالمين سيد الخلق أجمعين. ففي موضوع نسيان القرآن الكريم، ذكر في الأحاديث أنّ عمر بن الخطاب كان يقرّ على نفسه بأنه كان ينسى الكثير من سور القرآن الكريم وآياته، ومعروف أنّه أمضى أكثر من عشر سنوات وهو يحاول حفظ سورة

1- أنظر المصدر نفسه 3 : 152، 6 : 110، صحيح مسلم 2 : 1902.

2- أنظر المصدر نفسه 1 : 123 - 124، 2 : 66.

3- أنظر المصدر نفسه 1 : 72 - 73.

الصفحة 125

البوة⁽¹⁾، وكان كثراً ما يوتج عليه في الصلاة وهو يؤمّ المسلمين ولا يستطيع إكمال الآيات⁽²⁾، وكذلك أقرّ غيره من الصحابة ومنهم عائشة بسقوط عدد من الآيات والسور⁽³⁾ ولقد ذكرت عدّة أحاديث تتعلق بذلك في بحث سابق من هذا الكتاب، ولكنّها كانت هناك في معوض تساؤلات من المستبصر أثناء رحلة اكتشاف الإيمان، ولكنّي أكررها هنا من أجل شاهد آخر وهو إثبات أنّ اتّهام رسول الله (صلى الله عليه وآله) بنسيان القرآن كان تويراً لمن أقرّوا بأنه سقط من القرآن آيات كثيرة، وحتى يبرروا عدم مراعاتهم لذلك، ألصقوا التهمة برسول الله ليبينوا الأمر طبيعياً وغير مستنكر، ثم لإظهار شخصية رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأنّها شخصيّة عادية لا تختلف عن أحد.

فقد روى السيوطي في الدر المنثور قال : أخرج عبد الرزاق وأحمد وابن حبان عن عمر بن الخطاب قال: إن الله بعث محمداً بالحق وأتول معه الكتاب، فكان فيما أتول عليه آية الرجم فجم ورجمنا بعده، ثم قال: قد كنا نقولاً ولا نغفوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن نغفوا عن آبائكم"

وروى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج الطيالسي وأبو عبيد والطواني عن عمر ابن الخطاب قال: كنا نقولاً فيما نقولاً: "لا نغفوا عن آبائكم فإنه كفر بكم، ثم قال يزيد ابن ثابت: كذلك يا زيد؟ قال: نعم"⁽⁴⁾ .
وروى السيوطي في الدر المنثور، قال : أخرج ابن عبد البر في التمهيد من طريق عدي بن عدي بن عمير بن قروة عن أبيه عن جدّه عمير بن قروة، أن

- 1- أنظر الدر المنثور 1 / 21 ، وغواه إلى الخطيب في رواة مالك والبيهقي في شعب الإيمان.
- 2- أنظر نسيانه في الصلاة : الطبقات الكوى 3 : 286، كنز العمال 8 : 294.
- 3- سيأتي بعد قليل.
- 4- الدر المنثور 1 : 106.

الصفحة 126

عمر بن الخطاب قال لأبي: "أوليس كنا نقولاً فيما نقولاً من كتاب الله: إن انتفاءكم من آبائكم كفر بكم؟ فقال: بلى. ثم قال: أوليس كنا نقولاً: الولد للوفاش وللعاشر الحجر فيما فقدنا من كتاب الله؟ فقال أبي: بلى"⁽¹⁾ .
وروى السيوطي في الدر المنثور قال وأخرج أبو عبيد وابن الضوييس وابن الأنبلي عن المسور بن مخزومة قال: قال عمر لعبد الرحمن بن عوف: ألم تجد فيما أتول علينا: إن جاهوا كما جاهدتم أول مرة. فإننا لا نجدها؟ قال: أسقطت فيما أسقطت من القرآن"⁽²⁾ .

وروى السيوطي أيضاً قال أخرج أبو عبيد وابن الضوييس وابن الأنبلي في المصاحف عن ابن عمر قال: لا يقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله، ما يدره ما كله؟ قد ذهب منه قرآن كثير، ولكن ليقول: قد أخذت ما ظهر منه"⁽³⁾ .

وروى السيوطي في الدر المنثور قال: أخرج مالك وعبد الرزاق عن عائشة قالت: كان فيما أتول من القرآن عشر رضعات معلومات، فنسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهنّ فيما يقولاً من القرآن"⁽⁴⁾ .

وأخرج عبد الرزاق عن عائشة قالت: "لقد كانت في كتاب الله عشر رضعات ثم ردّ ذلك إلى خمس، ولكن من كتاب الله ما قبض مع النبي (صلى الله عليه وآله)"⁽⁵⁾ .

وأخرج ابن ماجه وابن الضوييس عن عائشة قالت: "كان ممّا أتول من القرآن

2- المصدر نفسه 1 : 106.

3- المصدر نفسه 1 : 106.

4- الدر المنثور 2 : 35.

5- الدر المنثور 2 : 35.

الصفحة 127

ثم سقط، لا يحرم إلا عشر رضعات أو خمس معلومات" (1).

وأخرج ابن ماجه عن عائشة قالت: لقد تولت آية الرجم ورضاعة الكبير عشراً، ولقد كان في صحيفة تحت سوري، فلما مات رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتشاغلنا بموته دخل داجن فأكلها" (2).

وأخرج البخاري في صحيحه في كتاب المحلبيين من أهل الكفر والوادة، باب رجم الحبلى في الزنا، وفي كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة ومسلم في صحيحه ومالك في الموطأ وابن الضريس عن ابن عباس أن عمر قام، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "أما بعد أيها الناس إن الله بعث محمداً بالحق، وأقول عليه الكتاب، فكان فيما أوتى عليه آية الرجم، فوأنها ووعيناها (الشيخ والشيخة إذا زنيا فلجموهما البتة) ورجم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ورجمنا بعده، فأخشى أن يطول بالناس زمان، فيقول قائل: لا نجد آية الرجم في كتاب الله! فيضلوا بترك فريضة أوتىها الله" (3).

هل يجوز في حق الرسول أن ينسى في صلاته؟

لقد تعلمنا منذ صغرنا أنّ قضية عصمة النبي (صلى الله عليه وآله) قضية مختلفة فيها بين علماء أهل السنة والجماعة، فمنهم من قال: إنّ النبي غير معصوم، ومنهم من قال إنه معصوم في التبليغ وأمور الشريعة فقط. ولكن الذين يقولون إنه معصوم في أمور الشريعة وتبليغها وبأمر الوحي عموماً، جعلوه كما مر معنا

1- سنن ابن ماجه 1 : 625.

2- سنن ابن ماجه 1 : 626 ، وأورده السيوطي في الدر المنثور 2 : 135.

3 - أنظر ذلك في صحيح البخاري 8 : 26، 152، صحيح مسلم 5 : 116، الموطأ 2 : 824، الدر المنثور 5 : 179 -

180 ، وغواه السيوطي مضافاً لما تقدّم لابن الضريس أيضاً، واللفظ المنقول من الدر المنثور.

الصفحة 128

ينسى آيات القرآن الكريم ويسقطها وهذا طعن في عصمته من قبلهم حتى في التشريع، مما يدل على أنهم لا يعتبرون له عصمة أبداً، وهنا قضية أخرى خالفوا فيها القرآن الكريم، وخالفوا كل الآيات التي تدل على عصمته (صلى الله عليه وآله) في التشريع وغوه، ويذكرون حديثاً عن أبي هريرة يدعي فيه أن الرسول (صلى الله عليه وآله) قد نسي في صلاته.

فقد روى البخاري في صحيحه في كتاب الجماعة والإمامة، باب هل يأخذ الإمام إذا شك بقول الناس، عن أبي هريرة: "أنّ

رسول الله (صلى الله عليه وآله) انصوف من اثنتين، فقال له ذو اليمين: أقصوت الصلاة أم نسيت يا رسول الله؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): "أصدق ذو اليمين". فقال الناس: نعم، فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فصلى اثنتين أخريين، ثم سلم، ثم كبر، فسجد مثل سجوده أو أطول⁽¹⁾."

وروى مسلم في صحيحه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب السهو في الصلاة والسجود له عن أبي هريرة قال: "صلى بنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) إحدى صلاتي العشي، إما الظهر وإما العصر، فسلم في ركعتين، ثم أتى جذعا في قبلة المسجد فاستند إليها مغضباً، وفي القوم أبو بكر وعمر، فهابا أن يتكلما، وخرج سوعان الناس قصوت الصلاة. فقام ذو اليمين فقال: يا رسول الله! أقصوت الصلاة أم نسيت؟ فنظر النبي (صلى الله عليه وآله) يمينا وشمالا. فقال "ما يقول ذو اليمين؟ قالوا: صدق، لم تصل إلا ركعتين. فصلى ركعتين وسلم. ثم كبر ثم سجد. ثم كبر ورفع. ثم كبر ورفع"⁽²⁾.

فهذه الروايات تخالف واقع الرسول (صلى الله عليه وآله) في الوان الكريم، وتخالف مبدأ العصمة وتتناقض معه، وهي روايات يجب أن تود ولأسباب التي ذكرت.

1 - صحيح البخاري 1 : 175، 2 : 66، وأنظر مسند أحمد 2 : 423، سنن الترمذي 1 : 247.

2- صحيح مسلم 2 : 86، وأنظر سنن النسائي 1 : 202.

الصفحة 129

أضف إليها أن روي الحديث وهو أبو هريرة يحدث كما في رواية مسلم عن أمر شاهده وعاصوه بحيث يصف الحادثة وصفاً دقيقاً، وساعة حصولها ومكانها والأشخاص الذين تواجوا خلالها، ثم يصف كيفية جلوس رسول الله بعد الصلاة، ووصف حال رسول الله بعد الصلاة أنه كان مغضباً، وحتى يكون منصفاً ولا ينقول شيئاً ربما لا يكون دقيقاً، فإنه يقول إحدى صلوات العشي إما الظهر أو العصر، وهكذا استمر في سرد القصة على المسلمين وهي تشكل في أذهانهم شخصية الرسول بالصورة التي تخالف الوان الكريم، وهي شخصية الرسول الذي ينسى ولا يورى كم صلى وشخصية المتجبر المتكبر الذي يخشى منه الناس، حتى أن أبا بكر وعمر لم يجرأ على مناقشة الرسول في الموضوع خوفاً منه، ثم تظر الرسول الذي كان مغضباً عابساً في وجوه القوم الذين لا ذنب لهم فيما حصل، هكذا رسم أبو هريرة شخصية رسول الله (صلى الله عليه وآله) من نسج خياله، وكما أراد معاوية. حتى أخذت هذه القصة مأخذها في تحديد معالم كثرة في الشريعة كلها بنيت عليها، ولا زال المتلقون لها بالقبول والتسليم يجعلونها حكماً أساسياً في بناء العديد من العقائد والأحكام.

فقد استنبط أهل السنة والجماعة منها : أنه يجوز في حق الرسول أن يكون مجتهداً - وأن المجتهد يخطئ ويصيب - وأن الرسول يسهو وينسى، كما استنبطوا منها أحكام السهو في الصلاة التي لا زال يعمل بها أهل السنة والجماعة وفق ما رسمه أبو هريرة، وعلى ما يبدو أن الفقيه كانت لتوقيع خلل ما في صلوات خليفته معاوية أو بعض الحكام في ذلك الوقت من أجل أن يكون السهو في الصلاة أمراً طبيعياً على الخليفة، فلقد كان رسول الله يسهو وينسى.

ومن أهمّ الملاحظات التي تثبت كذب الرواية ووضعها وتناقضها مع حقيقة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وتناقضها مع الآيات الدالة على عصمة رسول الله

الصفحة 130

وكماله، وأنّ هذه القصة بومتها مفتراة على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما يلي:

أنّ ذا اليبدين ذلك الصحابي الذي قام وأخبر النبيّ أنه صلى ركعتين هو أحد الصحابة الذين استشهدوا في معركة بدر في السنة الثانية من الهجرة، بينما كان إسلام أبي هرة بعد السنة السابعة من الهجرة النبويّة، وبناء على ذلك، فإنّ أبا هرة لم يشهد الحادثة.

ولا يقال: إنّ أبا هرة قد سمعها ونقلها، لا يقال ذلك؛ لأنّ كلّ المتون التي وردت كانت بصيغة تدلّ على أنه قد حضوها، كقوله صلى بنا رسول الله، أو صلينا مع رسول الله، ثمّ وصفه الحادثة وصف المشاهد يردّ قول المدافعين عن الرواية. ثمّ إنّ هناك وصف متعدّد لفعل رسول الله بعد السهو حسب ما تدعيّ المتون المختلفة للرواية، فمن الروايات ما تقول إنه سجد، ومنها ما ينفي ذلك، ومنها ما تشير أنّ النبيّ سجد سجدي السهو وتشهدّ وسلم، ومنها ما تنفي ذلك، مع العلم أنّ الروي واحد، والقصة واحدة، فلماذا الاختلاف.

ثمّ إنّ الحادثة حصلت في المسجد وفي صلاة الجماعة، أي أنه كان هناك عشوات المصلينّ متواجدين في المسجد أثناء الحادثة فلماذا لم يرويها إلاّ واحد وهو أبو هرة.

فهذه ملاحظات يستطيع أيّ باحث منصف عند مراجعته للروايات الحديثيّة أو التاريخيّة أن يصل إلى نتيجة واضحة بينة على أنّ المقصود الأساسيّ من هكذا روايات هو الطعن في شخص الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وإيجاد التناقض بين الشخصية الوبانية التي أوجبها الله تعالى في القرآن الكريم.

ولكنّ السؤال لماذا: قاموا بهذا الفعل؟ ولمصلحة من؟ ولأجل من؟ وماهي الأسباب التي دعت إلى ذلك؟

الصفحة 131

والجواب هو العودة إلى نواصة المواقف التاريخيّة بشكل منصف، بعد أن نجعل من القرآن الكريم والسنة الصحيحة الثابتة عن أمّة أهل البيت (عليهم السلام) وهم من أمر الله تعالى بطاعتهم والأخذ عنهم وهم الضمان الأكيد للهداية وسلوك الصراط المستقيم، الموجه والحكم في تقييم الأحداث، والمحور الذي على أساسه نميّز الصحيح من السقيم، والمنبع الذي نستقي منه عقيدتنا السليمة وشريعتنا الوفاء.

تهم أخى لرسول الله لصنع فضائل للصحابة:

روى البخاري في صحيحه في كتاب التيمم باب الصعيد الطيب، عن عمران قال:

"كنا في سفر مع النبي (صلى الله عليه وآله)، وأنا أسرينا، حتى كنا في آخر الليل، وقعنا وقعة، ولا وقعة أحلى عند المسافر منها، فما أيقظنا إلاّ حرّ الشمس، وكان أول من استيقظ فلان ثمّ فلان ثمّ فلان - يسميهم أبورجاء فنسى عوف - ثمّ عمر ابن

الخطاب الرابع، وكان النبي (صلى الله عليه وآله) إذا نام لم يوقظ حتى يكون هو يستيقظ، لأننا لا نروي ما يحدث له في نومه، فلما استيقظ عمر ورأى ما أصاب الناس، وكان رجلاً جليداً، فكبر ورفع صوته بالتكبير، فما زال يكبر ويرفع صوته بالتكبير، حتى استيقظ بصوته النبي (صلى الله عليه وآله)، فلما استيقظ شكوا إليه الذي أصابهم، قال: "لا ضير أو لا يضير، رتلوا". فرتل، فسار غير بعيد، ثم قول فدعا بالوضوء، فتوضأ، ونودي بالصلاة فصلى بالناس" (1). ورواه مسلم في صحيحه (2) وغوهما كثير .

1 - صحيح البخاري 1 : 88 - 89.

2- أنظر صحيح مسلم 2 : 141 - 142، مسند أحمد 4 : 434، صحيح ابن حبان 4 : 120.

الصفحة 132

والملاحظ في هذه الروايات كثرة تناقضها الواضح، فبعد اتهام رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالنوم والسهو عن الصلاة، فإننا نلاحظ قضية هامة ملفتة للنظر، وهي أنه ومن خلال الطعن على شخص رسول الله واتهامه بالتقصير والنسيان واللامبالاة والنوم والسحر وغوها مما ذكرنا وسنذكر، نجد أن التهمة والمنقصة بعد إظهارها في الرواية تتحول إلى فضيلة لشخص آخر أو أشخاص آخرين غير رسول الله حتى أنهم يظهرونهم بمظهر الأبطال والمنقذين ولذلك يظهر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأنه شخصاً عادياً بل تبين هذه الروايات وأمثالها أن هناك من هو أفضل من النبي وأجلد منه وأحرص منه على دين الله وشريعته، فبالتالي يفقد رسول الله عصمته ومقامه، ويمنح الفضل لأشخاص آخرين، وهذا هو المقصود الرئيسي من هذه الروايات وأمثالها عند أهل السنة والجماعة.

وتعليقاً على الرواية السابقة، والتي تتناقض مع بعضها، وتتناقض مع حقيقة رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول ابن حجر العسقلاني في فتح الباري شوح صحيح البخاري:

وقد اختلف العلماء، هل كان ذلك مرة أو أكثر، أعني نومهم عن صلاة الصبح، فجزم الأصيلي بأن القصة واحدة، وتعقبه القاضي عياض بأن قصة أبي قتادة مغايرة لقصة عمران بن حصين، وهو كما قال، فإن قصة أبي قتادة فيها أن أباً بكر وعمر لم يكونا مع النبي (صلى الله عليه وآله) لما نام، وقصة عمران فيها أنهما كانا معه كما سنبينه، وأيضاً فقصة عمران فيها أن أول من استيقظ أبو بكر ولم يستيقظ النبي (صلى الله عليه وآله) حتى أيقظه عمر بالتكبير، وقصة أبي قتادة فيها أن أول من استيقظ النبي (صلى الله عليه وآله)، وفي القصتين غير ذلك من وجه المغايرات (1).

وعلى ما يبدو وكما ذكرنا، فإن كل تلك المتناقضات والطعون على

1 - فتح الباري شوح صحيح البخاري 1 : 379.

الصفحة 133

رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ما وضعت إلا لاصطناع فضائل لشخصيات معيَّته، أو تتورا لأفعال مشينة قد فعلها بعض أولئك، فحتى تكون الأمور طبيعية استشهدوا بحصولها مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) - وحاشاه من ذلك - فتظهر أفعالهم مميزة ولا تعتبر في حقهم منقصة، بل إنها تتحول إلى فضائل لهم، فكما ترى، فإن مصنف الحديث كانوا يصنفونها في كتبهم تحت كتاب فضائل الصحابة، وسوف ترى في البحث كيف أن جنابة أبي هرة صلت أماً طبيعياً بعد الاستشهاد بحادثة حصلت مع رسول الله على شاكلتها، وكذلك بقية القضايا كالسهو عن الصلاة وعدم الاهتمام بها.

واليك حادثة أخرى سهى فيها بعض الصحابة عن صلاتهم، فحتى يكون السهو طبيعياً ومبرراً أضافوا السهو إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فقد روى البخاري في صحيحه في كتاب مواقيت الصلاة، باب من صلى بالناس جماعة بعد ذهاب الوقت، عن جابر بن عبد الله: "أن عمر بن الخطاب جاء يوم الخندق بعدما غربت الشمس، فجعل يسبّ كفار قريش، قال: يا رسول الله، ما كدت أصلي العصر، حتى كادت الشمس تغرب، قال النبي (صلى الله عليه وآله): "والله ما صليتها". فقمنا إلى بطحان، فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها، فصلّى العصر بعدما غربت الشمس، ثم صلى بعدها المغرب". ورواه البخاري في صحيحه في أكثر من موضع في كتاب الأذان باب قول الرجل ما صلينا، وفي أبواب صلاة الخوف وفي كتاب المغلبي باب غزوة الخندق، ورواه مسلم وغوهما كثير (1).

يقول النووي في شوح صحيح مسلم: "وإنما حلف النبي (صلى الله عليه وآله) تطيباً لقلب

1 - أنظر صحيح البخاري 1 : 147، 157، 227، 5 : 49، صحيح مسلم 2 : 113، سنن النسائي 3 : 84 - 85، سنن الترمذي 1 : 116.

الصفحة 134

عمر فإنه شقّ عليه تأخير العصر إلى قريب من المغرب، فأخوه النبي (صلى الله عليه وآله) أنه لم يصلها بعد، ليكون لعمرك به أسوة، ولا يشقّ عليه ما جرى وتطيب نفسه، وأكد ذلك الخبر باليمين (1).

لاحظوا في الشروحات، فإنها تكون دائماً لتبرير فعل الصحابي ثم استتباط الأحكام بناء على ذلك التبرير، ولا يلفت النظر نهائياً إلى شخص رسول الله وعصمته وأدبه وخلقه، بل تتجه إلى اصطناع فضائل وتبرير مواقف فعلها الصحابة حتى ولو خالفت القرآن الكريم وكلام رب العالمين الذي يقول: **{ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا }** (2).

وقد ذكر في كتب التلخيص والحديث أن أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) كان لا يدع صلاته حتى في أشد المواقف، وقد ذكرت صلاته في معركة صفين عندما كانت تنهال عليه النبال من كل صوب وهو مستمر في صلاته (3)، فهذا تلميذ رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فكيف برسول الله الذي علم أمير المؤمنين (عليه السلام) كيف يكون الرجل رجلاً في المواقف الصعبة وكيف كانوا كلما اشتدت الأمور كانوا يردون قرباً من الله تعالى.

هل يجوز في حقّ الرسول أن ينسى الطهارة من الحدث؟

بالإضافة إلى ما ذكرنا من إدخال التناقضات والنقص والسهو على شخص الرسول الكريم في الصحاح والمسانيد وفي

الروايات التاريخية عند أهل السنة والجماعة وهو ما بيناه ومن خلال أصح الكتب عندهم، فإنني أضيف هنا

1 - شوح صحيح مسلم للنووي 5 : 131.

2- النساء : 103.

3 - أنظر صلاته في ليلة الهوير في شوح نهج البلاغة 1 : 27 . وأنظر صلاته في معوكة صفيين في رشاد القلوب 2 /

.22

الصفحة 135

قضية أخرى طعنوا فيها على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أكدتها الروايات وأقربها العلماء وتلقاها العامة بالرضا والقبول من دون بحث أو محاولة للدّ دفاعاً عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهي إضافة أخرى لحالات النسيان والسهو، ألصقها برسول الله (صلى الله عليه وآله)، والقضية هي أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) صلى بالناس وهو جنب، وتذكر أثناء الصلاة، وطلب من المصلين الانتظار إلى أن يذهب ليسقط الحدث الأكبر، ثم يعود إليهم وهم ينتظرونه في أماكنهم.

والسبب في قبولهم لكل ما ذكرنا من طعن في شخصية الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله) هو أنهم يعتبرونه شخصاً عادياً لا يتميز عنهم بشيء لكي يسهل بعد ذلك قبول أي منقصة يلصقونها بشخصه الكريم، وبالتالي يكون كأحد منهم ولا يزيد عنهم بشيء، وهو ما تحقّق لمن أراد رسم تلك الشخصية المتناقضة.

روى البخاري في صحيحه في كتاب الغسل، باب إذا ذكر في المسجد أنه جنب، عن أبي هريرة قال: "أقيمت الصلاة

وعدلت الصفوف قياماً، فخرج إلينا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلما قام في مصلاه، ذكر أنه جنب، فقال لنا: "مكانكم". ثم رجع فاغتسل، ثم خرج إلينا ورأسه يقطر، فكبر فصلياً معه".

(1)

ورواه البخاري أيضاً في كتاب الأذان، باب إذا قال الإمام مكانكم. ورواه مسلم في صحيحه وغروهما كثير .

ومن الملاحظات على هذه الروايات وأمثالها أنها أيضاً تتقاطع وتتعرض مع وصف رسول الله وشخصيته القومية

العظيمة، كما أنها تتعرض مع فعل الرسول (صلى الله عليه وآله) ومع سلوكه وتطبيقه لأحكام الشريعة الخاء، كما أنها

بالإضافة

1 - أنظر صحيح البخاري 1 : 72، 157، صحيح مسلم 2 : 101، سنن النسائي 2 : 82، سنن أبي داود 1 : 59.

الصفحة 136

إلى كل ذلك تتعرض مع عشرات الأحاديث الأخرى والتي تؤكد استحالة وقوع هكذا فعل منه (صلى الله عليه وآله)، وأيضا

فإن الرواية لم ترد إلا عن راو واحد وهو أبو هريرة النوسي، مع أنها وحسب ما يدعي كانت في المسجد وعلى مرأى من عشرات الصحابة الذين شاهدوا الحادثة، وبالرغم من التواجد الكثيف للمسلمين في المسجد فإنها لم ترد إلا من طريق أبي هريرة.

إن من المتسالم عليه عند كل المسلمين أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان دائم الطاعة لربه، وكان المثل العظيم للامتثال لطاعة ربه والاستجابة لأوامره سبحانه وتعالى، بحيث لم يكن يسبقه أحد في تطبيقها، فكان دائماً المثل الأعلى في كل طاعة وفي كل عبادة.

فعندما يقول الله تعالى في سورة المائدة: **{وَإِنْ كُنْتُمْ جُنْبًا فَأَطهَرُوا}**⁽¹⁾. فمن المقطوع به أنه كان من السابقين الأولين والمبارزين لتطبيق هذا الأمر الإلهي، وحمله على محمل الطاعة والالتزام المطلق لكل ما يرد عن الله تعالى.

ويقول تعالى في سورة النساء: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا}**⁽²⁾.

وهذا خطاب لا يغفل عنه مسلم عادي، والمسلمون جميعاً يطبقونه، وهو ما نعرفه حتى من أقل الناس علماً ومعرفة بالأحكام الشرعية.

ثم إنه من المقطوع به والمتسالم عليه عند كل المسلمين أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان دائماً على وضوء وطهارة، وكان دائم التجديد لطهرته.

روى أبو داود في سننه في كتاب الطهارة عن المهاجر بن قنفذ: "أنه أتى

1- المائدة : 6.

2- النساء : 43.

النبي (صلى الله عليه وآله) وهو يبول، فسلم عليه فلم يرد عليه، حتى توضع، ثم اعتذر إليه فقال: "إني كرهت أن أذكر الله إلا على طهر" أو قال: "على طهارة". ورواه النسائي وابن ماجة وقال النووي رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة وغرهم بأسانيد صحيحة⁽¹⁾.

ثم إن النبي الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله) كان يأمر المسلمين بأن لا يناموا على جنباً، وأن يداوموا على الطهارة؛ لأن في ذلك الثواب العميم ومروضة لرب العالمين. روى السيوطي في الدر المنثور قال: "أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والطواني وأبو الشيخ وابن مروي عن أبي أيوب الأنصلي قال: قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذي قال الله فيهم: **{ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ }**⁽²⁾؟ قال: كانوا يستنجون بالماء، وكانوا لا ينامون الليل كله وهم على الجنبية"⁽³⁾.

وروى أبو داود في سننه، باب النوم على طهارة، عن معاذ بن جبل: عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: "ما من مسلم يبيت على ذكرٍ طاهراً فيتعار من الليل، فيسأل الله خيراً من الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه"⁽⁴⁾.

ثم إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم تكن تشغله قضية الجماع أكثر من صلاة الليل التي فوضها الله تعالى عليه، وكان يصلّي في بيته قبل خروجه إلى الناس، وكذلك تضافرت الروايات عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه كان دائم التعلق

بالمأ

1 - أنظر سنن أبي داود 1 : 12 ، سنن النسائي 1 : 37 ، سنن ابن ماجة 1 : 126 ، مسند أحمد 4 : 345 ، المجموع 2 :

.88

2- التوبة : 108.

3- الدر المنثور 3: 278 - 279.

4- سنن أبي داود 2 : 485 ، مسند أحمد 5 : 235 ، السنن الكوى 6 : 201.

الصفحة 138

الأعلى ولذلك قال : "تتام عيناى ولا ينام قلبي"⁽¹⁾.

ثم إن دفع حدث الجنازة بالنسبة لأي إنسان عادي مسألة ذات أهمية كبرى، وعلى حسب ما نترك من طبيعة المسلمين ووزى ونسمع، لا يمكن لمسلم مهتم بصلواته وطاعة ربه أن يغفل عن وجوب رفع الحدث الأكبر، ولا يمكن لإنسان عادي غير معصوم وليس لديه مهام نبوية أو رسالية قد جامع زوجته ثم ينسى أنه جنب، فما بالك برسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي عصمه الله من الزلل.

فهذه أيضا من المواقف التاريخية التي ألقوا بها التهم على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهي لا تليق به، ولا تجوز عليه، وما أظنّها وضعت إلا لحفظ ماء الوجه أمام الناس لأشخاص كانوا يستيقظون وينامون ويستيقظون على جنابة من دون مراعاة لأمر العباداة والطاعة، فكانت الحقيقة أن كشف أمرهم أمام الناس، فلم يبق مجال أمامهم إلا أن يقولوا للناس وبصفتهم صحابة قد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ينسى أنه جنب، فما بالكم اعتوتم الأمر منقصة علينا، وهكذا يبدو الأمر طبيعياً لا غواية فيه ولو كان على حساب مقام النوة وموتلة الوسالة وخلق النبي العظيم.

روى البخاري في صحيحه في كتاب الغسل، باب الجنب يخرج ويمشي في السوق وغره، عن أبي هريرة قال: لقيني رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنا جنب، فأخذ بيدي، فمشيت معه حتى قعد، فانسلت، فأنتيت الرجل، فاغتسلت ثم جئت وهو قاعد، فقال: أين كنت يا أبا هريرة. فقلت له، فقال: سبحان الله يا أبا هريرة، إن المؤمن لا ينجس. ورواه مسلم وغرهما

كثير⁽²⁾.

ثم إن هناك تناقض آخر في الروايات وهو أن بعض روايات أبي هريرة

1- مسند أحمد 1: 220، 6: 36، سنن أبي داود 1: 52، المصنّف لعبدالرزاق الصنعاني 2: 405.

2- أنظر صحيح البخاري 1: 74 - 75، صحيح مسلم 1: 94، سنن ابن ماجة 1: 178، صحيح ابن حبان 4: 70.

الصفحة 139

تقول إنّ الرسول كبر تكبوة الصلاة، وفي بعضها لم يكبر بل أقيمت الصفوف مع أن الولوي واحد.

تخيّل نفسك أخي المؤمن أنك معتاد لإمامة قوم معينين، وكانوا يعتبرونك إمامهم وقوتهم لسنوات، ثم تخرج عليهم يوماً وتقام الصلاة وتكبر ويكبر الناس ثم فجأة تقطع صلاتك وتلتفت إلى الناس وتقول لهم: انتظروا فإنني قد جمعت الليلة ونسيت أنني جنب، انتظروني حتى أغتسل ثم أعود إليكم ونكمل الصلاة معاً!!.. أخبرني أخي المؤمن ما هو موقفك من الناس؟. وما هو موقف الناس منك؟. ولنفوض جدلاً أن شخصاً ما من غير المعصومين نسي، أليس الأليق به أن ينيب في الإمامة ويعتذر بشكل يحفظ الكرامة والأدب ويودّ بطريقة لا تخوجه عن حدّ الموءوءة، وأنا أجزم أخي المؤمن بأنك لا يمكن أن تقبل هذا الفعل والوصف على نفسك، فهل تقبله على رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟.

هل يجوز في حقّ الرسول أن ينسى مهمته الوسالية؟

ولقد وصل بهم الأمر أن تجاوزوا حدّ النسيان إلى الإهمال في شؤون الدعوة والجهاد، ووضعوا روايات وصلت إلى أبعد حدّ في الطعن على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومن المؤلم جداً أن ترى الأمة تتلقى تلك الروايات بالقبول والرضا من دون أن تبادر إلى الدفاع عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولولا أن المسلمين تطولوا في رواياتهم على شخصه الكريم وطعنوا في عصمته، لما تحوّل الكافرون على ذلك.

فهلمّوا يا أصحاب الضمير الحيّ والعقول السليمة لفتح ملفات التزيخ وتويل منها ما يؤدي نفوسنا ويديمي قلوبنا وتأباه عقولنا من طعن وتفتيقص

الصفحة 140

لمقالة النبوّة ومقام الوسالية.

روى البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة عن عائشة أنها قالت: خرجنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في بعض أسفله، حتى إذا كنا بالبيداء، أو بذات الجيش، انقطع عقد لي، فأقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فأتى الناس أبا بكر، فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة، أقامت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبالناس معه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء؟ فجاء أبو بكر ورسول الله (صلى الله عليه وآله) واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبست رسول الله (صلى الله عليه وآله) والناس، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، قالت: فعاتبني، وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعنني بيده في خاصوتي، فلا يمنعي من التحرك إلا مكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) على فخذي، فنام رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى أصبح على غير ماء، فأقول الله آية التيمم فتيّمّوا، فقال أسيد بن

الحضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر، فقالت عائشة: فبعثنا البعير الذي كنت عليه، فوجدنا العقد تحته . ورواه البخاري في أكثر من موضع ورواه مسلم وغيره .⁽²⁾

تبيّن هذه الروايات اهتمام رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالعقد المقطوع وإهماله أمر المسلمين وجيش المسلمين بالرغم من أنهم يمرّون بحالة صعبة .

وتبيّن أيضاً أنه لم يكن مع المسلمين ماء، أي أنهم كانوا يتعوضون لحالة طولى قصوى، كما وتظهر الروايات أن المسلمين لم يصلّوا بسبب فقدان الماء، ثم تبيّن الروايات أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ترك كل تلك الأمور الشداد

1 - صحيح البخاري 4 : 195 .

2 - أنظر صحيح البخاري 1 : 86، 5 : 86 ، صحيح مسلم 1 : 192 ، سنن النسائي 1 : 164 ، صحيح ابن حبان 4 : 117 .

الصفحة 141

وأهمل أمر المسلمين وجيشهم وصلاتهم، وبدلاً من وضع الحلول والخطط للخروج من تلك الأزمة القاسية، نام على فخذ عائشة حتى الصباح، وفي روايات حتى طلعت الشمس، وكل ذلك وعائشة جالسة ورسول الله نائم وأبو بكر يطعنها في خاصوتها لأنها جعلت رسول الله يهمل وينسى أمر المسلمين، فهو الحريص أكثر من رسول الله على شؤونهم ورعايتهم. ثم إنه بعد كل ذلك الطعن على رسول الله (صلى الله عليه وآله) والصاق تهمة الإهمال والنسيان عليه تأتي الفضيلة لآل أبي بكر، ومن أين أنت؟ وكيف أنت؟. فبعد أن كان يضوب عائشة في خاصوتها على تقصوها وتقصير رسول الله بسبب طاعته لها حيث يقول (حبست رسول الله) وكأنه طفل صغير لا يترك مسؤولياته اتجاه ربه ودينه وأمه، فبعد كل ذلك صلت التهمة والطعن على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فضيلة لآل أبي بكر، عجباً والله!.

هل يجوز في حق الرسول أن يهمل أمور بيته وعرضه؟

ثم إن الأمور تجاوزت الحدود أكثر بكثير بالتطاول على شخصية رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ووصلت إلى نسائه وداخل بيته الشريف، وتعددت الروايات ومن جوانب عديدة وبأشكال تظهر مقاصد واضعياً بشكل جلي وهو التتقيص من مقام النبوة ومقولة الوسالة، أو لاستغلال تلك الروايات من أجل فرض فضائل مصطنعة لشخصيات ربما كانت تلك النقائص تنسب إليهم، ولكن واضعي تلك الروايات استطاعوا أن يحيلوها على رسول الله، وحولت بعد ذلك إلى فضائل لتلك الشخصيات، وصار المسلمون يقفون أمام تلك الفضائل موقف الخاشع المقر من غير التفات إلى مقام رسول الله وعظمته وأدبه وخلقه.

ولولا وجود تلك الروايات في صحاح ومسانيد أهل السنة والجماعة لما

الصفحة 142

تطاول شخص حقير كسلمان رشدي أو ذلك الكاتب النجس في الصحيفة الدنملكية على شخص رسول الله وعلى بيته

ومن أهم الجوانب التي تناولتها تلك الروايات هي عدم ستر رسول الله (صلى الله عليه وآله) لنسائه، ومنها دخول الغناء والرقص وزمير الشيطان في بيته، ومنها هروب الشيطان من عمر وعدم هروبه من بيت رسول الله، ومنها حادثة الإفك المصطنعة، وحادثة الإفك الحقيقية وغيرها مما يتعلق بالعنوان، وسنتطرق إليها كلّها كلاً على حده مع بعض التعليقات عليها، مع التنكير بأنّ الدفاع عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) حقّ مشروع، والدفاع عن حرمة ومقامه الرفيع واجب مقدسّ على كلّ المسلمين في كل زمان ومكان.

روى البخاري في صحيحه في كتاب الوضوء، باب خروج النساء للواز، ورواه في كتاب الاستئذان باب آية الحجاب، عن عائشة: "أنّ أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع، وهو صعيد أفيح، فكان عمر يقول للنبي (صلى الله عليه وآله): احجب نساءك، فلم يكن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة، زوج النبي (صلى الله عليه وآله)، ليلة من الليالي عشاء، وكانت امرأة طويلة، فنادها عمر: ألا قد عرفناك يا سودة، حرصاً على أن يقول الحجاب، فأقول الله آية الحجاب"⁽¹⁾.

هذه الرواية يعتوها أهل السنّة والجماعة من الروايات التي تحوي على فضائل لعمر ابن الخطاب مع أن في ظاهرها طعناً صريحاً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ولمقام النبوة ومقرلة الوسالة. وفيها تناقض واضح مع آيات القرآن الكريم التي تأمر بالعتّة والستر للعورات، وكذلك فيها تتبّع واضح وملاحقة لنساء رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو ما يشكلّ أذى لشخصه الكريم وليبته الشريف.

1 - صحيح البخاري 1 : 46، 7 : 129، صحيح مسلم 7 : 7، مسند أحمد 6 : 223.

الصفحة 143

ومن الملاحظات عليها، أنّه من الطبيعي أن يخرج الناس لقضاء حاجتهم في الليل، خصوصاً النساء، وهو أمر متعارف عليه ومألوف في ذلك الزمان، فلماذا جعل عمر بن الخطاب من خروج النساء إلى المناصع أمراً وكأنّه جريمة في حقهنّ وفي حقّ رسول الله؟! وهو أمر ليس فيه أية مخالفة شوعية، وعليه فإن إظهار هذا الأمر بهذا الشكل لا بد وأن يكون صناعة مخصصة من أجل الطعن على رسول الله وصناعة فضيلة لأحد الصحابة من خلال أمر طبيعيّ ومألوف.

ثمّ الملاحظة الأخطر أنّ عمر في الحديث كان يطلب من رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يستر نساءه وأن يحجب نساءه، ولم يكن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يفعل ذلك، فهل هذه لفظة من واضعي الحديث تشير إلى إهمال رسول الله لأمر الشريعة وإهماله قضية ستر نسائه وإهمال أمور عرضه، وهل هي فضيلة لعمر الذي تظهره الرواية بأنّه كان أحوص من رسول الله (صلى الله عليه وآله) على نساء المسلمين وأعواضهنّ؟.

ثمّ هل من آداب الإسلام وأخلاقه ملاحقة نساء المؤمنين، وخصوصاً زوجات النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، والحديث

معها بهذه الطريقة المؤذنية لها ولزوجها رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟.

ثم إن سودة كانت محتشمة، وكان لا يظهر منها شيء، وكانت في كامل سترها، وكان الوقت ليلاً بعد العشاء والدنيا يلفها الظلام، وهذا لا يشك فيه أحد، فكيف عرفها عمر، ألم يكن يوجد نساء طويلات في المدينة غوها؟. أم أنها كانت تحت المراقبة المقصودة وعن سبق إصار وتصد؟.

وهل يجوز التجسس على نساء المسلمين خصوصاً زوجات رسول الله (صلى الله عليه وآله)، بحجة إقامة الحكم الشوعي؟. أم أن ملاحقة الناس والتجسس عليهم كانت أمراً مألوفاً في حياة عمر؟.

الصفحة 144

فقد ذكر التاريخ عدّة حوادث لعمر بن الخطاب في فترة خلافته كان يتجسس فيها على بيوت المسلمين ويتتبع عوراتهم، بحيث كشف أمره فيها على الملأ، فهل واضعي الحديث وضعوا هذه الرواية من أجل أن تأخذ الشوعية لفعل عمر، وبالتالي تسقط عنه تهمة التجسس وتتبع عورات المسلمين؟؛ ولذلك يجب ملاحظة العيلة التي وضعها الولوي لتبرير فعل عمر والتغطية على شناعة الفعل، فقال الولوي: "حرصاً على أن يقول الحجاب". أي أنّ الغاية تبرّر الوسيلة وهو ما لا يجوز في شرع الله.

ثم ولتأكيد شوعية فعل التجسس وإضفاء الشوعية عليه وبشكل أشمل أتت عبلة الولوي التي يؤكد فيها موافقة الله تعالى لفعل عمر فقال: "فأقول الله آية الحجاب". فكلّ عبارات الرواية تشير إلى شوعية فعل عمر وصناعة الفضائل له على حساب متولة الوسالة ومقام النبوّة للرسول محمد (صلى الله عليه وآله).

روى السيوطي في الدر المنثور قال: "أخو سعيد بن منصور وابن المنذر عن الحسن رضي الله عنه قال: أتى عمر بن الخطاب رجل فقال: إنّ فلاناً لا يصحو، فدخل عليه عمر، فقال: إنّني لأجد ريح شواب يا فلان، أنت بهذا فقال الرجل: يا ابن الخطاب وأنت بهذا، ألم ينهك الله أن تتجسس" (1)!!.

وروى السيوطي في الدر المنثور، والمتقي الهندي في كنز العمال عن ثور الكندي أن عمر بن الخطاب كان يعس بالمدينة من الليل، فسمع صوت رجل في بيت ينغى، فتسوّر عليه، فوجد عنده امرأة وعنده خمر، فقال: يا عدو الله، أظننت أن الله يستورك وأنت على معصيته، فقال: وأنت يا أمير المؤمنين لا تعجل على أن أكون عصيت الله واحدة فقد عصيت الله في ثلاث. قال الله:

1- أنظر الدر المنثور 6 : 93.

الصفحة 145

(1) {وَلَا تَجَسَّسُوا} وقد تجسست، وقال: {وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا} (2). وقد تسوّرت عليّ ودخلت عليّ بغير إذن، وقال الله: { لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا } (3) (4).

وروى الحاكم في المستترك عن عبد الرحمن بن عوف: "أنه حرس ليلة مع عمر بن الخطاب بالمدينة، فبينما هم يمشون، شب لهم سراج في بيت، فانطلقوا يؤمونه، حتى إذا دنوا منه، إذا باب مجاف على قوم لهم فيه أصوات مرتفعة. فقال عمر وأخذ بيد عبد الرحمن: أتوي بيت من هذا؟ قال: لا. قال: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف، وهم الآن شرب، فما ترى؟ فقال عبد الرحمن: رى قد أتينا ما نهى الله عنه، نهانا الله - عز وجل - فقال: **{وَلَا تَجَسَّسُوا}** (5) فقد تجسسنا" (6).

وروى الطواني والسيوطي في الدر المنثور عن ابن مديويه، كلاهما عن بريدة قال: "صلينا الظهر خلف رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلما انفتل أقبل علينا غضبان متتوياً ينادي بصوت يسمع العواتق في جوف الخور: يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تدموا المسلمين، ولا تطلبوا عوراتهم، فإنه من يطلب عورة أخيه المسلم هناك الله سته وأبدي عورته ولو كان في جوف بيته" (7).

1 - الحوات : 12.

2 - البوة : 189.

3 - النور : 27.

4 - الدر المنثور 6: 93، كنز العمال 3: 808 ، وكلاهما عن الخائطي في مكرم الأخلاق .

5 - الحوات : 12.

6 - المستترك على الصحيحين 4 : 377 ، السنن الكرى للبيهقي 8 : 333.

7 - المعجم الكبير 2 : 21 ، الدر المنثور 6 : 93 ، ونحوه عن أبي برة الأسلمي في سنن أبي داود 2 : 451، سنن

الترمذي 3 : 255.

الصفحة 146

وروى السيوطي في الدر المنثور : قال أخرج ابن مديويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): "يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه، لا تؤنوا المسلمين، ولا تتبعا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبعا الله عورته حتى يخرقها عليه في بطن بيته" (1).

ومن المتناقضات التي تبين أن الرواية من أجل صناعة فضائل لعمر والتغطية على حوادث التجسس على المسلمين والتي كشفها التريخ، هو الحديث التالي الذي يبين عدم صحة نزول آية الحجاب في سودة ومن أجل فعل عمر! ففي نفس المصدر ينفى هذا القول جملة وتفصيلاً وإليك الرواية.

فقد روى البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء، عن أنس بن مالك قال: "تولت آية الحجاب

في زينب بنت جحش، وأطعم عليها يومئذ خزاً ولحمًا، وكانت تفخر على نساء النبي (صلى الله عليه وآله)، وكانت تقول: إن

الله أنكحني في السماء" (2).

ثم إن الرواية التالية وفي نفس المصدر تنفي نزول آية الحجاب لفعل عمر، بل إنها تتناقض مع الرواية الأولى، فهنا نقول الرواية إن سودة خرجت بعد ما ضرب الحجاب، وهناك نقول الرواية إن عمر قام بفعل التجسس وتتبع عورات النبي حرصاً على أن يقول الحجاب فأقول الله آية الحجاب.

ثم دقق أخي المؤمن في آخر الرواية عبارة "قد أدن لكن أن تُخرجن لحاجتكن" أي أن أمر السماء قد جاء موافقاً لخروج أم المؤمنين سودة ومخالفاً لفعل عمر.

1- الدر المنثور 6 : 93.

2 - صحيح البخاري 8 : 176 ، وأنظر المعجم الكبير للطواني 24 : 49.

الصفحة 147

فقد روى البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، باب قوله لا تدخلوا بيوت النبي، عن عائشة قالت: "خرجت سودة بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها، وكانت امرأة جسيمة، لا تخفى على من يعرفها، وآها عمر بن الخطاب، فقال: يا سودة، أما والله ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين. قالت: فانكفأت راجعة، ورسول الله (صلى الله عليه وآله) في بيتي، وإنه ليتعشى وفي يده عرق، فدخلت، فقالت: يا رسول الله، إنني خرجت لبعض حاجتي، فقال لي عمر كذا وكذا، قالت: فوحي الله إلي، ثم رفع عنه، وإن العرق في يده ما وضعه، فقال: إنّه قد أدن لكن أن تُخرجن لحاجتكن" (1).

وأعتقد أن الأمور صلت واضحة جلية بعد هذا البيان، والقضية مقصود منها صناعة نقائص لشخص النبي الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله)، وصناعة فضائل لأشخاص معينين ومقصودين حتى تغطي فضائلهم على فضائل رسول الله، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره، فنظرة فاحصة لمثل تلك الروايات يستطيع العاقل أن يكتشف حقيقتها وحقيقة ما وراءها ومن وراءها.

هل يجوز في حق الرسول أن يكون بيته مرتعاً للشيطان؟

ثم وبالاستجابة إلى نداءات المعرفة القلبية والممتوجة بالمعرفة العقلية لضرورة إعادة النظر في الأمور التاريخيّة وكيفية النظرة إلى شخص الرسول الكريم عند أولئك، نكتشف أن أمور التطاول على شخصه الكريم قد وصلت إلى أن جعلوا الشيطان يرتع في بيته، بينما يفرّ من عمر ومن كلّ فج يسلكه عمر، وكذلك جعلوا من مزار الشيطان في بيته، وهو مقرّ بذلك و يضحك ويبتسم، ويخالف أوامر ربّه - وحاشاه من كل ذلك - ، ولكن ضرورة الدفاع

1 - صحيح البخاري 6 : 26 ، وأنظر صحيح مسلم 7 : 6.

الصفحة 148

عن نبينا الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله) تقتضي ذكر ما عند القوم، وكشف ما نسجه الوضاعون عدوة لله ورسوله وأهل بيته، حتى نستفزّ العقول السليمة والقلوب الصادقة بحبّ نبيها الكريم ومقامه العظيم وحبّ أهل بيته الطاهرين.

فقد روى البخاري في صحيحه، في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، وفي كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب ورواه في كتاب الأدب، باب التَّبَسُّم والضَّحْك، عن سعد بن أبي وقاص قال : "استأذن عمر على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه، عالية أصواتهنّ، فلما استأذن عمر قمن يبتترن الحجاب، فأذن له رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ورسول الله (صلى الله عليه وآله) يضحك، فقال عمر : أضحك الله سنك يا رسول الله، قال : عجبت من هؤلاء اللاتي كنّ عندي، فلما سمعن صوتك ابتترن الحجاب. قال عمر : فأنت يا رسول الله كنت أحقّ أن يهين، ثم قال : أي عوات أنفسهنّ، أتهبني ولا تهين رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ قلن : نعم، أنت أفظ وأغلظ من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك" (1).

وهذه الرواية فيها كغوها عدّة ملاحظات خطوة، وأولها ملاحظة أن النساء اللواتي كنّ في بيت رسول الله يصوخن ويصحنّ في وجه رسول الله وعالية أصواتهنّ، وهذا يعطي مبرراً لحوادث كثيرة رفع فيها المسلمون أصواتهم وأكثروا من اللغو والصواخ عنده وهو يتحدّث إلى المسلمين، وإقوار الرسول في هذا الحديث للنسوة على صواخهنّ ثم ضحكه وتبسمه لهنّ فيه، دلالة على أن الصواخ ورفع الصوت عنده أمر طبيعي لا يغضب الله ورسوله، مع أنه

1 - صحيح البخاري 4 : 96، 199، 7 : 93. صحيح مسلم 7 : 115.

الصفحة 149

بخالف أمر الله تعالى الذي قال في القرآن الكريم في سورة الحوات : **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ }** (1).

وسبب نزول هذه الآية وهو كما ذكره البخاري في صحيحه، في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، عن ابن أبي مليكة قال: كاد الخوان أن يهلكا: أبو بكر وعمر، لما قدم على النبي (صلى الله عليه وآله) وفد بني تميم، أشار أحدهما بالأقوع ابن حابس الحنظلي أخي بني مجاشع، وأشار الآخر بغوه، فقال أبو بكر لعمر: إنّما أردت خلافي، فقال عمر: ما أردت خلافاً، فلرفعت أصواتهما عند النبي (صلى الله عليه وآله) فتولت: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ }** - إلى قوله - **{ عظيم }** (2) (3).

إذن رفع الصوت والصواخ والمملاة وترك الاستماع لرسول الله وعدم احترام مجلسه ومعاملته كمعاملة الناس بعضهم لبعض كلّها من الأفعال التي لا تجوز، وهي محبطة للأعمال وموجبة للخسوان المبين. ولكن الرواية الآتفة الذكر تخالف الآية، وتظهر أن هذا الأمر المحبب للأعمال أمر طبيعي وليس فيه شيء، وربما يعتوه البعض في زماننا هذا نوع من الديمقراطية النبوية. ولكن وضاعي الحديث قصوا أكثر من ذلك، فهي إشلة إلى أن عدم احترام شخص رسول الله ومجلسه وكلامه ورفع الصوت عنده أمر مشروع؛ لأنه إنسان عادي مثله مثلهم، وهذا ما يبرر صواخ أبي بكر وعمر في سبب نزول الآية، ثم يبرر

1 - الحوات : 2.

2 - الحوات : 2 - 3.

3 - صحيح البخري 8: 145، مسند أحمد 4: 6.

الصفحة 150

رسول الله إلى فضيلة للصلوخ، وهو ما اعتوه رواة الحديث ومن جاء بعدهم من علماء أهل السنة والجماعة وتلقاه العامة بالوضا والقبول.

ففي حادثة رزية الخميس المذكورة في الصحاح والمسانيد، صار كثرة اللغظ والصواخ ورفع الصوت عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم اتهم عمر بن الخطاب وعدد من الصحابة لرسول الله بأنه يهجر ويهذي، صار ذلك منقبة عظيمة وفضيلة جلية لعمر، ضلبي عرض الحائط بالآية المذكورة ومتناسين أن كل كلامه وحي يوحى.

فقد روى البخري في صحيحه في كتاب العلم، باب كتابة العلم، وفي كتاب الجهاد والسير، باب جوائز الوفد، وفي كتاب المغزي، باب مرض النبي ووفاته، وفي كتاب المرضى، باب قول المريض قوموا عني، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب كراهية الاختلاف عن ابن عباس قال: لما اشتد بالنبي (صلى الله عليه وآله) وجعه قال: "أئتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا من بعده". قال عمر: إن النبي (صلى الله عليه وآله) غلبه الوجع، وعندنا كتاب الله حسبنا. فاختلوا وكثر اللغظ، قال: "قوموا عني، ولا ينبغي عندي التلوع". فخرج ابن عباس يقول: "إن الزرية كل الزرية ما حال بين رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبين كتابه (1)".

وروى مسلم في صحيحه في كتاب الوصية باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه، وكررها أكثر من مرة عن ابن عباس، قال: "لما حضر رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وفي البيت رجال فيهم عمر ابن الخطاب، فقال النبي (صلى الله عليه وآله) "هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده". فقال عمر: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله. فاختل أهل البيت، فاختصموا، فمنهم من يقول: قوا يكتب لكم رسول الله (صلى الله عليه وآله) كتاباً لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول

1 - أنظر صحيح البخري 1 : 37، 4 : 31، 5 : 138، 7 : 9، 8 : 161.



ما قال عمر. فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

قوموا".

قال عبيدالله: فكان ابن عباس يقول: "إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب، من اختلافهم ولغظهم"⁽¹⁾.

وروى الطواني في الأوسط وعنه في كنز العمال، عن عمر بن الخطاب قال: "لما موص النبي (صلى الله عليه وآله) قال: ادعوا لي بصحيفة ورواة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي أبداً. فكوننا ذلك أشد الكراهة ثم قال: ادعوا لي بصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً. فقال النسوة من وراء الستر: ألا تسمعون ما يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ فقلت: إنك صويحبات يوسف، إذا موص رسول الله (صلى الله عليه وآله) عصرتن أعينكن، وإذا صح ركبتن رقبتن. فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): دعوهن فإنهن خير منكم"⁽²⁾.

وانظر يا أخي المؤمن ماذا يقول النووي في شوحه لصحيح مسلم، مبرراً رفع الصوت ومخالفة عمر للنبي (صلى الله عليه وآله) وبحديث يركز على ذلك ولو على حساب شخص رسول الله وعصمته ومقرنته.

يقول النووي: "اعلم أن النبي (صلى الله عليه وآله) معصوم من الكذب، ومن تغيير شيء من الأحكام الشرعية في حال صحته، وحال مرضه، ومعصوم من ترك بيان ما أمر ببيانه، وتبليغ ما أوجب الله عليه تبليغه، وليس معصوماً من الأبراض، والأسقام العارضة للأجسام ونحوها، ممّا لا نقص فيه لمقرنته، ولا فساد لما تمهد من شريعته، وقد سحر (صلى الله عليه وآله) حتى صار يُخيل إليه أنه فعل الشيء، ولم يكن فعله، ولم يصدر منه (صلى الله عليه وآله) وفي هذا الحال كلام في الأحكام مخالف لما سبق

1- صحيح مسلم 5 : 76.

2- المعجم الأوسط 5 : 288، وعنه في كنز العمال 5 : 644.

من الأحكام التي قررها .

فإذا علمت ما ذكرناه، فقد اختلف العلماء في الكتاب الذي هم النبي (صلى الله عليه وآله) به.

فقيل: أراد أن ينص على الخلافة في إنسان معين، لئلا يقع زاع وفتن.

وقيل: أراد كتاباً يبين فيه مهمات الأحكام ملخصة، ليرتفع النزاع فيها، ويحصل الاتفاق على المنصوص عليه.

وكان النبي (صلى الله عليه وآله) هم بالكتاب حين ظهر له أنه مصلحة، أو وحي إليه بذلك، ثم ظهر أن المصلحة توكه، أو

وحي إليه بذلك، ونسخ ذلك الأمر الأول.

وأما كلام عمر: فقد اتفق العلماء المتكلمون في شوح الحديث على أنه من دلائل فقه عمر وفضائله، ودقيق نظره، لأنه خشي أن يكتب (صلى الله عليه وآله) أمراً بما عجزوا عنها، واستحقوا العقوبة عليها؛ لأنها منصوصة لا مجال للاجتهاد فيها، فقال عمر: حسبنا كتاب الله، لقوله تعالى: **{ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ }** ⁽¹⁾. وقوله: **{ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ }** ⁽²⁾. فعلم أن الله أكمل دينه، فأمن الضلال على الأمة، ورأد التوفيه على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فكان عمر أوفقه من ابن عباس ⁽³⁾.

ويقول ابن حجر في فتح الباري شوح صحيح البخاري: (يوم الخميس) هو خير لمبتدأ محنوف أو عكسه، وقوله: (وما يوم الخميس) يستعمل عند رادة تفخيم الأمر في الشدة والتعجب منه، زاد في أواخر الجهاد من هذا الوجه (ثم بكى حتى خضب دمه الحصى) ولمسلم من طريق طلحة بن

1- الأنعام : 38.

2- المائدة : 3.

3 - شوح صحيح مسلم 11 : 90.

الصفحة 153

مصروف عن سعيد بن جبير (ثم جعل تسيل دموعه حتى رأيتها على خديه كأنها نظام اللؤلؤة) وبكاء ابن عباس يحتمل لكونه تذكر وفاة رسول الله فتجدد له الحزن عليه، ويحتمل أن يكون انضاف إلى ذلك ما فات في معتقده من الخير الذي كان يحصل لو كتب ذلك الكتاب، ولهذا أطلق في الرواية الثانية أن ذلك رزية، ثم بالغ فيها فقال: كل الرزية. وقد تقدم في كتاب العلم، الجواب عن امتنع من ذلك كعمر بن الخطاب.

قوله: (اشتد برسول الله (صلى الله عليه وآله) وجعه) زاد في الجهاد (يوم الخميس) وهذا يؤيد أن ابتداء مرضه، كان قبل ذلك، ووقع في الرواية الثانية لما حضر رسول الله (صلى الله عليه وآله)، بضم الحاء المهملة وكسر الضاد المعجمة، أي حضوه الموت، وفي إطلاق ذلك تجوز، فإنه عاش بعد ذلك إلى يوم الاثنين.

قوله: (كتاباً) قيل هو تعيين الخليفة بعده، وسيأتي شيء من ذلك في كتاب الأحكام في باب الاستخلاف منه.

قوله: (لن تضلوا) في رواية الكشميهني (لا تضلون) وتقدم في العلم، وكذا في الرواية الثانية، وتقدم توجيهه.

قوله: (لا ينبغي عند نبي تتلوع) هو من جملة الحديث المرفوع، ويحتمل أن يكون موجهاً من قول ابن عباس.

والصواب الأول، وقد تقدم في العلم بلفظ (لا ينبغي عندي التلوع).

قوله: (فقالوا: ما شأنه؟ أهجر) بهزة لجميع رواة البخاري، وفي الرواية التي في الجهاد بلفظ (فقالوا: هجر) بغير

هزة، ووقع للكشميهني هناك (فقالوا هجر، هجر رسول الله (صلى الله عليه وآله)) أعاد هجر مرتين.

قال عياض: معنى أهجر أفحش: يقال هجر الرجل إذا هذى، وأهجر إذا

أفحش وتعقّب بأنّه يستلزم أن يكون بسكون الهاء والروايات كلها إنما هي بفتحها، وقد تكلم عياض وغيره على هذا الموضع فأطالوا، ولخصه القوطبي تلخيصاً حسناً، ثم لخصته من كلامه، وحاصله: أن قوله هجر، الواجح فيه إثبات هجرة الاستفهام وبتحركات على أنّه فعل ماضٍ، قال: ول بعضهم أهجوا بضمّ الهاء وسكون الجيم والتتوين على أنه مفعول بفعل مضمر، أي: قال هُجراً، والهجر بالضم ثم التكون الهذيان، والواد به هنا ما يقع من كلام المريض الذي لا ينتظم ولا يعتد به لعدم فائدته.

ووقع ذلك من النبي (صلى الله عليه وآله) مستحيل؛ لأنه معصوم في صحته وموضه لقوله تعالى: **{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ}** (1) . ولقوله (صلى الله عليه وآله): "إني لا أقول في الغضب والرضا إلا حقاً". وإذا عرف ذلك فإنما قاله من قاله منكراً

على من يوقف في امتثال أمره بإحضار الكتف والواة، فكأنه قال: كيف تتوقف أتظن أنه كغوره يقول الهذيان في موضه؟ امتثل أمره وأحضره ما طلب، فإنه لا يقول إلا الحق، قال: هذا أحسن الأجوبة، قال: ويحتمل أن بعضهم قال ذلك عن شك عرض له، ولكن يبغده أن لا ينكره الباقون عليه مع كونهم من كبار الصحابة، ولو أنكروه عليه لنقل، ويحتمل أن يكون الذي قال ذلك صدر عن دهش وحوة كما أصاب كثراً منهم عند موته.

وقال غوره: ويحتمل أن يكون قائل ذلك أراد أنه اشتد وجعه فأطلق اللزم ورأد الملزوم، لأن الهذيان الذي يقع للمريض ينشأ عن شدة وجعه.

وقيل: قال ذلك لإرادة سكوت الذين لغطوا ورفعوا أصواتهم عنده، فكأنه قال: إن ذلك يؤذيه ويفضي في العادة إلى ما ذكر، ويحتمل أن يكون قوله

1- النجم : 3.

أهجر فعلاً ماضياً من الهجر بفتح الهاء وسكون الجيم والمفعول محنوف أي الحياة، وذكره بلفظ الماضي مبالغة لمارأى من علامات الموت.

قلت: ويظهر لي ترجيح ثالث الاحتمالات التي ذكرها القوطبي ويكون قائل ذلك بعض من قوب دخوله في الإسلام وكان يعهد أن من اشتد عليه الوجع قد يشتغل به عن تحرير ما يريد أن يقوله لجواز وقوع ذلك، ولهذا وقع في الرواية الثانية (فقال بعضهم إنه قد غلبه الوجع) ووقع عند الإسماعيلي من طريق محمد بن خالد عن سفيان في هذا الحديث (فقالوا: ما شأنه يهجر، استفهوه) وعن ابن سعد من طريق أخرى عن سعيد بن جبير (أن نبي الله ليهجر)، ويؤيده أنه بعد أن قال ذلك استفهوه بصيغة الأمر بالاستفهام أي اختبروا أمره بأن يستفهوه عن هذا الذي رأده وابتحوا معه في كونه الأولى ولا.

وفي قوله في الرواية الثانية: (فاختصموا فمنهم من يقول قوبوا يكتب لكم) ما يشعر بأن بعضهم كان مصمماً على الامتثال والود على من امتنع منهم، ولما وقع منهم الاختلاف ارتفعت البركة كما جرت العادة بذلك عند وقوع التلوع والتشاجر.

وقد مضى في الصيام أنه (صلى الله عليه وآله) خرج يخوهم بليلة القدر فأى رجلين يختصمان فوفعت، قال المازري:
إنما جاز للصحابة الاختلاف في هذا الكتاب مع صريح أمره لهم بذلك؛ لأنّ الأوامر قد يقربها ما ينقلها من الوجوب، فكأنه
ظهرت منه قينة دلّت على أنّ الأمر ليس على التحتم، بل على الاختيار فاختلف اجتهادهم.
وصمّم عمر على الامتناع لما قام عنده من القوائن بأنّه (صلى الله عليه وآله) قال ذلك عن غير قصد جزم، وعزمه (صلى
الله عليه وآله) كان إما بالوحي وإما بالاجتهاد، وكذلك تركه إن

الصفحة 156

كان بالوحي فبالوحي وإلا فبالاجتهاد أيضاً، وفيه حجة لمن قال بالرجوع إلى الاجتهاد في الشروعات.
وقال النووي: اتفق قول العلماء على أنّ قول عمر "حسبنا كتاب الله" من قرة فقهه ودقيق نظره؛ لأنه خشي أن يكتب أمورا
ربما عجزوا عنها فاستحقوا العقوبة لكونها منصوصة، ورأى أن لا ينسد باب الاجتهاد على العلماء.
وفي تركه (صلى الله عليه وآله) الإنكار على عمر إشارة إلى تصويبه رأيه، وأشار بقوله: (حسبنا كتاب الله) إلى قوله
تعالى: { مَا فُوتْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ }⁽¹⁾.

ويحتمل أن يكون قصد التخفيف عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما رأى ما هو فيه من شدة الكرب، وقامت عنده
قينة بأنّ الذي رآه كتابته ليس مما لا يستغنون عنه، إذ لو كان من هذا القبيل لم يتوكله (صلى الله عليه وآله) لأجل اختلافهم،
ولا يعرض ذلك قول ابن عباس: إنّ الرزية... إلخ؛ لأنّ عمر كان أفقه منه قطعاً.
وقال الخطابي: لم يتوهم عمر الغلط فيما كان النبي (صلى الله عليه وآله) يريد كتابته، بل امتناعه محمول على أنّه لما رأى
ما هو فيه من الكرب وحضور الموت خشي أن يجد المنافقون سبيلاً إلى الطعن فيما يكتبه وإلى حمله على تلك الحالة التي
جرت العادة فيها بوقوع بعض ما يخالف الاتفاق، فكان ذلك سبب توقف عمر، لا أنّه تعمّد مخالفة قول النبي (صلى الله عليه
وآله) ولا جواز وقوع الغلط عليه حاشا وكلاً.

وقد تقدّم شرح حديث ابن عباس في أواخر كتاب العلم، وقوله: (وقد ذهبوا يرونّ عنه) يحتمل أن يكون العواد يرونّ
عليه أي يعيدون عليه مقالته ويستنبطونه فيها، ويحتمل أن يكون العواد يرونّ عنه القول المذكور على من قاله.

1- الأنعام : 38.

الصفحة 157

قوله: (فقال دعوني: فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه) قال ابن الجوزي وغره: يحتمل أن يكون المعنى دعوني فالذي
أعانيه من كرامة الله التي أعدّها لي بعد فراق الدنيا خير مما أنا فيه في الحياة، أو أن الذي أنا فيه من الواقعة والتأهبّ للقاء
الله والتفكير في ذلك ونحوه أفضل من الذي تسألونني فيه من المباحثة عن المصلحة في الكتابة أو عدمها.
ويحتمل أن يكون المعنى فإنّ امتناعي من أن أكتب لكم خير مما تدعوني إليه من الكتابة.

قلت: ويحتمل عكسه أي الذي أشرت عليكم به من الكتابة خير مما تدعونني إليه من عدمها بل هذا هو الظاهر، وعلى الذي قبله كان ذلك الأمر اختبراً وامتحاناً فهدى الله عمر لمراده وخفي ذلك على غيره ... انتهى" (1).

ومن الحوادث التي تصايحوا واختلوا فيها ورفعت أصواتهم وكثر اللغط فيها بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، عندما خطب في الصحابة وجمهور المسلمين وعين لهم من بعده اثني عشر إماماً وذكر أنهم كلهم من بني هاشم ورأى أن يسميهم بأسمائهم ويبينهم للناس حتى يعرفوا أئمتهم، فصاحوا وصوحوا وكثر اللغط، حتى أن الولوي قال: فقال كلمة لم أسمعها. من كثرة لغطهم وصياحهم، فسأل عمر بن الخطاب في رواية وسأل أباه في رواية أخرى عن ذلك فقالوا كلاماً خالفوا فيه ما رآه رسول الله (صلى الله عليه وآله).

روى أحمد في المسند عن جابر بن سورة قال: "خطبنا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال: إن هذا الدين لا زال عزواً إلى اثني عشر خليفة قال: ثم تكلم بكلمة لم أفهمها وضج الناس، (وفي رواية أخرى يقول: ثم قال كلمة أصمناها الناس). وفي رواية (ثم لغط القوم وتكلموا فلم أفهم قوله بعد كلهم). وفي رواية

1 - فتح الباري 8 100 - 102.

الصفحة 158

(فكبر الناس وضجوا). فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلهم من قريش" (1).

وبسبب الصواخ والصياح ورفع الصوت على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، لازال أهل السنة والجماعة متحيرين في شوح الحديث ومعرفة مضامينه، بل إنه في الحقيقة واضح وضوح الشمس في رابعة النهار أن الأئمة هم من أهل بيت النبوة والرحمة، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فوجه الشريف، ولكن عنادهم ووفاءهم لمن صوح وصاح وضج ولغط بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) أهم وأعظم من عظمة رسول الله وشخصه الكريم.

ولولا الروايات التي نحن بصدد شرحها، والتي تنقص من مقام رسول الله ومن منزلته، ومن جواز الصياح والصواخ ورفع الصوت بين يديه، ولولا التوروات من أولئك، واعتبرهم النبي شخصاً عادياً، لما تحوأ العلماء على قبول ذلك بالرضا والتسليم.

وبالعودة إلى الموضوع الذي نحن بصددده، وملاحظة صوت النساء والصواخ والمخاصمة من النساء اللواتي كن عند رسول الله (صلى الله عليه وآله)، نأتي إلى الملاحظة الثانية، وهي دخول عمر على رسول الله والنساء عنده، فلما استأذن عمر فمن بيتن الحجاب، فأذن له وهو (أي النبي) يضحك.

وهذا يعني أنهم كن يجلسن مع رسول الله غير محتشمات وغير محتجبات ومن دون ستر، ولا يقال أنهن كن من أزواجه؛ لأن الرواية تقول نسوة من قريش. فدخول عمر ومبارتهن للحجاب يعني أنه لم يكن هناك اعتبار لرسول الله من حيث عدم

1 - أنظر الرواية مع الاختلافات المشار إليها في مسند أحمد 5 : 93، 98 - 99.

الصفحة 159

النبّي، وكلّ ذلك مخالفاً شوعية لا يرضاها الله، ولا يؤها الرسول، ولكن الرواية جعلت من الرسول يقر بذلك ويرضى به مخالفاً أمر ربّه، ثم يضحك وبيّتسم، وحاشاه (صلى الله عليه وآله) من ذلك، بينما تظهر الرواية أن خوف النسوة واحتجابهن وهروبهنّ لم يكن من الله تعالى ولا من رسول الله، ولكن عمر لما دخل هوب النسوة بفعلهنّ الشيطاني الذي وحسب الرواية كان يؤه الرسول، وهذا طعن صريح وتنقيص واضح لرسول الله ومقرّته ومقامه العظيم.

ولتأكيد أنّه لم يكن هناك اعتبار لله ورسوله، وأنّ ذلك الفعل الشيطاني خرج عن حدود الشريعة، تأتي عبلة عمر "فأنت يا رسول الله كنت أحقّ أن يهين، ثمّ قال: أي عوات أنفسهن، أتهنّني ولا تهين رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟".

ثمّ تأتي عبلة النسوة وإقرهنّ بأنك يا عمر أظف وأغلظ، (يعني افهور الوجه وعبوسته، وبذاءة اللسان في القول وحدثه، وشدة السطوة على المستضعفين وخشونة الجانب في معاملتهم). وهذه خصلة كان يشتهر بها عمر ابن الخطاب، وكان الصحابة يعيبونه عليها، فهي منقصة في حقّه وحقّ محبيه، ولذلك كان لا بد وأنّ تُذكرُ هذا الخصلة ومن خلال رواية مصطنعة أمام رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثمّ يؤها رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويضحك وبيّتسم، وبالتالي تتحوّل فظاظه عمر وغلظته إلى فضيلة على حساب شخصية الرسول الكريم. بينما نجد أنّ تلك الفضيلة التي منحتها الرواية لعمر مقابل التنقيص من شخص رسول الله تخالف القوان الكريمة وآياته وتخالف كلّ أبواب اللين والرفق والحلم في القوان والسنة. قال تعالى في سورة الحجر: **{وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ}** ⁽¹⁾ ويقول تعالى في سورة آل عمران: **{وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ}**

1- الحجر : 88.

الصفحة 160

⁽¹⁾ وقال تعالى في سورة التوبة: **{بِالْمُؤْمِنِينَ رَوْفٌ رَحِيمٌ}** ⁽²⁾.

ثمّ ومن أجل إقرار الأفعال الشيطانية وإقرار الفضيلة المصطنعة تأتي العبلة الخطوة في الرواية والتي لا يلقي لها الناس بالاً، ويتلقونها بالرضا والتسليم، ودائماً ما نسمعها يكررها العلماء والناس بكلّ فخر واعتوّاز، بالرغم من كلّ ماّ تحمل من تهمة ونقائص تجاه رسول الله (صلى الله عليه وآله).

والعبلة هي : "والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك".

وتكمن خطورة العبلة في أنّها تدلّ على أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) - حاشاه من ذلك - كان يقرّ بفعل الشيطان

ووجوده في بيته ومعه وهو يبتسم ويضحك، بينما عندما رأى عمر فرّ منه وهرب، وهذا في رأيي جريمة عظيمة في حقّ مقام

رسول الله، وطعن كبير في منزلته عند الله تعالى، وتتفحص من احترامه وتوقره، ثم انظر أخي الكريم كيف يؤكد شواخ

الحديث تلك النقائص لرسول الله (صلى الله عليه وآله) من أجل خلق فضائل لعمر من غير ملاحظة مقام رسول الله ومقرته. فقد ذكر النووي في شوح صحيح مسلم تعليقا على الحديث: "وهذا الحديث محمول على ظاهره أن الشيطان متى رأى عمر سالكا فجأ هرب هيبه من عمر، وفرق ذلك الفج وذهب في فج آخر، لشدة خوفه من بأس عمر أن يفعل فيه شيئا."

1 - آل عمران : 159.

2- التوبة : 128.

الصفحة 161

وقال القاضي: ويحتمل أنه ضوب مثلاً لبعث الشيطان واغوائه منه، وإن عمر في جميع أموره سالك طريق السداد خلاف ما يأمر به الشيطان" (1).

وقال في فتح البلي شوح صحيح البخاري: "قوله: (إلا سلك فجأ غير فجك) فيه فضيلة عظيمة لعمر تقتضي أن الشيطان لا سبيل له عليه، لا أن ذلك يقتضي وجود العصمة، إذ ليس فيه إلا فرار الشيطان منه أن يشركه في طريق يسلكها، ولا يمنع ذلك من وسوسته له بحسب ما تصل إليه قوته.

فإن قيل : عدم تسليطه عليه بالوسوسة يؤخذ بطريق مفهوم الموافقة؛ لأنه إذا منع من السلوك في طريق فأولى أن لا يلابسه بحيث يتمكن من وسوسته له فيمكن أن يكون حفظ من الشيطان، ولا يؤرم من ذلك ثبوت العصمة له؛ لأنها في حق النبي واجبة، وفي حق غيره ممكنة، ووقع في حديث حفصة عند الطواني في "الأوسط" بلفظ "أن الشيطان لا يلقى عمر منذ أسلم إلا خرّ لوجهه" وهذا دال على صلابته في الدين، واستتوار حاله على الجد الصوف والحق المحض.

وقال النووي: هذا الحديث محمول على ظاهره، وإن الشيطان يهرب إزاراه وقال عياض: يحتمل أن يكون ذاك على سبيل ضوب المثل، وإن عمر فرق سبيل الشيطان وسلك طريق السداد فخالف كل ما يحبه الشيطان...." (2) انتهى.

هكذا ينظر علماء المسلمين ويفسرون الرواية بعشرات الصفحات ويكرّون على الفضيلة المصطنعة، ويبررون الأفعال المشينة، بينما لا يلتفتون إلى شخص رسول الله (صلى الله عليه وآله)، بل يقرّون كل التهم ضد شخصه الكريم.

1 - شوح صحيح مسلم 15 : 165 - 166.

2 - فتح البلي 7 : 38.

الصفحة 162

روايات أخرى تقرّر وجود زمامير الشيطان في بيت رسول الله:

ثم ولتأكيد تصدير رسول الله في طرد الشيطان من بيته كما في الروايات السابقة، وخلق النقائص والصاق التهم لرسول

الله (صلى الله عليه وآله)، تذكر الصحاح والمسانيد روايات أخرى تؤكد المعنى الأول ولكنها هنا تصنع الفضائل لأبي بكر على حساب أخلاق وقيم التزام رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فقد روى البخاري في صحيحه في كتاب العيدين، باب سنة العيدين لأهل الإسلام، عن عائشة قالت: "دخل أبو بكر، وعندني جريتين من جوري الأنصار، تغنيان بما تقولت الأنصار يوم بعثت، قالت: وليستا بمغنيتين، فقال أبو بكر: أزمير الشيطان في بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ وذلك في يوم عيد، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا أبا بكر، إن لكل قوم عيداً، وهذا عيدنا" (1). ورواه مسلم في كتاب صلاة العيدين باب حواز اللعب (2).

ومقصود الرواية هو إظهار مدى حرص أبي بكر على حفظ الشريعة والالتزام بأحكامها وآدابها، وفي نفس الوقت تظهر أن الشيطان يسوح ويوح في بيت رسول الله، وزمير الشيطان تقيم عنده. ثم إن في الرواية إقرار من الرسول على أن أفعال الشيطان المحرمة جائزة في الأواح والأعياد والمناسبات، بدليل سكوت رسول الله على كلام أبي بكر، ولم يقل له أنها ليست زمير الشيطان، بل اكتفى بقوله "إن لكل قوم عيداً، وهذا عيدنا" (3).

1 - صحيح البخاري 2 : 3 ، 4 : 266.

2- صحيح مسلم 333 : 21 بتفاوت يسير في اللفظ.

3 - صحيح البخاري 2 : 2 - 3.

الصفحة 163

وروى البخاري في صحيحه، في كتاب العيدين، باب الحواب والبرق يوم العيد عن عائشة قالت: "دخل علي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعندني جريتان تغنيان بغناء بعثت، فاضطجع على الفواش وحوّل وجهه، ودخل أبو بكر فانتهرني، وقال: مزمرة الشيطان عند رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فأقبل عليه رسول الله (عليه السلام) فقال: دعهما. فلما غفل غمزتهما فخرجتا.

وكان يوم عيد، يلعب السودان بالبرق والحواب، فإما سألت النبي (صلى الله عليه وآله)، وإما قال: أنتستهمين تنظيرين. فقلت: نعم، فأقامني وراءه، خدي على خده، وهو يقول: دونكم يا بني رفة، حتى إذا مللت، قال: حسبك؟ قلت: نعم، قال: فاذهبي" (1).

ورواه البخاري أيضا في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة، باب مقدم النبي المدينة، عن عائشة: أن أبا بكر دخل عليها، والنبي (صلى الله عليه وآله) عندها، يوم فطر أو أضحي، وعندها قيتان تغنيان بما تقاذفت الأنصار يوم بعثت، فقال أبو بكر: مزار الشيطان؟ موتين، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): دعهما يا أبا بكر، إن لكل قوم عيداً، وإن عيدنا هذا اليوم" (2).

وروى البخاري في صحيحه في كتاب العيدين، باب إذا فاته العيد يصلي ركعتين، وفي كتاب المناقب، باب قصة الحبش، عن عائشة: "أن أبا بكر رضي الله عنه دخل عليها وعندها جريتان، في أيام منى، تدفقآن وتضربان، والنبي (صلى الله عليه وآله)

وآله) متغشّ بثوبه، فانتوهما أبو بكر، فكشف النبي (صلى الله عليه وآله) عن وجهه، وقال: دعهما يا أبا بكر، فإنها أيام عيد، وتلك الأيام أيام منى.

1 - صحيح البخاري 4 : 266.

2 - صحيح البخاري 4 : 266.

الصفحة 164

وقالت عائشة: رأيت النبي (صلى الله عليه وآله) يستوني، وأنا أنظر إلى الحبشة، وهم يلعبون في المسجد، فوجههم عمر، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): دعهم، أمناً بني لفدة. يعني من الأمن" (1).

أخي المؤمن المستبصر، كذا تمضي الروايات، تجعل النقائص لرسول الله وتوزّع فضائل لغره، وتجعله يبدو شخصاً عادياً ضرباً عرض الحائط بكل الآيات القوانية، الكريمة والتي تبين موقعية رسول الله (صلى الله عليه وآله) عند الله تعالى، فهو الذي أرسله بالهدى ودين الحق، وهو الذي بعثه ليتمّ مكرم الأخلاق، وهو الذي أمر بتوقره وتعظيمه والصلاة عليه وعلى آله، وهو الذي أكد أنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وكل ذلك تكريماً له وإظهاراً لعظمته وعلو مقامه السامي، وبالتالي فإن كل أفعاله وأقواله وتقواته لا يمكن أن تتناقض مع كلام الله تعالى وأمره، بل إنه (صلى الله عليه وآله) جاء ليجسد كل معاني الفضائل والأخلاق، وكل معاني الشريعة السمحاء.

وأترك للقرئ الكريم التعليق على الروايات ببصوة وإيمان، وأن يجعل من نفسه صخرة قوية شامخة للدفاع عن رسول الله ومقرنته ومقامه، وأحب أن أضيف هذه الرواية فقط مذكراً كل أولئك ماذا كان يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فقد أورد المتقي في كنز العمال والسيوطي في الدر المنثور، كلاهما عن الديلمي عن جابر عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: "إذا كان يوم القيامة قال الله عزوجل: أين الذين كانوا يزؤون أسماعهم وأبصارهم عن زمامير الشيطان؟ ميزوهم، فيميزون في كتب المسك والعنبر" (2).

وروى أحمد في المسند وغره، عن نافع مولى ابن عمر "أن ابن عمر سمع

1 - صحيح البخاري 2 : 11، 4 : 161 - 162.

2 - كنز العمال 15 : 220، الدر المنثور 5 : 153.

الصفحة 165

صوت زمرة راع، فوضع أصبعيه في أذنيه، وعدل راحلته عن الطويق وهو يقول: يا نافع! أسمع؟ فأقول نعم؛ فمضى

حتى قلت له: لا، فوضع يديه وأعاد راحلته إلى الطويق وقال: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) سمع صوت زمرة راع

فصنع مثل هذا" (1).

قال القوطبي في الجامع: "قال علمائنا: إذا كان هذا فعلهم في حقّ صوت لا يخرج عن الاعتدال، فكيف بغناء أهل هذا الزمان وزمورهم" (2).

فانظر أخي الكريم رحمك الله، كيف جعلوا النبيّ الأكرم يقرّ وجود زمامير الشيطان في بيته ويسمعها، لكنهم جعلوه مستلقياً في بيته وهو يسمع مروة مشيحاً بوجهه ومروة مغطياً وجهه بثوب، بينما أبوبكر يستنكر ذلك، ثم بعد ذلك تأمر عائشة الجريتين بالخروج تكريماً لأبي بكر وخشية من أذيتّه!.

ثم في الرواية الثانية يضع الرسول خده على خدّ عائشة على مراءى من الناس ومن دون احتشام، ثم يشجع على اللعب في دار العبادة ومركز قيادة الدولة، بينما يأتي عمر ويغضب لذلك ويسكته رسول الله!.

ولا أملك إلا أن أقول: اللهم إني أتوأتو من كل تهمة ونقيصة ألصقها برسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأتوأتو من كل فضيلة صنعها لأشخاص على حساب مقامه السامي ومولته العظيمة التي أردتها له، ومنحتها إياه، إنك لطيف لما تشاء، ولا حول ولا قوة إلا بك، أنت حسبنا وكافينا وناصرنا، اجعلنا من المحبّين المخلصين لنبيّنا وأهل بيته الطاهرين، ومن المدافعين عنهم، ولرزقنا شفاعتهم

1- أنظر الحديث في مسند أحمد 2 : 8، 38، الطبقات الكبرى 4 : 163، صحيح ابن حبان 2 : 468.

2- تفسير القوطبي 10 : 290.

الصفحة 166

إنك نعم المحبب.

هل يجوز في حق النبي أن يستحي من عثمان ولا يستحي من الله؟

انظر أخي الكريم، ودقق في تليخنا ورواياتنا، فمن أجل صناعة فضيلة لعثمان، يصفون رسول الله (صلى الله عليه وآله) بوصف لا يمكن لك أن تقبله على نفسك، فهل تقبله على رسول الله؟.

يدخل أبوبكر على رسول الله وهو جالس مع عائشة في ثوب واحد، ثم يدخل عمر ويبقى رسول الله هو وعائشة معاً في ثوب يلفه عليه وعليها، ثم يدخل عثمان فيصلح النبيّ حاله ووضعيته حياءً من عثمان (1). وفي رواية قال النبي لعائشة: "اجمعي عليك ثيابك" (2)، وفي رواية: كان كاشفاً عن فخذه فغطّاهما (3)، والتناقض واضح في الروايات، وهو ما يدلّ على

أنها من المكنوبات على رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أجل صناعة الفضائل.

ومن الملاحظ جداً في روايات صناعة الفضائل أو تبرير المواقف أنّها مع تعددها واختلاف متونها إلا أنّها وإن اختلفت وتعدّدت فإنّها تتفق بالفضيلة المصنوعة لفظاً ومعنى، ولا تختلف فيما بينها، ولكنها في الطعن على رسول الله تختلف، وفي كل مروة تكررها من جانب غير الأول.

ففي هذه الرواية مثلاً تجد أنّ عبلة حيي وتستحي منه الملائكة هي العبلة الأساسية والغرض الرئيسي لوضع الحديث،

فيتوكّز اهتمام واضع الحديث على الهدف الذي من أجله يضع الرواية، وأما عبارات الرواية الأخرى فلا

1- أنظر مسند أحمد 6 : 167 ، المصنّف لعبدالرزاق 11 : 232، صحيح ابن حبان 15 : 334.

2- أنظر مسند أحمد 1 : 71، 6 : 155، صحيح مسلم 7 : 117.

3- أنظر صحيح مسلم 7 : 116، صحيح ابن حبان 15 : 336.

الصفحة 167

يركّز عليها ولا على صياغتها، ففي هذه الرواية موهة تقول : أن النبي كان كاشفا ساقية، وموهة كان كاشفا عن فخذه، وموهة هو وعائشة في موط واحد، وموهة أصلح نفسه وجمع عليه ثيابه، وموهة قال لعائشة: اجمعي عليك ثيابك. فقد روى أحمد في المسند عن عائشة قالت: "استأذن أبو بكر على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنا معه في موط واحد قالت: فأذن له ففضى إليه حاجته وهو معي في الموط، ثم خرج، ثم استأذن عليه عمر، فأذن له، ففضى إليه حاجته على تلك الحال، ثم خرج ثم استأذن عليه عثمان، فأصلح عليه ثيابه وجلس ففضى إليه حاجته، ثم خرج. فقالت عائشة: فقلت له: يا رسول الله، استأذن عليك أبو بكر ففضى إليك حاجته على حالك تلك، ثم استأذن عليك عمر ففضى إليك حاجته على حالك تلك، ثم استأذن عليك عثمان فكأنك احتفظت. فقال: إن عثمان رجل حيي، واني لو أذنت له على تلك الحال خشيت أن لا يقضي إلي حاجته" (1).

وروى أحمد في المسند عن يحيى بن سعيد بن العاص أن سعيد بن العاص أخوه أن عائشة زوج النبي (صلى الله عليه وآله) وعثمان حدثاه أن أبا بكر استأذن على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو مضطجع على فاشه لابس موط عائشة فأذن لأبي بكر وهو كذلك ففضى إليه حاجته، ثم انصرف فاستأذن عمر، فأذن له وهو على تلك الحال، ففضى إليه حاجته، ثم انصرف، ثم جاء عثمان، ثم استأذن عليه، فجلس وقال لعائشة: اجمعي عليك ثيابك. ففضى إليه حاجته، ثم انصرف، فقالت عائشة: يا رسول الله، ما لي لم أرك فؤعت لأبي بكر وعمر كما فؤعت لعثمان. فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن عثمان رجل حيي واني خشيت إن أذنت له على تلك الحال أن لا يبلغ إلي في حاجته. قال ليث : وقال جماعة الناس : أن

1- مسند أحمد 6 : 167 ، وأنظر المصنّف لعبدالرزاق 11 : 232، صحيح ابن حبان 15 : 334.

الصفحة 168

رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لعائشة: ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة" (1).

وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم:

لقد تجاوزت صناعة الفضائل على حساب شخص رسول الله (صلى الله عليه وآله) من قبل الوضّاعين حدّاً تجلوز كل الحدود، حتّى وصل إلى ما يصحّ أن يقال عنه مهولة ليس من مهولة بعدها، فبعد أن ألقوا كل ما ذكرنا من تهمة ونقائص في

حقّ رسول الله مخالفين بذلك كلّ المفاهيم القوآنية، بل وحتىّ الإنسانية منها، حتىّ جعلوا من عمر وغوه أفضل حالاً وأصوب رأياً من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فهم هنا وبجوأة صريحة يدعون أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) استحقّ العذاب بسبب مخالفته لرأي عمر بن الخطاب، وهذا من أعجب ما قأت ممّا ذكره أصحاب الصحاح والمسانيد، وتلقّفه العلماء والشوّاح، وتلقّته العامة بالرضا والقبول.

فبحسب هذه الروايات صار عمر عند الله وعند الناس أعلى متّولة من متّولة النبوّة ومقام الرسالة.

فعند قراءتك في تفاسير أهل السنّة والجماعة ومن صحاحهم ومسانيدهم لتفسير قوله تعالى في سورة الأنفال : { ما كان

لنبي أن يّعون له أسرى حتىّ يثخنّ في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ؟ لو لا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم }⁽²⁾ . فسوف يكتشف المنصف المدقّق صحّة ما ذكرت.

فقد تولت هذه الآيات على حسب رأي أهل السنّة والجماعة عتاباً للرسول

1- أنظر مسند أحمد 1: 71، 6: 155 ، وأنظر القصّة من دون ازيادة الأخوة في صحيح مسلم 7: 117.

2- الأنفال : 67 - 68.

الصفحة 169

2 وتهديداً له بالعذاب، بسبب مخالفته لرأي عمر بن الخطاب وأخذة الفداء من أسرى بدر وعدم قتله لهم في نفس الوقت الذي كان فيه عمر بن الخطاب يريد قتلهم جميعاً، فتولت الآية مؤيّدّة لرأي عمر على حسب قولهم موافقة له مهدّدة بالعذاب الشديد لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ومن معه ، ورووا في ما يؤيّد رأيهم قولاً وضعوه من عندهم، ونسوه إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) بشأن معنى الآية السابقة الذي يتضمّن تهديداً بالعذاب الشديد، حتى صلت الشخصية الموكّبة في الحديث هي شخصيّة عمر بن الخطاب، وصلت شخصيّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) شخصيّة نون العادية.

ولكننا ومن خلال استعراض الآيات نتساءل، لمن كان ذلك التهديد في الآيات؟ فهل وبحسب الواقع العقلي والشوعي كان

النبي (صلى الله عليه وآله) في الآية يريد عرض الدنيا؟، حاشاه (صلى الله عليه وآله) ، فإنّني أعتقد أن هذا الأمر لا يجوز أن

يعتقد به أحد، ولكنّ أهل السنّة والجماعة اعتقوا به، وأنّ الرسول كان ممن يريدون عرض الدنيا.

فيروي أهل السنّة أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) كان يبكي مع أبي بكر ويقول : "إنّ كاد لمسنأ فيّ خلاف ابن الخطاب

عذاب عظيم، لو تولّ عذاب ما أقلت منه إلا ابن الخطاب"⁽¹⁾ .

فقد روى السيوطي في الدرّ المنثور قال : "أخرج ابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه من طريق نافع عن ابن عمر قال

:اختلف الناس في أسرى بدر، فاستشار النبي (صلى الله عليه وآله) أبا بكر وعمر ، فقال أبو بكر: فادهم. وقال عمر: اقتلهم.

قال قائل: رأوا قتل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهدم الإسلام ويأمره أبو بكر بالفداء ... ! وقال قائل: لو كان فيهم أبو

عمر أو أخوه ما أمره بقتلهم ... ! فأخذ رسول

الله(صلى الله عليه وآله) يقول أبي بكر ففاداهم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فأقول الله: **{ لَوْ لَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }** (1) فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله): "إِنْ كَادَ لِيَمْسَنَّا فِي خِلاَفِ ابْنِ الْخَطَّابِ عَذَابَ عَظِيمٍ، وَلَوْ تَوَلَّى الْعَذَابَ مَا أَقَلْتُ إِلَّا عَمْرًا". (2)

وروى الطوي في تفسيره قال: "قال ابن زيد: لم يكن من المؤمنين أحد ممن نصر إلا أحب الغنائم إلا عمر بن الخطاب، جعل لا يلقى أسوأ إلا ضوب عنقه، وقال: يا رسول الله ما لنا وللغنائم، نحن قوم نجاهد في دين الله حتى يعبد الله! فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله): "لو عذبنا في هذا الأمر يا عمر ما نجا غيرك" (3) .!

وهنا يضعون اعتزافاً صريحاً بأن النبي محمد كان ممن يريدون عرض الدنيا، بينما عمر بن الخطاب ينصح رسول الله بقوله : ما لنا وللغنائم، فاعترف النبي بخطئه، هكذا يوسمون شخصية النبي الأكرم محمد(صلى الله عليه وآله).

وروى السيوطي في الدر المنثور قال: "أخرج أبو نعيم في الحلية من طريق مجاهد عن ابن عمر : أن النبي(صلى الله عليه وآله) لما أشار أبو بكر فقال: قومك وعشورتك فخل سبيلهم، فاستشار عمر فقال: اقتلهم. ففاداهم رسول الله، فأقول الله: **{ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْوَى... }** (4) الآية. فلقي رسول الله(صلى الله عليه وآله) عمر فقال: كاد أن يصيبنا في خلافتك شرًا" (5)

وروى الحاكم في المستدرک عن ابن عمر قال: "استشار رسول الله(صلى الله عليه وآله) في

1- الأنفال : 68.

2- الدر المنثور 3 : 203.

3- تفسير الطوي 10 : 62 - 63.

4- الأنفال : 67.

5- الدر المنثور 3 : 202.

الأسلى أبا بكر، فقال: قومك وعشورتك فخل سبيلهم. فاستشار عمر، فقال: اقتلهم. قال: ففاداهم رسول الله(صلى الله عليه وآله) وآله).

فأقول الله عز وجل: **{ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْوَى حَتَّى يَثخنَ فِي الْأَرْضِ }** إلى قوله **{ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ خَلالًا طَيِّبًا }** (1) قال: فلقي النبي(صلى الله عليه وآله) عمر قال: كاد أن يصيبنا في خلافتك بلاءً".

وروى مسلم في صحيحه وغوه، عن ابن عباس قال: قال عمر بن الخطاب: فهوى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت، فلما كان من الغد، فإذا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأبو بكر قاعدان يبكيان، فقلت يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تبكيت لبكائكما؟. فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أبكى للذي عوض على أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عوض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة، (شجرة قريية من نبي الله (صلى الله عليه وآله))، فأقول الله عز وجل عليه { مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْوَى حَتَّى يَثْنَنَّ فِي الْأَرْضِ } (2) الآية" (3)

ولكشف الكذب والافتراء في هذه الروايات وبيان مناقضتها ومخالفتها للقوان الكريم وآياته ووضوح ذلك عند كل إنسان عاقل منصف يطلب رضوان ربه، فإنني أذكر بالآية التالية وهي قوله تعالى في سورة الأنفال: **لَوْ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يُسْتَغْفِرُونَ** (4). وهذه الآية تكريم كبير وتشريف عظيم ودلالة على عظمة مقام رسول

1- المستترك على الصحيحين 2 : 329.

2- الأنفال : 67.

3- صحيح مسلم 5 : 1057 - 158، مسند أحمد 1 : 31، 33.

4- الأنفال : 33.

الصفحة 172

الله (صلى الله عليه وآله) عند الله تعالى، فلا يقع العذاب على أمته بسبب وجوده (صلى الله عليه وآله) بينهم، وإقامته بين ظمائرهم، فهل تناسى صانعو الفضائل ووضاعوا الحديث ذلك، أم أنه من أجل الباطل تقلب الحقائق وتبدل؟ ولذلك عندما تترايط المواضيع بين الآيات القوانية، فإنني أقول أن هذه الآية المؤممة والمُعظمة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) هي المقصودة في مضمون (الكتاب الذي سبق) الورد قوله تعالى: **{ لَوْ لَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }** (1). أي أنه لولا وجود رسول الله (صلى الله عليه وآله) بينهم لمسهم العذاب فيما أخذوا، وهو ابتغاء العير والقافلة وعرض الدنيا، فقد كان المقصود أولئك الذين رأوا العير ورفضوا الحرب.

ثم إنه لا يمكن أن يخطر على بال أحد أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان من أهل الدنيا الذين يبتغون عوضها، حاشاه (صلى الله عليه وآله)، فكل الوقائع والدلائل تنفي عنه ذلك نفياً قاطعاً، بل إنه من المستحيل أن يخطر هذا خاطر على بال عاقل منصف عنده أدنى معرفة بأمر الحياة والدين، فكيف صلت القضية في هذا الموضوع معكوسة؟. ومن الذين قلبوا الحقائق وزوروا؟. ولمصلحة من كان ذلك الزور والبهتان؟.

ثم أقول هنا مرة أخرى: أن إصاق التهم برسول الله (صلى الله عليه وآله) كان من أجل تبرير أفعال كان يفعلها بعض

أولئك، فحتى تكون أمراً طبيعياً يتهمون رسول الله (صلى الله عليه وآله) بفعلها لتصبح بعد ذلك أمراً مقولاً من فاعلها الأصلي.

ولو لاحظنا الروايات المذكورة، فإنها تبيّن أن عمر بن الخطاب كان لا يحب الغنائم ولا يبتغي عوض الدنيا، وتظهر أن

العذاب كان سيقع على

1- الأنفال : 68.

الصفحة 173

المسلمين ومعهم رسول الله (صلى الله عليه وآله)؛ ولذلك فإنني رى أن الفضيلة هنا صنعت لعمر بن الخطاب للتغطية على حقيقة معينة كان المسلمون يعرفونها منه، وهي انشغاله الدائم عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالصفق بالأسواق وابتغاء عوض الدنيا، وهذا ما كان يعترف به هو شخصياً عندما كان يعجز عن معرفة حكم من الأحكام، فإنه كان يقر ويعتف ويقول : ألهاني الصفق بالأسواق⁽¹⁾.

فقد روى البخاري في صحيحه عن عبيد بن عمير : "أن أبا موسى الأشعري استأذن على عمر بن الخطاب فلم يؤذن له، وكأنه كان مشغولاً، فجع أبو موسى، فوغل عمر فقال: ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس، ائذنوا له، قيل: قد رجع، فدعاه، فقال: كنا نؤمر بذلك. فقال: تأتيني على ذلك بالبيئة، فانطلق إلى مجلس الأنصار فسألهم، فقالوا: لا يشهد لك على هذا إلا أصغرنا أبو سعيد الخوري، فذهب بأبي سعيد الخوري، فقال عمر: أخفي هذا علي من أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ ألهاني الصفق بالأسواق"⁽²⁾.

وروى المتقي الهندي في كنز العمال : "أن عمر بن الخطاب رد على أبي بن كعب قراءة آية فقال أبي: لقد سمعتها من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنت يلهيك يا عمر الصفق بالبيع! فقال عمر: صدقت"⁽³⁾.

وروى الهيثمي في مجمع الزوائد أن عمرو بن أمية وعمر بن الخطاب استئذنوا على عائشة، فقال عمرو: "أنتدك بالله أسمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: "ما أعطيتموهن فهو لكم صدقة"؟ فقالت: "اللهم نعم اللهم نعم". فقال عمر:

1 - أنظر مثلاً صحيح البخاري 3 : 7، 8 : 157، صحيح مسلم 6 : 179.

2 - صحيح البخاري 3 : 7، 8 : 157، صحيح مسلم 6 : 179.

3 - كنز العمال 13 : 261 - 262 . ونوه في الدر المنثور 4 : 179.

الصفحة 174

"أين كنت عن هذا؟ ألهاني الصفق بالأسواق"⁽¹⁾.

وهذا أمر كان معروف عند عمر بن الخطاب، ولذلك جاءت الروايات تعكس الواقع وتغطي عليه، بل وأعطت عمر بن الخطاب واءة من العذاب كان من الممكن أن لا ينجو منه أحد سوى ابن الخطاب، حتى طال العذاب رسول الله (صلى الله عليه وآله)

وآله) على حدّزعم صنّاع الحديث الذين يقدّمون عمر بن الخطاب على رسول الله دائماً، بل إنه كان من ضمن الأهداف الأساسية لوضع الحديث والافتراء على رسول الله(صلى الله عليه وآله) هو رفع شخصية معينة كعمر بن الخطاب وجعلها شخصية محورية أهمّ في الإسلام من شخصية رسول الله(صلى الله عليه وآله)، ولذلك فإنك لو دققت في كل النصوص التلخيصية لوجدت أنّ ما ذكرته لك كان من الأهداف الأساسية، وهو ما عليه العلماء في هذه الأيام.

وهنا أحبّ أن أضيف بعض الفوات مما يقوله علماء مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، فهم الوحيون الذين يشكلون قوّة الدفاع الأساسية عن رسول الله وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام، فهم حماة الدين وحراس العقيدة وأهل الولاية.

يقول السيّد عبد الحسين شرف الدين في الفصول المهمة: «وأنكر [عمر بن الخطاب] يوم بدر أخذ الفداء من الأسرى وإطلاق سراحهم ، وكان من رأيه أن يعمد حفزة إلى أخيه العباس فيقتله ، ويأخذ عليّ أخاه عقيلاً فيقتله ، وهكذا كل مسلم له قوابة في أسرى المشركين يقتله بيده حتّى لا يبقى منهم أحد ، فأعرض رسول الله(صلى الله عليه وآله) عن هذا الرأي ، تعبدًا بالوحي الموافق للوحمة والحكمة: **{ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۖ عَلَّمَهُ شَدِيدٌ }**»

1 - أنظر مجمع الزوائد 4 : 324.

الصفحة 175

(1) **{ الْقَوَى }**

لكنّ الجاهلين بعصمته وحكمته لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المسّ، ذلك بأنهم قالوا إنّما كان الحق في هذه الواقعة مع عمر ابن الخطاب ، معتمدين في ذلك على أحاديث اختلقها بعض المنافقين من أعداء الله ، وما أتول الله بها من سلطان ، فما قدروا الله حقّ قوه، وقد أمعنوا في التيه وأوغلوا في الجهل وتسكّعوا في تفسير قوله تعالى : **{ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يَتَّخِذَ فِي الْأَرْضِ تَرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۚ لَوْ لَا كُتِّبَ مِنَ اللَّهِ سَبَقٌ لِّمَسْئَلِكُمْ فِيمَا أُنذِرْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }** (2) . حيثُ اشتبهت عليهم في هذه الآية معالم القصد، وعميت لديهم فيها وجه الرشد ، فقالوا

بنزولها في التنديد برسول الله وأصحابه ، حيث أثروا (زعم هؤلاء الجهلاء) عرض الدنيا على الآخرة ، فاتّخنوا الأسرى ، وأخذوا منهم الفداء قبل أن يتّخنوا في الأرض، وزعموا أنّه لم يسلم يومئذ من الخطيئة إلا عمر ، وانه لو تول العذاب لم يفلت منه إلا ابن الخطّاب ، ورووا في ذلك من الروايات الموضوعة ما شاءه جهلهم ، واقتضاه نفاق الواضعين وعداوتهم .

وكذب من زعم أنّه(صلى الله عليه وآله) اتّخذ الأسرى وأخذ منهم الفداء قبل أن يتّخن في الأرض ، فإنه بآبي وأمي إنّما فعل ذلك بعد أن اتّخن في الأرض ، وقتل صنّاد قريش وطواغيتها ، كأبي جهل وعتبة وشيبة والوليد وحنظلة إلى سبعين من رؤوس الكفر وزعماء الضلال ، كما هو معلوم بالضرورة الأولىّة،

1- النجم : 3 - 5.

ككيف يمكن بعد هذا أن يتلوه (صلى الله عليه وآله) اللوم المذكور في الآية (تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً) ؟

!.

والصواب أن الآية إنما تزلت في التنديد بالذين كانوا يودون العير وأصحابه على ما حكاه الله تعالى عنهم بقوله في هذه

الواقعة عز من قائل : **لَوَإِذٍ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونَ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ** { (1) ... " (2) انتهى.

وبالتالي يظهر أن قضية الأسوى كانت تصب في موقع آخر، وكانت الآيات تكشف أحوال العديد من أبناء الدنيا من

الصحابة، ولكن أيدي التحريف والتزوير حوتت القضية إلى فضيلة لعمر وتهمة لرسول الله كما فعلت تلك الأيدي عشوات

التحريفات في غير هذه القضية، وكلها أخي الكريم تستطيع اكتشافها من خلال التدقيق في التلويح وإعادة وراسته بدقة

وموضوعية.

ففي قضية الأسوى نجد أن الرسول محمداً (صلى الله عليه وآله) استجاب لأمر ربه وأتخن في الكفار وقتل منهم هو وعلي

وحزرة أكثر من سبعين شخصاً.

إذن فهذا الأمر طبقه الرسول صلى الله عليه وآله فلا يمكن أن يكون هو المقصود من التنديد ولا بد أن يكون غيره.

وبما أنه برز دور عظيم في معركة بدر الكوى لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) ، ولم يبرز أي دور لأبي بكر وعمر،

وكان هناك قبل المعركة تخاذل واضح بعد

1- الأنفال : 70.

2- الفصول المهمة : 112 - 113.

ملاحقة قافلة أبي سفيان حيث كان أغلب من ذهب يبتغي عرض الدنيا من القافلة، فبعد أن تم إيصال خبر قصد العير من

قبل المنافقين في المدينة الذين كانوا على عهد ووفاء مع كفار قريش، ظن أولئك أن الأمور يجب أن تنتهي عند ذلك الحد، لكن

الوحي كان قد سبقهم بأمر التوجه إلى بدر، فتقاعس أولئك لأنهم كانوا يودون غير ذات الشوكة تكون لهم.

ثم دلت المعركة وانتصر رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وبرز دور أهل البيت الذين أثنوا في كفار قريش، وكان أكثر

من نصف قتلى المشركين بسيف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وتزلت الآيات المبشورة بوجود الملائكة مع

المؤمنين وقتالهم إلى جانبهم.

إن كل تلك الأمور اقتضت من المبغضين لرسول الله (صلى الله عليه وآله) والحاسدين لأهل بيته أن يبذلوا كل الجهود

لتغيير ذلك الواقع، واقع النصر والتأييد من الله تعالى، فوضعت الأحاديث التي قلبت الحقائق وطمست نشوة النصر وأخفت نور أمير المؤمنين (عليه السلام)، وأبرزت من كان نوره تخاذلياً أو مخفياً، وجعلت منه بطل المعركة الأساسي من خلال التتقيص والخط من مقام رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهكذا نجح الوضاعون بقلب الحقائق مرة أخرى، وجعلوا من رسول الله (صلى الله عليه وآله) شخصاً عادياً، وجعلت من عمر أفضل منه عند الله تعالى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

موافقات عمر لربه:

وأستغرب من صحاح المسلمين ومسانيدهم وعلماهم عندما يخصصون أبواباً في كتبهم في موافقات عمر لربه، وكذلك عمر نفسه عندما يدعي ويقول: وافقت ربي في ثلاث في مقام إبراهيم وفي الحجاب وفي أسرى

الصفحة 178

(1)

بدر .

وبالرغم مما في ادعاء الموافقة من قلة أدب وشذوذ في السلوك، فإنني أترك تحليلها لزاوية القارئ المنصف المحب لربه والمدافع عن رسوله وأهل بيته.

وقد تعرضنا لقضية أسرى بدر وكشفنا تناقضها وخطورتها، وانه لا يجوز الاعتقاد بها على ذلك الشكل الذي فيه إهانة لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، وتعرضنا أيضاً لقضية الحجاب وكثير من تفاصيلها من خلال البحث، وتبين لنا أنها ليست كما يروج لها البعض، فهي لا تدخل في باب الفضائل، وإنما كانت قضية تعد على مقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلى حرمانه، وكانت قضية تجسس وتتبع لعرات المسلمين، وعلى الخصوص أم المؤمنين سودة، والأخطر أنها كانت تطول على مقام النبوة ومثولة الوسالة، بل وأكثر من ذلك فقد كانت تلك القضية فيها من التطول على مقام الوبوبية، حيث تظهر الروايات أن رب الغوة جل شأنه كان دائماً موافقاً لعمر بن الخطاب ودائماً ضد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، بل ومعاتبا له أو مهدداً بالعذاب، وكل ذلك مناقض تماماً لشخص رسول الله وموقعيته ومقامه، ومناقض لكل الآيات القرآنية التي تولت مشورة لفضله وعصمته وعظمته ووجوب طاعته والاستسلام لإرادته؛ ولذلك فإن هذه القضية (قضية موافقات عمر) من الخطورة بمكان؛ لأن تفضيل شخصية أخرى على شخص رسول الله (صلى الله عليه وآله) والاعتقاد بذلك هو تطاول على اختيار الله تعالى لرسولنا محمد (صلى الله عليه وآله)، وكأن لسان حال المعتقد بذلك يخطئ اختيار رب العالمين، وهذا تعد كبير وخطير وفيه ما فيه من الأحكام، كما وإن الاعتقاد بها هو تشكيك بالوحي

1- أنظر صحيح مسلم 7 : 116، المعجم الأوسط 6 : 93، تزيخ دمشق 44 : 112.

الصفحة 179

وبكلام النبي الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، كما أن القرآن الكريم يثبت في آيات عديدة أن رسول الله يتبع ما يوحى إليه ولا يمكن له مخالفة أمر الله تعالى، يقول تعالى في سورة يونس : **{ إِنْ أَتَبَعَ إِلَّا مَا يُّوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ**

(1)

عَصِيَّتْ رَبِّيَّ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ {

كما أنّ تلك الموافقات المدعاة وما يؤيدها من روايات تظهر باطلاً لا يجوز الاعتقاد به، وهو شراكة عمر لرسول الله في الوحي، وهذا لا يجوز، ومن اعتقد به خرج من الملة.

وعليه فإنّه يجب أن تُردّ كل تلك الموافقات والتي وصلت وعلى حسب الرواة إلى أكثر من عشرين موافقة، وبتحليل بسيط ومطالعة سطحية تستطيع أن تتمكن من الحقيقة، فكل تلك الموافقات متناقضة وموضوعة ومفتّاة على رسول الله (صلى الله عليه وآله)؛ للحطّ من منزلته ومقامه، من أجل أن يكون شخصية دون العادية، وحتى يرفعوا مقامات أولئك من خلال الكذب والافتراء.

ولو دققنا في موضوع مقام إراهيم، لوجدنا أنّ الحقيقة هي أن عمر بن الخطاب هو الذي اختلف مع القرآن الكريم ومع رسول الله (صلى الله عليه وآله) عندما غير موقع مقام إراهيم الذي أقرّه الله تعالى وحدده رسول الله، فكيف يكون من غير شيئاً أوقفه الله تعالى وحدده في مكان معين وغيرّ وبدل، كيف يكون موافقاً لربه؟! لأنّ الموافقات لربه هو من يلتزم بأمر الله تعالى ويلتزم قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفعله وتورّه.

ثمّ إنّ مقام إراهيم كان مصلياً قبل بعثة النبي محمد، فقد كان الناس بعد سيدنا إراهيم (عليه السلام) يصلون خلف المقام، وحتى الحنيفيون الموحّتون الذين

1- يونس : 15.

الصفحة 180

كانوا في عصر الجاهلية اتّخّوا من مقام إراهيم مصلياً.

ثمّ إنّ الأصل في الوحي أن يُتولّى كل أمر إلهي على من اختاره الله تعالى واصطفاه؛ ليكون محلاً للأدبته، وهو رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلا يقبل الشروع ولا العقل أن يأمر الله تعالى بأمر يتخطى به رسول الله الذي اختاره مبلغاً وبشواً ونزواً، بل يجب أن يردّ هذا القول ولا يمكن أن يتأتى القبول به.

ولو نظرنا أيضاً إلى موافقة عمر في الأذان وتشريعه، لوجدنا أنّ العقل والشروع والمنطق لا يمكن أن يتوافق مع ذلك الادعاء المستخفّ بالشريعة وعقول الناس.

فعندما أمر الله تعالى بأداء الصلاة، فإنّه من المنقّق عليه أن الله تعالى بين لنبيه كيفياتها ومواقبتها وشروطها وأركانها، ومن

المقطع به عقلاً وشوعاً أنّه بين كيفية النداء لها، فقد قال الله تعالى في سورة الجمعة : **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَادَى**

لِلصَّلَاةِ ... } (1) . وقد ذكّرت الروايات أنّ تشريع الأذان كان في رحلة الإساء والمواج عندما شوّعت الصلاة، فقد روى

القطبي قال: قال العلماء: وقد كان النبي (صلى الله عليه وآله) سمع الأذان ليلة الإساء في السماء (2) .

ثمّ أنّهم يدعون أن أمر الأذان أهم النبي (صلى الله عليه وآله)، ولم يعرف كيف ينادي للصلاة، أي أن الله تعالى أمر نبيه

بالصلاة والتي هي عمود الدين وتتركه بعد ذلك حائراً حتى جاء به عمر فأنقذ الموقف، وإذا كان نصّ الأذان جاء من عمر فمن المؤكد أنه جاء بنص معين وكيفية محددة، فلماذا اختلف المسلمون في كيفية الأذان في كتب الحديث والفقهاء، حتى أنك تجد أكثر من عشر كميّات؟ وإذا وافق عمر ربه في الأذان، فأين الإقامة للصلاة؟ وكيف عرفها

1- الجمعة : 9.

2- تفسير القوطي 6: 125 .

الصفحة 181

رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟. فإذا قلنا علمها من الوحي، فنقول كيف شوع الوحي الإقامة للصلاة وترك الأذان يحتار به رسول الله؟.

وعليه فإن موضوع الموافقات هذا يكتشف منه أيضاً كيف كان المسلمون وما زالوا يعتبرون نبي الله شخصاً عادياً ويَطعنون به وبِعصمته، وبالمقابل يصنعون الفضائل لمن لم يكن نبياً ولا رسولاً، حتى وصلت الأمور إلى أن يُقبل المسلمون ذلك ويروضون به ويسلمون.

قصة الغوانيق وسجود رسول الله للأصنام:

من الثابت المقطوع به أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يسجد لصنم قطّ قبل بعثته بالوسالة ولا في حياته مطلقاً، وقد حاز هذه الفضيلة معه من المسلمين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، فهو لم يسجد لصنم أيضاً، ولذلك يقول أهل السنّة والجماعة بعد ذكر عليّ (عليه السلام) كرم الله وجهه لأنه لم يسجد لصنم قطّ.

بينما نجد أنّ كبار الصحابة قبل الإسلام كانوا يعبدون الأصنام كأبي بكر وعمر وغوهم.

ولما كانت هذه الفضيلة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ولأمير المؤمنين (عليه السلام) صعبة المنال من بقية الصحابة المذكورين الذين كان تليخهم حافل وعاية الأصنام وعبادتها، وليس من الممكن طمس تلك الحقيقة بعد الإسلام، فكان لابدّ من محاولة تغيير الواقع، فقام الوضّاعون بخلق قصة الغوانيق، وسجود رسول الله (صلى الله عليه وآله) للأصنام، وكذلك وضع

روايات تثبت أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) طاف بالبيت عرياناً وذلك من أجل تغيير الحقيقة وإثبات أنّ رسول الله (صلى

الله عليه وآله) كان شخصاً عادياً مثلهم، ولا يختلف عنهم بشيء، فقد كان يعبد الأصنام ويشرب النبيذ ويطوف بالبيت عرياناً

وغير ذلك من الأمور التي كانوا يفعلونها، فعندما



يتهمون رسول الله بفعلها تتوجه أنظار الأغبياء إليه وتتبع عن الفاعل الحقيقي من تلك الناحية. وبالتالي فإن كل تلك النقاط السوداء المخزية تنطمس من تزيخهم وبيبرؤون منها؛ لأنهم لم يفعلوا تلك المخزي وحدهم.

وأصل قضية الغوايق والمدخل الذي دخل منه المجرمون إليها، هو تفسير قوله تعالى في سورة الحج : **{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانَ فِي أَمْنِيَّتِهِ فَيُفْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكَمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ**

(1) **حَكِيمٌ** .

فقد روى السيوطي في الدر المنثور قال : "أخرج الزأر والطواني وابن موديه والضياء في المختلة بسند رجاله ثقات من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوا " أفأيتم اللات والعوى ومناة الثالثة الأخرى تلك الغوايق العلى، وإن شفاعتهن لتوتجى"، فوح المشركون بذلك، وقالوا: قد ذكر آلهتنا، فجاءه جبريل فقال: أوأ علي ما جئتك به، فقوا " أفأيتم اللات والعوى ومناة الثالثة الأخرى" تلك الغوايق العلى وإن شفاعتهن لتوتجى". فقال: ما أتيتك بهذا! هذا من الشيطان. فأقول الله : **{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى** (2) . إلى آخر الآية" (3) .

وأخرج البيهقي والطواني وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن موديه بسند صحيح، عن سعيد بن جبير قال: "قوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمكة النجم، فلما بلغ هذا الموضع : **{ أفأيتم اللات والعوى ومناة الثالثة الأخرى** (4) ألقى الشيطان على لسانه : "تلك الغوايق العلى وإن شفاعتهن لتوتجى". قالوا :

1- الحج : 52.

2- الحج : 52.

3- الدر المنثور 4 : 366.

4- النجم : 19 - 20.

ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم، فسجد وسجوا، ثم جاءه جبريل بعد ذلك قال: اعرض علي ما جئتك به، فلما بلغ: تلك

الغوايق العلى وإن شفاعتهن لتوتجى. قال له جبريل: لم أتك بهذا، هذا من الشيطان، فأقول الله : **{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ**

رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى (1) (2) .

كما أكد صحة الرواية الحافظ ابن حجر العسقلاني (3) والحافظ الهيثمي (4) والشيخ إواهم الكوراني (5) وغورهم.

وكما ذكرنا ونؤكد ذلك مرة أخرى عند مطالعة هذه الروايات وأمثالها، فإنه يجب أن نذكر دائما أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) معصوم، ولا يمكن أن يتمكّن الشيطان منه، ولكن السلطات الحاكمة والحساد وأعداء رسول الله والمبغضين له، مكّنوا الشيطان منه (صلى الله عليه وآله) في عشوات الأحاديث المذكورة في صحاح المسلمين، وقد ذكرنا أحاديث مؤامير

الشيطان في بيت رسول الله وأمثالها ومنها قضية الغوايق هذه.

إذن فهم قد مكّنوا الشيطان من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، بينما نفوا بأن يكون للشيطان أي قوة على شخص غير معصوم كعمر بن الخطاب، ووضعوا لذلك أحاديثاً كثيرة تبيّن أن الشيطان إذارأى عمر بن الخطاب فإنه يهرب منه ومن الفج الذي يسلكه (6).

ثم إن القضية هي قضية تشريع ووحى. وكل فئات المسلمين وطوائفهم

1- الحج : 52.

2- الدر المنثور 4 : 366.

3- أنظر فتح البلي 8 : 333. تفسير الأوسي 17 : 176.

4- أنظر مجمع الزوائد 7 : 115.

5- على ما في تفسير روح المعاني 17 : 176.

6- صحيح البخاري 4 : 199.

الصفحة 184

حتى من لم يعتقد بالعصمة الكاملة لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، اتفقوا كلهم على عصمته بالتشريع والوحي، ولذلك جاءت قضية الغوايق مناقضة تماماً لآيات العصمة، وكذلك الآيات التي تقرّر أن كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحي من الله تعالى لا يمكن له أن يخالفه أو يخطئ به، وما يتناقض مع القوان الكريم وآياته لا يجوز القبول به، بل نعتقد أنه من وضع البشر الذين أخذوا على عاتقهم العمل ضدّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى يطعنوا في مقامه ومولته، فهنا جعلوه يضيف على الوحي بفعل الشيطان، وفي روايات أخرى جعلوه ينسى آيات القوان (1) ولم يهتمّ به ولا بجمعه وحاشاه (صلى الله عليه وآله) من ذلك.

ثم إن القبول بمثل هذا الطعن على رسول الله وإمكانية تدخل الشيطان ووسوسته في الوحي واللعب فيه كما يحلو له، تعزّر من إمكانيات التشكيك في كلّ ما جاء به الوحي.

ثم إنّه من المعلوم من الدين بالضرورة أن الله تعالى تكفل بحفظ القوان الكريم ودين محمد العظيم عندما قال : **{ إِنَّا نَحْنُ مُرْسِلُو الذِّكْرِ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }** (2).

فبالتالي يعتبر قبول الطعن على رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو تشكيك في قوة الله تعالى على حفظ القوان وآياته، وتشكيك في صفات الله وأسمائه، وهو ما يخرج المسلم عن دينه وعقيدته.

ولذلك فإنّه من المقطوع به أنه لا يجوز تفسير قوله تعالى : **{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى }**

الشَّيْطَانَ فِي أَمْنِيَّتِهِ فَيَنْسِخُ اللَّهُ مَا

1- تقدّم ذلك.

2- الحجر : 9.

الصفحة 185

يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ⁽¹⁾ ، لا يجوز تفسيرها بما يتناقض مع القرآن وآياته، أو بما يتناقض مع مقام النبوة ومقالة الرسالة، بل إنّ الموقف الطبيعي من المؤمن أن يفرض كل تلك التأويلات، وكل تلك التناقضات، ولكن وللأسف الشديد تمّ قبول كل ما فيه طعن وتنقيص لرسول الله العظيم من قبل أهل السنة والجماعة، ولم يعنوا أنفسهم بالدفاع عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولو في موقف واحد، بينما تجدهم في حالة دفاع مستمر وبشكل مستميت عن أبي بكر وعمر ومعاوية ويؤيد وغيروهم.

إنّ معنى الآية هو أنّ كل نبي أو رسول أو محدث كما في بعض الروايات يتمنى أن تُأل كل الحواجز والعوائق والشبهات من أمام دعوته ونشورها للناس، هذه الأمنية يتصدّى لها الشيطان بأن يلقى في قلوب الناس الشبهات والأباطيل، ويضع العوائق في طريق الدعوة، فينسخ الله ما يلقى الشيطان من قلوب المؤمنين فيثبتوا على إيمانهم ويؤدوا إيماناً، وتثبت وترسخ شبهات الشيطان في قلوب المنافقين والمشككين والطاعنين بعصمة رسول الله ومقرّته ومقامه العظيم من أمثال واضعي قضية الغوانيق وأتباعهم، ثمّ يحكم الله سبحانه وتعالى بعد الاختبار والصبر والتحمل آياته ويثبتها في قلوب المؤمنين، فهو سبحانه وتعالى عليم بقلوب العباد، ويعرف المؤمن والمنافق وهو سبحانه حكيم في إظهار رادته بأن يقيم الحجّة على الناس، فيتميز الخبيث من الطيب والمؤمن من المنافق.

وقال في التفسير الصافي : "في الاحتجاج، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في حديث مضى بعضه في المقدمة فيذكر الله جلّ ذكره لنبيه ما يحدثه عوّه في

1- الحج : 52.

الصفحة 186

كتابه من بعده بقوله : وما أرسلنا من قبلك الآية ، يعني أنّه ما من نبيّ تمنى مفارقة ما يعانيه من نفاق قومه وعقوقهم والانتقال عنها إلى دار الإقامة إلا ألقى الشيطان المعوض بعداوته عند فقده في الكتاب الذي اتّول عليه ذمه والقدح فيه والطعن عليه فينسخ الله ذلك من قلوب المؤمنين فلا يقبله ولا يصغي إليه غير قلوب المنافقين والجاهلين ويحكم الله آياته بأن يحمي أوليائه من الضلال والعوان ومتابعة أهل الكفر والطغيان الذين لم يرض الله أن يجعلهم كالأنعام حتّى قال : "بل هم أضل سبيلاً" ⁽¹⁾ ⁽²⁾ .

لماذا يتّهمون الرسول بشرب النبيذ؟

ومن القضايا الخطوة والتي حاولوا وضع روايات من أجلها، هي موضوع شرب النبيذ، وهو موضوع اختلفوا فيه كثيراً بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، واختلفت كذلك لآراء العلماء حوله كثيراً، وحصل حوله لغط كبير، حتى وصلت اجتهادات العلماء إلى أن أباح بعضهم نبيذ الخمر وقال بحليته وذلك أن تحريمه يؤدي إلى تفسيق العديد من الصحابة (3). وحتى يومنا هذا، هناك أشياء لا يعتوها المسلمون خرواً أو من توابعه كالخبيص وكذلك ملبن العنب، وهذه أشياء مصنوعة من عصير عنب لم يذهب ثلثاه بالغلي، وهو ما يسمّى بالطلاء، مع أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) نهى عن الطلاء كما هو مذكور في صحاح ومسانيد المسلمين، ولكن المسلمين اليوم لا يلقون بالآ لذلك؛ لأن عدداً كبيراً من الصحابة قد شرب الطلاء وأباحه.

1 - الفرقان : 44.

2- تفسير الصافي 3 : 386.

3 - وهورأي أبو حنيفة وسيأتي قريباً.

الصفحة 187

قال أبو داود : سألت أحمد عن شرب الطلاء إذا ذهب ثلثاه وبقي ثلثه، فقال : لا بأس (1).

وروى النسائي عن عبد الملك بن الطفيل الجزي قال : كتب إلينا عمر بن عبد العزيز : "لا تشربوا من الطلاء حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه وكل مسكر حرام" (2).

وروى النسائي عن سعيد بن المسيب قال : "إذا طبخ الطلاء على الثلث فلا بأس به" (3).

قال السندي : قوله : "إذا طبخ الطلاء على الثلث" يريد على أن يبقى منه الثلث" (4).

وروى النسائي عن سويد بن غفلة قال : "كتب عمر بن الخطاب إلى بعض عماله أن أرزاق المسلمين من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه" (5).

وروى النسائي في سننه في كتاب الأثوبة، باب ما يجوز شربه من الطلاء وما لا يجوز، بسنده عن أبي رجاء قال : "سألت الحسن عن الطلاء المنصف؟ فقال : لا تشربه" (6).

وروى أبو داود ، عن مالك بن أبي مريم قال : دخل علينا عبد الرحمن بن غنم فتذكرنا الطلاء فقال : حدثني أبو مالك الأشعوي : أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله)

1- المغني لابن قدامة 10 : 341.

2- سنن النسائي 8 : 299، تفسير الثعلبي 2 : 144.

3- سنن النسائي 8 : 330.

4- حاشية السندي على النسائي 8 : 330.

5- سنن النسائي 8 : 329 ، المصنف لعبدالرزاق 9 : 255.

6- سنن النسائي 8 : 330.

الصفحة 188

يقول: "ليشوبين ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها" (1).

لقد أطنبت في ذكر الأحاديث التي تتعلق بالطلاء، وذلك أن الحكم الشرعي عند أهل البيت (عليهم السلام) أنّ العصير العنبي إذا غلى ولم يذهب ثلثاه فهو حرام، ولكن عند أهل السنة والجماعة وبسبب تقرير العلماء لأفعال الصحابة ضاعت الأحكام، وهاهم أغلب أهل الشام وغوها من البلدان يأكلون الخبيص وملّين العنب دون أن يوري أحدهم أنّها حرام، فالجميع وقع في الحرام بسبب العلماء الذين لم يريوا تفسيق الصحابة لشربهم النبيذ، فكانت آثار ذلك التقرير، استحلال النبيذ حتى يومنا هذا.

واليك بعض ممّا قاله علماء المذاهب.

فقد قال في بدائع الصنائع: "... وروي هذا المذهب عن عبدالله بن عباس وعبدالله بن سيّدنا عمر أنّه قال حين سئل عن النبيذ : "شرب الواحد والاثنين والثلاثة، فإذا خفت السكر فدع!!" وإذا ثبت الإحلال من هؤلاء الكبار من الصحابة فالقول بالتحريم يرجع إلى تفسيقهم وأتته بدعة، ولهذا عدّ أبو حنيفة إحلال المثلث من شرائط مذهب أهل السنة والجماعة، فقال في بيانها : أن يفضّل الشيخين ويحبّ الخنتين وأن يرى المسح على الخفين، وأن لا يحرم النبيذ الخمر لما أن فيّ القول بتحريمه تفسيق كبار الصحابة رضي الله تعالى عنهم ! والكفّ عن تفسيقهم والإمساك عن الطعن فيهم من شرائط السنة والجماعة" (2).

والذي يتبيّن من ذلك هو وجود العديد من الصحابة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)

1- سنن أبي داود 2 : 186 ، مسند أحمد 5 : 342.

2- بدائع الصنائع 5 : 116 - 117.

الصفحة 189

كانوا قد أدمنوا على شرب النبيذ الخمر، بحيث كان الأمر معروفاً للقاصي والداني، وهنا نشأت الحرة عند الفقهاء وعلماء السلاطين، فواجبهم الدفاع عن الصحابة والخلفاء الذين يشربون النبيذ أمام كلّ الناس، وقد اشتهر في كتب الصحاح والمسانيد عن شرب عمر بن الخطاب وكذلك معاوية بن أبي سفيان وفريد بن معاوية وكثير من ولاتهم ومقربهم.

فصار الأمر عند الفقهاء إمّا أن يحرموا شرب النبيذ الخمر وبالتالي تفسيق العديد من الصحابة، وإمّا أن يحلوه ويخالفوا الوان والسنة الشريفة فاختروا الدفاع عن الصحابة والخلفاء وأفعالهم ومخالفة شوع الله الحنيف!. فالعبرة السابقة واضحة في

ذلك فإنّ القول بالتحريم ليس لعدم الدليل، بل لأنّ ذلك يستلزم تفسيق كبار الصحابة!!

ثمّ قام بعد ذلك مركز وضع الحديث في وضع العديد من الروايات الباطلة والتي يُتهم فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) بشرب النبيذ من أجل أن تكون مبررات شرب الصحابة والخلفاء للنبيذ أقوى، فإذا شرب رسول الله بحسب رواياتهم فلا مجال للبحث في من يشربون النبيذ الخمر بعد ذلك.

وهكذا جعلوا من رسول الله (صلى الله عليه وآله) يشرب النبيذ، وأصقوا به تلك التهمة مع غيرها من التهم، وجعلوه يخالف أحكام القرآن وأحكام الشيعة، فقد هان عليهم اتّهام رسول الله (صلى الله عليه وآله) مقابل الدفاع عن الذين خالفوا أحكام ربهم. وبعد هذا البيان، فإنّني سوف أذكر الروايات التي تبيّن شرب الصحابة والخلفاء نبيذ الخمر، ثم أذكر الروايات التي وضعوها لتوير أفعال من شرب النبيذ من خلال الاتّهام المباشر لرسول الله (صلى الله عليه وآله).

فقد روى العقيلي بسنده إلى سعيد بن ذي لعة قال : "شرب أعرابي نبيذاً من إدوة عمر فسكر، فأمر به فجلد، فقال : إنّي شربت نبيذاً من أوثاك، فقال

الصفحة 190

عمر : إنّما نجلدك على السكر" (1).

وروى ابن أبي شيبه في مصنّفه عن حسان بن مخلوق، قال : "بلغني أن عمر ابن الخطاب ساير رجلاً في سفر، وكان صائماً، فلما أفطر أهوى إلى قربة لعمر معلقة فيها نبيذ قد خضخضها البعير، فشرب منها، فسكر. فضوبه عمر الحدّ، فقال : إنّما شربت من قربتك، فقال له عمر : إنّما جلدناك لسرك" (2).

وقال الشافعي في كتاب الأم : قال بعض الناس : الخمر حرام، والسكر من كلّ الثواب، ولا يحرم المسكر حتّى يسكر منه، ولا يحدّ من شرب نبيذاً مسكراً حتّى يسكوه . فقل لبعض من قال هذا القول : كيف خالفت ما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) وثبت عن عمر وروي عن عليّ ولم يقل أحد من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) خلافه ؟ قال روينا فيه عن عمر أنّه شرب فضل شواب رجل حدة... (3).

وروى في بدائع الصنائع قال : وأمّا الآثار : فمنها ما روي عن عمر بن الخطاب أنّه كان يشرب النبيذ الشديد ويقول إنّنا لننحر الجزور وأنّ العنق منها لآل عمر ولا يقطعه إلا النبيذ الشديد (4).

وروى في الطبقات الكوى عن أنس قال : كان أحبّ الطعام إلى عمر الثقل وأحبّ الشواب إليه النبيذ (5).

وروى البيهقي في سننه عن عمرو بن ميمون قال : قال عمر بن الخطاب : إنّنا

1- ضعفاء العقيلي 2 : 105 ، وسيأتي ما يؤيد ذلك.

2- المصنّف لابن أبي شيبه 6 : 502 ، نصب الراية 4 : 162.

3- كتاب الأم 6 : 156.

4- بدائع الصنائع 5 : 116.

(1) لنشرب من النبيذ نبيذاً يقطع لحوم الإبل في بطوننا من أن تؤذينا .

وروى في كنز العمال عن عتبة بن فرقد قال : قدمت على عمر بسلال خبيص فقال : ما هذا ؟ فقلت : طعام أتيتك به لأتاك تقضي في حاجات الناس أول النهار، فأحببت إدارجعت أن توجع إلى طعام فتصيب منه فواك ، فكشف عن سلة منها فقال : عزت عليك يا عتبة، أرزقت كل رجل من المسلمين سلة ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين! لو أنفقت مال قيس كلها ما وسعت ذلك ، قال : فلا حاجة لي فيه ، ثم دعا بقصعة ثريد خزاً حشناً ولحماً غليظاً وهو يأكل معي أكلاً شهياً ، فجعلت أهوي إلى البيضة البيضاء أحسبها سناماً فإذا هي عسبة : والبضعة من اللحم أمضغها فلا أسيغها، فإذا غفل عني جعلتها بين الخوان والقصعة ، ثم دعا بعس من نبيذ قد كاد أن يكون خلا فقال : اشرب ، فأخذته وما أكاد أسيغه ، ثم أخذته فشرب، ثم قال : اسمع يا عتبة : إنا ننحر كل يوم جزيراً، فأما ودكها وأطايبيها فلمن حضونا من آفاق المسلمين ، وأما عنقها فلأل عمر، يأكل هذا اللحم الغليظ ويشرب هذا النبيذ الشديد يقطع في بطوننا أن يؤذينا .⁽²⁾

وروى في المصنّف عن عمر قال : اشربوا هذا النبيذ في هذه الأسقية، فإنه يقيم الصلب ويهضم ما في البطن، وإنه لن يغلبكم ما وجدتم الماء .⁽³⁾

وروى البيهقي في سننه عن زيد بن أسلم أن أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) كانوا إذا حمض عليهم النبيذ كسروه بالماء .!⁽⁴⁾

1 - السنن الكوى 8 : 299.

2 - الزهد لهناد 2 : 364 - 365 وعنه في كنز العمال 12 : 627، واللفظ للثاني.

3- المصنّف لابن أبي شيبة 5 : 526 وعنه في كنز العمال 5 : 522.

4 - السنن الكوى 5 : 306.

وروى البيهقي في سننه أن عمر بن الخطاب لما طعن أتاها الطبيب فقال له: أي الشواب أحب إليك؟ قال: النبيذ. قال فدعي بالنبيذ فشرب منه، فخرج من إحدى طعناته . فقال : إنما هذا الصديد صديد الدم. قال: فدعي بلبن فشرب فخرج. فقال الطبيب: أوصي ... ما رأك تمسي .⁽¹⁾

معاوية والخمر:

وأما معاوية فلم يتوقف عن نبيذ الخمر بل كان يشرب الخمر من دون مبالاة بأحكام الشريعة، وحيث إننا بصدد من شرب نبيذ الخمر فلا بأس أن نتعرض لشرب معاوية للخمر .

روى أحمد في مسنده عن عبد الله بن بريدة قال: دخلت أنا وأبي على معاوية فأجلسنا على الفوش ثم أتينا بالطعام فأكلنا، ثم أتينا بالشراب فشرب معاوية، ثم ناول أبي، ثم قال: ما شربته منذ حرّم رسول الله⁽²⁾.

وروى ابن عساکر عن اسماعيل بن عبيد بن رفاعة عن أبيه قال: إنّ عبادة بن الصامت مرّت عليه قطرة وهو بالشام تحمل الخمر فقال: ما هذه؟ أُرِيت؟ قيل: لا، بل خمر تباع لفلان - يعني معاوية - ، فأخذ شفة من السوق فقام إليها فلم يذر فيها راوية إلا بوقها، وأبو هريرة إذ ذاك بالشام، فرسل فلان إلى أبي هريرة فقال: ألا تمسك عنّا أخاك عبادة؟. أما بالغوات فيغنون إلى السوق فيفسد على أهل الذمة متاجرهم، وأما بالعشي فيقعّد في المسجد ليس له عمل إلا شتم أعواننا أو عيينا، فامسك عنّا أخاك. فأقبل أبو هريرة يمشي حتّى

1 - السنن الكوى 3 : 113 ، وأنظر المصنّف لابن أبي شيبة 5 : 488 ، 524 .

2- مسند أحمد 5 : 347 ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 5 : 40 وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

الصفحة 193

دخل على عبادة فقال له: يا عبادة! مالك ولمعاوية؟ فوه وما حمل، فإنّ الله يقول: **{ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ }**⁽¹⁾ قال: يا أبا هريرة؟ لم تكن معنا إذ بايعنا رسول الله(صلى الله عليه وآله)، بايعناه على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن نقول في الله لا تأخذنا في الله لومة لائم، وعلى أن ننصوه إذا قدم علينا يثرب، فتمنعه مما تمنع منه أنفسنا وأزواجنا وأهلنا ولنا الجنة، ومن وفى، وفى الله له الجنة مما بايع عليه رسول الله(صلى الله عليه وآله) ومن نكث فإنما ينكث على نفسه"⁽²⁾.

وروى ابن عساکر وابن حجر في الإصابة وابن الأثير من طريق محمد بن كعب القوي قال: عوا عبد الرحمن بن سهل الأنصلي في زمن عثمان، ومعاوية أمراً على الشام، فموتت به روايا خمر فقام إليها برمحه فنقر كل راوية منها، فناوشه الغلمان حتّى بلغ شأنه معاوية فقال: دعوه فإنّه شيخ قد ذهب عقله. فقال: كلا والله ما ذهب عقلي، ولكن رسول الله(صلى الله عليه وآله) نهانا أن ندخل بطوننا وأسقيتنا خمرًا، وأحلف بالله لئن بقيت حتّى رى في معاوية ما سمعت من رسول الله(صلى الله عليه وآله) لأبقون بطنه أو لأموتنّ دونه"⁽³⁾.

فهكذا كان معاوية بن أبي سفيان مثل أبيه، وكذلك كان ابنه يزيد عليه اللعنة سكيراً خميراً فأسقاً، وكذلك كان ولاتهم وأعيانهم يجاهرون في شرب الخمر ومعاوتها جهراً نهواً حتّى في الصلاة.

كما روى عن ولاية عثمان بن عفان معاوية الخمر، فقد كان الوليد بن عقبة

1 - البوة : 143 .

2- تزيخ دمشق 26 : 197 - 198 ، وأنظر سير أعلام النبلاء : 2 / 9 - 10 .

ابن أبي معيط والياً على الكوفة، وكان معاقراً للخمر على النوام، حتى أنه صلى بالناس صلاة الصبح ربعا⁽¹⁾. وهذا الوليد هو الذي قول في حقه قوله تعالى **{ أَمْ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا }**⁽²⁾. والمؤمن في الآية هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام). أما ما نحن بصددده وهو شرب النبيذ فهناك العشرات من الروايات والتي تبين أن شرب النبيذ كان مستفحلاً بين المسلمين حتى في العصر الأول غير التي أوردناها، وخصوصاً في فترة حكم معاوية وغوره من الخلفاء الأمويين وولاتهم، ولا أريد ذكرها خوفاً من الإطالة، ولكن ما أريد بيانه هو أن واقع شرب النبيذ الخمر عند المسلمين كان مبركاً ومستفحلاً مما اقتضى من الوضاعين الذين كان همهم الدفاع عن شربي النبيذ أن يضعوا روايات تتهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بشرب النبيذ الخمر، فهكذا يفعلون برسول الله (صلى الله عليه وآله) عندما تتقصم الحجة، وهو ما أدى عند إعادة دراسة التزيخ إلى اكتشاف أنه لم تكن عندهم القيمة الحقيقية والاعتبار الصحيح لرسول الله وشخصه الكريم، واليك بعضاً مما وضعوه زوراً وبهتاناً ضد رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيما يتعلق بشرب النبيذ.

فقد روى النسائي في كتاب الأثرية، باب ذكر الأخبار التي اعتل بها من أباح شواب المسكر، عن عبد الملك بن نافع قال: قال ابن عمر: رأيت رجلاً جاء إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقدر فيه نبيذ وهو عند الركن، ودفع إليه القدر فوفعه إلى فيه فوجده شديداً فودّه على صاحبه، فقال له رجل من القوم: يا رسول الله، أحرام هو؟ فقال: علي بالرجل، فأتي به فأخذ منه القدر، ثم دعا بماء فصبّه فيه فوفعه إلى فيه فقطب، ثم دعا بماء أيضاً فصبه فيه، ثم قال: إذا اغتلمت عليكم

1- أنظر الاستيعاب 4 : 1555، أسد الغابة 5 : 91.

2- السجدة : 118 . وأنظر في تفسير الآية : تفسير الطوي 21 : 129، تفسير الثعلبي 7 : 333 ، تفسير القوطي 14 :

هذه الأوعية فاكسروا متونها بالماء⁽¹⁾.

وأخرج الدلقطني عن القاسم بن بهرام، ثنا عمرو بن دينار عن ابن عباس، قال: مر رسول الله (صلى الله عليه وآله) على قوم بالمدينة، فقالوا: يا رسول الله إن عندنا شواباً لنا، أفلا نسقيك منه؟ قال: بلى، فأتي بقعب، أو قدر فيه نبيذ، فلما أخذه النبي (صلى الله عليه وآله)، وقربه إلى فيه، قطب، ثم دعا الذي جاء به، فقال: خذه فأهرقه، فقال: يا رسول الله، هذا شوابنا، إن كان حراماً لم نشربه، فأخذه، ثم دعا بماء فشنه عليه، ثم شرب، وسقى، وقال: إذا كان هكذا، فاصنعوا به هكذا⁽²⁾.

روى البخاري في صحيحه، ومسلم في صحيحه، في كتاب الأثرية، باب اباحة النبيذ الذي لم يشد ولم يصر مسكراً، عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: ذكر للنبي (صلى الله عليه وآله) امرأة من العرب، فأمر أبا أسيد الساعدي أن يرسل إليها،

فُرسل إليها فقدمت، فترلت في أجم بني ساعدة، فخرج النبي (صلى الله عليه وآله) حتى جاءها، فدخل عليها فإذا امرأة منكسة رأسها، فلما كلمها النبي (صلى الله عليه وآله) قالت: أعوذ بالله منك، فقال: "قد أعذتك مني". فقالوا لها: أتترين من هذا؟ قالت: لا، قالوا: هذا رسول الله (صلى الله عليه وآله) جاء ليخطبك، قالت: كنت أنا أشقى من ذلك، فأقبل النبي (صلى الله عليه وآله) يومئذ حتى جلس في سقيفة بني ساعدة هو وأصحابه، ثم قال: "اسقنا يا سهل". فخرجت لهم بهذا القدر فأسقيتهم فيه، فأخرج لنا سهل ذلك القدر فثوبنا منه ⁽³⁾.

وروى أحمد في المسند قال: حدثنا روح، ثنا حماد عن حميد، عن بكر بن عبد الله أن أعوايباً قال لابن عباس: ما شأن آل معاوية يسقون الماء والعسل،

1- سنن النسائي 8 : 323.

2 - أنظر نصب الراية للزيلعي : 6 / 240 ، وغواه إلى الدارقطني.

3 - صحيح البخاري 6 : 252، صحيح مسلم 6 : 103.

الصفحة 196

وآل فلان يسقون اللبن، وأنتم تسقون النبيذ، أمن بخل بكم أم حاجة؟. فقال ابن عباس: ما بنا بخل ولا حاجة، ولكن رسول الله (صلى الله عليه وآله) جاءنا ورديفه أسامة بن زيد، فاستسقى فسقناه من هذا، يعني: نبيذ السقاية، فثوب منه وقال: أحسنتم، هكذا فاصنعوا ⁽¹⁾.

وروى البيهقي في سننه الكوي عن عائشة رضي الله عنها قالت: ثم كنت إذا أشدّ نبيذ النبي (صلى الله عليه وآله) جعلت فيه زبيباً يلتقط حموضته ⁽²⁾.

هكذا هي نظرتهم لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهكذا دائماً يبررون أفعالهم المشينة ويحولونها فضائل لهم، ويبقى رسول الله (صلى الله عليه وآله) متّهماً، وليس من يدافع عنه وعن عصمته ورسالته سوى أهل البيت (عليهم السلام) وأتباعهم وشيعتهم المرضيين.

هل كان رسول الله شهوانياً؟

ومن القضايا المثورة والتي تضع العديد من علامات الاستفهام عند إعادة لائحة التلخيص، والتي يتركز البحث فيها حول القضايا الشهوانية والجنسية في العصر الأول للإسلام، وهذه القضية ترتبط بقضية النبيذ لرتباط وثيقاً، فحينما يكثر شرب النبيذ فلا بد وأن تنشط القضايا الجنسية والشهوية.

فمن خلال عشرات الروايات ومن زوايا موضوعية مختلفة ومقصودة من قبل واضعي الحديث، ومن أجل تووير ذلك الواقع، كان ذلك الكم الهائل من الروايات والتي تظهر شخصية رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبشكل شهواني فاق الوصف، فتارة يطوف على نسائه في ليلة واحدة ⁽³⁾، وتارة يقولون أعطي قوة ثلاثين

1- مسند أحمد 1 : 372، المعجم الكبير 12 : 160.

2 - السنن الكوى 8 : 300.

3 - أنظر صحيح البخري 1 : 6075، 6 : 155، صحيح مسلم 1 : 171.

الصفحة 197

رجلا⁽¹⁾ ، وترة لا يستطيع أن يصبر عن النساء حتى في فترة الحيض⁽²⁾ ، أو في شهر رمضان⁽³⁾ ، وفي غيرها يقولون بأنه نظر إلى زينب فأعجبته فتزوجها في قضية طويلة⁽⁴⁾ ، وفي روايات غيرها أن رسول الله كان جالسا مع أصحابه فموت امرأة فأعجبته فاستأذن أصحابه فدخل إلى إحدى زوجاته فقضى حاجته، ثم خرج إليهم قائلاً: فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت زوجته⁽⁵⁾ وكذلك روايات عديدة تظهر زواج رسول الله من ميمونة وهو محرم⁽⁶⁾ .

وهناك روايات أخرى في مجالات غير التي ذكرنا تصف نبي الله بأنه كان يحب النساء ويتقصدهن، وربما يخلو بهن وغير ذلك، وكلها مذكورة منشورة في صحاح وتفسير ومسانيد أهل السنة، ويقروها العلماء والناس صباح مساء من دون بحث عن حقيقة تلك الروايات والسبب في وضعها وما هو الهدف منها؟. وماذا وراء اتهام رسول الله (صلى الله عليه وآله) بفعلها؟. فهذه القضية التي بين أيدينا كغيرها من القضايا التي ذكرناها في هذا البحث، وكشفنا من خلال الاستجابة لنداءات القلب والعقل لإعادة إواسة التاريخ أن المسلمين يعتبرون رسول الله (صلى الله عليه وآله) شخصية عادية في كثير من الأمور، ودون العادية في غيرها، فهو إنسان غير معصوم، وينظرون إليه نظرة سطحية.

1 - أنظر صحيح البخري 1 : 71، مسند أحمد 3 : 291، صحيح ابن حبان 4 : 9.

2 - انظر صحيح البخري 1 : 78، سنن أبي داود 1 : 66، سنن النسائي 1 : 151.

3- أنظر صحيح مسلم 3 : 135، سنن أبي داود 1 : 533.

4 - أنظر تفسير الطوي 22 : 17 - 18 ، تفسير القوطي 14 : 189 - 190، تفسير الثعلبي 8 : 49.

5 - أنظر سنن الترمذي 2 : 314، مسند أحمد 3 : 407، المصنّف لابن أبي شيبة 3 : 407.

6 - أنظر صحيح البخري 2 : 214، 5 : 86، 6 : 129.

الصفحة 198

والأخطر من ذلك أنهم جعلوه (صلى الله عليه وآله) محلّ تبرير لأفعال مشينة فعلها بعض الصحابة والخلفاء، فصاروا يكيلون التهم له من كلّ صوب، ويلصقون أفعالهم باتهام النبي (صلى الله عليه وآله) بفعل نفس أفعالهم كما مر معنا في قضايا سابقة، وتبيّن أنهم كانوا هم الفاعلون، ثم يتهمون رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالقيام بنفس الفعل المشين حتى يخرجوا أنفسهم من دائرة الحرج، وتقول عنهم نظرة الناس إلى فعلهم المشين متحولة إلى فعل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فكان

ذلك الأسلوب معتمداً عند نوي النفوذ ووضاعي الحديث قبل عصر تنوين الحديث، وهو ما اعتمده من جاء بعدهم، فذابت أفعال أولئك مع الزمن، وظلّوا هم أصحاب الفضائل وحماة الدين والعقيدة، بينما بقيت تلك التهم ملصقة برسول الله (صلى الله عليه وآله) وحتى يومنا هذا.

وهذه القضية التي بين أيدينا هي أيضاً تهمة من ضمن ما أَلصقوا بنبيينا محمد (صلى الله عليه وآله)، فكثرة الروايات في هذا البحث والتي يتّهمون رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيها تدلّ أيضاً على أنه كان في فتوة وجود رسول الله (صلى الله عليه وآله) واقعاً شهوانياً جنسياً كبيراً، واهتماماً شديداً بقضايا الفروج والنساء والغناء والرقص من خلال تصرفات العديد من الصحابة، والذي لُداد بشكل كبير، وصار أعظم وأشدّ بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، مما أدّى إلى ضرورة وجود روايات عديدة تبيّر ذلك الواقع الفاسد .

وسنحاول أن نضع بين يدي القارئ العزيز بعضاً من الروايات على شكل عناوين تبيّن بعض مظاهر ذلك الواقع في عهد رسول الله وبعده، ثمّ نتطرق إلى الروايات التي تطعن في عصمة رسول الله وشخصيته ومقامه مع بعض التعليقات على تلك الروايات، ثمّ نختم بنتيجة البحث.

روى أحمد والنسائي والترمذي وابن ماجة وابن حبان والحاكم وصحّحه وغوهم، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس قال: كانت امرأة تصلي خلف رسول الله (صلى الله عليه وآله) حسناء من أحسن الناس، قال: "فكان بعض القوم يتقدّم حتى يكون في الصف الأول لثلا واهاً، ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر، فإذا ركع نظر من تحت إبطه، فأقول الله عز وجل { **وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمَسْتَأْخِرِينَ** }⁽¹⁾ ".⁽²⁾

فهذه رواية صحيحة ومذكورة في صحاح ومسانيد أهل السنة والجماعة، وتظهر حقيقة قسم كبير من الصحابة وهم يقفون بين يدي ربّهم وخلف نبيهم، قاموا بهذا الفعل المشين وهم في المسجد أثناء الصلاة بين يدي الله تعالى. مع أن الأصل أن لا يعمر مساجد الله إلا من آمن بالله واليوم الآخر وذكر الله كثراً، فهل من فعل ذلك الفعل مؤمناً حقاً؟ وهل كان يحسب الله حساباً وهو بين يديه وفي بيته؟ وهل تذكر الله وعقابه وجنّته ونزله من قام بمثل ذلك الفعل؟.

ومن الملاحظ أنّ الرواية أخفت أسماء الصحابة الذين قاموا بذلك الفعل، ولكنّه من المقطوع به أنّهم من سكان المدينة وسوف يتبيّن من العديد من الروايات أسماء بعضهم.

وروى الطواني في الكبير عن عبد الله بن مسعود: أنّ رجلاً قبل امرأة، فأتى النبي (صلى الله عليه وآله)، فقال: يا رسول الله، إنّي فعلت كذا وكذا، فأقول الله عزّ وجلّ:

1- الحجر : 24.

2 - سنن النسائي 2 : 118 ، سنن الترمذي 4 : 359 ، سنن ابن ماجة 1 : 322 ، مسند أحمد 1 : 305 ، المستدرک علی

الصحيحين 2 : 352، صحيح ابن حبان 2 : 126، وأنظر الدر المنثور 4 : 96 - 97.

{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يَذْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ} (1) . فقال الرَّجُلُ : هي لي يا رسول الله. قال: لا بل هي لأمتي (2) .

قال السيوطي وأخرج أحمد والترمذي والنسائي وابن جرير وأبو الشيخ والدارقطني والحاكم وابن مردويه عن معاذ بن جبل قال: جاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه وآله)، فقال: ما ترى في رجل لقي امرأة لا يعرفها، فليس يأتي الرجل من امرأته شيئاً إلا أتى فيها غير أنه لم يجامعها، فأقول الله: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ ...} (3) الآية. فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): توضأ وضوءاً حسناً، ثم قم فصل. قال معاذ: فقلت يا رسول الله: أله خاصة أم للمؤمنين عامة؟ قال: للمؤمنين عامة (4) .

وأخرج أحمد والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: إن امرأة جاءت تبايعني فأدخلتها فأصبت منها ما دون الجماع، فقال: لعلها مغيبة في سبيل الله؟ قال: أظن. قال: ادخل. فدخل فقول القرآن: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ ...} (5) الآية. فقال الرجل: ألي خاصة أم للمؤمنين عامة؟ فضرب عمر في صوره وقال: لا، ولا نعمة عين، ولكن للمؤمنين عامة. فضحك رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وقال: صدق عمر، هي للمؤمنين عامة (6) .

وأخرج الطبراني في الأوسط وابن مردويه عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: إنني نلت من امرأة ما دون نفسها، فأقول الله: {وَأَقِمِ

1- هود : 114.

2- المعجم الكبير 10 : 220 - 231.

3- هود : 114.

4- الدر المنثور 3 : 352.

5- هود : 114.

6- الدر المنثور 3 : 352.

{الصَّلَاةَ} الآية (1) .

وأخرج الزَّوَّار وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس: "أن رجلاً كان يحب امرأة، فاستأذن النبي (صلى الله عليه وآله) في حاجة، فأذن له فانطلق في يوم مطير، فإذا هو بالمرأة على غدير ماء تغتسل، فلما جلس منها مجلس الرجل من المرأة، ذهب يحرك ذكوه فإذا هو كأنه هدبة فندم، فأتى النبي (صلى الله عليه وآله) فذكر ذلك، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله) عليه وآله): صلِّ رُبع ركعات، فأقول الله: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ} (2) .

وأخرج ابن مرويّه عن بريدة قال: جاءت امرأة من الأنصار إلى رجل يبيع التمر بالمدينة، وكانت امرأة حسنة جميلة، فلما نظر إليها أعجبته وقال: ما رى عندي ما رضى لك ههنا، ولكن في البيت حاجتك، فانطلقت معه حتى إذا دخلت رآها على نفسها فأبى، وجعلت تتأشده، فأصاب منها من غير أن يكون أفضى إليها، فانطلق الرجل وندم على ما صنع، حتى أتى النبي (صلى الله عليه وآله) وأخوه، فقال: ما حملك على ذلك؟ قال: الشيطان. فقال له: صل معنا، وتول: **{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ}** يقول: صلاة الغداة والظهر والعصر: **{وزلفا من الليل}** المغرب والعشاء: **{إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَّ السَّيِّئَاتِ}** فقال الناس: يا رسول الله لهذا خاصّة أم للناس عامّة؟ قال: بل هي للناس عامّة⁽³⁾.

وأخرج ابن جرير عن عطاء بن أبي رباح قال: أقبلت امرأة حتى جاءت إنسانا يبيع الدقيق لتبتاع منه، فدخل بها البيت، فلما خلا بها قبلها فسقط في يده، فانطلق إلى أبي بكر فذكر ذلك له، فقال: انظر لا تكون امرأة رجل غاز.

1- المصدر نفسه 3 : 352.

2- المصدر نفسه 3 : 352 - 353.

3- المصدر نفسه 3 : 353.

الصفحة 201

فبينما هم على ذلك قل في ذلك: **{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزَلْفًا مِنَ اللَّيْلِ}**. قيل لَعَطَاء: المكتوبة هي؟ قال: نعم⁽¹⁾.
وأخرج ابن جرير عن إواهيم النخعي قال: جاء فلان بن مقيب رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله دخلت على امرأة فنلت منها ما ينال الرجل من أهله إلا أنني لم واقعها، فلم يدر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما يجيبه، حتى تولت هذه الآية وهي قوله تعالى **{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ}** فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقرأها عليه⁽²⁾.
أما بالنسبة إلى الآية المذكورة فعندي بعض الملاحظات بخصوصها، فهي ولا آية مكية من سورة مكية تولت في مكة قبل الهجرة وهي سورة هود. ثم إن الآية تبين مواقيت الصلاة، فالطوف الأول صلاة الفجر، والثاني صلاة الظهرين، وزلفا من الليل هي صلاة العشاءين، وهذا يدل على معنى الجمع بين الصلوات والذي عليه أهل البيت (عليهم السلام).
وبما أن القوم هم ضد أهل البيت (عليهم السلام) وأحكامهم الصحيحة، فقد حولوا معنى الآية من معنى الجمع للصلاة إلى المعنى الذي رأوه كما ورد آنفاً، فهم فعلوا هنا وغيروا كما فعلوا بآية الأسرى وغيرها.
وعودة إلى تلك المجموعة من الروايات الصحيحة والتي تحمل عثرات ملاحظات بالإمكان استنباطها من خلال متونها التي تؤكد على حقيقة الواقع آنذاك.

فمجموع الروايات يظهر أنه كان هناك صحابة من أصحاب التجارات الكبيرة ومن نوي النفوذ هم الذين قاموا بتلك الأفعال،

سواء التقبيل أو الخلوة

1- المصدر نفسه 3 : 352.

2- الدر المنثور 3 : 353.

الصفحة 202

الغير شرعية، أو الزنا المباشر مع بعض التحفظات من قبل الرواة حتى وصلت بعض الروايات إلى محاولة الاغتصاب. وقد كان أولئك معروفون، ولكن الرواة أخفوا أسماءهم حرصاً على سمعتهم، ولذلك تجد في الروايات تقول جاء فلان وبرة جاء إنسان يبيع الدقيق، رجل يبيع التمر، وهذه كلها تدل على أنهم كانوا من الصحابة الذين يسكنون المدينة، وتدل على تكرّر حصول مثل تلك الحادثة وأن أولئك الصحابة كانوا من الأغنياء والمنتفذين في المجتمع، ولذلك حرص الرواة على إخفاء أسماءهم، وكما يقال في المثل المشهور في بلادنا (اثنتان تختفیان ولا تظهران، فاحشة الغني وموت الفقير)؛ ولذلك عمد الرواة إلى إخفاء أسماء العديد من الصحابة في عثوات الروايات، وخصوصاً في الروايات التي فضح الله تعالى فيها على لسان نبيه محمّد (صلى الله عليه وآله) أسماء المنافقين في العديد من الروايات، ولكن الرواة استبدلوا الأسماء حرصاً على عدم معرفتها بكلمة فلان وفلان وهكذا وواليك.

ثم إنه ومن خلال الروايات يتبين أن تلك الأمور كانت مستفحلة في المجتمع، ولذلك تظهر الروايات أن الشروع المقدس استهان بذلك الفعل، وذلك من خلال سهولة الحل، فمن فعل مثل ذلك ما عليه إلا أن يتوضأ ويصلي طوي النهار وزلفاً من الليل، وكأن شيئاً لم يكن، ولتأكيد سهولة الحل وعدم حصوه لصاحب المسألة، قالت الروايات مؤكدة ومشجعة بقية المسلمين : أن هذا الحل هو للمسلمين كافة، فمن قام من الناس بمحاولة اغتصاب لأي امرأة ماعدا زوجة الغري فلا شيء عليه سوى الصلاة. أما بالنسبة لحقوق المعتدى عليها أو حقوق عرض زوجها وأهلها فليست محل بحث، وربما لا يحق لهم الاعتراض. فلقد ذكرت بعض الروايات أن النبي لم

الصفحة 203

يغضب عندما طرحت المسألة، بل إنه ضحك، وحتى عمر بن الخطاب استتكر على الرجل عندما قال للنبي وسأله هل هذا الحل لي خاصة فأجاب عمر قبل النبي أنها للمؤمنين عامة وكأنها إحدى موافقات عمر لربه. ثم إن هذا الحل يتعارض مع نصوص الشريعة، ومع واقع نظام العقوبات في الإسلام، فأين حكم التخوير في مثل هذه القضايا؟. وأين حكم الاعتداء على أعراض الناس؟. وأين حكم الاغتصاب الذي يعاقب عليه الشرع بالقتل؟. كما وأن هناك تعرض خطير بين الآيات القوانية الشريفة وبين تلك الروايات، وهذا ما يؤكد صحة وقوة الشك في تلك الروايات. فالقوان حث على حفظ الأعراض وصيانتها، وحرّم التعدي على أعراض الناس، وحرّم إشاعة الفاحشة بين المسلمين، وحرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وغورها من قوانين حماية المجتمع وحفظ الحقوق. وأيضاً فإن الاستهانة بهذه القضية وبمثل ذلك الحل الموجود في الروايات، يشجع توي الشهوات على التمادي بشهواتهم وانتهاك أعراض المسلمين وبشكل شرعي ومبرر، وهذا لا يجوز لا شرعاً ولا عقلاً.

ثم من الملاحظات على تلك الروايات أن هم بعض الصحابة كان في معرفة ما إذا كانت المرأة المفعول بها زوجة رجل غاز أم لا. فعندما كانت المرأة وحسب الرواية ليست زوجة رجل غاز تغيّر الموقف وصار عادياً، فليست القضية حرمة فعل الزنا ومقدّماته، أو حرمة الخلوة بامرأة أجنبية متزوجة، وإنما التركيز في الروايات على كونها زوجة رجل غاز أم ليست كذلك؟. فإذا لم تكن زوجة رجل غاز جاز الأمر وصار مباحاً، وما على الفاعل إلا الصلاة فقط.

الصفحة 204

ومن الملاحظ في الروايات أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يدرِ ماذا يفعل لحلّ مثل هذه القضية، واستعصت عليه حتى أتى الله تعالى الآية المذكورة في الروايات. وهذا الأمر فيه تأكيد على أن الحلّ المذكور في متون الروايات هو من الله تعالى، فلا يبقى مجال لأحد لبحث في صحة الحلّ أو بطلانه.

وأيضاً عند إظهار نبيّ الله عازراً عن إيجاد الحلول، فإن ذلك تنقيص من مقامه الشريف، وتعرض مع عثوات النصوص الشوعية، والتي تؤكد أن رسول الله ليس بحاجة للتفكير لحلّ قضية ما؛ لأنه مسدد من الله تعالى وكلامه وحي، ففي أقل من عشر الثانية يكون الحلّ عنده، ولكن واضعي الحديث رأوا أن يضحّموا القضية في البداية، ثم يأتي الحلّ بعد ذلك ليضفي شوعية على ذلك الفعل من دون عقوبات، أي أنه من قام بمثل تلك الفواحش فكأنما لم يفعل شيئاً، وليس لأحد أن يعترض عليه، وليس من حقّ النبيّ أو الخليفة أن يعاقب عليه.

ومن مطالعاتي للتاريخ فإن سبب وضع مثل هذه الروايات واتهام نبيّ الله (صلى الله عليه وآله) بإقرارها - بل إن الطعن في مقام الوبوية أيضاً يدخل في ضمن تلك الروايات - ما هو إلا توير لأفعال كثرة وعديدة قام بها بعض الصحابة، واغتصوا نساء المسلمين وانتهكوا أعواضهنّ وتعنوا على حرماتهنّ، كقصة خالد بن الوليد مع زوجة مالك بن نويرة ذلك الصحابي الجليل الذي قتله خالد بن الوليد ثمّ في نفس اليوم وا على زوجته قبل أن يذهب حزنها على زوجها، وقبل أن تنقضي عدتها، فجاءت هذه الروايات تيرّر ذلك الفعل تيروا شوعياً ربانياً، وأليك قصة الصحابي مالك بن نويرة:

الصفحة 205

لما قدم خالد بن الوليد البطاح، بث السوايا وأمره بإعلان الأذان رمز الإسلام، وأن يأقوه بكلّ من لم يجب داعي الإسلام، وإن امتنع أن يقتلوه حسب الميزان الأول من وصية أبي بكر.

فلما غشيت هذه السوايا قوم مالك بن نويرة تحت الليل، رتاع القوم فأخنوا السلاح للدفاع عن أنفسهم، فقالوا: إنّنا المسلمون. قال قوم مالك: ونحن المسلمون، قالوا: فما بال السلاح معكم؟ قال القوم: فما بال السلاح معكم أنتم؟ قالوا: فإن كنتم المسلمين كما تقولون فضعوا السلاح، فوضع قوم مالك السلاح، ثمّ صلى هؤلاء وأولئك، فلما انتهت الصلاة، باغتهم وكتفؤهم وأخنؤهم إلى خالد بن الوليد، فسولع أبو عبادة الأنصلي (الحرث بن ربيعي أخو بني سلمة) وعبد الله بن عمر بن الخطاب فدافعوا عن مالك وقومه وشهوا لهم بالإسلام وأداء الصلاة، فلم يلتفت خالد لشهادتهما.

وتروياً لما سيقدم عليه خالد ادعى أن مالك بن نورة رتد عن الإسلام بكلام بلغه أنه قاله، فأنكر مالك ذلك وقال: أنا على دين الإسلام ما غيرت ولا بدلت، لكن خالد لم يصغ لشهادة أبي قتادة وابن عمر، ولم يلق أذناً لكلام مالك، بل أمر فضربت عنق مالك وأعناق أصحابه. وقبض خالد زوجته ليلي (أم تميم فزا عليها في الليلة التي قتل فيها زوجها).

روى الطوي في تزيخه: حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة قال: حدثنا محمد بن إسحاق، عن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر: أن أبا بكر من عهده إلى جيوشه، أن إذا غشيتم دراً من دور الناس فسمعتم فيها أذاناً للصلاة فأمسكوا عن أهلها حتى تسألوهم ما الذي نفموا، وإن لم تسمعوا أذاناً فشنوا الغلة فاقتلوا وحرقوا، وكان ممن شهد لمالك بالإسلام أبو قتادة الحلث ابن ربعي أخو بني سلمة، وقد كان عاهد الله إلا يشهد مع خالد بن الوليد حرباً

الصفحة 206

أبدأ بعدها، وكان يحدث أنهم لما غشوا القوم تحت الليل، فأخذ القوم السلاح، قال: فقلنا إنا المسلمون. فقالوا: ونحن المسلمون. قلنا فما بال السلاح معكم؟ قالوا لنا: فما بال السلاح معكم؟ قلنا فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح، قال فوضعوها، ثم صلينا وصلوا، وكان خالد يعتذر في قتله أنه قال له وهو واجعه ما إخال صاحبكم إلا وقد كان يقول كذا وكذا، قال أو ما تعدّه لك صاحباً، ثم تقدمه فضرب عنقه وأعناق أصحابه، فلما بلغ قتلهم عمر بن الخطاب كلم فيه أبا بكر فأكثر وقال عدو الله عدى على امرئ مسلم فقتله ثم زوا على امرأته، وأقبل خالد بن الوليد قافلاً حتى دخل المسجد وعليه قباء له عليه صدا الحديد، معتجراً بعمامة له قد غرز في عمامته أسهما، فلما أن دخل المسجد قام إليه عمر فانزع الأسهم من رأسه فحطمها، ثم قال: لئن قتلت امرأ مسلماً ثم تزوت على امرأته، والله لأرجمك بأحجرك، ولا يكلمه خالد ابن الوليد، ولا يظن إلا أن رأي أبي بكر على مثل رأي عمر فيه حتى دخل على أبي بكر، فلما أن دخل عليه أخوه الخبر واعتذر إليه، فعزّه أبو بكر وتجاوز عنه ما كان في حربه تلك، قال فخرج خالد حين رضي عنه أبو بكر، وعمر جالس في المسجد، فقال له هلم إليّ يا ابن أم شملة، قال: فوف عمر أن أبا بكر قد رضي عنه، فلم يكلمه ودخل بيته⁽¹⁾.

وقد ذكر المؤرخون أن مالكا كان صحابياً قابلاً رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأسلم على يديه، ونال منزلة رفيعة لديه، حتى أن النبي تصبّه وكيلاً عنه في قبض زكاة قومه كلها وتقسيمها على الفقراء⁽²⁾، وهذا دليل وثاقته واحتياطه ورعة.

1 - أنظر تزيخ الطوي 2: 503

2- أنظر الإصابة 5: 560، وفيات الأعيان 6: 13 - 14.

الصفحة 207

وكان مالك يعتقد بإمامة وخلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) طبقاً لآيات القرآن الكريم، وتبين النبي (صلى الله عليه وآله) عن أمر ربه سبحانه وتعالى يوم غدیر خم، والنبي سائد إلى المدينة المنورة بعد حجة الوداع كما يسمونها، وهي حجة الإسلام التي لم يحج النبي سواها.

وبعد أن قرأنا قصة زوجة الصحابي الجليل مالك بن نويرة رضي الله تعالى عنه، فإن القرئ المنصف يستطيع أن يميز السبب الذي من أجله وضعت الروايات السابقة، حتى تبرر مواقف الصحابة كفعلة خالد تلك، وغيرها من الأفعال التي سنذكرها في البحث، فهذه الروايات تضيء الشوعية على محاولات الاغتصاب تلك. ولنعد الآن لبقية البحث وذكر بعض الروايات التي تبين حقيقة الواقع في حياة رسول الله وبعده.

روى ابن سعد عن علي بن يزيد أن عاتكة بنت زيد كانت تحت عبد الله ابن أبي بكر، فمات عنها، واشتوت عليها ألا تزوج بعده، فتبتلت وجعلت لا تزوج، وجعل الرجال يخطبونها وجعلت تأبى، فقال عمر لوليها: اذكرني لها، فذكره لها، فأبت على عمر أيضاً، فقال عمر: زوجنيها: فزوجه إياها، فأتاها عمر فدخل عليها، فعركها حتى غلبها على نفسها فنكحها، فلما فرغ قال: أف أف، أف أف بها، ثم خرج من عندها وتركها لا يأتيها⁽¹⁾.

وروى أبو داود والنسائي من حديث ابن عباس: جاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله، إن امرأتي لا تمنع يد لامس، فقال: غربها [أي طلقها]، قال: أخاف أن تتبعها نفسي، قال: فاستمتع بها⁽²⁾ وقوله: لا تمنع يد لامس،

1 - الطبقات الكوى 8 : 265.

2- سنن أبي داود 1 : 455، سنن النسائي 6 : 170 ، وأنظر السنن الكوى للبيهقي 7 : 154 - 155.

الصفحة 208

كناية عن زناها.

وروي عن عمر بن الخطاب أنه مرّ بجارية تعرض على البيع فضوب بيده على صورها وقال اشتروا⁽¹⁾.

قال في كتاب بدائع الصنائع: ولو كان حواماً لم يتوهم منه (أي عمر بن الخطاب) أن يمسها، ولأن بالناس حاجة إلى النظر إلى هذه المواضع ومسها عند البيع والشواء، لمعرفة بثوتها من اللين والخشونة ونحو ذلك، لاختلاف قيمتها باختلاف أطرافها⁽²⁾.

وروي البيهقي عن عمر بن الخطاب قال: إنّه كانت له امرأة تكوه الرجال، فكان كلما أرادها اعتلت له بالحیضة، فظن أنّها كاذبة فأتاها فوجدها صادقة⁽³⁾.

وروى أبو داود في سننه عن جابر بن عبد الله قال: قال عمر بن الخطاب: هشتت فقبت وأنا صائم، فقلت: يا رسول الله، صنعت اليوم أمراً عظيماً، قبت وأنا صائم، قال: رأيت لو مضمضت من الماء وأنت صائم، قال عيسى ابن حماد في حديثه: قلت: لا بأس به، ثم اتفقا: قال فمه⁽⁴⁾.

وروى في مجمع الزوائد وصححه عن عمر بن الخطاب قال: رأيت النبي (صلى الله عليه وآله) في المنام لا ينظر إليّ فقلت: يا رسول الله، ما شأنك، فقال ألسنت المقبل وأنت صائم⁽⁵⁾.

1- بدائع الصنائع 5 : 121.

(2,3) - السنن الكبرى للبيهقي 1 : 316 ، وأورده المتقي الهندي في كنز العمال 16 : 565 عن ابن راهويه وحسن.

4- سنن أبي داود 1 : 533، صحيح ابن حبان 8 : 313 - 314.

5 - مجمع الزوائد 3 : 165 عن الزايز.

الصفحة 209

وروى الترمذي في سننه وحسنه عن ابن عباس قال : جاء عمر إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال : يا رسول الله هلكت ، قال : وما أهلكك ؟ قال : حوّلت رحلي الليلة ، قال : فلم يرد عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) شيئاً ، قال : فأوتلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) هذه الآية : **{ نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَثُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ }⁽¹⁾ أَقْبِلْ وَأَدْبِرْ وَاتَّقِ الدَّبِرَ وَالْحَيْضَةَ⁽²⁾ .**

وروى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لعن النبي (صلى الله عليه وآله) المخنثين من الرجال، والمتوجلات من النساء وقال : أخرجهم من بيوتكم، وأخرج فلاناً، وأخرج عمر فلاناً⁽³⁾ .

أما بالنسبة إلى قضايا الفحش والفجور وانتشار الغناء والرقص والقضايا الجنسية في العصر الأموي فحدثت ولا حرج، فكانت أكثر من أن تحصى، وقد امتلأت بها كتب التاريخ والسير، ولا يتسع هذا الكتاب لذكر تفاصيلها، وقد اشتهر عن الخلفاء والولاة كثير من القصص والحكايات، فمنهم من ترك شؤون الدولة وتخصّص في حبّ النساء وملاحقتهنّ، ومنهم من اشتهر بألقاب عديدة كنزيد بن معاوية الماجن الفاجر الفاسق، ومنهم من انفطر قلبه على جلبيته، وهكذا، ولكنني أقول بأنّ استفحال تلك الأمور كان أيضاً قبل العصر الأموي فمن بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحتى مرحلة تدوين الحديث النبوي الشريف، أي بعد القرن الثاني للهجرة، كانت الأمور الجنسيّة في وَايد مستمر متخذة المبررات من خلال الأحاديث، والتي تتهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) سلماً لشوعبيّتها، فعندما دونّ الحديث النبوي في عصر التدوين، ودخلت كل تلك

1 - البقرة : 223.

2 - سنن الترمذي 4 : 284، مسند أحمد 1 : 297.

3 - صحيح البخاري 8 : 28، مسند أحمد 1 : 255 - 226.

الصفحة 210

الموضوعات على رسول الله ظلماً وبهتاناً، فمن يومئذ بقيت التهم ضدّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وانتشرت الفضائل، ووزعت على غير مستحقّيها.

ولكثرة ما كانت الأمور الجنسيّة منتشرة، كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يتفاخر بقوله: ولدت من نكاح ولم أولد من سفاح⁽¹⁾ . وفي ذلك دلالة على كثرة انتشار الفاحشة والأمور الجنسيّة وحبّ النساء والرقص والغناء، وعلى كثرة ولاد الوأنا أو

غير طاهري المولد، وهو ما يؤكده الحديث، فليس تفاخر رسول الله بأنه طاهر المولد هو واءة أمام الناس فقط، بل إنه أيضاً دليل على كثرة من لم يكونوا يملكون تلك الرءاءة.

قال السيوطي في الدر المنثور: أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي في قوله تعالى: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَن شَيْءٍ... }**⁽²⁾ الآية. قال: غضب رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوماً من الأيام، فقام خطيباً، فقال: سلوني فإنكم لا

تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به، فقام إليه رجل من قريش من بني سهم يقال له عبد الله بن حذافة وكان يطعن فيه، فقال: يا رسول الله، من أبي؟. قال: أبوك فلان، فدعاه لأبيه، فقام إليه عمر فقَبِلَ رجله، وقال: يا رسول الله، رضينا بالله رباً، وبك نبياً، وبالقرآن إماماً، فاعف عنا عفا الله عنك، فلم يزل به حتى رضي، فيومئذ قال: الولد للفؤاش وللعاهر الحجر⁽³⁾.

وهذه الرواية فيها شيء من الغموض، سنحاول كشف حقيقته، فقد ذكوت الرواية قالت: غضب رسول الله، ولم تذكر ما الذي أغضبه؟. ولكن روايات أخرى أشرت أن سبب غضبه (صلى الله عليه وآله) هو أن رجلاً من قريش ومنهم عمر بن

-
- 1- بدائع الصنائع 2 : 272 ، المجموع للنووي 16 : 129.
 - 2- بدائع الصنائع 2 : 272 ، المجموع للنووي 16 : 129.
 - 3- الدر المنثور 2 : 335.



الخطاب عيروا فاطمة بنت محمد سلام الله تعالى عليها بنسبها، واستهزؤا بها، وفي روايات أخرى كانت صفيّة عمّة رسول الله، وقالوا لها أتظنين أنّ قبابتك من محمد سوف تنفعك، فذهبت واشتكت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكان هذا سبب غضبه الذي أدى به إلى الصعود على المنبر ليوضح أنسابهم ويظهر حقيقتهم أمام الناس كافة، فلما خاف عمر بن الخطاب على نفسه من أن يصل النور إليه ويفضحه نبى الله، فعل ما فعل حتى يتوقف رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن ذكر حقيقة نسب عمر.

روى في مجمع الزوائد عن ابن عباس قال: توفي ابن لصفية عمّة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فبكت عليه وصاحت، فأتاها النبي (صلى الله عليه وآله) فقال لها: يا عمّة، ما يبكيك؟ قالت: توفي ابني. قال: يا عمّة، من توفي له ولد في الإسلام فصبر بنى الله له بيتاً في الجنة. فسكتت. ثم خرجت من عند رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فاستقبلها عمر بن الخطاب فقال: يا صفيّة، قد سمعت صواذك، إنّ قبابتك من رسول الله (صلى الله عليه وآله) لن تغني عنك من الله شيئاً. فبكت فسمعها النبي (صلى الله عليه وآله)، وكان يكرمها ويحبّها فقال: يا عمّة، أتبكين وقد قلت لك ما قلت؟ قالت: ليس ذلك أبكاني يا رسول الله، استقبلني عمر بن الخطاب فقال: إنّ قبابتك من رسول الله (صلى الله عليه وآله) لن تغني عنك من الله شيئاً. قال: فغضب النبي (صلى الله عليه وآله) وقال: يا بلال، هجر بالصلاة. فهجر بلال بالصلاة، فصعد المنبر (صلى الله عليه وآله)، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما بال أقوام زعمون أنّ قبابتني لا تنفع؟ كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي، فإنها موصولة في الدنيا والآخرة (1).

وفي رواية أخرى ثم خرجت من عند رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فمررت على نفر من قريش فإذا هم يتفاخرون ويذكرون أمر الجاهليّة، فقلت: منّا رسول

1 - مجمع الزوائد 8 : 216 ، عن مسند الزّوّار .

الله (صلى الله عليه وآله)؟ فقالوا: إنّ الشجرة لتنتب في الكبا. قال: فمررت إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فأخوته، فقال: يا بلال، هجر بالصلاة. فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أيّها الناس، من أنا؟ قالوا: أنت رسول الله. قال: انسبوني. قالوا: أنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب. قال: أجل، أنا محمد بن عبد الله، وأنا رسول الله، فما بال أقوام بينتلون أصلي؟. فوالله لأننا أفضلهم أصلاً وخوهم موضعاً. قال: فلما سمعت الأنصار بذلك قالت: قوموا فخذوا السلاح، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد أغضب. قال: فأخذوا السلاح ثم أتوا النبي (صلى الله عليه وآله) لا ترى منهم إلا الحدق، حتى أحاطوا بالناس فجعلوهم في مثل الحوة، حتى تضايقت بهم أبواب المساجد والسكك، ثم قاموا بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالوا: يا رسول الله، لا تأمرنا بأحد إلا أرونا عتوته. فلمّا رأى نفر من قريش ذلك، قاموا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاعتنروا

وتتصلّوا، فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله): الناس دثار والأنصار شعار. فأثنى عليهم وقال خوا".

ثم إنّه(صلى الله عليه وآله) ولكثرة انتشار واستفحال التعلّق بالأمر الجنسية وإباحة الاغتصاب من قبل القوم. فقد وضع

رسول الله(صلى الله عليه وآله) موزاناً للمسلمين حتّى يعرفوا طهارة نوريهم، وكان ذلك الموزان هو حبّ أمير المؤمنين عليّ

بن أبي طالب (عليه السلام). ولذلك قال العديد من الصحابة: كنّا نبور أبناءنا بحبّ علي بن أبي طالب⁽²⁾ (أي نخترهم

ونمتحنهم لنعرف أنهم من صلبنّا أم لا).

ولقد اشتهر في التاريخ أسماء عديدة لعدّة من أعلام القيادات والمتفذين في العصر الأوّل للإسلام كانوا ينسبون إلى أمهاتهم،

كابن مرجانة وابن حمامة وابن أبيه وابن صهاك وغيرهم. وكان أيضاً ينتشر عدم الثقة بالزوجات حتّى

1 - مجمع الزوائد 8 : 216 عن مسند الزوّار.

2 - أنظر النهاية في غريب الحديث 1 : 161 ، لسان العرب 4 : 87 ، أسنى المطالب : 8.

الصفحة 213

في العصر الأوّل من الإسلام.

فقد روى أحمد والبخاري والترمذي وغيرهم كثير، عن أبي هريرة، جاء رجل من بني فزارة إلى النبي(صلى الله عليه

وآله) فقال: إنّ امرأتي ولدت ولداً أسود. قال: هل لك من إبل؟ قال: نعم. قال: ألوانها؟ قال: حمر. قال: هل فيها ورق؟ قال:

إنّ فيها لورقاً. قال: أنّى أتاه ذلك. قال: عسى أن يكون زعة عوق. قال: وهذا عسى أن يكون زعة عوق⁽¹⁾.

وروى ابن كثير في سيرته عند ذكر زيد بن عمرو بن نفيل: هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد الغوي بن رباح بن

عبدالله بن قوط بن رزاح ابن عديّ بن كعب بن لؤي القرشي العنوي. وكان الخطّاب والد عمر بن الخطّاب عمه وأخاه لأمه

، وذلك لأنّ عمرو بن نفيل كان قد خلف على امرأة أبيه بعد أبيه، وكان لها من نفيل أخوه الخطّاب. قاله الأثير بن بكّار

ومحمّد ابن إسحاق⁽²⁾. وبالتالي تكون صهاك ولدت الخطّاب من نفيل... ثمّ تزوّجت ابنه عمرو بن نفيل.

وعلى ذلك وبعد ذكر بعض الوقائع والتي تظهر واقعا جنسياً مستفحلاً، وهي جزء يسير مما هو مذكور في صحاح ومسانيد

المسلمين وسوهم، ننقل الآن إلى ما وضعه زوراً وبهتاناً من روايات تتهم رسول الله(صلى الله عليه وآله) ظلماً وعدواناً

وطعناً في دين الله وعصمة رسول الله(صلى الله عليه وآله) ومولته الرفيعة ومقامه العظيم.

روايات تتهم رسول الله مباشرة:

فبالإضافة إلى ما مرّ معنا من روايات تطعن في شخص رسول الله(صلى الله عليه وآله) بصورة شبه مباشرة، فإنّ ما

سنقدّمه الآن من روايات في صحاح أهل السنة

1- مسند أحمد 2 : 239 ، صحيح البخاري 8 : 31 ، سنن الترمذي 3 : 289.

والجماعة تتقدّر رسول الله وشخصه الكريم مباشرة، ومن دون أية مولية، وهذه الروايات، والتي اتخذها أصحاب تلك الأفعال المشينة، وواضعي تلك الأحاديث سلماً لتوير أفعالهم وأفعال خلفائهم وحكامهم مذكورة في أصح كتب الحديث، وسنأتي على طائفة يسوة منها، حيث لا نستطيع سرد كل ما اتهم به رسول الله (صلى الله عليه وآله) في هذا البحث.

1 - روى البخاري في صحيحه، حدّثنا عبد الرحمن بن المبارك: حدّثنا عبد الوارث: حدّثنا عبد العزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أبصر النبي (صلى الله عليه وآله) نساءً وصبياناً مقبلين من عوس، فقام ممثناً فقال: اللهم أنتم من أحبّ الناس إليّ⁽¹⁾.

2 - أخرج البخاري في صحيحه بسنده إلى أنس بن مالك قال: جاءت امرأة من الأنصار إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فخلا بها، فقال إنكّن لأحبّ الناس إليّ⁽²⁾.

قال ابن حجر في فتح الباري: قوله: "جاءت امرأة من الأنصار إلى النبي (صلى الله عليه وآله)" زاد في رواية بهز بن أسد ومعها صبيّ لها فكلّمها رسول الله (صلى الله عليه وآله).

قوله: "فخلا بها رسول الله (صلى الله عليه وآله)" أي في بعض الطوق، قال المهلب: لم يرد أنس أنه خلا بها بحيث غاب عن أبصار من كان معه، وإنما خلا بها بحيث لا يسمع من حضر شكاها ولا ما دار بينهما من الكلام، ولهذا سمع أنس آخر الكلام فنقله ولم ينقل ما دار بينهما لأنه لم يسمعه" اهـ.

ووقع عند مسلم من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس: أن امرأة كان في عقلها شيء قالت: يا رسول الله إن لي إليك حاجة، فقال: يا أمّ فلان، انظري

1 - صحيح البخاري 6 : 144.

2 - صحيح البخاري 6 : 159، وأنظر صحيح مسلم 7 : 114.

أيّ السكك شئت حتى أقضي لك حاجتك. وأخرج أبو داود نحو هذا السياق من طريق حميد عن أنس، لكن ليس فيه أنه كان في عقلها شيء.

قوله: "فقال والله إنكم لأحبّ الناس إليّ" زاد في رواية بهز "موتين" وأخرجه في الأيمان والنور من طريق وهب بن جرير عن شعبة بلفظ "ثلاث مرات" وفي الحديث منقبة للأنصار، وقد تقدّم في فضائل الأنصار توجيه قوله "أنتم أحبّ الناس إليّ". وقد تقدّم فيه حديث عبد العزيز بن صهيب عن أنس مثل هذا اللفظ أيضاً في حديث آخر، وفيه سعة حلمه وتواضعه (صلى الله عليه وآله)، وصوره على قضاء حوائج الصغير والكبير، وفيه أنّ مفاوضة المرأة الأجنبية سواً لا يقدر في

وهذا الفعل المتهم به رسول الله لا يليق بشخص عادي أن يفعله، فتخيل نفسك عززي القرئ ونسوة يمرؤن إلى جانبك، وتقف محيياً وممتناً لهم وتقول لهم أنتم من أحب الناس إلي، ما هو موقفك من نفسك؟. وما هو موقف الناس منك؟. وهل ترضى ذلك لنفسك؟. وإنني على يقين بأن الجواب بالنفي، فهل ترضى ذلك لنبيينا وحبیب قلوبنا محمد(صلى الله عليه وآله).

4 - وروى التومذني وغوره عن جابر قال : إن النبي(صلى الله عليه وآله) رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته وخج وقال : إن المرأة إذا أقبلت، أقبلت في صورة شيطان، فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله فإن معها مثل الذي معها (2) .

5 - وروى مسلم في صحيحه، حدثنا عمرو بن علي، حدثنا عبد الأعلى،

1 - فتح الباري 9 : 291.

2 - سنن التومذني 2 : 213 ، وأنظر سنن أبي داود 1 : 477 ، صحيح ابن حبان 12 / 384 .

الصفحة 216

حدثنا هشام بن أبي عبد الله، عن أبي الزبير، عن جابر، أن رسول الله(صلى الله عليه وآله) رأى امرأة، فأتى امرأته زينب، وهي تمعس منيئة لها، فقضى حاجته، ثم خرج إلى أصحابه فقال: "إن المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان، فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله، فإن ذلك يرد ما في نفسه" (1) .

6 - وروى مسلم في صحيحه بسنده إلى جابر أيضاً أنه قال : سمعت النبي(صلى الله عليه وآله) يقول إذا أحدكم أعجبته المرأة، فوقع في قلبه، فليعمد إلى امرأته فليواقعها فإن ذلك يرد ما في نفسه (2) .

وهذه روايات تظهر رسول الله بالرجل الشهواني الذي لا يستطيع أن يصبر عن شهوته، بل يصل الحال أن يشهر نفسه، ويعلن عن أمره ونيتته أمام أصحابه، ثم يدخل إلى إحدى زوجاته على موأى ومسمع من الجالسين حوله، وبعد حين يخرج إليهم ويأمرهم بأن إزاروا امرأة فأعجبتهم فليفعلوا نفس فعلته.

بالله عليك أخي العاقل المنصف، هل توافق ولأعلى أن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قام بهذا الفعل، مخالفاً بذلك أدنى مؤلزين العقل والحكمة، ومخالفاً لأحكام الشريعة الإسلامية التي جاء بها عن رب الغوة جل وعلا؟.

هل تستطيع أنت كإنسان عادي وليس كنبى أورشول أن تقف يوماً بين أصحابك وتمر امرأة إلى جانبك، ثم تستأذن من أصحابك وتكشف لهم أمرك، ثم تدخل إلى درك وهم في هذه الأثناء ينتظرونك، ثم تخرج إليهم وتقول لهم لقد فعلت كذا وكذا؛ لأن الرسول(صلى الله عليه وآله) قد فعل كفعلي هذا، بل وأمرنا إذا تعوضنا لمثل موقفه أن نفعل كما فعل.

فهل تجرؤ عززي القرئ أن تقوم بذلك أمام الناس؟. وهل تقبل أن

يكشف أمرك أمامهم؟. وهل تسمي من يتجراً على إشهار ذلك أمام الناس أنه عاقل؟. طبعاً حاشا رسول الله من ذلك، ونحن نقطع باليقين أن هذه الروايات كذب وافتراف على شخصه الكريم، وتعدّ وتطول لمقامه العظيم.

فقد وضعها وافتراف بها من له مصلحة لمدراة السلطة الحاكمة، والتي كان أعضؤها لا يتورعون عن فعل مثل تلك الأفعال أمام الناس، فقد كانوا يملسون شرب الخمر والفسق أمام كل الناس، ثم يجنون من يستमित للدفاع عنهم وعن شوفهم، ووصلت الاستماتة في الدفاع عن أولئك الفسقة أن تطولوا على رسول الله ووضعوا أمثال هذه الروايات ضدّه وليس من يدافع عنه صلوات الله وسلامه عليه وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

7 - وروى ابن أبي شيبه في مصنفه، في باب ما قالوا في الرجل وى المرأة فتعجبه، من قال يجمع أهله، حدّثنا أبو بكر قال : نا وكيع عن سفيان، عن أبي حصين، عن عبد الله بن حبيب قال : خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلقى امرأة فأعجبته فوجع إلى أم سلمة وعندها نسوة يدفن طيباً، قال : فعرفن ما في وجهه، فأخبرينه فقضى حاجته، فخرج فقال : من رأى منكم امرأة فأعجبته فليأت أهله فليواقعها، فإن ما معها مثل الذي معها ⁽¹⁾. ورواه عنه العجلوني في كشف الخفاء ⁽²⁾.

وبالأضافة إلى ما هو موجود في الروايات السابقة، فإن هذه الرواية قد تجوزت الحدود أكثر، فقد أظهرت أكثر من الروايات التي قبلها بأن صورت حال رسول الله في داخل بيته وهو لا يصبر عن شهوته (حاشاه من كل ذلك). وهذا ما لا يمكن أن نقبله أو نرضاه، وأيضاً فإن متون الروايات تدلّ على

وضعها وكذبها، وأنها وضعت لتبرير أفعال العديد من الصحابة كانوا يقومون بذلك الفعل.

8 - وروى أن رسول الله كان يقسم بين نساءه، فقصد أن طلق سودة بنت زمعة لما كبرت، فهبت ليلتها لعائشة، وسألته أن وّها على الزوجية حتى تحشر في زهرة نساءه، فتركها وكان لا يقسم لها، ويقسم لعائشة ليلتين ولسائر أزواجه ليلة ⁽¹⁾.

9 - وروى أبو داود من حديث عائشة: قالت سودة حين أسنت وفوقت أن يفرقها رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا رسول الله يومي لعائشة... الحديث ⁽²⁾، وللطواني: فرأد أن يفرقها ⁽³⁾. وهو عند أحمد بلفظ: لما كبرت سودة وهبت يومها لي فكان النبي لي بيومها مع نساءه ⁽⁴⁾، وعند البيهقي: لما أن كبرت بنت زمعة وهبت يومها لعائشة، فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله)، يقسم لها بيوم سودة، قال البيهقي: رواه مسلم في الصحيح... وأخرجه البخاري من وجه آخر ⁽⁵⁾.

10 - وروى البخري في صحيحه أيضا عن عائشة قالت: " كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا أراد سقياً أو عاباً بين نساءه، فأيتهنَّ خرج سهمها خرج بها معه، وكان يقسم لكل امرأة منهنَّ يوماً وليلتها، غير أنَّ سودة بنت زمعة وهبت يوماً وليلتها لعائشة زوج النبي (صلى الله عليه وآله) تبتغي بذلك رضا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ⁽⁶⁾ .

- 1- أنظر المعجم الكبير 24 : 31 ، السنن الكوى للبيهقي 7 : 75 ، وأنظر ما سيأتي من الروايات.
- 2- سنن أبي داود 1 : 474.
- 3- المعجم الكبير 24 : 31.
- 4- مسند أحمد 6 : 68.
- 5 - السنن الكوى 7 : 269 - 297.
- 6 - صحيح البخري 3 : 135.

الصفحة 219

ومما يفهم من الروايتين أعلاه، أنَّ الرسول (صلى الله عليه وآله) كان يقسم لكل من نساءه يوماً وليلتها، إلا أنَّ الرواية التالية تتعلض معهما.

11 - فعن أنس بن مالك قال: كان النبي (صلى الله عليه وآله) يدور على نساءه في الساعة الواحدة من الليل والنهار، وهنَّ إحدى عشرة، قال: قلت لأنس: أو كان يطيقه؟ قال: كنَّا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين ⁽¹⁾ .

وعليه فإنَّ الروايات الآتية الذكر، ومن خلال التدقيق فيها، تبين أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان شهوانياً لدرجة أنه أراد أن يطلقَّ سودة، وما ذنبها إلا أنها كبرت وصلرت لا تشبع الرغبات الجنسية (هكذا يصورون الأمر)؛ ولذلك فإنه أراد طلاقها فتوَّعت بليلتها لعائشة خوفاً من طلاق رسول الله لها.

وهذا طبعاً لا يمكن أن نقبل به على رسول الله، ولا يمكن لرسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يفعل، ولا نصدق أبداً أنه يفعل. ولكنَّ رواية الحديث رأوا أن يدافعوا عن أسيادهم الشهوانيين الظالمين الذين لا يعرفون من العدل سوى اسمه، فألصقوا هذه التهمة وجعلوه إنساناً عادياً يريد طلاق زوجته بسبب الشهوة الجنسية.

12 - روى البخري ومسلم وغيرهما عن عائشة قالت: كان النبي (صلى الله عليه وآله) يقبل ويباشر وهو صائم ⁽²⁾ .

13 - وروى أبو داود وغيره عن عروة، عن عائشة: أنَّ النبي (صلى الله عليه وآله) قبل امرأة من نساءه، ثم حوَّج إلى الصلاة ولم يتوضأ. قال عروة: فقلت لها: من هي إلا أنت؟ فضحكت ⁽³⁾ .

14 - وروى أحمد بسنده إلى أبي قيس قال: أرسلني عبد الله بن عمرو إلى

1 - صحيح البخري 1 : 71.

أم سلمة أسألتها هل كان رسول الله يقبل وهو صائم؟ فإن قالت: لا، فقل لها: إن عائشة تخبر الناس أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يقبل وهو صائم، قال: فسألتها أكان رسول الله يقبل وهو صائم قالت: لا، قلت: إن عائشة تخبر الناس أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يقبل وهو صائم، قالت: لعله إياها كان لا يتمالك عنها حبا، أما أيّاي قلا⁽¹⁾ .

وهذه الروايات وغيرها استتبط منها أهل السنة والجماعة جواز تقبيل الرجل لزوجته وهو صائم، ولكن المقصود من الرواية أخطر من قضية التقبيل، فهي تظهر شهوانية النبي أثناء الصيام، وهو الذي قال لنا أن الصوم يذهب شهوة النساء، وهو الذي حث على التوقّع في شهر رمضان لعبادة الله وطاعته، يصورونه هنا على عكس صورته الربانية.

ففي هذه الرواية والتي سبقتها كان التركيز على عائشة وأفضليتها على من سواها، وهو من ضمن مقاصد الروايات والتي وضعت من أجل صناعة الفضائل ولو على حساب مقولة النبي وعصمته، ولذلك يجب النظر والتدقيق في كل تلك الروايات، حتى ننصف رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ثم ندقق أيضا في الفضائل المصنوعة، هل هي حقيقية أو ليست كذلك؟

ففي مثل ما مرّ من الروايات، فإنها تظهر أن النبي كان مستعدا لأيّ شيء مقابل لرضاء عائشة، وطبعا هذا يخالف الواقع، فرسول الله كانت خديجة سلام الله تعالى عليها من أحب النساء إليه، ثم كانت أم المؤمنين مارية من أحب النساء إليه وهي التي أنجبت إواهيم (عليه السلام)، وهي صاحبة حادثة الإفك الحقيقية، وعلى العكس مما تذكره هذه الروايات الموضوعية، فإن رسول الله

كان يشكو كثيرا من عائشة وحفصه، بل إنه قالت سورة التحريم بخصوصهما⁽¹⁾ ، كما أنه ورد أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أراد أن يطلقهما، بل ثبت طلاقه لحفصة ثم مراجعتها⁽²⁾ ، فكيف هنا أجازوا أن تكون الأمور عكس القرآن والواقع؟. إنها قطعاً الصناعة الأموية، والتي رفعت كل من كان داعما لها ولحكامها من الصحابة وغيرهم، فكانت الفضائل لهم جزاء لوقوفهم إلى جانب الباطل ضد الحق الذي كان مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأهل البيت. ومن أراد المزيد فليراجع كتابنا سبيل المستبصرين في موضوع الصحابة وأنواعهم.

15 - روى البخاري في صحيحه، حدثنا عبد الله بن يوسف، عن مالك، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سمعه يقول: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يدخل على أمّ حرام بنت ملحان، فتطعمه، وكانت أمّ حرام تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأطعمته، وجعلت تظلي رأسه، فنام رسول

الله (صلى الله عليه وآله)، ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: "ناس من أمّتي، عرضوا عليّ عِوَاةً في سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسوة، أو: مثل الملوك على الأسوة". شك إسحاق، قالت: فقلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ثم وضع رأسه، ثم استيقظ وهو يضحك، فقلت: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: "ناس من أمّتي، عرضوا عليّ عِوَاةً في سبيل

1 - أنظر ذلك في صحيح البخاري 6 : 69، 7 : 232، صحيح مسلم 4 : 190.

2- أنظر طلاق حفصة في مسند أحمد 3 : 478، سنن أبي داود 1 : 510، سنن النسائي 6 : 213.

الصفحة 222

الله". كما قال في الأول، قالت: فقلت يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، قال: "أنت من الأولين". فوكبت البحر في

زمان معلوية بن أبي سفيان، فصوتت عن دابتها حين خرجت من البحر، فهلكت⁽¹⁾.

15 - وروى الترمذي في سننه عن أنس قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يدخل على أم حوام بنت ملحان فتطعمه

وكانت أم حوام تحت عبادة بن الصامت فدخل عليها رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوماً فأطعمته وحبسته ثقلي رأسه فنام

رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم استيقظ وهو يضحك قالت فقلت ما يضحكك يا رسول الله قال: ناس من أمّتي عرضوا عليّ

عِوَاةً في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسوة أو مثل الملوك على الأسوة قلت يا رسول الله ادع الله أن يجعلني

منهم فدعا لها ثم وضع رأسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك فقلت له ماذا يضحكك يا رسول الله قال ناس من أمّتي عرضوا عليّ

عِوَاةً في سبيل الله نحو ما قال في الأول قالت فقلت يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم قال أنت من الأولين فوكبت أم حوام

البحر في زمن معلوية بن أبي سفيان فصوتت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت⁽²⁾.

هذه الرواية من صحيح البخاري وسنن الترمذي وغورهما، تظهر أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يدخل على نساء

المسلمين ونساء الصحابة ويختلي بهنّ ويجلس كأنه في بيته، وتجلس زوجة الصحابي وتضع رأس رسول الله في حوها، ثم

ثقل رأسه، وينام رسول الله ثم وهو في نومه يرى رؤيا!.

وهذا القسم من الرواية من بدايتها إلى حين سود الرؤيا، فيه اتهام لرسول الله بالاختلاء بزوجات المسلمين، وهو ما يستحيل

على رسول الله أن يفعله،

1 - صحيح البخاري 3 : 201، 8 : 73، صحيح مسلم 6 : 49.

2- سنن الترمذي 3 : 99.

الصفحة 223

وقد نهى الله تعالى عن ذلك، وقد قال (صلى الله عليه وآله) : "لا يخلون أحدكم بامرأة فإن الشيطان ثالثهما"⁽¹⁾. فلا يمكن

أن يفعل ذلك رسول الله ويخالف أحكام القرآن وأحكام الخوة، مما يؤكد بأن هذه الرواية موضوعة من قبل الكذابين المفترين على رسول الله (صلى الله عليه وآله) في عصر معاوية بن أبي سفيان خدمة لحكومته وسلطته وتملقاً لشخصه، من أجل صناعة فضائل، وهو ما يشير إليه القسم الثاني من الرواية.

أما بالنسبة للقسم الثاني من الرواية، فهي تتحدث أن رسول الله استيقظ وهو يضحك، ثم سأله أم حوام لماذا تضحك يا رسول الله؟! فأخبر عن رؤيا عجيبة تحمل في طياتها فضائل عديدة، وتبروات واضحة لمعاوية بن أبي سفيان وطغيانه في زمانه.

فقد كان معاوية يلبس الذهب والحريير والديباج ويجلس على عرش كعروش القياصوة والأكاسوة، وكان المسلمون ينتقدون تلك الأفعال منه على النوام، وفي خلافة عمر بن الخطاب وكان معاوية والياً على الشام، شكى المسلمون معاوية إلى الخليفة كثيراً بسبب ديباجه وحروره وذهبه ولذلك زى عمر بن الخطاب حين ينظر إلى معاوية يقول : هذا كسوى العرب (2) .
ولذلك جاءت هذه الرواية لتعطي شريعة واضحة بيّنة لأفعال معاوية بن أبي سفيان، فعندما تقول الرواية : "ناس من أمّتي عرضوا عليّ عِوَاة في سبيل الله" فهي تصف معاوية بالمجاهد.

ثم تقول الرواية : "ملوكا على الأسوة" فهذا يعني شريعة أفعال معاوية وتشبهه بالأكاسوة وحلية لبس الذهب والحريير له.

1- مسند أحمد 1 : 18 ، المستترك على الصحيحين 1 : 115 .

2- أسد الغابة 4 : 386 ، سير أعلام النبلاء 3 : 134 .

ولذلك كانت هذه الرواية فيها تعدُّ وتطول على شخص رسول الله وأخلاقه، ومخالفة واضحة للقرآن وآياته، بينما تصنع في مقابل ذلك فضائل لمعاوية بن أبي سفيان وتستبيح له المحرمات، فكما يحقّ لرسول الله أن يختلي بالأجنبية وينام عندها وتجلس تظلي رأسه، ألا يحق لمعاوية أن يجلس جلسة الملوك والأكاسوة والقياسوة ويلبس الحريير والذهب.

وعلى ما يبدو كان الدخول على نساء المسلمين والاختلاء بالأجنبيات أمراً شائعاً في ذلك الوقت، وحتى يضافوا على ذلك الواقع الشوعيّة، افتروا على رسول الله (صلى الله عليه وآله) بهذه الرواية وأمثالها، لتمنح من خلال اتهام رسول الله شوعيّة لهم، وتصنع فضائل لمعاوية، ومن خلال فعل الحوام، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

16 - وروى البخاري في صحيحه عن عائشة قالت : دخل عليّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعندي جريتان، تغنيان بغناء بعثت : فاضطجع على الفواش وحول وجهه، ودخل أبو بكر فانتهرني، وقال : زمزومة الشيطان عند رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فأقبل عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال : دعهما . فلما غفل غمزتهما فخرجتا .

وكان يوم عيد، يلعب السودان بالترق والحواب، فإما سألت النبي (صلى الله عليه وآله)، وإما قال : تشتهين تتظنين . فقلت : نعم، فأفأمني وراءه، خدي على خده، وهو يقول : بونكم يا بني لرعدة، حتى إذا مللت، قال : حسبك . قلت : نعم، قال : فاذهبي (1) .

وهذه الرواية تظهر رسول الله واضحاً خذّه على خدّ عائشة أمام الناس، وهما راقبان السودان وهم يلعبون ويرقصون،

بالإضافة إلى وجود زمولة الشيطان في بيت رسول الله، وقد علقنا على هذه الرواية وأمثالها في بحث سابق.

1 - صحيح البخري 3 : 228.

الصفحة 225

17 - روى البخري في صحيحه بسنده عن أبي هشام قال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، لما كان في موضه جعل

يدور في نسائه ويقول: أين أنا غداً؟ أين أنا غداً؟ حرصاً على بيت عائشة. قالت عائشة: فلما كان يومي سكن⁽¹⁾.

18 - روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها. قالت: "كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقبل وهو صائم،

ويباشر وهو صائم، ولكنه أملككم لإربه"⁽²⁾.

19 - روى أبو داود في سننه، حدثنا مسدد، أخبرنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إواهيم، عن الأسود وعقمة، عن عائشة

قالت: "كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقبل وهو صائم ويباشر وهو صائم، ولكنه كان أملك لإربه"⁽³⁾.

20 - روى البخري في صحيحه، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن منصور، عن إواهيم، عن الأسود، عن

عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي (صلى الله عليه وآله) يباشرني وأنا حائض، وكان يخرج رأسه من المسجد، وهو

معتكف، فأغسله وأنا حائض⁽⁴⁾.

21 - روى البخري في صحيحه أيضاً، حدثنا إسماعيل بن خليل قال: أخبرنا علي بن مسهر قال: أخبرنا أبو إسحاق هو

الشياني، عن عبد الرحمن بن الأسود، عن أبيه، عن عائشة قالت: كانت إحدانا إذا كانت حائضاً، فرأى رسول الله (صلى الله

عليه وآله) أن يباشرها، أمرها أن تنتر في فور حيضتها، ثم يباشرها. قالت: وأيكم يملك لربه، كما كان النبي (صلى الله عليه

وآله) يملك لربه⁽⁵⁾.

ولا تعليق لديّ على كلّ الروايات الآتفة الذكر أكثر مما ذكرت في

1 - صحيح البخري 4 : 220 - 221.

2 - صحيح البخري 3 : 135.

3 - سنن أبي داود 1 : 533.

4 - صحيح البخري 2 : 256.

5 - صحيح البخري 1 : 78.

الصفحة 226

البحث، ولكن أذكر مرة أخرى أن اتهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بهذه الطريقة والتفويض من مولته وعظمته

والطعن في عصمته يحتاج إلى موقف دفاع من المؤمن، الذي نظر وراجع ودقق واستجاب لنداءات القلب والعقل لضرورة إعادة واسة التريخ والنظر فيه بشكل نحافظ فيه على رسولنا العظيم محمد(صلى الله عليه وآله)، ومن أجل الدفاع عنه وعن رسالته العظيمة، وإظهار الحقيقة للناس حتى يتخنوا موقفاً رجلياً مع رسول الله وأهل بيته عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأتمّ السلام.

هل يمكن أن يجيز النبي رضاعة الرجل الكبير؟!

ونأتي الآن إلى تهمة خطورة وعظيمة، وهي واحدة من عشرات التهم التي أصقت برسول الله(صلى الله عليه وآله) من أجل الطعن فيه وفي عصمته ومقرنته، ومن أجل صناعة الفضائل، ومن أجل تبرير أفعال مشينة فعلها بعض الصحابة، حتى صلت هذه الروايات مرجعاً للمسلمين يستنبط منها العلماء أحكام دينهم، ويؤسسون واقعاً من الفساد والضلال لا يمكن أن يؤهّ الشوع الحنيف.

وبما أنهم قد وضعوا شروطاً لقبول الرواية أوردتها فكان لا يمكن عندهم أن تُرد الرواية إذا ثبتت صحتها وفق الشروط الموضوعية من خلال قبول رجال سندها والرضا عنهم، وكلّ ذلك بحسب موليّنهم ومقاييسهم، ولذلك نتجت اشكاليات خطورة جداً، وحورة عند العلماء، فهم قد أحاطوا أنفسهم وقبيلوا بشروطهم، والتي منها عدالة الصحابة أجمعين، وكذلك شروط قبول الرواية أوردتها، أدّى ذلك في النهاية إلى الرضا والسكوت عن عشرات الروايات، والتي تطعن في رسول الله(صلى الله عليه وآله) وعصمته ومقرنته، وقد ذكرنا قسماً كبيراً منها، وبدلاً من ردها ورفضها، قام العلماء بعد قبولها والإقرار بصحتها، بشرحها واستنباط

الصفحة 227

الأحكام منها، فصار بين أيدي المسلمين الكثير من أحكام التحريم والتحليل، استنبطت من خلال روايات مكنوبة موضوعية ومفوّرة على رسول الله(صلى الله عليه وآله)، فيدخل المسلم في سخط الله، وهو يظنّ أنه في طاعته.

وما هذا الضلال الذي زاه ونعاني منه إلا بسبب تلك القيود التي قبيلوا أنفسهم بها، فلو أنهم اخترقوا دائرة العدالة عند الصحابة أجمعين، وبدلاً من الطعن في رسول الله وعصمته اعترفوا بأخطاء بعض الصحابة ونفاق البعض منهم أيضاً لانحورت نسبة التهم والنقائص التي أصقت برسول الله(صلى الله عليه وآله)، ولو أعيد النظر في شروط أخذ الحديث أوردته، لما أقرّ المسلمون تلك التهم التي ذكرنا عدداً كبيراً منها.

فبسبب كلّ ما ذكرت، دخلت مسألة رضاع الرجل الكبير على المسلمين وفقههم بكلّ سهولة ويسر، ومن دون أية مقاومة تذكر، بل إنها استقبلت بالرضا والقبول والتسليم كغيرها من التهم والافتراءات، وقبل المسلمون أن يطعن في رسول الله وعصمته.

إنّ مسألة رضاع الكبير من المسائل الخطورة، والتي إذا طبقت في المجتمعات الإسلامية فإنها سوف تكون عاملاً أساسياً في إشاعة الفاحشة ونشر الوذيلة وبشكل شوعي، وهذا الموضوع يشبه في أهدافه الموضوع السابق الذي يجيز الاعتداء على

أعواض المسلمين ويجيز اغتصاب النساء، وما على الفاعل سوى الصلاة طوي النهار وزُلُفًا من الليل، فموضوع رضاعة الكبير يشبه في الموضوع والمضمون ذلك الأمر لو حاول المنصف المدقق المقارنة بينهما ومعرفة الأسباب والوافع لطرح مثل هذه الأمور.

ومن المستهجن أن يقرّر العلماء موضوعاً خطأً مثل هذا الموضوع المفقود على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهل يسمح أحدهم أن يدخل الرجل الكبير

الصفحة 228

الملتحي على زوجته، ثم تكشف عورتها أمامه، ثم يقوم بالرضاعة منها؟! وهل يسمح أصلاً أي إنسان عنده شهامة وكرامة أن يفعل ذلك أوجزه؟! وإذا كان الجواب لا يمكن أن نسمح بذلك، فكيف رضيتم أن يفقود على رسول الله (صلى الله عليه وآله) بذلك؟! وهل هانت نفس رسول الله عندكم إلى هذا المستوى؟!.

لقد ذكر العلماء وصنّفوا كلّهم في كتب الصحاح والسنن باباً سموه باب رضاعة الكبير، مما يدل على اهتمامهم وانشغالهم بهذه القضية وعدم ردها أو وضعها، ولا يجد القارئ عند أهل السنة والجماعة من يحاول أن يدافع عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويردّ أحاديث القضية ولا تجد من يجروء على نفيها أو تكذيبها، والسبب كما ذكرنا الاعتقاد بعدالة الصحابة، والمقاييس التي وضعت لأخذ الحديث أو رده بالإضافة إلى أسباب أخرى، ولكن هذين السببين هما الأهم طبعاً بعد السبب الأول والأساسي وهو عدم متابعة أهل البيت (عليهم السلام) وترك الاقتداء بهم وعدم متابعتهم والتعلّم منهم، فهذا هو أسّ الأسباب كلّها، وما بعده هي أمور بنيت عليه.

وإليك أخي الكريم المنصف بعض من تلك الروايات الموجودة في صحاح وسنن أهل السنة والجماعة، والتي يتهمون فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأنه قد أجاز رضاعة الرجل الكبير الملتحي.

روى مسلم في صحيحه عن عائشة: أنّ سالماً مولى أبي حذيفة كان مع أبي حذيفة وأهله في بيتهم، فأنتت (تعني ابنة سهيل) النبي (صلى الله عليه وآله)، فقالت: إنّ سالماً قد بلغ ما يبلغ الرجال، وعقل ما عقولوا. وإنه يدخل علينا، وإنني أظن أنّ فيّ نفس أبي حذيفة من ذلك شيئاً. فقال لها النبي (صلى الله عليه وآله): لرضعيه تحرمي عليه، ويذهب الذي فيّ نفس أبي حذيفة!. فوجعت فقالت: إنّي قد لرضعته، فذهب

الصفحة 229

(1) وأشار إليه البخاري في صحيحه، ورواه النسائي، وأبو داود (2).

وروى مسلم في صحيحه أيضاً: وحدثنا إسحاق بن إبراهيم ومحمد بن رافع (واللفظ لابن رافع) قال: حدثنا عبد الرزاق أخونا ابن جريح، أخونا ابن أبي مليكة؛ أنّ القاسم بن محمد بن أبي بكر أخوه؛ أنّ عائشة أختوته: أنّ سهيلة بنت سهيل بنت عمرو جاءت النبي (صلى الله عليه وآله) فقالت: يا رسول الله! إنّ سالماً (لسالم مولى أبي حذيفة) معنا في بيتنا. وقد بلغ ما يبلغ الرجال وعلم ما يعلم الرجال. قال: لرضعيه تحرمي عليه!. قال: فمكثت سنة أو قريباً منها لا أجدت به وهبته، ثمّ لقيت القاسم

(3)

فقلت له: لقد حدّثتني حديثاً ما حدثته بعد. قال: فما هو؟ فأخبرته. قال: فحدثه عني؛ أن عائشة أخبرتنيه .

وروى مسلم في صحيحه عن عائشة قالت: قد جاءت سهلة بنت سهيل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالت: يا رسول الله، والله إنّي لأرى في وجه أبي حذيفة من دخول سالم قالت: فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لرضعيه، فقالت: إنه ذو لحية. فقال: "لرضعيه يذهب ما في وجه أبي حذيفة". فقالت: والله! ما عرفته في وجه أبي حذيفة⁽⁴⁾.

وروى في مجمع الزوائد عن سهلة بنت سهيل أنها قالت: يا رسول الله، إنّ سالماً مولى أبي حذيفة يدخل عليّ وهو ذو لحية. فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لرضعيه. فقالت: كيف رضعه وهو ذو لحية؟. فلرضعته فكان يدخل عليها.

1- صحيح مسلم 4 : 168.

2 - أنظر صحيح البخاري 6 : 122 ، وشوحيه فتح الباري 9 : 114 وما بعدها، سنن النسائي 6 : 105 - 106، سنن أبي داود 1 / 457 - 458.

3- صحيح مسلم 4 : 168.

4- صحيح مسلم 4 : 169.

الصفحة 230

قال الهيثمي : رواه أحمد والطواني في الثلاثة ورجال أحمد رجال الصحيح⁽¹⁾.

وروى ابن ماجة في سننه، عن عائشة قالت: جاءت سهلة بنت سهيل إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقالت: يا رسول الله! إنّي رأيت في وجه أبي حذيفة الكراهية من دخول سالم عليّ. فقال النبي (صلى الله عليه وآله) "لرضعيه" قالت: كيف رضعه وهو رجل كبير؟! فتبسّم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال: "أقد علمت أنه رجل كبير". ففعلت. فأنت النبي (صلى الله عليه وآله) فقالت: ما رأيت في وجه أبي حذيفة شيئاً أكرهه بعد. وكان شهد بوا⁽²⁾.

وروى مالك في الموطأ عن ابن شهاب أنه سئل عن رضاعة الكبير؟ فقال: أخونى عروة بن الزبير أن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة كان من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان قد شهد بوا، وكان تبنّى سالماً الذي يقال له سالم مولى أبي حذيفة، كما تبنّى رسول الله زيد بن حارثة، وأنكح أبو حذيفة سالماً وهو وى أنه ابنه أنكحه ابنة أخيه فاطمة بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة، وهي من المهاجرات الأولى وهي من أفضل أيامى قريش، فلما أتت الله تعالى في كتابه في زيد بن حارثة ما أتت فقال: **{ ادعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ }**⁽³⁾ رَدَّ كُلَّ وَاحِدٍ تَبَنَّى مِنْ أَوْلَادِكَ إِلَى أَبِيهِ، فَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ أَبُوهُ رَدَّ إِلَى مَوْلَاهُ. فجاءت سهلة بنت سهيل وهي امرأة أبي حذيفة وهي من بني عامر بن لؤي إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقالت لرسول الله: كنا نرى سالماً ولداً، وكان يدخل عليّ وأنا فضلٌ وليس لنا إلا بيت واحد، فَمَاذَا تَرَى فِي شَأْنِهِ؟ فقال لرسول الله (صلى الله عليه وآله): "لرضعيه خمس رضعات، فيحرم بلبنها"، وكانت زواه ابناً من الرضاعة،

1 - مجمع الزوائد 4 : 261.

2- سنن ابن ماجة 1 : 625.

3 - الأخواب : 5.

الصفحة 231

فأخذت بذلك عائشة فيمن تحبُّ أن يدخل عليها من الرجال، فكانت تأمر أمّ كلثوم وبناتِ أخيها أن يرضعن من أحببن أن يدخل عليها، وأبى سائر أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) أن يدخل عليهن بتلك الرضاعة أحدٌ من الناس، وقلن: والله ما زى الذي أمرَ به رسول الله (صلى الله عليه وآله) سهلة بنت سهيل إلا رخصةً من رسول الله في رضاعة سالم وحده، لا والله، لا يدخل علينا بهذه الرضاعة أحد، فعلى هذا كان أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) في رضاعة الكبير ⁽¹⁾. ورواه الشافعي في كتاب الأم ⁽²⁾ وابن حبان في صحيحه ⁽³⁾.

هذا بعض من الروايات من كتب أهل السنة والجماعة الواردة في الصحاح والمسانيد والسنن، وقد صحت كل تلك الروايات، وهي عند العلماء معتوقة ولا يمكن ردّها، ولذلك فإنّ مسألة رضاعة الرجل الكبير الملتي مسألة ثابتة عندهم، وهي أيضاً رأي ثابت للعديد من علمائهم.

وهذه المسألة هي كغيرها من المسائل التي تحمل اتهامات باطلة ضد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهي كغيرها أيضاً تتناقض مع القوان الكريم تناقضاً تاماً، وتتعرض معه تعرضاً بيناً واضحاً، ممّا يدلّ دلالةً قطعية أن هذه المسألة هي مسألة من وضع البشر، وليست من الله تعالى، ولم يقلها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهي مسألة كغيرها أيضاً تطعن في رسول الله وعصمته وأخلاقه، وتعمل على صناعة فضائل لمن لا يستحقّها، ثمّ إنها والأخطر من ذلك، تبرز واقعا فأسداً تسوده الفاحشة وانعدام الأخلاق بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ممّا اقتضى من واضعي الحديث الذين هم في خدمة السلطة الحاكمة وأعوانها أن يفتروا على الله ورسوله ويبرروا تلك الأفعال بمبررات شوعية لا يمكن لأحد أن يطعن فيها،

1- الموطأ 2 : 605 - 606.

2- الأم 5 : 29 - 30.

3- صحيح ابن حبان 10 : 27 - 28.

الصفحة 232

وذلك على حسب رأيهم وتخطيطاتهم، وهكذا كان، وهو ما أُصرُّ على كشفه وإثباته من خلال هذا البحث.

إن مسألة رضاعة الكبير تتعرض مع القوان في آياته، ومتى تتعرض أمر مع القوان فإنّه يردّ ولا يؤخذ به، قال تعالى في سورة البقرة: **{وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ وَلِلدَّهْنِ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ رَادَ أَنْ يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ}** ⁽¹⁾. وفي هذه الآية الشريفة تحديد

واضح بأنّ مدّة الرضاعة سنتين، وأنّ الذي يحرم هو خلال السنتين فقط، ولا يمكن أن يحرم ما بعدهما.

(2)

ويقول تعالى في سورة لقمان : **{ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ }** .

وروي في الحديث الصحيح قول الرسول الأكرم محمد(صلى الله عليه وآله): لا رضاع إلا ما كان في الحولين. رواه البيهقي والدلقطني ⁽³⁾ .

وروى الترمذي وصحّحه عن أم سلمة قالت: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) : "لا يحرم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء في الثدي، وكان قبل الفطام" ⁽⁴⁾ .

وروى الطيالسي والبيهقي قال: عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنه قال : "لا رضاع بعد فصال" ⁽⁵⁾ .

وكل ذلك يعني أنه لا رضاع يحرم إلا ما كان خلال السنتين وهو ما يتطابق مع الآية الكريمة. وقد ذكر العلماء أن هذا الحديث مع الآية ينفي رضاعة الكبير وأنه لا حرمة له.

وروى البخاري ومسلم عن عائشة أنّ النبي(صلى الله عليه وآله) قال: إنّما الرضاعة من

1 - البقرة : 233.

2- لقمان : 14.

3 - السنن الكرى للبيهقي 7 : 462 ، سنن الدلقطني 4 : 103 ، وأنظر الدر المنثور 1 : 288.

4- سنن الترمذي 2 : 311.

5- مسند أحمد داود الطيالسي : 243 ، السنن الكرى للبيهقي 7 : 319 ، 320.

الصفحة 233

المجاعة ⁽¹⁾ . أي أنّ الرضاعة المحرّمة هي ما كان قبل الحولين فقط.

ومن الملاحظ أنّ هذه الرواية التي تحرّم رضاعة الكبير هي عن عائشة، ولكنها في روايات رضاعة الكبير هي التي تجزؤها وتخصها لمن شاء.

وروى السيوطي في الدر المنثور قال: أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن بعة بن عبد الله الجهني قال: تزوّج رجل منّا امرأة من جهينة فولدت له تماماً لستة أشهر، فانطلق زوجها إلى عثمان بن عفان فأمر بوجمها، فبلغ ذلك علياً رضي الله عنه، فأثاه، فقال: ما تصنع؟ قال: ولدت تماماً لستة أشهر وهل يكون ذلك؟! قال علي رضي الله عنه: أما سمعت الله تعالى يقول : **{ وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا }** ⁽²⁾ وَقَالَ : **{ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ }** . فكم تجده بقي إلا ستة أشهر؟. فقال عثمان: والله ما فطنت لهذا، علي بالمرأة فوجوها قد فوغ منها. وكان من قولها لأختها: يا أختي لا تحزني، فوالله ما كشف فوجي أحد قط غوه. قال: فشب الغلام بعد فاعتوف الرجل به، وكان أشبه الناس به. قال: فأيت الرجل بعد يتساقط عضوا عضوا على فاشه ⁽³⁾ .

وروى السيوطي في الدر المنثور قال: أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر من طريق قتادة عن أبي حرب ابن أبي الأسود الدؤلي قال: رفع إلى عمر بن الخطاب امرأة ولدت لستة أشهر، فسأل عنها أصحاب النبي(صلى الله عليه وآله).

فقال عليّ K : لارجم عليها، ألا ترى أنّه يقول : **{وَحَمَلَهُ وَفَصَالَهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا}** وَقَالَ : **{وَفَصَالَهُ فِي عَامَيْنِ}** . وكان الحمل ههنا ستة أشهر .

1 - أنظر صحيح البخاري 3 : 150 ، 6 : 126 ، صحيح مسلم 4 : 170 .

2- الاحقاف : 15 .

3- الدر المنثور 6 : 40 ، والاستشهاد هنا ناظر إلى استشهاد الامام عليّ بالآيات القوانية .

الصفحة 234

(1)

فتوكها عمر .

ثمّ إنّه من الملاحظ في روايات إجرة رضاعة الرجل الكبير أن أمهات المؤمنين وخاصة أم سلمة رضي الله عنها قد رفضن ذلك الأمر ولم يقبلن به .

ثمّ إنّ هناك مسألة خطوة في قضية رضاع الكبير ، فكيف يجوز للمرأة أن تُكشف عورتها أمام الأجنبي وهذا في حال ما قررت لرضاعه؟! وهل يجوز للرجل الأجنبي مسّ امرأة لا تحلّ له؟. فمن الطبيعي للمرأة إذا رأت أن تُوضع رجلاً بالغا ملتحمياً كبراً أن تتكشف أمامه، وأن تكشف عن صورها على الأقل . فهل يقبل العقل والشوع أن يجيز رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذلك؟ وهل يسمح أحد من الناس بأن تكشف زوجته عن عورتها لتوضع رجلاً كبراً؟ وهل تؤيد المؤمن أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يجيز الفعل الحرام؟.

أعتقد أنّه لا يمكن لأيّ مؤمن حقاً أن يُقبل تلك التهمة على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولكن وللأسف، فقد رضي المسلمون بذلك، وأجازوا على رسول الله ذلك، كما أجازوا عليه العديد من الأمور التي ذكرناها في هذا البحث عند إعادة دراسة التريخ والتدقيق في الحقائق التريخية .

هل كان رسول الله فحاشاً وبديناً وظالماً؟

ومن القضايا المثورة للجدل في تريخنا عند مطالعته وإعادة رواسته، قضية اعتقد جزمياً أنّهم قد وضعوها في التريخ والحديث طعناً في شخص رسول الله وحطاً من منزلته ومقامه (صلى الله عليه وآله)، وهي قضية دعاء النبي (صلى الله عليه وآله) على عدد كبير من الكفار والظالمين والمنافقين والفاستقين وقيامه بلعنهم جهراً أمام الناس حتّى حفظ الناس ذلك ووعوه، ولم يكن هناك مجال بأن ينسوه، فالقائل

1 - الدر المنثور 6 : 40 .

الصفحة 235

واللاعن رسول الله، وأتى لرسول الله أن يقوم بذلك من نفسه وإنمّا بأمر من ربه جلّ شأنه .

وعندما تربع على عرش الخلافة عدد من أولئك الملعونين على لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان لا بد أن يتحرك جهاز وضع الحديث وصناعته لخدمة السلطة الحاكمة وتلك الشخصيات الملعونة، فبنوا بوضع روايات مفقودة على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، بل وجعلوا سبب نزول عدد من الآيات عتاباً لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، وتولت الأوامر تمنع رسول الله من لعن أحد أو الدعاء عليه.

ثم ولأنهم لا يستطيعون طمس أسماء من لعنهم رسول الله ودعا عليهم وضعا روايات تجعل من لعن رسول الله لأحد منهم فضيلة للملعون، وهو ما أسموه في تلك الروايات المكنوبة زكاة اللعن، وسنعرض بالتفصيل لتلك الأدلة، لكن المهم هنا، أنهم استطاعوا بخبثهم ودهائهم أن يزيلوا أثر اللعن عن الملعون، وجعلوا ذلك اللعن فضيلة له، واستطاعوا أن يستخفوا بعقول المسلمين، ولا أوري كيف استطاع أصحاب العقول والفكر أن يقتنعوا بذلك.

بعد كل ذلك، كانت النتيجة اتهام رسول الله بظلم الناس ولعنهم بسبب وبدون سبب، وتهمة أخرى ألصقها رسول الله وهي أن الله منعه من الدعاء على الكافرين ولعنهم، وكان أيضاً من النتيجة الحط من شخص رسول الله واعتباره شخصاً عادياً ودون العادي، بينما صار الملعونون من أصحاب الفضائل العظيمة والمنزل الجليل عند كل الناس، كما وصار اللعن الذي هو حكم شرعي مأمور به من الله تعالى صار مستهجنًا ومستكراً، وهكذا قلبت الحقائق في هذه القضية والتبست كل الأمور وصار لا بد من إعادة دراسة هذه القضية حتى نضع الأمور في نصابها الصحيح دفاعاً عن رسولنا الكريم وشخصه العظيم ومقامه السامي ومقرنته الواسلة العظيمة، حتى وى القرئ

الصفحة 236

العزيز أننا عندما استجبنا لنداء القلب والعقل أثناء رحلة الاستبصار وأعدنا دراسة التريخ والحديث والسير، كان ذلك سبباً رئيساً لسلك خط الهدى والإيمان، ووجدنا أنفسنا في موقع الدفاع عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتورثته من كل ما اتهموه به وافتروه عليه.

وسنعرض في دفاعنا هنا عدّة أمور منها : اللعن والدعاء على الظالمين حقيقته وحكمه، وأيضاً نعرض الأحاديث المفقودة التي يدعون فيها أن الله تعالى أقر آيات تمنع رسول الله من لعن الكافرين والدعاء عليهم، وسنناقش الآية، ونكشف أسرارها الحقيقية، ثم نتطرق إلى الروايات التي تحول لعن رسول الله إلى فضائل للملعون ونعلق على بعضها، وبعد ذلك نكشف عن لعنهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى نكشف حقيقة العملية كلها أمام أصحاب العقول السليمة والأفكار المستنورة حتى يتميّز الخبيث من الطيب.

يقول تعالى في سورة البقرة : { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ } (1)

وقال تعالى في سورة البقرة : { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } (2)

وقال تعالى في سورة آل عمران : { فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا

1 - البقرة : 159.

2 - البقرة : 161.

الصفحة 237

(1) نَبِّهْلَ فَنَجْعَلَ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ {

وقال تعالى في سورة آل عمران : { أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } (2)

وقال تعالى في سورة الأعراف : { فَأَذِّنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ } (3)

وقال تعالى في سورة هود : { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ

الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَى رَبِّهِمْ آلَا لَعْنَةِ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ؟ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنَّا سَبِيلَ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ

{ (4)

وقال تعالى في سورة هود : { وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ } (5)

وقال تعالى في سورة الأعراف : { لَنْ نَمُنَّ بِمَا نَمُنُّونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ

ثُمَّ لَا يَجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ؟ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخْنُؤًا وَقَتُوا تَقْتِيلًا سَنَةَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا خَلَا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسَانَ اللَّهِ

تَبْدِيلًا } (6)

وقال تعالى في سورة البقرة : { وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعْنَةُ اللَّهِ بِكُفْرِهِمْ

1 - آل عمران : 61.

2 - آل عمران : 87.

3 - الأعراف : 44.

4 - هود : 18 - 19.

5 - هود : 60.

6 - الأعراف : 60 - 62.

الصفحة 238

(1) فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ {

وقال تعالى في سورة النور : { إِنَّ الدِّينَ بِرِمَؤُومِ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعْنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

{ (2)

وقال تعالى في سورة المائدة : { فَبِمَا نَقُضُوا مِيثَاقَهُمْ لَعَانَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ } (3) .

وقال تعالى في سورة الأخراب : { رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنِيمِ لَعْنَا كَبِيرًا } (4) .

وروى السيوطي في الدر المنثور قال: أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله { قَاتَلَهُمُ اللَّهُ } (5) قال: لعنهم الله، وكل شيء في القرآن قتل فهو لعن (6) .
واللعن هو الطرد والإبعاد على سبيل السخط، وذلك من الله تعالى في الآخرة عقوبة، وفي الدنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه، ومن الإنسان دعاء على غيره.

واللعن غير السبّ والشتم، فاللعن هو طرد من الله وإبعاد، ومن العباد هو دعاء من العباد لله أن يطرد أناساً من رحمته، بحيث يكون اللعن ضمن أوامر إلهية وضوابط شرعية ضمن دائرة الولاء والبراء المنبثقة عن لا إله إلا الله وشروطها.

1 - البقرة : 88.

2- النور : 23.

3- المائدة 13.

4 - الأخراب : 68.

5- التوبة : 30، المنافقون : 4.

6- أنظر الدر المنثور 3 : 230.

الصفحة 239

بينما السبّ والشتم هو استخدام ألفاظ وكلمات على سبيل التنقيص والذمّ من دون وجود مبرر شرعي، بل بتجاوز عن الأوامر الإلهية والضوابط الشرعية، ويكون ذلك نابعا من الهوى أو الطبع السلبي.

وكما ترى، فإنّ الله تعالى لعن أناس معيّنين، ثمّ في آيات أخرى أخبر أنه وكذلك الملائكة والناس أجمعين يلعنون فئة من الناس بسبب أفعال معيّنة أو صفات سيئة فيهم أو بسبب تجاوزات للضوابط الشرعية التي جاءت بأوامر إلهية.

فنقض العهود والمواثيق يوجب اللعن من الله تعالى والملائكة، وكذلك يوجب من الناس على ناقض العهد والميثاق، وكذلك قذف المحصنات يوجب اللعن أيضاً، ورؤية المنكر والتحريب به وتأبيده مع توفر كلّ شروط القفرة على تغييره يوجب اللعن والطرد والإبعاد، والكفر يوجب اللعن وكذلك الفسق والفجور والنفاق وكثير من الأمور غير التي ذكرنا ربّما نتعرض لبعضها في البحث، ولكنّ المهم أنّ جميع الآيات تبين أنّ اللعن حكم شرعي له موجباته الشرعية، والتي قررها القرآن الكريم والسنة النبوية، وأوجبه في مواقف عديدة.

بينما لو تأملنا في أمر معاوية بن أبي سفيان للمسلمين بسبّ وشتم أموال المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، فإننا

نحزم قاطعين أنّ ذلك السبّ هو ذمّ وتفتييص لأمير المؤمنين (عليه السلام) ، وهو خروج عن دائرة الأوامر الإلهية والضوابط الشرعية التي أقرّها لنا الله تعالى، فكان ذلك السبّ والشتم مخالفة شرعية خطيرة توجب سخط الله تعالى، ولذلك جاء في الحديث الشريف المروي وفي صحيح الحاكم وجامع السيوطي وغيرهم عن أمّ سلمة رضي الله تعالى عنها أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: من سبّ علياً فقد سبني،

الصفحة 240

(1)

ومن سبني فقد سبّ الله .

ولذلك فإنّه حين أمر معاوية سعد بن أبي وقاص أنّ يسبّ علياً (عليه السلام) ، امتنع سعد عن ذلك وأحال الأسباب إلى أنّ السب فيه خروج عن الأوامر الربانيّة والضوابط الشرعية، وهي هنا غير متوفّرة فامتنع عن سب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

فقد روى مسلم في صحيحه عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً (أنّ يسبّ أمير المؤمنين علياً فامتنع سعد). فقال معاوية لسعد: ما منعك أن تسبّ أبا التّراب؟. فقال: أما ما ذكّرت ثلاثاً قالهنّ لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فلن أسبّه، لأنّ تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ منّ حمر النعم. سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول له وقد خلّفه في بعض مغزّيه، فقال له عليّ: يا رسول الله! خلّفنتي مع النساء والصبيان؟.

فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): أما ترضى أن تكون منّي بمتولة هارون من موسى، إلاّ أنّه لا نوة بعدي.

وسمعته يقول يوم خيبر: لأعطينّ الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، قال فتناولها لها فقال: ادعوا لي

علياً، فأتى به لمد، فبصق في عينه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه.

ولما تولت هذه الآية : { فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ

وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نُبْتَهِلُ فَنَجْعَلُ لِعَنَتِ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ } (2) . دعارِ رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً وفاطمة وحسناً

1 - المستترك على الصحيحين 3 : 12، الجامع الصغير 2 : 608.

2 - آل عمران : 61.



وحسيناً فقال: اللهم، هؤلاء أهلي (1).

وكما لعن الله تعالى في القرآن الكريم، فقد لعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) والسنة مليئة بمن لعنهم رسول الله، كلعنه لأشياء كالخمر وغورها، وكذلك لعنه لأشخاص أو لصفات معينة.

روى السيوطي في الدر المنثور قال: أخرج الأزرقي والطواني والبيهقي في شعب الإيمان عن عائشة قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): سنة لعنتهم وكل نبي مجاب، الوائد في كتاب الله، والمكذب بقدر الله، والمتسلط بالجيوت ليزل من أعز الله ويعز من أذل الله، والتلك لسنتي، والمستحل من عتوتي ما حرم الله عليه، والمستحل لحرم الله. ورواه الحاكم وابن حبان وغورهم (2).

وروى في مجمع الزوائد عن حذيفة بن أسيد أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: من آذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم. وقال: رواه الطواني في الكبير وإسناده حسن (3).

روى مسلم والبيهقي عن جابر بن عبد الله قال: لعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) آكل الربا، وموكله، وشاهديه، وكاتبه، وقال: هم سواء (4).

قال السيوطي في الدر المنثور: أخرج عبد الزاق والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان عن عبد الله بن عمرو قال: لعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) الواشي والمرتشي (5).

1- صحيح مسلم 7 : 120.

2- المستترك على الصحيحين 1 : 36، 2 : 525، 4 : 90، صحيح ابن حبان 13 : 60، الدر المنثور 1 : 122.

3- مجمع الزوائد 1 : 204.

4- صحيح مسلم 5 : 50، السنن الكوى للبيهقي 5 : 275.

5- الدر المنثور 2 : 284.

وقال السيوطي في الدر المنثور: أخرج ابن مردويه والبيهقي عن ابن عمر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن الله لعن الخمر، ولعن غرسها، ولعن شربها، ولعن عاصرها، ولعن مؤويها، ولعن مدورها، ولعن ساقياها، ولعن حاملها، ولعن آكل ثمنها، ولعن بائعها (1).

وقال السيوطي في الدر المنثور قال: أخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي عن الشعبي قال: لعن المغني والمغني له (2).

وقال السيوطي في الدر المنثور قال: أخرج ابن أبي شيبة ومسلم عن خفاف ابن إيماء بن رخصة الغفري قال: صلى بنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) الفجر، فلما رفع رأسه من الركعة الآخرة قال: لعن الله لحيانا ورعلاً وذكوان وعصية عصت

الله ورسوله أسلم سالمها الله، غفّر الله لها، ثم خرّ ساجداً، فلما قضى الصلاة أقبل على الناس بوجهه فقال: أيها الناس إني لست قلت هذا، ولكنّ الله قاله (3).

وقال تعالى في سورة الأخاب: { **إِنَّ الَّذِينَ يَوَدُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعْنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا** } (4)

كما ولعن كثير من الأنبياء والرسول أقوامهم، أو قسماً من أقوامهم، ودعوا عليهم، وكان أن أقرّ الله لهم ذلك، بل واستجاب دعوتهم وأقرّ لعنهم.

قال تعالى في سورة فوح: { **وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضِلَالًا** } (5).

1- المصدر نفسه 2 : 322.

2- المصدر نفسه 5 : 159.

3- المصدر نفسه 6 : 422.

4 - الأخاب : 57.

5 - فوح : 24.

الصفحة 243

وقال تعالى في سورة فوح: { **رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مَوْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبْرًا** } (1).

وقال تعالى في سورة فوح: { **وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذِرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا** } (2).

وقال تعالى في سورة المائدة: { **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ** } (3).

من كلّ ما سبق يتبيّن أن اللعن والدعاء على الأعداء والظالمين والمجرمين وغيرهم هو حكم شرعي ملّسه رسول

الله (صلى الله عليه وآله) يوحي من ربه وبأمر منه، فكلام رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحيّ وهو لا ينطق عن الهوى إن

هو إلا وحي يوحي.

وقد ملّس رسول الله (صلى الله عليه وآله) اللعن على أشخاص معيّنين، وعلى أفعال معيّنة وصفات معيّنة وأماكن معيّنة،

كما ملّس ذلك من سبقه من الأنبياء والرسول.

كما وأمر الله المسلمين أن يلعنوا أناساً معيّنين وأشياء معيّنة وصفات وأفعال أيضاً.

وهذا هو جوهر الموضوع، وهو سبب الإشكال الرئيسي الذي أوجد الحوة والخلاف في موضوع اللعن والدعاء، فوسول

الله (صلى الله عليه وآله) لعن أقواماً بعينهم كما مرّ في حديث سابق، وكذلك لعن أشخاصاً بعينهم ودعا عليهم، وحذّر منهم كما

سيأتي، ومن بين أولئك الملعونين من صار خليفة وحاكماً أو والياً متنفذاً في الدولة الإسلامية، وبعد أن رُسِّخ مفهوم اللعن عليهم أمام كلِّ المسلمين، وصار لا يمكن الهروب من تلك اللعنات أمام الناس، فكان من الضرورات

1 - فوح : 28.

2 - فوح : 26.

3- المائدة : 78.

الصفحة 244

القصوى أن تدخلت نوائر وأجهزة وضع الحديث والافراء على رسول الله 2 ، وقامت تلك الأجهزة بوضع حدّ لتلك اللعنات وتبروها، بل إنهم استطاعوا أن يجعلوا منها فضيلة للملعونين بأمر الله تعالى وعلى لسان رسوله الكريم، بل والأخطر من ذلك أنهم وفي مجال توير تلك اللعنات افتروا على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكالوا عليه التهم والنقائص، وجعلوا منه سباً وشتاً ولعناً وطعناً بسبب وبدون سبب، ووصفوه ببذاءة اللسان في أكثر من رواية، وجعلوه في رواياتهم يعترف بذلك كما سيأتي في الروايات، وإنه يتهجم على الناس وعلى عوراتهم ويؤذيهم.

وبالمقابل أغدقوا على الملعونين الفضائل والمناقب، وسوف يتوضح لكل منصف صاحب عقل سوي من خلال توضيحنا لبعض الروايات، كيف استطاعوا تحويل المسألة عن مسراها الحقيقي وقلوبها لتظهر أمام الناس كما رأوا.

قال السيوطي أخرج أحمد والبخري والترمذي والنسائي وابن جرير والبيهقي في الدلائل عن ابن عمر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم أحد: اللهم العن أبا سفيان، اللهم العن الحرث بن هشام، اللهم العن سهيل بن عمر، واللهم العن صفوان بن أمية. فقلت هذه الآية: **{ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ }**⁽¹⁾ فَنَيْبُ عَلَيْهِمْ كُلَّهُمْ⁽²⁾.

وقال السيوطي في الدر المنثور: أخرج عبد بن حميد والنحاس في ناسخه عن ابن عمر أن النبي (صلى الله عليه وآله) لعن في صلاة الفجر بعد الوكع في الركعة الآخرة فقال: اللهم العن فلانا وفلانا ناسا من المنافقين دعا عليهم، فأقول الله: **{ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ }**⁽³⁾.

1 - آل عمران : 128.

2- الدر المنثور 2 : 71.

3- المصدر نفسه 2 : 71.

الصفحة 245

ولنفق قليلا عند هذه الروايات لنستوضح أمرها، فالروايات فيها أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعن أشخاصا معينين،

وقد ذكرت الروايات أسماءهم، وفي بعض الروايات ومن أجل التغطية على بعض الملعونين قالت الروايات فلاناً وفلاناً. ومن المؤكّد أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يلعن هؤلاء إلا بأمر من الوحي، إذ لا يمكن أن يقوم رسول الله بذلك بسبب هوى أو شهوة، فهو رسول ربّ العالمين ولا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى والواجب علينا تصديقه واتباعه. ولذلك كان لعن أولئك لعناً شريعياً موافقاً لأمر الله تعالى والضوابط الشرعية، فهل من المعقول بعد ذلك أن يعاتب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويعاقب لأنّه وافق أمر ربه عزّ وجلّ، واتبع هدايته ولم يخالفه؟. طبعاً لا يمكن ذلك، وعليه فإنّ أمر المعاتبة هو قطعاً من وضع الوضّاعين المفقّرين على الله تعالى ورسوله دفاعاً عن القوم المشركين والمنافقين.

ثمّ إنّ الآية التي استشهدوا بها على تأنيب الله تعالى لرسوله الكريم بسبب لعنه للمنافقين والمشركين ليست كما يدعون، فلفظة فهمهم ولسوء نظرهم فإنّ الآية هي محل تأكيد وتأييد من الله تعالى على لعن المشركين والمنافقين والدعاء عليهم. ففي آخر الآية يؤكّد الله تعالى أنّ الملعونين هم من الظالمين وذلك عندما تقول الآية: **{ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ }**. وفي آيات أخرى يقول الله تعالى مؤكداً على ضرورة لعن الظالمين ووضع حدّ كظلمهم، فيقول تعالى في سورة البقرة: **{ فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ }** (1).

1 - البقرة : 193.

الصفحة 246

ويقول تعالى في سورة الأعراف: **{ فَأَذِّنْ مَوْذِنًا بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ }** (1). ويقول تعالى في سورة هود: **{ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ }** (2). فالقرآن الكريم يؤكّد في هذه الآيات أنّ اللعن من الله تعالى على الظالمين من أوسع أبوابه. وأمّا الآية التي استشهدوا بها فإنّها تقرّر أنّ أولئك ظالمون، وبالتالي فإنهم يستحقّون اللعن بحسب كلام الله تعالى وأوامره وضوابطه الشرعية، ولم يخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن تلك الضوابط، بل إنّ الله تعالى يؤكّد له بشكل واضح أنّهم ظالمون، أي ملعونون.

وعبرة ليس لك من الأمر شيء، أي أنّ أمر أولئك ليس لك يا محمد، بل إنّ الله تعالى الذي أعدّ لهم في علمه وقضائه ما أعدّ، فكأنّه يقول له: اتوك أمهم لي واطمئن، فإنني إن توكنتهم لفتوة من الوقت أو عذبتهم مباشرة فإنني أؤكد لك يا محمد أنّهم ظالمون، والظالمون ملعونون، وسوف يعاقبون على ظلمهم لك في الدنيا والآخرة.

هذا بالنسبة للآية إذا كان سبب نزولها مختصاً بالحادثة التي ذكرنا، وقد بينّا أنّه لم يكن هناك عتاب أو اعتراض على لعن رسول الله ودعائه عليهم، وإنّما كان في الآية تأكيد واضح وتأييد صريح لما فعل رسول الله (صلى الله عليه وآله). وأمّا في روايات أهل البيت (عليهم السلام)، فإنّ هناك سبب آخر لنزول الآية وهو ما سيبيّنه الحديث الآتي.

1 - الأعراف : 44.

2- هود : 18.

الصفحة 247

قوى عنده ليس لك من الأمر شيء، قال: بلى، والله إن له من الأمر شيئاً وشيئاً وشيئاً، وليس حيث ذهبت، ولكنني أخبرك أن الله تعالى لما أخبر نبيه (صلى الله عليه وآله) أن يظهر ولاية علي، ففكر في عدوة قومه له فيما فضله الله به عليهم في جميع خصاله وحسداهم له عليها، ضاق عن ذلك، فأخبر الله أنه ليس له من هذا الأمر شيء، إنما الأمر فيه إلى الله أن يصير علياً (عليه السلام) وصيه وولي الأمر بعده، وكيف لا يكون له من الأمر شيء وقد فوض الله إليه أن جعل ما أحل فهو حلال وما حرم فهو حرام وقوله: **{ ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا }** (1).

وعن الإمام الباقر (عليه السلام) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان حريصاً على أن يكون علي (عليه السلام) من بعده على الناس، وكان عند الله خلاف ما أراد فقال له: ليس لك من الأمر شيء يا محمد في علي، الأمر إلي نبي علي وفي غيره، ألم أتول عليك يا محمد فيما أتول من كتابي إليك: **{ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمداؤهم لا يفتنون }** (2) .. الأيات، قال ففوض رسول الله الأمر إليه (3).

وعليه فقد كان ذلك تنفيذاً لأحد أدلتهم غير المنطقية التي حاولوا فيها تحريف معنى اللعن عن مسأله، وتحويل الأنظار إلى عتاب الله تعالى لرسوله بدلاً من التركيز على الملعونين.

وأما فيما سيأتي، فإن الكذب والافتراء على رسول الله (صلى الله عليه وآله) أكبر وأفظع، فكما سوف ترى فإنهم استطاعوا أن يحولوا اللعن إلى فضائل، وستجد في بعض صحاح ومسانيد أهل السنة والجماعة تحت باب فضائل معاوية بن أبي سفيان أحاديث كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يلعنه فيها ويدعو عليه بدعائه المشهور

1- التفسير الصافي 1 : 379.

2- العنكبوت : 1 - 2.

3- التفسير الصافي 1 : 379.

الصفحة 248

2 "لا أشبع الله بطنه" (1) - أي معاوية - وهذه هي الفضيلة الوحيدة لمعاوية عند مسلم. وإليك بعضاً من روايات تحويل اللعن والدعاء إلى فضائل.

روى البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة أنه سمع النبي (صلى الله عليه وآله) يقول: "اللهم فأيا مؤمن سببته، فاجعل ذلك

(2)

له قربة إليك يوم القيامة" .

وروى مسلم في صحيحه، عن عائشة قالت: دخل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) رجلان. فكلمهما بشيء لا أوري ما هو، فأغضباه، فلعنهما وسبهما، فلما خرجا، قلت: يا رسول الله! من أصاب من الخير شيئاً ما أصابه هذان، قال: وما ذلك. قالت قلت: لعنتهما وسببتهما. قال: أو ما علمت ما شلّطت عليه ربّي؟. قلت: اللهم! إنّما أنا بشر فأبي المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة وأجراً⁽³⁾ .

وروى مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): اللهم إنّما أنا بشر، فأيمّا رجل من المسلمين سببته، أو لعنته، أو جلدته. فاجعلها له زكاة ورحمة⁽⁴⁾ .

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: اللهم إنّما محمدٌ بشر، يغضب كما يغضب البشر، وإني قد اتخذت عندك عهداً لن تخلفنيه، فأيمّا مؤمن آذيتَه، أو سببته، أو جلدته. فاجعلها له كفّرةً، وقربةً قربةً بها إليك يوم القيامة⁽⁵⁾ .

وروى مسلم في صحيحه عن ابن عباس قال: كنت ألعب مع الصبيان، فجاء

1- صحيح مسلم 8 : 37، وأنظر سير أعلام النبلاء 3 : 123 - 124.

2 - صحيح البخاري 7 : 157

3- صحيح مسلم 8 : 24.

4- صحيح مسلم 8 : 25.

5- صحيح مسلم 8 : 26.

الصفحة 249

رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فتوليت خلف باب، قال فجاء فحطاني حطأة، وقال: اذهب وادع لي معاوية. قال فجئت، فقلت: هو يأكل. قال: ثمّ قال لي: اذهب فادع لي معاوية. قال فجئت، فقلت: هو يأكل. فقال: لا أشبع الله بطنه⁽¹⁾ .

وذكر ابن كثير في البداية والنهاية قال: روى الإمام أحمد، ومسلم، والحاكم في مستدرکه عن ابن عباس. قال: كنت ألعب مع الغلمان فإذا رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد جاء فقلت: ما جاء إلا إليّ، فاخترت على باب، فجاءني فحطاني حطأة أو خطائين، ثمّ قال: اذهب فادع لي معاوية قال: فذهبت فدعوته له، فقيل: إنّهُ يأكل. فأتيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقلت: إنه يأكل. فقال: اذهب فادعه، فأتيته الثانية فقيل: إنّهُ يأكل فأخوته. فقال في الثالثة: لا أشبع الله بطنه. قال: فما شبع بعدها.

يقول ابن كثير: وقد انتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه وأخواه.

أمّا في دنياه: فإنه لما صار إلى الشام أمواً، كان يأكل في اليوم سبع هوات، يجاء بقصعة فيها لحم كثير ويصل فيأكل منها، ويأكل في اليوم سبع أكلات بلحم، ومن الحوى والفاكهة شيئاً كثيراً، ويقول: والله ما أشبع وانمّا أعياء، وهذه نعمة ومعدة وغب

فيها كلّ الملوك.

وأما في الآخرة: فقد أتبع مسلم هذا الحديث بالحديث الذي رواه البخاري وغيرهما من غير وجه، عن جماعة من الصحابة، أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: اللهم إنما أنا بشر فأيمأ عبد سببته أو جلده أو دعوت عليه، وليس لذلك أهلاً، فأجعل ذلك كفارةً وقربةً تقبّه بها عندك يوم القيامة⁽²⁾.

فركب مسلم من الحديث الأول وهذا الحديث فضيلة لمعاوية، ولم يورد له غير ذلك.

1- صحيح مسلم 8 : 27.

2- البداية والنهاية 8 : 127 - 128.

الصفحة 250

ورواية ابن كثير هذه تصديق لما أوضحته في بداية البحث، ولاحظ كيف صلت المثابة منقبة وفضيلة لمعاوية، فهكذا يفعل علماء السلاطين يوماً، يقلبون الحقّ باطلاً والباطل حقاً.

روى البخاري ومسلم وغيرهما من الصحاح والمسانيد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): "المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء"⁽¹⁾.

وروى أيضاً أحمد ومسلم وغيرهم كثير عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: المؤمن يشرب في معي واحد والكافر يشرب في سبعة أمعاء⁽²⁾.

وتقدّم ما روي عن عائشة أنها قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ستة لعنتهم وكل نبي مجاب، الزائد في كتاب الله، والمكذب بقدر الله، والمتسلطّ بالجبروت ليزل من أعزّ الله ويعز من أدلّ الله، والتارك لسنتي، والمستحل من عتوتي ما حرم الله عليه، والمستحلّ لحرم الله"⁽³⁾.

وقد ذكر أغلب المفسرين والمحدثين في تفسير الشعرة الملعونة في القوان أنها بني أمية وبني الحكم.

فقد قال السيوطي في الدر المنثور: أخرج ابن جرير، عن سهل بن سعد، قال: رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بني فلان (بني أمية والحكم) يتزوّن على منوه نزو القودة، فساءه ذلك، فما استجمع ضاحكا حتى مات، وأقول الله: **{وَمَا جَعَلْنَا**

1 - صحيح البخاري 6 : 200، 201، صحيح مسلم 6 : 132، مسند أحمد 6 : 335، صحيح ابن حبان 1 : 378.

2- مسند أحمد 2 : 375، 4 : 336، 5 : 370، صحيح مسلم 6 : 133.

3- صحيح ابن حبان 13 : 60، المستدرج على الصحيحين 1 : 36، 2 : 525، 4 : 90 وأنظر الدر المنثور 1 : 122.

الصفحة 251

الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس⁽¹⁾.

وقال السيوطي في الدر المنثور: أخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عمر أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: رأيت ولد الحكم بن

أبي العاص على المنابر كأنهم القودة، وأقول الله في ذلك: **{ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجْوَةَ المَلْعُونَةَ }** (2) يعني الحكم وولده . (3)

وقال أيضاً قال: أخرج ابن أبي حاتم، عن يعلى بن موه عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): رأيت بني أمية على منابر الأرض، وسيتملكونكم، فتجدونهم أرباب سوء، واهتم رسول الله (صلى الله عليه وآله) لذلك، فأقول الله: **{ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ }** (4) .

وأخرج ابن مودويه، عن الحسين بن علي رضي الله عنهما أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أصبح وهو مهموم، فقيل: مالك يا رسول الله؟ فقال: إنني رأيت في المنام كأن بني أمية يتعلوون منوي هذا، فقيل: يا رسول الله، لا تهتم فإنها دنيا تنالهم. فأقول الله: **{ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ }** (5) .

وأخرج ابن مودويه، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لمروان بن الحكم: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول لأبيك وجدك: إنكم الشجرة الملعونة في القآن . (6)

وروى الطواني والحاكم وغوهم كثير عن علي بن أبي طالب قال في قوله

1 - الإساءة : 60 ، وتكملة الآية : والشجرة الملعونة في القآن....

2 - الإساءة : 60.

3 - الدر المنثور 4 : 191.

4 - الدر المنثور 4 : 191.

5 - الدر المنثور 4 : 191.

6 - الدر المنثور 4 : 191.

الصفحة 252

تعالى: **{ الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْؤًا وَأَحْلُوا قَوْمَهُم دَارَ البَوَارِ }** الآية. قال: تولت في الأفجرين من قريش، بني مخزوم وبني أمية فقطع الله دارهم يوم بدر، وأما بنو أمية فمتوا إلى حين . (1)

وروى في كنز العمال عن قيس بن أبي حزم قال: سمعت علي بن أبي طالب على منبر الكوفة يقول: ألا لعن الله الأفجرين من قريش: بني أمية، وبني مغوة؛ أما بنو مغوة فقد أهلكهم الله بالسيف يوم بدر، وأما بنو أمية فهيهات هيهات! أما والذي فلق الحبة وروا النسمة! لو كان الملك من وراء الجبال ليثبوا عليه حتى يصلوا . (2)

وروى الطواني بسنده عن عبد الملك بن الصباح المسمعي عوان بن حدير أظنه عن أبي مجلز قال: قال عمرو بن العاص والمغوة بن شعبة لمعاوية: إن الحسن بن علي عبي، وإن له كلاماً ورأياً، وأنه قد علمنا كلامه، فيتكلم كلاماً فلا يجد

كلاما ، فقال : لا تفعلوا، فأبوا عليه ، فصعد عمرو المنبر فذكر علياً ووقع فيه ، ثم صعد المغوة بن شعبة فحمد الله وأثنى عليه، ثم وقع في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم قيل للحسن بن علي : اصعد، فقال : لا أصعد ولا أتكلم حتى تعطوني إن قلت حقاً أن تصدقوني، وإن قلت باطلاً أن تكذبوني ، فأعطوه، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، فقال : بالله يا عمرو وأنت يا مغوة، أتعلمان أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : لعن الله السائق والراكب، أحدهما فلان (معاوية) ؟ قالوا : اللهم نعم، بلى ، قال : أنشدك بالله يا معاوية ويا مغوة،

-
- 1- المعجم الأوسط 1 : 237 ، ونحوه في المستترك على الصحيحين 2 : 352 وفيه : هما الأفجان من قريش، بنوا أمية وبنو المغوة... وأنظر تفسير الطوي 13 : 287، الدر المنثور 4 : 84 ، وفيهما أيضاً : الأفجان.
- 2- كنز العمال 11 : 363 ، وأنظر للرواية في تزيخ دمشق 52 : 314.

الصفحة 253

أتعلمان أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعن عوا بكل قافية قالها لعنة ؟ قالوا : اللهم بلى ، قال : أنشدك بالله يا عمرو وأنت يا معاوية بن أبي سفيان أتعلمان أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعن قوم هذا؟ قالوا : بلى، قال الحسن : فإنني أحمد الله الذي وقعتم فيمن توأ من هذا (1) .

وروى الحاكم في المستترك عن عبد الله بن الزبير : أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعن الحكم وولده (2) (مروان بن الحكم).

وروى أحمد بسنده عن الشعبي قال : سمعت ابن الزبير وهو مستند إلى الكعبة وهو يقول : ورب هذه الكعبة، لقد لعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلانا وما ولد من صلبه (3) (الحكم وولده مروان).

وروى الطواني وغوه من المحدثين أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) دعا على معاوية وعمرو بن العاص وقال : "اللهم لكسهما في الفتنة ركساً، ودعهما إلى النار دعا" (4) .

بعد كل ما ذكرنا، فإنه يتضح للقاصي والداني أن رسول الله لعن أولئك، وسمع المسلمون ذلك، ولكن الملعونين وعندما استلموا زمام الأمور في النولة الإسلامية استطاعوا أن يبدلوا الحقائق ويقلبوا الأمور، بل إنهم أيضاً ألصقوا التهم برسول الله (صلى الله عليه وآله)، وجعلوه فحاشاً بذئياً، يضرب ويجلد ويسب ويشتتم ويلعن من دون سبب، فإذا رسخت هذه الفكرة في أذهان الناس، كان من يستمع إلى أية رواية فيها لعن علي أولئك قال الناس : ربما كان رسول الله

1- امعجم الكبير 3 : 72 ، وعنه في مجمع الزوائد 7 : 247.

2- المستترك على الصحيحين 4 : 481.

3- مسند أحمد 4 : 5 ، وأنظر مجمع الزوائد 5 : 241.

غضبانا أو لعن من لا يستحقّ اللعن، ثم إن اللعن والأذى من رسول الله طهارة وزكاة للملعون ومنقبة وفضيلة له، هكذا ينظر أهل السنة والجماعة لموضوع اللعن، وقد ذكرنا ما يمكن أن ندافع به عن رسول الله محمد سيّد الأولين والآخرين وحبیب ربّ العالمين والحمد لله.

خلاصة نداءات القلب والعقل لإعادة لراسة التاريخ:

وهكذا أخي المؤمن الكريم. ذكرت بعض المواقف من خلال الحديث والروايات المتوقّرة في صحاح ومسانيد أهل السنة والجماعة، ومن أراد المزيد فلواجع كتابنا سبيل المستبصرين، حتّى لا نطيل البحث ونخرج عن المقصود، وكان ما ذكرنا هو نداء القلب والعقل للنظر والتدقيق في التريخ.

والنتيجة التي توصلنا إليها من التريخ وكتبه، ومن الصحاح والسنن، ومن الواقع الموجود، أنّهم جعلوا من رسول الله شخصيّة عادية، بل إنهم لم يتولّوه بالمقولة التي أقره الله تعالى فيها، وانهم ألصقوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) عشوات التهم التي لا تليق بمقولة الرسالة ومقامها، وإنهم تركوا متابعتهم والافتداء بهديه، مقابل ذلك فوضوا على المسلمين شخصيات تريخيّة وضربوا عليهم هالة من القدسيّة وجعلوهم أئمتهم وقوتهم مع أنّهم ليسوا من أهل الفضل، ولا من أهل الفضائل، بل إنهم في الحقيقة تطولوا على مقام الربوبيّة وحلوا رادة الله تعالى ولعبوا في كثير من القضايا وغيروا وبدلوا حتّى وصلوا إلى التجسيم والتشبيه وغير ذلك ممّا لا يجوز أن يتجرأ عليه العباد.

وهكذا كنّا نطرح الأسئلة، والتي اقتضتها مطالعتنا للتريخ وللحديث، ومع مراعاتنا للشروط التي شرطناها على أنفسنا عند مطالعة تلك المواقف والأحداث، فإنّ النداءات لراسة التريخ ومواقفه، كانت سبباً وبتوفيق من الله

تعالى للوصول إلى حقائق الإيمان، واكتشاف خلل كبير جدّاً نجم عنه ضلال وفساد، وكان السبب الرئيسيّ هو تغييب أئمة أهل البيت (عليهم السلام) عن مملسة دورهم الذي رآه الله لهم في توضيح الصراط المستقيم ومعالم الدين العظيم، وهذا ما أدّى بالمستبصرين في رحلة استكشافهم الحقيقة إلى أن يصلوا إلى مفهوم صحيح لمجموعة كبيرة من الأحاديث النبويّة الشريفة والتي تتعلّق بأهل البيت (عليهم السلام) وفضلهم وفضائلهم ودورهم الرئيسيّ في الحياة، وهو ما أوصل أيضاً لفهم حديث الثقلين بشكل صحيح، والذي اكتشفنا من خلاله سبب وجود الضلال والفساد عند الأئمة، وذلك عندما أقصت الأمة دور أهل البيت (عليهم السلام) وغيبت دورهم في كلّ نواحي الحياة، بعد أن رفضت الأمة الضمانة الأكيدة للهداية واجتتاب الضلال عندما يقول الرسول في حديث الثقلين: ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي ⁽¹⁾.

فلا يمكن أن يكون توحيد الله تعالى بدون معرفة الله ولا يمكن أن نفهم الوسالة إلا بمعرفة نبيّنا ورسولنا حقّ المعرفة، ولا يمكن أن نعرف معالم ديننا وتفصيله إلا بمعرفة أئمتنا، وإلا ضللنا عن الحقّ والحقيقة، ولذلك علمنا أنّنا (عليهم السلام) هذه

الحقيقة عندما وجّهنا الإمام الصادق إلى أن ندعوا في الغيبة بهذا الدعاء : "اللهم عرفني نفسك، فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك، اللهم عرفني رسولك، فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجّتك، اللهم عرفني حجّتك. فإنك إن لم تعرفني حجّتك ضللت عن ديني" (2).

1 - أنظر حديث الثقلين في : مسند أحمد 3 : 59 ، سنن أبي داود 1 : 427 ، سنن الترمذي 5 : 328 ، 329 ، المستدرک علی الصحیحین 3 : 110 و غيرها كثير جداً.
2- الكافي 1 : 337.

الصفحة 256

2. النداءات لمعاينة واقع المؤمنين في العالم

تحدّثنا في الفصل السابق عن النداءات القلبية والعقلية لإعادة راسة التريخ، وفي هذا الفصل نتحدّث عن نوع آخر من النداءات القلبية والعقلية التي طالما صوخت على المؤمن المستبصر من داخله، تدعوه للبحث والتقصي عن الحقيقة المغيبة، حقيقة الإيمان وحقائقه، وعن واقع المؤمنين الشيعة أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، وخصوصاً في أيامنا هذه، والتي ظهرت فيها عوامل مساعدة كثيرة لمن يريد المعرفة والبحث عن الحقيقة المغيبة واكتشاف حقيقة الإيمان والمؤمنين. وكان من أهمّ تلك العوامل هو ولادة الجمهورية الإسلامية في إيران، ولقد كان ذلك الحدث على أهمية عالية جداً للباحثين عن الإيمان، إذ إنّه لفت أنظار العالم كلّ لما تحمله الجمهورية الإسلامية للناس من أفكار ومفاهيم، والأهم من ذلك أنّها غوّرت الكثير من الاعتقادات الخاطئة والمغلوبة تجاه الشيعة الإمامية أتباع أهل البيت (عليهم السلام)، فكلّ ذلك أدى بالعديد من الناس أن يعيّنوا النظر في ما تورثوه عن الشيعة، وكان ذلك استجابة لنداء العقل والقلب من خلال ذلك الواقع الجديد. ومن العوامل المساعدة لمعاينة واقع المؤمنين، والتي أدت إلى التفتيش عن حقائق الإيمان وحقيقته، هو إطلاق العديد من القنوات الفضائية والتي تبيّن وتشوّح عقائد وأحكام وأخلاق الشيعة أتباع الأئمة المعصومين الطاهرين من أهل البيت (عليهم السلام)، فكان أنّ دقّق الناس في ما يسمعون ويشاهدون، ولوجد ذلك الواقع صرخات قلبية وعقلية من أجل إعادة النظر في كل الموروثات الخاطئة والمخطئة، ممّا أدى إلى تعلق القلب والعقل بأهل البيت وشيعتهم عند العديد من الناس، والذي أدى في النهاية إلى الاستبصار.

الصفحة 257

وكان من العوامل التي أثّرت نداء القلب والعقل لرواسة واقع الشيعة وحقيقتهم، هو بروز عدد من العلماء والمراجع الشيعية في العالم الإسلامي، وظهور تأثرهم في نواحي الحياة، وكان منهم الإمام الخميني قدس الله تعالى نفسه الزكية، وكذلك ظهور نور بارز لعدد من الراجع العظام والعلماء وضّحوا معالم طرق مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، بحيث شهد علمهم وأخلاقهم وتواضعهم وسلوكهم على فضلهم وموتلتهم، ممّا استدعى لتزيد من الاهتمام لرواسة واقع المؤمنين ونقض العشوات

وكان من أهم العوامل التي أثرت القلب والعقل هو كثرة الاتهامات ضد الشيعة بتهم تكاد تكون متواترة عند العامة عند الحديث عن الشيعة ومعتقداتهم، فإنّ الحديث يجب أن يتخلّله إلقاء التهم المباشرة والتشنيع الفظيع على أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، وكلّ ذلك موروث عند العامة من دون دليل أو واقع مشاهد، بل يحمله الناس هكذا خوفاً، ولو تخيلنا كم لتلك الافتراءات من تأثير على الناس، من خلال ترويع الناس وتخويفهم من أهل البيت وشيعتهم، فكان أنّ وضع الناس أنفسهم في وائر مغلقة، وحاصروا أنفسهم بموروثاتهم الخاطئة والمخطئة، إلى أنّ تهيأت الأسباب من خلال العوامل المساعدة التي ذكرنا وسنذكر، والتي بدأت فعلاً بلفت النظر إلى أهل البيت وشيعتهم، وكذلك الانقلاب على مفاهيم كثيرة من الموروثات المغلوطة ضدّ الشيعة وحقيقتهم.

ولقد كنّا كثيراً ما نسمع عن أنّ الشيعة يعتقدون بأنّ الوحي أخطأ في تحديد هوية النبي وعن تحريف القرآن عند الشيعة، وأنّ عندهم قرآن آخر، وعن أمور أخرى كثيرة كان يردّها الجهلاء من الناس ومن علمائهم عن قصد أو غير قصد ومن دون دليل واحد على صحّة واحدة على الأقلّ من تلك

الصفحة 258

الادّعاءات، بل بالعكس، فمن خلال القوات الفضائية التابعة لمدرسة أهل البيت ظهر للناس عشرات الحقائق الغائبة والمغيّبة عنهم، وتبدّلت موروثات كثيرة كانت تتناقل بين العوام.

فلقد ظهر على الشاشات عدد كبير من حفظة القرآن وخصوصاً الأطفال الذين يحفظون القرآن بطريقة فيها حجة على كل الناس، خصوصاً على من يتهمون الشيعة بتحريف القرآن، وكلّ الناس يستمعون إلى القرآن الكريم من خلال محطات الشيعة التلقزيونية والإذاعيّة ولم يجروا أنّ الشيعة يعتقدون بقرآن آخر، وكذلك بالنسبة لنوّة محمد (صلى الله عليه وآله)، فالكل يسمع الأذان عند الشيعة معلنا الشهادة بنوّة محمد ورسالته، ولذلك ظهر لكثير من الناس حجم الافتراء والكذب ضدّ الشيعة، وكذلك حجم الهجوم عليهم، وبدأت الحقائق تتكشف بعد أنّ ظلّت مغيّبة مئات السنين، وصار عدد كبير من الناس والعلماء يعتقد بصحة مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، ومنهم من اعتوره مذهباً خامساً، وصار عند الكثيرين أمراً طبيعياً وكلّ ذلك بفضل الله تعالى ووجود تلك العوامل المساعدة على الاستبصار واكتشاف حقائق الإيمان.

نصوص خاصة بالشيعة:

وكان من أهمّ العوامل المساعدة لمعاينة واقع المؤمنين واستكشاف حقيقة الإيمان وحقائقه هو معاينة النصوص المتعلقة بالمؤمنين الشيعة، فكان التدقيق بكلّ تلك النصوص القرآنية والحديثية سبباً رئيسياً في استبصار العشوات من المؤمنين.

ولذلك كان لزاماً أنّ نتعرض لتلك النصوص الشرعية والتي سوف نعتمدها بحسب روايات أهل السنة والجماعة مع بعض التعليقات على بعض النصوص عند اللزوم.

الصفحة 259

1 - قال تعالى في سورة المائدة : **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**

أَذِلَّةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةً عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مِنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } (1)

والقوم الذين يحبهم الله ورسوله، ويحبون الله ورسوله، هم عليّ (عليه السلام) وشيعته، وذلك بدلالة كل ما ورد في البحث فيما يختص بالشيعه كما سيأتي، كما ونضيف رواية فتح خيبر على يدي أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام).

روى الحاكم في المستدرک عن ميمون أبي عبد الله بن بريده الأسلمي: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما قول بحضرة

خيبر، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لأعطين اللواء غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فلما كان من

الغد، تطاول له جماعة من أصحابه، فدعا عليّاً وهو رمد، فنقل في عينيه، وأعطاه اللواء (2).

وروى البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله) يوم خيبر: لأعطين الراية غداً رجلاً

يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فبات الناس ليلتهم أيهم يعطى، فغنوا كلهم بوجوهه، فقال: أين عليّ؟

فقال: يشتكى عينيه، فبصق في عينيه ودعا له، فوأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال: أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال:

أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخوهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً، خير لك

من أن تكون لك حمر النعم (3).

2 - قال تعالى في سورة البينة: **{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ }**

1- المائدة : 54.

2- المستدرک على الصحيحين 3 : 437.

3- صحيح البخاري 4 : 20، 207، وأنظر صحيح مسلم 5 : 195، 7 : 120.

الصفحة 260

{ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ } (1)

قال السيوطي في الدر المنثور: أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: كنا عند النبي (صلى الله عليه وآله)، فأقبل

عليّ، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): والذي نفسي بيده، إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة، وقرئت: **{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا**

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ } . فكان أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) إذا أقبل عليّ قالوا: جاء خير البرية (2).

وقال السيوطي في الدر المنثور: أخرج ابن عدي عن ابن عباس قال: لما قرئت **{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ**

هُمُ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ } قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي: هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين (3).

وقال السيوطي في الدر المنثور: أخرج ابن مردويه عن عليّ قال: قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله): ألم تسمع قول

الله: **{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ }** أنت وشيعتك، وموعدي وموعدكم الحوض إذا جئت الأمم

(4)

للحساب تدعون غواً محجلين .

وروى الطوي في جامع البيان عن محمد بن علي: **{ أولئك هم خير البرية }** فقال النبي (صلى الله عليه وآله): أنت يا علي وشيعتك ⁽⁵⁾ .

وروى الطواني أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لعلي (عليه السلام): يا علي، إنك ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيين، ويقدم عليك عدوك غضاب مقمحين ⁽⁶⁾ .

1- البينة : 7.

2- الدر المنثور 6 : 379.

3- المصدر نفسه 6 : 379.

4- المصدر نفسه 6 : 379.

5- تفسير الطوي (جامع البيان) 30 : 335.

6- المعجم الأوسط 4 : 187.

الصفحة 261

وروى أيضاً أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لعلي: أنت وشيعتك تدون علي الحوض رواء مؤيين، مبيضة وجوهكم، وإن عدوك يدون علي الحوض ظماء مقمحين ⁽¹⁾ .

إن من يدقق في كل العوامل التي ذكرناها وخصوصاً النصوص فإنه حتماً سوف يستجيب لنداء القلب والعقل وسوف تموج عنده المعرفة القلبية والعقلية وسوف تكون النتيجة الهداية إلى حقائق الإيمان وحقيقته وإلى استبصار نور أهل البيت (عليهم السلام).

وفي رأيي فإن كل ما ذكرنا من آيات وأحاديث فيها الكفاية لمن أراد الله أن ينور قلبه ويفتح بصيرته، فيجب أن لا يتردد في اتباع أهل البيت وشيعتهم وركوب سفينة النجاة. ولقد كانت هذه الحقيقة سبباً من أسباب استبصار عددٍ ليس بقليل من المؤمنين. إن كل ما ذكرنا في هذا الباب من آيات وأحاديث وهي من كتب أهل السنة والجماعة، يدل على حقيقة الفوعة الناجية في أو من الصعب، بل وفي كل زمان ومكان، فما هو رسول الله (صلى الله عليه وآله) يشير إلى هذه الحقيقة.

فقد روى الكثير من محدثي أهل السنة حديث الثقلين في صحاحهم ومسانيدهم والذي نص فيه النبي على وجوب التمسك بأهل البيت (عليهم السلام) حيث قال: "إني ترك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفقا حتى يردا علي الحوض فانظر كيف تخلفوني فيهما" ⁽²⁾ .

1- المعجم الكبير 1 : 319.

2 - سنن الترمذي 5 : 329 ، وأنظر حديث الثقلين في مسند أحمد 3 : 14 ، 17 ، 59 ، 5 : 182 ، 192 ، السنن الكوى للنسائي 5 : 46 ، المستترك على الصحيحين 3 : 109 ، المعجم الأوسط 3 : 374 ، 4 : 33 وغير ذلك من المصادر .

الصفحة 262

وروى ابن ابي شيبة والطواني وغيرهما كثير أن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة فوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهلك⁽¹⁾ .

فبنظرة واحدة إلى المسلمين يستطيع المرء أن يميز من يركب سفينة أهل البيت (عليهم السلام) ويسلك صراطهم المستقيم ويستطيع أن يميز من يلتزم بخط أهل البيت وفكوهم وأحكامهم، وعندما يربط الآيات والأحاديث ببعضها فإن المسلم يستطيع بسهولة أن يشخص أهل الحق والحقيقة تميزاً حقيقياً، وبالتالي يكون هذا النظر والتدقيق في واقع المؤمنين وما يتعلق بهم من النصوص الشرعية سبباً رئيسياً في استبصار حقيقة أهل البيت وشيعتهم، وسبباً في متابعتهم والافتداء بهم وبهديهم وركوب سفينتهم سفينة الناجين .

3 . نداءات الحقيقة من خلال السفر والزيرة :

أما بالنسبة لنداءات القلب والعقل من خلال السفر فقد كان السفر بشكل عام والسفر إلى زيرة موقدر رسول الله(صلى الله عليه وآله) والأئمة الطاهرين من أهل البيت عليهم الصلاة والسلام سبباً كبيراً من أسباب الاستبصار حيث تتكشف حقائق كثيرة كانت مخفية عن الشخص، فالسفر يسفر، أي يكشف، وكما يقولون السفر يسفر عن أخلاق الرجال، حيث يخشع القلب، ويعتبر العقل، وتتردد الأفكار، وتظهر الحقائق، وتفتح البصوة، وتوداد وتيرة النداءات القلبية لتموج مع العقل، وتتحد لتصل إلى حقيقة الإيمان .

كما أن زيرة المواقف الطاهرة والسفر إليها علاوة على أنها دعوة من الإمام

1 - أنظر حديث السفينة في المصنّف لابن أبي شيبة 7 : 503 ، المعجم الكبير 3 : 44 - 45 ، المعجم الأوسط 4 : 10 ، 5 : 306 ، 355 ، 6 : 85 ، المستترك على الصحيحين 2 : 343 ، 3 : 151 ، تزيخ بغداد 12 : 91 .

الصفحة 263

للشخص، فإنها من أهم ما يشحن القلب بالروحانيات. ومما يشحن العقل للتفكير بحقائق الوجود وكل ذلك بشروط أن يتوفر لدى المسافر القصد الصحيح والنية الصادقة، والإخلاص لله تعالى، وأن يكون السفر كحقيقته من أجل العلم والبحث والمعرفة، حتى يتحقق الهدف من السفر، ألا وهو الكشف والبيان، كما أن السفر بحاجة إلى الوفيق المؤمن الصادق صاحب الحظ، فكما روى السيوطي وغيره عن معاذ أن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: سافروا مع نوي الجنود ونوي الميسرة⁽¹⁾ . وكما يقال أيضا الوفيق قبل الطويق .

وقد قال المثلوي في فيض القدير في شوح الحديث : لأنّ السفر يظهر خبايا الطباع وكوامن الأخلاق وخفايا السجايا، إذ

الأبدان إذا تعبت ضعفت القوّة المختلفة في القلّة والكثرة؛ لكون الطبائع تتبعها وتبيّن مقاديرها وزيادة بعضها ونقصان بعض، فتظهر محاسن الأخلاق ومساوئها، لأنّها تميّز الطبائع من القوّة والقوى من الأحوال، والسفر يأتي على مختلف الأهوية والأغذية، فمن سافر مع أهل الجدّ والاحتشام يكلّف رعاية الأدب وتحمل الأذى وموافقهم بما يخالف طبعه، فيكون ذلك تأديبا له ورياضة لنفسه فيتهذّب لذلك، ويهتدي إلى تجنب مسوئ الأخلاق واكتساب محاسنها، وأما من سافر مع من دونه، فكل من معه يحمل نفسه على موافقته، ويتحمل المكروه لطاعته، فتحسن أخلاقهم وربّما يسوء خلقه، فإنّ حسن الخلق في تحمل المكروه (2).

يقول الحقّ جلّ وعلا في سورة العنكبوت: **{ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يَنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }** (3).

1- الجامع الصغير 2 : 40، كنز العمال 6 : 704 عن مسند الفوس للدليمي.

2 - فيض القدير شوح الجامع الصغير 4 : 109

3- العنكبوت : 20.

الصفحة 264

وقال تعالى في آيات أخرى: **{ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا }** (1) وقال تعالى في غوها: **{ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا }** (2). والفاء في الآية الأولى للتعقيب، وثمّ في الثانية تدلّ على التواخي. وهذا يدلّ على أن للسفر فوائد سويعة، وكذلك فوائد مواخية.

ولذلك حتّى الشواع المقدّس على السفر والزيلة وأمر بذلك من أجل التفكّر والنظر والتدبر والاعتبار، ولا ننسى أن من أهمّ أركان ديننا الحنيف الحجّ وما يشمله من مناسك وإقامة للشعائر، فالحجّ سفر إلى بيت الله الحرام وزيلة واستكشاف، فمن أداه وفق المعايير الشرعيّة والأدبية والأخلاقية وزار قبر رسول الله ومواقد أئمة المسلمين من أهل البيت (عليهم السلام)، فإنه حتّما سيغنم ويرزق الخير الكثير ويصحّ قلبه وعقله وبدنه.

قال السيوطي في الدرّ المنثور: أخرج الطواني والقضاعي والشولبي في الألقاب والخطيب وابن النجار والبيهقي عن ابن عمر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): سافروا تصحّوا وتغنموا (3).

وروى الشافعي والسيوطي وغوهما أن قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: سافروا تصحّوا. وفي رواية (تصحّوا وتزقوا) (4).

ولقد كان لعشرات المستبصرين من التجرب في السفر، وقصد الأولياء والعلماء المؤمنين العاملين، وزيلة مواقد أئمة المسلمين من أهل البيت (عليهم السلام) فوائد جمّة أدّت بهم في النهاية إلى الاستبصار واستكشاف حقائق الإيمان،

1- النمل : 69.

2- الأنعام : 11.

3- الدّر المنتور 5 : 149.

4- الأم 5 : 153، الجامع الصغير 2 : 40.

الصفحة 265

وكان ذلك كلّه بتوفيق من الله تعالى، الذي أذن لهؤلاء أن يسافروا ويصلوا لتلك المقامات المقدسة، فهو جل وعلا الذي أذن بذلك، وسهّله وبيّوه، وهو الذي دعاهم إليه فاستجابوا لنداء القلب ففتحوا عقولهم وتفتحت بصائرهم فانجلى لهم الحق بأبهى صورته، وتجلّت لهم الحقيقة بأتم أشكالها.

ولمعرفة فوائد السفر والزيرة، فما على القارئ إلا مراجعة قصة سفر سيدنا موسى (عليه السلام) مع الخضر (عليه السلام) في سورة الكهف، حيث علّمه الله تعالى في سوره، وكشف له عن حقائق كثيرة جداً وعلّمه ما لم يكن يعلم من الحقيقة والعلم اللدني.

وكذلك بمراجعة كتاب ثم اهتديت للسيد الدكتور التيجاني فقد كان يقصد في سوره مكانا غير النجف و كربلاء، وكان يقصد علماء من غير أتباع أهل البيت (عليهم السلام)، وكان فكه بعيدا جداً عن فكر أهل البيت وشيعتهم، وقد توفّر له في سوره صدق النية والإخلاص لله تعالى، والتقى والاستعداد لقبول الحق وأخذه حيثما كان، بالإضافة إلى أنه كان كامل العقل بحب الإمام الحسين (عليه السلام)، فوقّه الله للتعرف على الشيخ عبد المنعم، الذي علّمه بسلوكه وأخلاقه وآدابه والنّوامه بأهل البيت (عليهم السلام)، فكان كما قال الإمام الصادق (عليه السلام) : كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير فإنّ ذلك داعية⁽¹⁾. فكان أن تفتحت بصيرة الدكتور التيجاني وحصل له من ذلك السفر الكثير من البركات، كان أهمّها الاستبصار ومعرفة الحق والحقيقة.

وكذلك حصل مع العشوات من المستبصرين، كان السفر والزيرة من أهمّ عوامل استبصارهم، فزرّهم الله تعالى الإيمان لصدقهم وإخلاصهم واستعدادهم لقبول الحق.

1- الكافي 2 : 78.

الصفحة 266

ومن أراد التوسّع في معرفة فوائد السفر والزيرة، فما عليه إلا مراجعة مؤلّفات المستبصرين من أجل أن يستفيد من تجاربهم، ويطلع على كميّات استبصارهم.

ولقد شعرنا عند قصد زيرة السيدة زينب (عليها السلام) أنّ هناك شيئاً ما يجذبنا إلى زيارتها (عليها السلام)، وبعد أن أذن الله تعالى لنا بالزيرة شعرنا وكأنّ قلوبنا تمتلئ بالخشوع وبروحانية لم يسبق لها مثيل، وما أن دخلنا الموقد الشريف لم نستطع

أن نتمالك أنفسنا من البكاء، وكأنّ دموعنا كانت رفعاً للحدث وبمثابة الوضوء والطهارة لقلوبنا، فقد انكشفت لنا الحقيقة، ورجعت بنا الأفكار إلى حادثة الطفّ، حيث قتل الإمام الحسين (عليه السلام) والسيدة زينب تشاهد تفاصيل ما حصل، وقتل كذلك أمام ناظريها أبناءها وأصحاب الإمام وعبد الله الوضيع وعليّ الأكبر وأبو الفضل العباس، ثم أخذت مع الامام السجاد وما تبقى من النساء والأطفال سبايا إلى قصر يزيد اللعين في رحلة طويلة ومعهم الإمام زين العابدين (عليه السلام) ورأس الإمام الحسين والرؤوس المقطّعة، ثم قال لها ابن زياد اللعين كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك. فقالت ما رأيت إلا جميلاً⁽¹⁾.

وهكذا تستحضر تفاصيل الحادثة، ثم لا يتمالك العرق نفسه ويبكي، وبعدها يبدأ بالدعاء والتوسل إلى الله تعالى بآل البيت (عليهم السلام) ويدعو ما يشاء من الدعاء ويخرج بعد الزيارة وكأنّه إنسان خلق من جديد. فكان أن شملتنا الرحمة والروحانية العالية التي تتخذ الإيمان وتيرير البصوة، وكان ذلك كلّه بتوفيق الله تعالى وببركة السفر وقصد الزيارة. ثم إنّنا توجهنا إلى المسجد الأموي حيث يقع بجانبه ومن نفس المدخل

1 - الفؤح لابن أعثم 5 : 122.

الصفحة 267

وفي آخر الساحة مكان وصول رأس الحسين (عليه السلام) ، وكان وصول موكب السبي في قصر يزيد اللعين، وكأنّ المكان بجانب المسجد فيه حجة بالغة تصل إلى كلّ الناس من أجل معرفة ما حصل لسيد الشهداء أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) ، ولكن وللأسف الشديد كثير من الخلق لا يلتفتون إلى ذلك المكان إلا ما كان من القاصدين له من أتباع مرساة أهل البيت (عليهم السلام) المحبين لسيد الشهداء (عليه السلام) ، وما أن تدخل المكان حتى تشاهد المكان الذي صلى فيه سيد العابدين الإمام السجاد عليّ بن الحسين (عليه السلام) ، فتستحضر الموقف بتفاصيله، ثم تدخل إلى الداخل وتشاهد مكان رأس سيد الشهداء وتشاهد عمامته الشريفة وهي تهر بالنور، فلا تمتلك في ذلك الموقف إلا البكاء، ثم تبدأ تلهج بالدعاء على يزيد اللعين، وبالدعاء على كلّ الظالمين الذين قتلوا الإمام الحسين وأصحابه، وعلى كلّ من والاهم ورضي بفعلهم إلى يوم الدين، وتبدأ بالشهادة أمام الله تعالى بأنك تحبّ الحسين وتواليه وتعادي أعداءه وظالميه وتتوأّم منهم ومن فعلهم، فلا تملك إلا البكاء في ذلك الموقف وتحقيق الولاء والبكاء.

ومن المناسب في هذا المقام وحتى يرتفع الحوج عن القارئ العزيز الذي سببته الأفكار المتناقضة والمغلوبة من علماء السوء والضلال عن الزيارة وفضائلها وعن البكاء على أهل البيت والتوسل بهم، وبسبب تخويف الناس من الشوك، أن نتحدث عن تلك المواضيع بشيء من التفصيل والأسلوب السهل الميسر حتى يكون المسلم على بينة من ربه وحتى لا يحرم في حجه أو سفره من فوائد السفر وبركات زيارة مقام الرسول محمّد (صلى الله عليه وآله) ومقامات أهل البيت عليهم الصلاة والسلام.

الصفحة 268

الفرق بين الشرك والإذن الإلهي:

كثيراً ما تختلط الأعمال والتصرفات عند أغلب المسلمين، فقد يرون في عمل أو فعل على أنه شرك بالله سبحانه وتعالى، بينما يكون ذلك العمل أو الفعل مشروعاً ومأذوناً به من الله تعالى، وبالمقابل يقوم كثير من الناس بأعمال على اعتبار أنها ليست شركاً وهي في الحقيقة عين الشرك بالله.

وهناك العديد من القواعد الفقهيّة العمليّة يعتمدها عدد من العلماء مستتبطة بحسب الوأي والهوى، وهي مخالفة لأمر الله، تستمد شوعيتها من الإجماع من غير وجود المعصوم، أو من القياس بحسب الميول، كمخالفة غسل القدمين للنصّ الوأني وتوجيه الإجماع على كلام الله، وكتحريم متعة الحجّ، وكصلاة التّوايح التي لم يشوعها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وشوعها عمر بن الخطاب، فوجّح أهل السنة قول عمر على قول رسول الله، وهناك عشوات الأحكام على هذا الموال يعتمد عليها الناس في أعمالهم وأفعالهم هي عين الشرك بالله.

وهكذا تنتضرب أقوال الناس في إلقاء التهم بين بعضهم البعض، وأكثر من يعاني من آثار تلك الاتهامات هم أتباع الفوقة الناجية، أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، فلا زال نسمع النواصب المكفوين للمسلمين، أعداء الله ورسوله وفي كل يوم وهم يتّهمون الشيعة بالشرك من غير خجل ومن دون إثبات شرعي.

فما هو العامل الرئيسي لتحديد ماهية الشرك وحقيقته، حتّى تتضح معالمه للمسلمين، ويطمئنوا، من غير أن يحرّموا أنفسهم من بركات عظيمة، أخفتها عنهم أحكام النواصب المتشدّدة من أجل طمس فضائل أهل بيت النور والرحمة، وتغيير شعائر الله، كتحريمهم على المسلمين زيارة رسول الله

الصفحة 269

والسلام عليه، وتحريم الاحتفال بمولد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وغيرها من الشعائر والفضائل العظيمة.

إنّ الشرك هو أن تجعل مع الله شريكاً في عبادة أو عمل بقصد التّوبّ الى الله، والشركاء في هذه الحالة هم الشيطان أو النفس أو الهوى أو الدنيا.

فإذا أدّى الصلاة مسلم بقصد الوفاء للناس وكسب مودّتهم، أو من أجل دنيا يصيبها، فإنّه في هذه الحالة يجعل مع الله شريكاً في صلاته، ومن لم يطع الله في أمر فيكون قد أطاع غير الله وهذا أيضاً من الشرك.

روى مسلم في صحيحه وغيره أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن

الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غري، تركته وشركه (1).

وروى الطواني بسنده إلى شدّاد بن أوس قال: قال (صلى الله عليه وآله): إذا جمع الله الأولين والآخرين يبيّع واحد ينفدهم

البصر ويسمعهم الداعي، قال: أنا خير شريك، كلّ عمل عمل لي في دار الدنيا كان لي فيه شريك، فأنا أدعه اليوم ولا أقبل

اليوم إلا خالصاً، ثمّ قرأ { إِيَّاكَ عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلُوعِينَ } (2) وقرأ { فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } (3) (4).

ومن المهمّ جداً عند الحكم على العمل أو الفعل بالشوك أو عدمه، أن لا ينظر إلى العمل من خلال الصورة الظاهرية له مجرداً عن عوامل باطنية هامة هي التي تحدد نوعه، بل من الضروري النظر إلى عامل رئيسي في كل فعل

1- صحيح مسلم 8 : 223.

2- الصافات : 40.

3- الكهف : 110.

4- المعجم الكبير 7 : 291، وعنه في الدر المنثور 4 : 255.

الصفحة 270

يقوم المسلم به، وهذا العامل الرئيسي هو الإذن الإلهي في العمل أو الفعل المقصود.

وعلى ذلك يكون معنى الشوك هو قيام العبد بعمل أو فعل من غير إذن شعوي بقصد التقرب إلى الله، والشوك أيضا هو الجود والامتناع عن أداء عمل أو فعل مع وجود الإذن والأمر الشعوي لذلك العمل أو الفعل وذلك طاعة لغير الله تعالى.

قال الله تعالى في سورة البقرة : **{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}** (1).

فعندما أمر الله تعالى الملائكة بأداء فعل السجود، فإنهم سجدوا لنبي الله آدم (عليه السلام) بالإذن الإلهي، إذ لا يصح السجود لغير الله، لكنّه بالإذن الإلهي سجد الملائكة لآدم (عليه السلام)، بينما امتنع إبليس اللعين استكبرا وانكرا للطاعة واستكرا للإذن الإلهي للسجود، فكان من الغاوين، لأنّ نظره انصرف إلى ذات الفعل وهو السجود لغير الله، ولم يلتفت إلى الإذن الإلهي فيه، وتردّد فعصى وغوى.

وأما الملائكة فقد نظروا إلى الإذن الإلهي في مباشرة فعل السجود، ولمعرفتهم بحقيقة الأمر، أتوا الفعل دون تردّد، فكانوا من المكومين.

ولو أنّ إبليس اللعين بعد رفضه الانصياع لإمر الله وامتناعه عن السجود لآدم (عليه السلام) أطاع الله الدهر كله ولم ولن يقبل الله تعالى منه كلّ تلك الطاعات.

وهذا كفعل الخولج الذين خرجوا على أعظم شعوة من شعائر الله تعالى بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، إلا وهي

طاعة إمام زمانهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي

1 - البقرة : 34.



طالب (عليه السلام) ، فقد عصوه وتوعدوا عليه، وقاتلوه وقتلوه، فرفضوا بفعلهم الأمر الإلهي والإذن الإلهي بطاعته وموالاته، ثم بعد ذلك يحفظون الوآن ويصلون ويصومون، فكيف تقبل الطاعة مع الإصوار على المعصية ومحاربة الإذن الإلهي.

ولقد أخرجهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) من دين الإسلام، وحكم عليهم بالكفر والشرك، وحذر المسلمين منهم، بالرغم من محافظتهم على صلاتهم وصيامهم وعبادتهم وحفظهم للوآن الكريم.

فقد روى أبو داود والحاكم وغوهم كثير عن أنس بن مالك وغوه من الصحابة أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: سيكون في أمتي اختلاف ووقفة، قوم يحسنون القيل وييسيئون الفعل، يقرؤون الوآن لا يجاوز تراقيهم، يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يعرفون من الدين مروق السهم من الرمية، لا يرجع حتى يرد السهم على فوقه، وهم شوار الخلق والخليقة، طوبى لمن قتلهم وقتلوه، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولى بالله منهم. قالوا: يا رسول الله، ما سبهم؟ قال: "التحليق" (1).

وقد قتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في معركة النهروان ولم ينج منهم إلا القليل.

ومنهم - أبي الخولج - ابن ملجم عليه لعائن الله، أشقى الآخرين ، قاتل إمام زمانه، كان من حفظة الوآن، ومن أساتذة الفقه في زمن خلافة عمر بن الخطاب، قام بالتوعد على إمام زمانه علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، ولم يطع الله تعالى، ولم يوال علياً (عليه السلام) وتوعد على شعرة من أعظم شعائر الله تعالى،

1- سنن أبي داود 2 : 428 ، المستترك على الصحيحين 2 : 147 ، مسند أحمد 3 / 197 واللفظ للثاني.

فأحبط الله عمله، ولعنه وأعد له جهنم وساءت مصوا.

روى الخطيب والطواني وغوهما عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): من أشقى الأولين؟ قال: عاقر الناقة، قال: فمن أشقى الآخرين؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: قاتلك (1).

ولقد هدّد الله تعالى كبار الصحابة بحبط الأعمال إذا لم تحترم وتعظّم الشعائر التي أمر الله تعالى باحترامها وأذن بتعظيمها.

قال تعالى في سورة الحرات : **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ }** (2).

روى الترمذي وغوه عن ابن أبي مليكة قال: حدّثني عبد الله بن الزبير أن الأقرع بن حابس قدم على النبي (صلى الله عليه وآله) ، فقال أبو بكر: يا رسول الله استعمله على قومه، فقال عمر: لا تستعمله يا رسول الله، فتكلّموا عند النبي (صلى الله عليه وآله) حتى ارتفعت أصواتهما، فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي. فقال عمر: ما أردت خلافاً، قال: فترلت هذه الآية: يا

أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي .

وروى الحاكم في مستدرکه عن ابن عباس أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : لو أن رجلاً صَفَن بين الوكن والمقام، فصلى، وصام، ثم لقي الله وهو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار.

1 - تزيخ بغداد 1 : 146، المعجم الكبير 8 : 38، تزيخ دمشق 42 : 546، وأنظر فتح البري 7 : 60.

2 - الحوات : 515.

3 - سنن الترمذي 5 : 63، وأنظر صحيح البخاري 6 : 46، مسند أحمد 4 : 6.

الصفحة 273

قال الحاكم : هذا حديث حسن صحيح على شرط مسلم ⁽¹⁾.

ورواه الطواني ⁽²⁾، وعنهما في كنز العمال ⁽³⁾.

إنَّ السجود لغير الله يعتبر شركاً إذا لم يكن بإذن من الله تعالى، ولكنة من الملائكة لآدم وبالإذن الإلهي صار من عوامل القرب إلى الله تعالى، ولذلك فإنَّ الحدَّ الفاصل بين الشرك وأداء الطاعة هو وجود الإذن الإلهي في القيام بالعمل أو الفعل بقصد التقرّب إلى الله، وليس النظر إلى ذات الفعل والحكم عليه من ذلك فقط، وإن كان تحقيق بقية المطالب للعمل من أركان وشروط بحسب الأمر الإلهي هو ضرورة شريعة وعقلية، ولكنَّ النظرة الأولى هي وجود الإذن الإلهي فيه وفي أدائه حتى يصحَّ التقرّب به إلى الله تعالى، ولنضوب أمثلة لتوضيح ما قدمت من بيان، فبالمثال يتضح المقال.

خذ مثلاً تقبيل الحجر الأسود في الكعبة المشرفة، وكم في ذلك الفعل من ثواب، وهو من مواضي الله تعالى، فأنت عندما تذهب إلى بيت الله الحرام، تشاهد الناس كيف يتدافعون عليه من أجل تقبيله أو لمسه تقرباً إلى الله تعالى وطاعة له ولأمره، فما الفرق بين تقبيل الحجر الأسود في الكعبة المشرفة، وبين تقبيل حجر في البيت الأبيض في أمريكا مثلاً؟.

فالفعل هو نفس الفعل، لا يختلف وإنما الاختلاف هو في وجود الإذن فيه من الله بقصد التقرّب إليه تعالى، وبالتالي صار للحجر الأسود مكانة عظيمة في نفوس المسلمين تشاهدهم وهم يتدافعون عليه من أجل لمسة أو قبلة تقرباً إلى الله تعالى وطاعة له، فقد أورد السيوطي في الدر المنثور ما أخرجه الجندي

1 - المستدرک على الصحيحين 3 : 149.

2 - المعجم الكبير 11 : 142.

3 - كنز العمال 12 : 42.

الصفحة 274

عن ابن عباس أنه قال : الحجر الأسود يمين الله في الأرض ⁽¹⁾.

(2)

وروى أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) كان يضع شفتيه على الحجر ويكي طويلاً ويقول: ههنا تسكب العورات .
وأما من قبل حجراً غير مأنون فيه بقصد التقوّب إلى الله تعالى، فإن ذلك من الشرك؛ ولذلك فإن من عرف الإذن الإلهي
يدرك حقيقة وأهميّة الحجر الأسود، ويحصل عنده تجاذب روحاني بينه وبينه، مما يزيد في حالة الخشوع والخضوع أمام
شعائر الله التي عظّمها ربّ الغوّة سبحانه وتعالى، وبالتالي يحصل التفاعل مع العمل بصورة شديدة التأثير على النفس والروح،
تعرّز نوجة القوب من الله تعالى.

فقد روى الحاكم في المستدرک وغوه عن أبي سعيد الخوري قال: حججنا مع عمر بن الخطاب، فلما دخل الطواف استقبل
الحجر فقال: إنّي أعلم أنّك حجر لا تضرّ ولا تنفع، ولولا أنّي رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبلك ما قبلتك، ثم قبله فقال
له عليّ بن أبي طالب: ... إنه يضرّ وينفع قال: بم؟ قال: بكتاب الله عزّ وجلّ قال: وأين ذلك من كتاب الله؟ قال: قال الله { **إِذْ
أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ نُزُؤُهُمْ وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ** }⁽³⁾ ، خُلِقَ اللَّهُ آدَمَ وَمُسَحَّ عَلَى
ظُؤُهُمْ فَفَرَّهْمُ بِأَنَّهُ الْوَبَّ وَأَنَّهُم الْعَبِيدُ، وَأَخَذَ عَهودَهُمْ وَمَوَائِقَهُمْ وَكَتَبَ ذَلِكَ فِي رِقِّ، وَكَانَ لِهَذَا الْحَجَرِ عَيْنَانِ وَلِسَانٌ، فَقَالَ لَهُ،
افتح فاك . ففتح فاه، فألقمه ذلك الرقّ، فقال: اشهد لمن وافاك

1- الدرّ المنثور 1 : 134.

2- أنظر سنن أبي ماجة 2 : 982 ، المستدرک على الصحيحين 1 : 454،

3- الأعراف : 172.

الصفحة 275

بالموافاة يوم القيامة، وإنّي أشهد لسمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: يؤتى يوم القيامة بالحجر الأسود وله لسان
ذلق، يشهد لمن يستلمه بالتوحيد، فهو يضرّ وينفع، فقال عمر: أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا حسن⁽¹⁾ . وروي
في كنز العمال ورواه البخاري ومسلم وغوهما مقتصرين على الشطر الأول منه⁽²⁾ .

ولورأى إنسان إنساناً يطوف حول بيت لقليل : إنه مجنون، ولكنه عندما يطوف بالبيت الحرام، فإنه عمل فيه قوبة إلى الله
تعالى، ولو جاء شخص وبنى بيتاً غير الكعبة وأمر الناس بأداء المناسك عنده ، فإنّ هذا العمل يعتبر شركاً، حيث إنه يخالف
الإذن الإلهي، ولو غير شخص كعمر بن الخطاب مكان مقام إراهيم عليه الصلاة والسلام في بيت الله الحرام، فهذا عمل فيه
تغيير للإذن الإلهي؛ لأنّ ما قرّره الله لنا في الأرض من الشعائر يجب أن واعي فيه الإذن الإلهي من ناحية الموقع والزمان
والمكان حتّى يصحّ أن يكون قربة لله تعالى، وإذا حصل اختلاف ومخالفة فإن مباشرة العمل أو الفعل في هذه الحالة تكون شركاً

فبالإذن الإلهي صلت الكعبة المشوّفة من الشعائر العظيمة المقدّسة عند المسلمين جميعاً، وكذلك الحجر الأسود ومقام
إراهيم بحسب ما أراد الله سبحانه، وليس بحسب رآء وأهواء الناس؛ لأنّ أداء أيّ من الأفعال والأعمال بدون الاقرار الإلهي

بقصد القربة إلى الله يعتبر شركاً .

ولقد سألتني أحدهم مرةً : إن الإسلام جاء لتحطيم الأصنام وقمع الوثنية،

1- الدر المنثور 3 : 144.

2 - صحيح البخاري 2 : 160، 161، صحيح مسلم 4 : 67.

الصفحة 276

أليس في الطوافِ حول الكعبة والتعلقُ بأستلها وتقبيل الحجر الأسود وتكريم مواقد النبي والأئمة من أهل البيت نوعاً من الوثنية ؟.

الوثنية ؟.

وأجبتة : بأنَّ النظر إلى هذه الأفعال بحد ذاتها لا يجعل فرقاً بين الوثنية وبين أداء تلك المناسك ، ولكنك عندما تقوم بها بالنظر إلى تحقق الإذن الإلهي فيها تصبح تلك الأعمال والأفعال من الشعائر ووسائل القرب إلى الله تعالى؛ لأنه هو الذي أمر بها وفوضها علينا، ونحن كعبيد لا يحق لنا لعجزنا ونقصنا أن نحدد ما هو من شعائر الله أو ليس منها، ولكن بطاعة العبد لخالقه الذي هو أوى بشؤونه وما يصلح له وما يقوبه منه زلفى تتميز عبادة الأصنام عن تقبيل الحجر الأسود أو السجود عليه، فأنت تقوم بهذا الفعل طاعةً وتقرباً إلى الله بإذنه في ذلك الفعل ، بينما عبدة الأصنام والأوثان هم الذين اختزوا شعائرهم بأنفسهم وعقولهم الناقصة وبدون إذن إلهي وهم يعبدونها ولا يعبدون الله، أما نحن فنعبد الله ونطوف ونزور امتثالاً للأمر الإلهي. فالنظر إلى الطاعة والشرك عندما يسوي ويتشابه الفعل ، ليس إلى الفعل المتشابه بحد ذاته، وإنما إلى الأمر والإذن الإلهي فيه، فأنت عندما تستعمل سكيناً لذبح كبشٍ يوم عيد الأضحى أو لذبح كبشٍ ثلاثٍ والغوى أو لقتل إنسان مؤمن، فالفعل هو نفس الفعل، هذا ذبح وذاك ذبح، ولكنّه بالإذن الإلهي صار الفعل الأول قربة لله توجب الوضى والثواب بينما الفعل الثاني جريمة توجب الخلود في النار.

وعلى ذلك فالفضية مرتبطة بأمر الله وإذنه تعالى بغض النظر عن الصورة، هذا عند الحكم على الفعل بأنه شرك أو ليس

شرك، وإنما تحدد أشكال العمل والفعل من شروط وواجبات وأركان وفق النصوص الشرعية بعد وجود

الصفحة 277

الإذن الإلهي بتقديس وتعظيم الفعل المطلوب.

وقد جاء الإذن الإلهي لأداء شعائر الإسلام في القرآن الكريم ، فمثلاً عندما قال الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة : {

وَأَتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ }⁽¹⁾ . أو كقوله تعالى في سورة البقرة : { وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَكُونُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ }⁽²⁾ .

فهذا إذن إلهي لعباده بأداء تلك الشعائر حسب ما يريد هو وليس بحسب أهوائنا وميولنا، ولذلك وبعد وجود الإذن الإلهي لتلك الشعائر، حدد لنا الكيفيات حتى نعبده سبحانه وتعالى كما يريد لا كما نريد نحن ، فالمؤمن لا ينظر إلى الكيفية ولا يتدخل فيها ولا في مكانها ولا في زمانها ولا في كيفياتها بل عليه السمع والطاعة للإذن والأمر الإلهي ويسلم لذلك. فقد قال الله تعالى في

{ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يَحْكُمُواكُم فِيمَا سَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجْتَنُوا فِتْنَةَ أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتُمْ وَيَسْلَمُوا }

(3) تَسْلِيمًا { .

ولا نستطيع أن نفهم ذلك إلا من رسول الله (صلى الله عليه وآله) والأئمة من أهل بيته عليهم الصلاة والسلام، الذين حدد لنا الله أن نطيعهم ونتعلم منهم ما يريد منا عن طريقهم، حتى لا نضل ولا نزل ولا نشرك بالله تعالى.

قال تعالى : في سورة النساء : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا

شَيْءٌ فِرَاقُهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنَّ كُنْتُمْ تَوَّابِينَ } (4) .

وروى الطواني عن زيد بن رُقم قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إني لكم فوط

1 - البقرة : 196.

2 - البقرة : 43.

3- النساء : 65.

4- النساء : 59.

الصفحة 278

وإنكم ولدون علي الحوض...، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين فقام رجل فقال : يا رسول الله : وما الثقلان؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : الأكبر كتاب الله عز وجل، سبب طوفه بيد الله وطوفه بأيديكم، فتمسكوا به لن تزلوا ولا تضلوا، والأصغر عترتي وإتھما لن يتفوقا حتى يردا علي الحوض، وسألت لهما ذاك ربي فلا تقدموهما فتهلکوا، ولا تعلموهما فإنھما أعلم منكم (1) . حديث متواتر روته أغلب صحاح ومسانيد أهل السنة (2) .

ولذلك تجد أن ابن عباس رضي الله تعالى عنه يبكي بسبب مخالفة عمر بن الخطاب ومن معه لأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، عندما يتذكر كيف أن عمر بن الخطاب لم يعظم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا وأمره، بل واتهمه بالخوف والهذيان وليست هذه المرة الأولى من عمر أو من هم على شاكلته من الصحابة.

فقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس أنه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم بكى حتى خضب دمه الحصباء،

فقال: اشتد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وجعه يوم الخميس، فقال: ائتوني بكتاب، أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً.

فنتزعوا، ولا ينبغي عند نبي تنزع، فقالوا: هجر رسول الله (صلى الله عليه وآله). قال: دعوني، فالذي أنا فيه خير مما

تدعونني إليه. وأوصى عند موته بثلاث: "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجزمهم". ونسيت

(3) الثالثة .

- 2 - أنظر حديث الثقلين في سنن الترمذي 5 : 329 ، السنن الكوى للنسائي 5 : 45 - 46 ، مسند أحمد 3 : 14 ، 17 ، 26 ، المستترك على الصحيحين 3 : 109 ، 148 ، وغوها من المصادر الكثرة.
- 3 - صحيح البخري 4 : 31 .

الصفحة 279

وروى البخري وغوه كثير عن ابن عباس قال: لما حضر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفي البيت رجال، فيهم عمر بن الخطاب، قال النبي (صلى الله عليه وآله): "هلم أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده". فقال عمر: إن النبي (صلى الله عليه وآله) قد غلب عليه الوجد، وعندكم القوان، حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت فاختصموا، منهم من يقول: قوّوا يكتب لكم النبي (صلى الله عليه وآله) كتاباً لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي (صلى الله عليه وآله) ، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): قوموا. قال عبيد الله: فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب، من اختلافهم ولغظهم ⁽¹⁾ .

وعلى ذلك فإن الأمر للشروع المقدس، هو الذي يحدد الشعائر وقديسية الأشياء من عدمها ، وهو الذي يحدد الكيفيات للأعمال والأفعال بعد وجود الإذن الإلهي فيها، وكما هو بديهي جداً فإن الإنسان عاجز وناقص ومحتاج لا يستطيع أن يحدد من نفسه ما يريد الله تعالى منه حتى يميز الشوك من غير الشوك إلا أن يخوه الله تعالى عن طريق الأنبياء والرسل وأوصيائهم .

فلابد للمسلم أن يعيد النظر في أعماله وأفعاله من خلال طاعة الله ورسوله والأئمة من أهل البيت عليهم الصلاة والسلام حتى يعرف شعائره ويؤديها قربة لله تعالى كما يريد الله .

وحتى أبسط لك الأمر من أجل تعظيم وتقديس تلك الشعائر، وتتجنب مغالاة أولئك المكفوين من الوهابيين والسلفيين ، الذين يخوفون المسلمين من الشوك، ويفتون لهم الفتوى التي تحرم على المسلمين الكثير من الشعائر التي أذن الله بها ، ويحرمونهم من بركات وضعها الله سبحانه وتعالى لنا في هذه

- 1 - صحيح البخري 7 : 9 ، 8 : 161 ، صحيح مسلم 5 : 76 .

الصفحة 280

الأرض بإذنه رحمة بنا ووسيلة لنا نتقّب بها إليه تعالى بإذنه ، فإنّي سوف أضع بين يديك قاعدة تستطيع من خلالها معرفة الكثير من الشعائر التي غيبتها أولئك المكفوين عتاً ، وتستمتع بتقربك إلى الله من خلال ما سخوه لنا من أجل الوصول إلى معرفته ورضاه سبحانه وتعالى ، لأنّ الله عندما يمنح الإذن في عمل أو فعل فإنك تقبل عليه بانشراح واطمئنان وسرور وذكر كثير وشكر لله تعالى على ما أكرمنا به من نعم وآلاء وآيات عظيمة وجليلة، ما أذن الله لنا في أدائها إلا لمصلحتنا ومنفعتنا في الدنيا والآخرة، ولأنّه سوف يسألنا يوم القيامة عن تلك النعم والآلاء العظيمة .

وأذكر مرة كنت مع إخوان لي نطوف بالبيت الحرام، ووصلنا إلى الركن اليماني ، ولمعفتي بالإذن الإلهي في تقبيله ووضع الخدّ الأيمن عليه حيث يقول رسول الله كما روى الحاكم في المستدرک وابن خزيمة في صحيحه وغيرهما عن ابن عباس أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبل الركن اليماني، ووضع خده عليه⁽¹⁾ .

فتقدّمنا لتقبيله، وإذا عالم سلفي من نوي اللحي الطويلة يقف إلى جانب الركن اليماني يقول : ماذا تفعلون يا أخي؟. هذا شك. فقلت له: إذا كان ربّ الغوة قد كرمّ هذا الفعل وشرفه بأن فعله رسولنا محمد (صلى الله عليه وآله) وحثّ عليه، أتعبر رسول الله محمداً (صلى الله عليه وآله) مشركاً؟. وقلت: إنني أحببّ هذا الشرك الذي فعله رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله). ثمّ بعد أن استبصرت بفضل الله تعالى وتوفيقه ومنه، عرفت أن من أسباب تكريم الركن اليماني هو تكريم لأمر المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) عندما

1 - المستدرک على الصحيحين 1 : 456 ، صحيح ابن خزيمة 4 : 217.

الصفحة 281

انشقّ جدار الكعبة، ودخلت فاطمة بنت أسد (عليها السلام) إلى داخل الكعبة وولدت إمامنا أمير المؤمنين داخلها . وعلى ذلك فبالإذن الإلهي صار للشيء المأنون فيه قدسيّة ومكانة وعظمة في قلوب المسلمين، وبذلك نستطيع أن نحدّد الشعائر ونقسّم القدسيّات إلى أربع قدسيّات :

- 1 . قدسيّة زمان
- 2 . قدسيّة مكان
- 3 . قدسيّة أشخاص
- 4 . قدسيّة أشياء .

أمّا بالنسبة لقدسيّة الزمان، فنجد عشرات النصوص الشريفة من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة تعظم وتحتّ على أمانة معيّنّة ، كالأشهر الحرم وشهر رمضان، وليلة القدر التي هي خيرٌ من ألف شهر لعظمتها ومكانتها وقدسيّتها، قول الملائكة والروح فيها بإذن ربّهم من كل أمر، سلام هي حتى مطلع الفجر ، وكليلة النصف من شعبان⁽¹⁾ ، ويوم الثامن عشر من ذي الحجّة (يوم الغدير) عندما نصبّ الله تعالى أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) إماماً وخليفة على المسلمين بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتولت في ذلك آيات منها آية إكمال الدين وإتمام النعمة وهي قوله تعالى في سورة المائدة : { **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً** }⁽²⁾ . ويوم المبعث النبوي الشريف ، ويوم ولادة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ويوم ولادة السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، ويوم ولادة أمير المؤمنين (عليه السلام)، ويوم عاشوراء الذي استشهد فيه الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته وأصحابه حيث بكت السموات والأرض دماً عليه فقد روى في المعجم الكبير ومجمع الزوائد

1 - وهي ليلة ولادة الامام المهدي عجل الله تعالى فوجه الشريف وهو محمد بن الحسن العسكري عليهما سلام الله.

2- المائدة : 3.

والصواعق المحرقة أنّ الشمس كسفت يومئذ حتىّ بدت النجوم، ومارفع يومئذ حجر إلا وجد تحته دم، وأن رُجاء السماء احموت، وأنّ الشمس كانت تطلع وشعاعها كأنه دم، وصارت السماء كأنها علقه، وأن الكواكب ضوب بعضها بعضاً، وأمطوت السماء دماً أحوا⁽¹⁾. وغير ذلك من الأرمنة التي منحها الله قدسيّة ومكانة عظيمة عند المسلمين بالإذن الإلهي، فهل الإهتمام بالطاعات والعبادات والذكر في تلك الأرمنة شك أو أنّه استجابة للأمر والإذن الإلهي؟ وهل إذا احتفل المسلمون بذكوى ولادة رسول الله أو يوم الغدير هو شك أو أنّه احتفال بأمر إلهي وبإذن إلهي؟

أمّا بالنسبة إلى قدسيّة المكان، فالنصوص على ذلك حدثت ولا حوج، كمكة المكرمة والكعبة الشريفة، ومقام إراهيم، قال تعالى في سورة البقرة: **{وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى}**⁽²⁾. وأخرج البيهقي في سننه عن عائشه أنّ المقام كان في زمن النبي (صلى الله عليه وآله) وفي زمن أبي بكر ملتصقا بالبيت، ثمّ أخوه عمر⁽³⁾.

وكقدسيّة المدينة المنورة، والمسجد الأقصى، وكأماكن مرافد الأئمة الأطهار من أهل البيت عليهم الصلاة والسلام، وكمدينة قم المقدسة في إوان، والكوفة والنجف، وأرض بيت المقدس، وغير ذلك من الأماكن التي حدّدها الله ورسوله والعزّة الطاهرة التي اكتسبت عظمة وقدسيّة بالإذن الإلهي.

وأمّا بالنسبة لقدسيّة الأشخاص، فهي كقدسيّة وعظمة الوسل والأنبياء

1- راجع المعجم الكبير 3 : 113 - 114 ، مجمع الزوائد 9 : 196 - 197 ، الصواعق المحرقة 2 : 569 - 570.

2 - البقرة : 125.

3 - راجع فتح البلي 8 : 129 ، حيث صحّح تلك الروايات.

والأئمة المعصومين ، حتىّ أنّ العديد من الأماكن اكتسبت قدسيّتها من وجود أولئك العظماء عليها أو مرورهم بها، ولقد كانت قدسيّة رسول الله وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام واضحة المعالم عند المسلمين، حيث كان الصحابة يتوكلون بكل أثر من آثار النبيّ على مرأى ومسمع منه (صلى الله عليه وآله) ، ممّا يدلّ دلالة واضحة على أنّه ليس شوكاً وأنما هو من تقوى القلوب.

ذكر في صحيح مسلم بشوح النووي أنّ المسلمين كانوا يتوكلون بأثره (صلى الله عليه وآله) فقد كانوا يتوكلون ببصاقه (صلى الله عليه وآله) ونخامته، ويدلكون بذلك وجوههم، وشرب بعضهم بوله، وبعضهم دمه، وغير ذلك ممّا هو معروف من عظيم اعتنائهم بأثره (صلى الله عليه وآله)⁽¹⁾.

وروى في المعجم الأوسط عن سلمى امرأة أبي رافع قالت: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) فوق بيته جالساً فقال: يا

سلمى اثنتيني بغسل، فجنته بإناء فيه سدر فصقيته له، ثم جثا على موفة حشوها ليف وأنا أصب على رأسه، فغسلها واني لأنظر إلى كل قطرة تقطر من رأسه في الإناء كأنه الدرّ يلمع، ثم جنته بماء فغسله، فلما فرغ من غسله قال: يا سلمى أهريقي ما في الإناء في موضع لا يتخطاه أحد، فأخذت الإناء فشربت بعضه ثم أهقت الباقي على الأرض فقال لي: ماذا صنعت بما في الإناء؟. قلت: يا رسول الله حسدت الأرض عليه فشربت بعضه، ثم أهقت الباقي على الأرض فقال: اذهبي فقد حرمك الله بذلك على النار ⁽²⁾.

وروى البخري عن عثمان بن عبد الله بن موهب قال: أرسلني أهلي إلى

1 - شرح مسلم للنووي 13 : 224.

2 - المعجم الأوسط للطواني 9 : 92.

الصفحة 284

أم سلمة بقدر من ماء، فجاءت بجلجل من فضة فيه شعر من شعر رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فكان إذا أصاب الإنسان عين أو شيء بعث إليها بإناء فخضخت له، فشرب منه ⁽¹⁾.
وفي الإصابة لابن حجر قال روى بن السكن من طريق صفوان بن هبوة عن أبيه قال: قال لي ثابت البناني: قال لي أنس بن مالك: هذه شعة من شعر رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فضعها تحت لساني، قال: فوضعها تحت لسانه، فدفن وهي تحت لسانه ⁽²⁾.

وأيضاً كقدسية أصحاب الكساء أهل البيت (عليهم السلام)، حيث قال تعالى في آية التطهير: **{ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ لِرُجْسِ أَهْلِ الْبَيْتِ }** ⁽³⁾.

روى الحاكم وغوه كثير عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها أنها قالت: في بيتي تولت هذه الآية: **{ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ لِرُجْسِ أَهْلِ الْبَيْتِ }** ⁽⁴⁾. قالت: فرسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى علي، وفاطمة، والحسن، والحسين رضوان الله عليهم أجمعين، فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، قالت أم سلمة: يا رسول الله، ما أنا من أهل البيت؟. قال: إنك أهلي خير، وهؤلاء أهل بيتي ⁽⁴⁾.

وروى ابن ماجه وغوه عن زيد بن رُقم؛ قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي وفاطمة والحسن والحسين: أنا سلم لمن سالمتم، وحوب لمن حاربتم ⁽⁵⁾. وكذلك العشوات من الأحاديث التي تبين قدسية وعظمة أهل البيت عليهم

1 - صحيح البخري 7 : 57 وفي متن البخري سقط فاجع فتح البلي 10 : 289 ، نيل الأوطار للشوكاني 1 : 69،

تحفة الأحوذى 5 : 510، واللفظ للأخير.

2- الإصابة 1 : 276.

- الصلاة والسلام، حتّى جعلهم الله سبحانه وتعالى الشعائر ووسيلة للمسلمين يتقوتون بحبهم وولائهم وتعظيمهم إلى الله تعالى.
- وروى السيوطي في الجامع الصغير عن عائشة قالت : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ذكر عليّ عبادة ⁽¹⁾ .
- وروى الطواني في الكبير والحاكم في المستترك عن ابن مسعود وعن عوان بن حصين عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّه قال : النظر إلى عليّ عبادة ⁽²⁾ .
- وروى ابن أبي الحديد في شوح النهج أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لعلي: والذي نفسي بيده، لولا أن تقول طوائف من أمّتي فيك ما قالت النصرى في المسيح لقلت اليوم فيك مقالا لا تمرّ بملأ من المسلمين إلا أخذوا التواب من تحت قدميك للبوكة ⁽³⁾ .
- وروى البخاري في صحيحه أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) قال : يا فاطمة ألا توضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة ⁽⁴⁾ .
- وروى البخاري وغوه أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني ⁽⁵⁾ .
- وروى مسلم أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : إنّما فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما آذاها ⁽⁶⁾ .
- وروى في كنز العمال أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : إن الله عز وجل ليغضب

1- الجامع الصغير 1 : 665، تزيخ دمشق 42 : 356.

2- المستترك على الصحيحين 3 : 141، المعجم الكبير 18 : 110.

3- شوح نهج البلاغة 9 : 168.

4- صحيح البخاري 7 : 142.

5- صحيح البخاري 4 : 210.

6- صحيح مسلم 7 : 141.

(1) لغضب فاطمة ويروضى لرضاها .

قال السيوطي : وأخرج الترمذي وحسنه والطواني والحاكم والبيهقي في الشعب، عن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أحبوا الله لما يغضوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي ⁽²⁾ .

وروى ابن عساكر وعنه كنز العمال وغوهم عن ابن عباس أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة، من أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني (3) .

وروى الحاكم في المستدرک عن سلمان رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : الحسن والحسين ابناي، من أحبهما أحبني، ومن أحبني أحبه الله، ومن أحبه الله أدخله الجنة، ومن أبغضهما أبغضني، ومن أبغضني أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله النار (4) .

وأيضاً حدّد لنا الشوع المقدّس اثني عشر إماماً نقتدي بهم ونواليهم ، وهم الأئمة الاثني عشر من أهل البيت (عليهم السلام)، جعلهم الله تعالى من أعظم الشعائر الإسلاميّة الإيمانيّة للمسلمين وللمؤمنين .

فقد روى مسلم وأبو داود وغوهم كثير أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : لا زال هذا الدين عزواً منيعاً إلى اثني عشر خليفة... كلّهم من قویش (5) .

1- كنز العمال 12 : 111، عن الديلمي .

2- سنن ابن ماجة 1 : 52، المعجم الكبير 3 : 40 .

3- تزيخ دمشق 14 : 132، كنز العمال 12 : 119 .

4- المستدرک على الصحيحين 3 : 166 .

5- صحيح مسلم 6 : 4، سنن أبي داود 2 : 309، وأنظر مسند أحمد 5 : 96، 98، 99، صحيح ابن حبان 15 : 45 .

الصفحة 287

هذا بالنسبة لقدسيّة الأشخاص، فقد ذكّرت بعض الأمثلة مدعومة بعدد مختصر جداً من روايات أهل السنة، اكتفيت بها خوفاً من الإطالة.

أمّا بالنسبة لقدسيّة الأشياء فسأذكر بعض الأمثلة مع الأدلّة، وأولها الوان الكريم كتاب الله تعالى ودستور الأمة، ولا يخفى عن المسلمين موقعه في القلوب، والناس يستشفون به ويعظّمونه ويقدّسونه ويتوكّون به وبآياته، وهذا مظهر حي يعيظه المسلمون كلّهم. وكما زوم، وقدسيّتها وبركتها ظاهرة من خلال أحاديث رسول الله، ومن خلال الاستشفاء بها والدعاء عليها رجاء قبول الدعاء ببركتها، فهل الدعاء عليها واعتبارها وسيلة لقبول الدعاء، هل يعتبر هذا شركاً؟ أو هو الإذن الإلهي الذي منحها تلك القدسية والعظمة.

أخرج ابن أبي شيبة وأحمد وابن ماجة والطواني والبيهقي في سننه من طريق أبي الزبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : ماء زمزم لما شرب له (1) .

وأخرج الحميدي وابن النجار عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : من طاف بالبيت سبعاً، وصلى خلف المقام ركعتين، وشرب من ماء زمزم، غفرت له ذنوبه كلّها بالغة ما بلغت (2) .

وكقدسيّة تراب كربلاء وموقد الإمام الحسين (عليه السلام) ، فقد روى أبو يعلى وأحمد والطبراني وأورده المتقي في كنز العمال والهيثمى في مجمع الزوائد عن أنس قال: استأذن ملك القطر أن يأتي رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأذن له، فقال: يا أمّ سلمة! احفظي علينا الباب لا يدخل أحد، فجاء الحسين بن عليّ فوثب حتى دخل، فجعل يعقد على منكب النبي (صلى الله عليه وآله)، فقال له الملك: أتحبّه؟ فقال

1- راجع الدرّ المنثور 3 : 221.

2- أنظر الدرّ المنثور 1 : 120.

الصفحة 288

النبيّ (صلى الله عليه وآله): نعم، قال: فإنّ في أمّتك من يقتله، وإن شئت رأيتك المكان الذي يقتل فيه، فضوب بيده، فأراه زاباً أحمر، فأخذته أمّ سلمة فصوته في طرف ثوبها. قال: كنا نسمع أنه يقتل بكربلاء ⁽¹⁾.

وقدسيّة سيف أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ، سيف ذي الفقار الذي نصر الله به وبصاحبه رسول الله (صلى الله عليه وآله) دين الإسلام، فقد روى في تزيخ دمشق وغيره عن أبي جعفر محمد بن عليّ قال: نادى منادٍ من السماء يوم بدر يقال له: رضوان، لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا عليّ ⁽²⁾.

وكقدسية حجر العقيق الذي شهد الله بالوحدانية وللنبيّ بالرسالة ولعليّ بالوصاية وللشيعة بالجنة، فقد روى المغزلي عن كثير بن زيد قال: دخل الأعمش على المنصور وهو جالس للمظالم فلما بصر به قال له: يا سليمان تصدّر، فقال: أنا صدر حيث جلست إلى أن قال في حديثه: حدّثني رسول الله قال: أتاني جبرئيل (عليه السلام) أنفاً فقال: تختّموا بالعقيق، فإنه أول حجر شهد الله بالوحدانية، ولي بالنبوّة، ولعليّ بالوصية، ولولده بالإمامة، ولشيعة بالجنة ⁽³⁾.

وروى الخوارزمي بسنده إلى سلمان الفارسي عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) قال: يا عليّ: تختّم باليمين، تكن من المؤبّين، قال: يا رسول الله، ومن المؤبّون؟. قال: جبرئيل وميكائيل، قال: فبم أتختّم يا رسول الله؟. قال: بالعقيق الأحمر،

فإنّه

1 - مسند أبي يعلى 6 : 129 - 130 ، مسند أحمد 3 : 265 ، المعجم الكبير 3 : 106 ، كنز العمال 13 : 657 - 658

عن أبي نعيم، مجمع الزوائد 9 : 187 ، واللفظ منقول من كنز العمال.

2 - تزيخ دمشق 42 : 71 ، وأنظر مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام في تزيخ دمشق أيضاً 39 : 201 حيث ذكر فيها

الإمام عليّ قول جبرائيل للنبيّ لا سيف إلا... .

3 - مناقب الإمام علي لابن المغزلي : 243.

الصفحة 289

جبل أقرّ الله بالوحدانية، ولي بالنوّة، ولك بالوصية، ولولدك بالإمامة، ولمحببك بالجنة، ولشيعتك و شيعه ولدك

(1)
بالفردوس .

وكقدسيّة ناقة نبيّ الله صالح (عليه السلام) ووليدها، فعندما قتلوها غضب عليهم ربّ العالمين وأهلكهم لإقوالهم فعل أشقى الأولين الذي قتلها، قال تعالى في سورة الشمس : **{ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ؟ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ؟ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ؟ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا }** (2)

هذه بعض قدسيّات منحها الله سبحانه وتعالى للأشياء على سبيل المثال وليس الحصر، ذكورتها للتوضيح وحتى تكون مدخلا ميسراً ودلالة على مضمون موضوعنا.

ثمّ إنّّه قد تجتمع قدسيّات زمان ومكان وأشخاص وأشياء مع بعضها البعض فتكون البركة أعظم والثواب أكثر والفائدة أعم، فعندما تكون في مكّة المكرّمة في البيت الحرام وفي شهر رمضان، تكون قد جمعت بين أكثر من شعوة وقدسيّة، وكذلك عندما تزور قبر رسول الله في المسجد النبويّ في شهر رمضان أو غيره من الأئمّة المبكرّة، تكون قد جمعت بين قدسيّة المكان في المدينة المنورة وقدسيّة الزمان في شهر رمضان، وقدسيّة الأشخاص المتمثّلة بقدسيّة وعظمة شخص رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ومن أعظم منه في ذلك المكان ، وكذلك عند زيارة موقد الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عاشوراء أو في أربعين الإمام (عليه السلام) ، فإنّك تجمع أكثر من قدسيّة، وأيضاً عندما تزور أحد الأئمّة في البقيع أو في

1 - المناقب للموفق الخوارزمي : 326.

2- الشمس : 11 - 14.

الصفحة 290

أماكن مراقدهم (عليهم السلام) في ذكوى يوم ولادتهم أو في ذكوى استشهادهم، فإنّك تجمع أكثر من قدسيّة ، وعندما يصليّ المؤمن على طهارة ظاهرة وباطنة متختماً بالعقيق بين يديه تربة الإمام الحسين (عليه السلام) في زمان مبكر، فإنّه يجمع الخير الكثير وتكون علامات القرب أكثر من أيّ وضع آخر .

وبهذا يستطيع المؤمن أن يميّز الفرق بين زيارة رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو أحد الأئمّة عليهم الصلاة والسلام بشخصه وحضوره، أو زيارتهم والسلام عليهم من مكان بعيد عن مراقدهم الشريفة، أورد في كنز العمال عن ابن عمر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): خلق الله تعالى لي ملكين يردّان السلام على من سلّم علي من شرق البلاد وغربها، ألا من سلّم عليّ في دري فإنّي رُدّ (عليه السلام) بنفسه ولا سيما أهل المدينة، فإنّي رُدّ عليهم لأحسابهم وأنسابهم، قيل: وهل تعرف وهم يتناسلون من بعدك؟ قال: وهل لا يعرف الجار جله؟ وهل لا يعرف الجار جله؟ (1)

وهكذا عزّوي القرئ قُربت لك الصورة ، ويسوّت لك الفهم ، وباستطاعتك التمييز بين الشوك وبين الشعائر المخصوصة بالإذن الإلهي والأمر الإلهي ، حتّى تتقوّب إلى الله تعالى بالوسائل التي رتضاها لنا ، وعلى رأسها نبينا محمد (صلى الله عليه

وآله) والعزة الطاهرة من الأئمة المعصومين عليهم الصلاة والسلام وغوها من الوسائل المشروعة.
وأما صدور الإذن الإلهي في التوسل بالنبي محمد وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام، فإليك الأدلة من القرآن الكريم مدعومة بالأحاديث من عند من يستنكر التوسل والزيارة ويمنعهما، وذلك حتى يطمئن المؤمن لما يقوم به

1- كنز العمال 12 : 256 عن ابن النجار .

الصفحة 291

المسلمون المؤمنون في كل مكان، وحتى لا يحرم المؤمن من بركات السفر والزيارة إلى موقدر رسول الله والأئمة من أهل بيته عليهم الصلاة والسلام والتوسل بهم إلى الله تعالى.

قال تعالى في سورة المائدة: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِنُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (1).

وقال تعالى في سورة الإسراء: { أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيُخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا } (2).

وقال تعالى في سورة المنافقين: {وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُؤُسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يُصَدِّقُونَ وَهُمْ مُمْسِكِبُونَ } (3).

وقال تعالى في سورة النساء: { وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا } (4).

ولقد طبق التوسل بالنبي وأهل البيت عليهم الصلاة والسلام رسولنا محمد (صلى الله عليه وآله) وعلمه للناس، كما طبق ذلك الصحابة وتوسلوا برسول الله وأهل بيته.

فقد روى الترمذي وأحمد في المسند والحاكم في المستدرک عن عثمان ابن حنيف: أن رجلاً ضلوا أتى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: يا نبي الله ادع الله أن يعافيني، فقال: إن شئت أخرجت ذلك فهو أفضل لأخوتك، وإن شئت دعوت لك، قال:

لا، بل

1- المائدة : 35.

2- الإسراء : 57.

3- المنافقون : 5.

4- النساء : 64.

الصفحة 292

ادع الله لي، فأمره أن يتوضأ وأن يصلي ركعتين وأن يدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد (صلى

الله عليه وآله) نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه، فتقضي وتشفعني فيه وتشفعه في، قال: فكان يقول هذا مراراً ثم قال: بعد أحسب أن تشفعني فيه قال ففعل الرجل فوئ (1) .

روى الطواني في المعجم الصغير وعنه الهيثمي في مجمع الزوائد عن عثمان بن حنيف أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان في حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقى عثمان بن حنيف فشكا ذلك إليه. فقال له عثمان بن حنيف: انت الميضأة فتوضأ، ثم انت المسجد فصل فيه ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد (صلى الله عليه وآله) يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك ربي عزوجل فيقضي لي حاجتي، وتذكر حاجتك، ورح إلي حين أروح معك، فانطلق الرجل فصنع ما قال له عثمان، ثم أتى باب عثمان، فجاء الواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان ابن عفان فأجلسه معه على الطنفسة وقال: حاجتك؟ فذكر حاجته فقضاها له، ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة، وقال: ما كانت لك من حاجة فانتنا، ثم إن الرجل خرج من عنده، فلقى عثمان بن حنيف فقال له: خراك الله خوا، ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلي حتى كلمته في، فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته، ولكن شهدت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأتاه رجل ضویر فشكا إليه ذهاب بصره فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): أفتصبر؟ فقال: يا رسول الله، إنه ليس لي قائد، وقد شق علي، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): انت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين، ثم ادع بهذه الدعوات. فقال عثمان: فوالله ما توقنا وطال بنا

1 - سنن الترمذي 5 : 229، مسند أحمد 4 / 138، المستترك على الصحيحين 1 : 313، 519، واللفظ لأحمد.

الصفحة 293

الحديث حتى دخل عليه الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط (1) .

وبالتالي يحصل عندك الاطمئنان فتتقرب إلى الله بكل إخلاص وسرور وأريحية، من غير أن تلتفت إلى أقوال وفتوى أولئك المشككين والمكوفين من الوهابيين والسلفيين الناصبين العدا لدين الله ورسوله.

وعليك أن تعتبر كل تلك القدسيات التي ذكرناها والتي منحها الله للإن الإلهي المخصوص هي من شعائر الله، وأن قي تعظيم شعائر الله علامة كبوة وإشارة واضحة على تقوى القلوب، فقد قال جلّ وعلا في سورة الحج: **{ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ }** (2) .

إن وجود الإذن الإلهي الذي يعبر عن الشعائر، يجعل المؤمن يتعمق في البحث عن حقيقة الزمان أو المكان أو الشخص أو الشيء، وبالتالي يكتسب محبة وقرباً منها، ويزداد تعلقه الروحي فيها بشكل مؤيد، فبالتمعق في معرفة رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله) وإواك أنه وأهل بيته من أعظم شعائر الله، وأنه حبيب الله ومصطفاه، وأنه سيد الخلق من الأولين والآخرين وأنه سيد الكونين، يجعلك ذلك توداد في محبته وتعلقاً بشخصه، والنتيجة تعظيمه وتوقوه.

فإذا كان الله هو الذي عظمه ورفع واجتباؤه ومنحه شفاعته وأمرنا باتباعه، فمن حقه علينا أن نترود كوما من معرفته

ونتعلّق بها، ونتوكّ بأثره (صلى الله عليه وآله)؛ لأنّ وجود الإذن الإلهي في كل ذلك يعطي تعلقاً روحانياً ونفسياً وعملياً كبيراً بين من عظّمه الله وفضّله واجتباها وبين المؤمنين، وهذا كله لمنفعة المؤمنين ويصب في مصلحتهم .

1- المعجم الصغير 1 : 183 - 184 ، مجمع الزوائد 2 : 279.

2- الحجّ : 32.

الصفحة 294

هكذا يجب علينا أن نرى شعائر الله، ومنها رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وليس كما اعتوه أولئك النواصب من المكفّرين الذين اعتبروه (صلى الله عليه وآله) بأنّه طرش أو ساعي يريد بلغ رسالة ربه وذهب فليس له نفع بعد ذلك أو كما اعتوه بعضهم بأن عصاه أفضل من رسول الله ، لأن رسول الله قد توفاه الله تعالى وذهب فلا يُنتفع به بينما عصاه لا زالت تؤدّي له المنافع أو كما قال بعضهم بأنه يتشوف بأنه إمام لمسجد رسول الله لأكثر من ثلاثين سنة ولم يقم بزيرة قبر رسول الله، ومن أحب معرفة المزيد من تلك الآراء فعليه قراءة كتاب ألف سؤال وإشكال لسماحة الشيخ علي الكوراني العاملي حفظه الله (1) .

أرجو أن أكون قد أزلت عن قلوب كثير من المؤمنين الغشوة التي وضعها أولئك بين يدي البسطاء من الناس ، وخوفهم من الشوك ظلماً وبهتاناً ، وأبعدهم عن شعائر الله ، وجعلوهم ينظرون للشيععة أتباع مدرسة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام ، بأنهم أهل شوك وبدع مع أنّهم أي الشيعة هم الذين يطبقون أمر الله في ما أمرهم به، ولا يفعلون شيئاً بدون إذن إلهي . جعلنا الله وإياكم من المطيعين لأمره ، المتبّعين لرسوله ، والموالين لأهل بيته ، المحييين لشيعتهم ، والمبغضين لأعدائهم ، ورزقنا زيلتهم في الدنيا ، وشفاعتهم في الآخرة ، إنّه سميع مجيب ، والحمد لله رب العالمين .

التوسّل برسول الله وأهل البيت (عليهم السلام):

يعتبر بعض أتباع المكفّرين من الوهابيين و السلفيين أن التوسّل إلى الله سبحانه وتعالى من خلال وسيلة أو واسطة، أقرّ الشوع المقدّس لنا أنّها وسيلة بيننا وبين الله سبحانه وتعالى ولا يمكن قبول الأعمال عند الله إلا بها، أعتبر

1 - وراجع أيضاً الدرر السنية في الود على الوهابية لأحمد زيني دحلان : 42.

الصفحة 295

أولئك المكفّرون أنّ هذا الأمر شرك خولج عن الشوع، ولا يجوز على حسب ادعائهم، وهذا الاعتبار عندهم أيضاً كغوره من الأحكام لم يدلّ الدليل عليه، بل دلّ وندب القوّان إلى عكسه، كما في كتبهم ومصاويرهم، بل جاء الدليل يؤيدّ موضوع التوسّل، بل وندب إليه أيضاً بشكل واضح كما سألين من خلال الأدلّة الواضحة من القوّان والسنة . ولكن لنبق مع أولئك قليلاً، فهم عادة يقدهون بأيّ حكم يتبنّاه المسلمون جميعاً، ويطعنون فيه وينكروونه إنكرا تاماً، ثمّ عندما

تظهر الأدلة الواضحة على صحة ما عليه المسلمون، يبدوون بالطعن في الأدلة الواردة في الموضوع، ثم عندما تظهر صحة الأدلة وليس من مفرّ إلى إنكلها ، يؤولونها على حسب أهوائهم حتى تتوافق مع آرائهم التي تمتلئ حقدًا وبغضا لأهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، هكذا هم دائماً، وهذا هو دينهم في النظر إلى الأمور .

أمّا بالنسبة إلى موضوعنا وهو التوسل، فهو أمر شوعي، وحكم ثابت عند المسلمين جميعاً بشتى اختلافاتهم واتجاهاتهم، وهو ثابت في القرآن الكريم والسنة النبوية، وهو ما فعله المسلمون جميعاً منذ العصر الأول للإسلام وحتى عصونا هذا، وهذا ليس بمستغرب، بل إن الغريب والعجيب أن يأتي من ينكر هذا الأمر ويحاول طمسه وإخفاء ما أقره الشوع، وفعله المسلمون، حقدًا وبغضاً لرسول الله وأهل بيته الطاهرين حتى لا يتخذهم المسلمون وسيلة إلى الله تعالى، وأنى لهم ذلك، فقد توسل الصحابة برسول الله إلى الله، وتوسلوا بأهل البيت، وتوسلوا بقبر رسول الله، وتوسلوا بالعباس عم رسول الله، وتوسلوا بكل من له جاه ومقولة عند الله تعالى اتباعاً لأموه والتّواما بتعاليم الإسلام ورسوله محمد (صلى الله عليه وآله).

يقول الله سبحانه وتعالى في سورة المائدة: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ }**

الصفحة 296

(1) **وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ** .

وقال تعالى في سورة الإبراء: **{ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيُخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحذُورًا }** (2) .

قال في القاموس المحيط : الوسيلة والواسطة : المقولة عند الملك والوجهة والقربة، ووسل إلى الله تعالى توسيلاً: عمل عملاً قُرب به إليه ... والواسل: الواجب والراغب إلى الله تعالى (3) .

والوسيلة: هي التقرب إلى الله تعالى بمن يحبهم الله ويحبونه... وهي القربى والوفى إلى الله تعالى، وهي العمل بما يرضي الله تعالى وطاعته بحسب ما يريد هو وليس كما نريد نحن، فمن كلّ ذلك يتبين أن الوسيلة هي ما يتوصل به إلى الله تعالى، وما يتقرب به إلى الكبير المتعال.

ولنضرب مثلاً حتى يصير التعريف للوسيلة متصورًا، فالمصليّ عندما يتقرب إلى الله تعالى بصلاته، وحتى تكون مقبولة عند الله، فلا بدّ أن يختم صلاته بوسيلة يبتغيها إلى الله، فإنه يصليّ على محمد وآل محمد، ويسلم على محمد وآل محمد، قهم الوسيلة التي يتوسل بها إلى الله، والذين بدون الصلاة عليهم وجعلهم عنواناً للصلاة فإنها - أي الصلاة - لا تكون مقبولة عند الله، وهذا ما عليه المسلمون قاطبة .

وكذلك الدعاء، عندما يتقرب المؤمن إلى الله تعالى بالدعاء، فإنه لا بد وأن يُقدم بين يدي دعائه وسيلة أذن الله بها ولا يرفع

الدعاء بدونها وهي الصلاة

على محمد وآل محمد، ولذلك ورد في العثوات من الروايات عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعند كل طوائف المسلمين أنّ الدعاء إذا لم يبدأ أو يختم بالصلاة على محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين فإنه لن يرفع إلى الله تعالى.

روى السيوطي في الجامع الصغير عن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) قال: الدعاء محبوب عن الله، حتى يصلّي على محمد وأهل بيته. ورواه الطواني باختلاف يسير ورواه البيهقي في الشعب والديلمي كما في الصواعق، ونحوه في سنن الترمذي (1).

وروى في كنز العمال نقلاً عن الديلمي عن ابن عمر أنه قال: الدعاء يحجب عن السماء، ولا يصعد إلى السماء من الدعاء شيء حتى يصلّي على النبي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فإذا صلى على رسول الله (صلى الله عليه وآله) صعد إلى السماء (2).

وروى القوطي في الجامع لأحكام القرآن قال: قال أبو سليمان الدراني: من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله)، ثم يسأل الله حاجته، ثم يختم بالصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله) فإن الله تعالى يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يودّ ما بينهما.

وروى سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب أنه قال: الدعاء يحجب دون السماء حتى يصلّي على النبي (صلى الله عليه وآله)، فإذا جاءت الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله) رفع الدعاء.

وقال النبي (صلى الله عليه وآله): من صلى عليّ وسلم عليّ في كتاب لم تول الملائكة

- 1 - الجامع الصغير 1 : 656 ، شعب الإيمان 2 : 215 ، سنن الترمذي 1 : 303 . المعجم الأوسط 1 : 220 وعنه في مجمع الزوائد 10؟ 160 وقاله: رجاله ثقات، الصواعق المحرقة 2 : 434.
- 2- كنز العمال 2 : 88 عن الديلمي.

(1) يصلّون عليه ما دام اسمي في ذلك الكتاب .

ثم إن الوسيلة وردت في عدة روايات أنها لوجة في الجنة يسكنها النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)، فقد روى ابن مودويه وعنه المتقي الهندي في كنز العمال عن عليّ بن أبي طالب أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: في الجنة لوجة تدعى الوسيلة، فإذا سألتم الله فسألوا لي الوسيلة، قالوا: يا رسول الله! من يسكن معك فيها؟ قال: علي وفاطمة والحسن والحسين (2).

ونحن حينما نسأل الله الوسيلة لرسول الله وأهل بيته (عليهم السلام)، فليس

معنى ذلك أنهم بحاجة إلى دعائنا، وأنه بسبب دعائنا سوف يقولون تلك المتولة، فهم قد ضمنوا الجنة بمحبة الله لهم واجتباؤهم واصطفائهم، وهم الذين خلقت الجنة لأجلهم، فوسول الله بشفاعته سوف يدخل خلق كثير الجنة، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أخوه، وفاطمة الزهراء سيّدة نساء أهل الجنة، والحسن والحسين (عليهما السلام) سيّدًا شباب أهل الجنة، ولذلك فإنّ معنى أن نسال الوسيلة لرسول الله، وأهل بيته (عليهم السلام) ليس كما هو ظاهر النص، إن معناه أن نتخذهم وسيلة نتوّب بهم ونتوسل بهم إلى الله تعالى، وإلا فلا معنى أن نسال الله درجة الوسيلة لرسول الله، وهو سيد الخلق، ولأجله خلقت الأكران، وهو الشفيع وسيّد الأنبياء والمرسلين، فهو ليس محتاج لدعائنا، بل نحن محتاجون لدعائه وشفاعته والنزول معه، ولا معنى لتلك الأحاديث إلا أن نتخذهم وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام وسيلة نبتغي بها وجه الله الكريم، بل هم من أعظم الوسائل إلى الله تعالى.

ولذلك وكما ذكرت، فإنّه لا تقبل الصلاة إلا عندما نصلى على محمد وآل

1 - تفسير القوطي (الجامع لأحكام القرآن) 14 : 235.

2 - راجع كنز العمال 12 : 103.

الصفحة 299

محمد، ولا يرفع دعاء إلا إذا بدئ وختم بالصلاة على محمد وآل محمد، ولا يقبل حكم من أحكام الإسلام إلا إذا أخذ من محمد وآل محمد، فهم الدلالة والعلامة على قبول الطاعات والقربات، وهم الوسائل إلى الله تعالى، فإذا صلينا على رسول الله وأهل بيته وتوسلنا بهم إلى الله كما أمر الله، شفّعوا لنا عند الله في قضاء حوائجنا، وقد قال تعالى **{ وابتغوا إليه الوسيلة }** (1).

ثم إنّ التوسل إلى الله تعالى بمحمد وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام، قد ظهر جليا وبشكل واضح للمسلمين في حياة رسول الله، فهو (صلى الله عليه وآله) الذي أمر المسلمين وعلمهم أن يتوجهوا ويتوسلوا به إلى الله تعالى، سواء أكان ذلك أثناء حياته أم بعد وفاته، وسأقدم عدداً من الأحاديث من كتب أهل السنة والجماعة تثبت وقوع التوسل بإقرار من رسول الله، وأن الصحابة أيضاً قد قاموا به، ولم ينكر ذلك إلا الجهال في دينهم من المتعصبين العمي الذين يبغضون رسول الله وأهل بيته، قال تعالى في سورة النمل مخاطباً رسوله الكريم وأتباعه من المؤمنين: **{ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمَعُ الصَّمِّ الدَّعَاءُ إِذَا وَلُوا مَدِيرِينَ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مِنْ بَيِّنَاتِنَا فَهُمْ مَسْلُومُونَ }** (2).

فقد روى الحاكم في المستدرک عن عثمان بن حنيف رضي الله تعالى عنه أن رجلاً ضلوا أتى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: ادع الله تعالى أن يعافيني. قال: إن شئت أخرت ذلك وإن شئت دعوت. قال: فادعه. قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء، ويصلي ركعتين، ويدعو بهذا الدعاء: اللهم أني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد (صلى الله عليه وآله) نبي الرحمة، يا محمد إنّي أتوجه بك إلى ربك في حاجتي

1- المائدة: 35.

2- النمل 79 - 81.



هذه، فتقضيها لي، اللهم شفعه في وشفعني فيه (1).

وروى الحاكم في المستدرک وبمتن مختلف عن عثمان بن حنيف قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وجاءه رجل ضویر فشكا إليه ذهاب بصره. فقال: يا رسول الله، ليس لي قائد، وقد شقّ علي. فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ائت الميضاة، فتوضأ، ثم صلّ ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد (صلى الله عليه وآله) نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك، فيجلي لي عن بصوي، اللهم شفعه في وشفعني في نفسي. قال عثمان: فوالله ما توقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل وكأنه لم يكن به ضرّ قط (2). وقد روى الحديث مجموعة من الحفاظ والمحدثين منهم الترمذي وقال: حديث حسن صحيح (3)، والطواني وقال صحيح (4)، وعنه في مجمع الزوائد (5)، ورواه أحمد في مسنده (6)، وغيرهم كثير.

وقال الشوكاني في تحفة الذاكرين: وفي الحديث دليل على جواز التوسّل برسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى الله عزّ وجلّ مع اعتقاد أنّ الفاعل هو الله سبحانه وتعالى، وأنة المعطي المانع ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن انتهى (7). وقال في شوح قول صاحب العمدة: ويتوسل إلى الله بأبيائه والصالحين ما لفظه: ومن التوسّل بالأنبياء ما أخرجه الترمذي من حديث عثمان بن حنيف

1- المستدرک على الصحيحين 1 : 519 ، وقد تقدمت الرواية وتخريجها.

2- المستدرک على الصحيحين 1 : 526.

3- سنن الترمذي 5 : 229.

4- المعجم الصغير 1 : 183 - 184.

5- مجمع الزوائد 2 : 279.

6- مسند أحمد 4 : 138.

7- راجع تحفة الأحوذى للمبلکفوري 10 : 25.

رضي الله عنه أنّ أعمى أتى النبي (صلى الله عليه وآله) فذكر الحديث (1).

ولا يقولنّ أحد بأنّ هذا كان ورسول الله (صلى الله عليه وآله) موجود ولكنه بعد وفاته لم يتوسّل برسول الله أحد، وهذا الكلام غير صحيح، وسأقدم لك رواية تثبت أنّ الصحابة توسّلوا برسول الله في فترة خلافة عثمان بن عفان. فقد أخرج الطواني حديثاً وذكر في أوله قصة وهي: أنّ رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي عثمان بن حنيف فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضاة

فتوضاً، ثم أتت المسجد فصل فيه ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بنبينا محمد (صلى الله عليه وآله) نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فيقضي لي حاجتي، وتذكر حاجتك، روح إلي حتى أروح معك، فانطلق الرجل، فصنع ما قال له، ثم أتى باب عثمان، فجاء البواب حتى أخذ بيده، فأدخله على عثمان بن عفان، فأجلسه معه على الطنفسة وقال: ما حاجتك، فذكر حاجته فقضاها له ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة. وقال: ما كانت لك من حاجة فأنتا، ثم إن الرجل خرج من عنده فلقى عثمان بن حنيف فقال له: خاك الله خراً، ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلي حتى كلمته في، فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأتاه رجل ضویر فشكا إليه ذهاب بصره، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله) أفنصبر؟ فقال يا رسول الله: إنه ليس لي قائد وقد شق علي، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): أنت الميضأة فتوضاً ثم صل ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات، فقال عثمان: فوالله ما توقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن

1- المصدر نفسه 10 : 25.

الصفحة 302

به ضرر قط.

قال الطواني بعد ذكر طوقه والحديث صحيح (1).

وقال السيوطي في الدر المنثور: أخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي عن أبي فديك قال: سمعت بعض من أركت يقول: بلغنا أنه من وقف عند قبر النبي (صلى الله عليه وآله)، فتلا هذه الآية: **{ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا }** (2). صلى الله عليك يا محمد حتى يقولها سبعين مرة، فأجابه ملك: صلى الله عليك يا فلان، لم تسقط لك حاجة (3).

وأخرج البيهقي عن أبي حرب الهلالي قال: حجّ أعوابي إلى باب مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) أناخ راحلته، فغفلها، ثم دخل المسجد حتى أتى القبر، ووقف بحذاء وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، جنئك مثقلاً بالذنوب والخطايا، مستشفعا بك على ربك: لأنه قال في محكم تقيده: **{ وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَآؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا }** (4) وقد جنئك بأبي أنت وأمي مثقلاً بالذنوب والخطايا، استشفع بك على ربك أن يغفر لي ذنوبي وأن يشفع في، ثم أقبل في عوض الناس وهو يقول:

يا خير من دفنت في التراب أعظمه فطاب من طيبهنّ القاع والأكم
 نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم (5)

1- المعجم الصغير 1 : 183.

2 - الأخاب : 56.

3- الدر المنثور 1 : 237.

4- النساء؟ 64.

5- الدر المنثور : 237.

الصفحة 303

وقال ابن كثير في تفسيره: وقد ذكر جماعة منهم الشيخ أبو منصور الصبّاح في كتابه الشامل الحكاية المشهورة عن العتبي قال: كنت جالساً عند قبر النبي (صلى الله عليه وآله)، فجاء أعوابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: **{وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا}** ⁽¹⁾ وقد جئتك مستغفراً لذنبي

مستشفعاً بك إلى ربّي، ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه

فطاب من طيبهنّ القاع والأكم

نفسي الفداء لقبرٍ أنت ساكنه

فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعوابي، فغلبتني عيني، وأيت النبي (صلى الله عليه وآله) في النوم فقال: يا عتبي الحق الأعوابي، فبشوه أن الله قد غفر له ⁽²⁾.

وروى السيوطي في تنوير الحوالك عن علي بن أبي طالب قال: قدم علينا أعوابي بعدما دفن رسول الله (صلى الله عليه وآله)

وآله) بثلاثة أيام، فرمى بنفسه على قبر النبي (صلى الله عليه وآله)، وحثاً من تابه على رأسه، وقال: يا رسول الله، قلت

فسمعنا قولك، ووعيت عن الله، فرعينا عنك، وكان فيما أتول الله عليك: **{وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ**

وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا} ⁽³⁾، وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي فنودي من القبر: أنه قد غفر لك .

وروى الحاكم في المستدرک عن ابن عمر أنه قال: استسقى عمر بن الخطاب عام الرمادة بالعبّاس بن عبد المطلب فقال:

اللهم هذا عم نبيك العباس، نتوجه إليك به، فاسقنا، فما وحا حتى سقاهم الله ⁽⁴⁾.

1- النساء؟ 64.

2- تفسير ابن كثير 1 : 532.

3 - تنوير الحوالك : 12 - 13.

4 - المستدرک على الصحيحين 3 : 334.

الصفحة 304

وروى البخاري في صحيحه في كتاب الاستسقاء عن أنس: أنّ عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد
المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقيننا، وانا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال فيسقون (1).

وروى في كنز العمال عن أبي وخرّة السعدي عن أبيه قال: استسقى عمر ابن الخطاب فقال: اللهم! قد عجزت عنهم وما
عندك أوسع لهم، وأخذ بيد العباس فقال: هذا عم نبيك ونحن نتوسل به إليك، فلما أراد عمر أن يثول، قلب رداءه ثم قول (2).

وقال ابن حجر في فتح البلي: ويستفاد من قصة العباس استحباب الاستشفاع بأهل الخير والصلاح وأهل بيت النبوة (3).

قال الواحدي في أسباب النزول قال: ابن عباس: "كان يهود خيبر تقاتل غطفان، فكلمنا التقوا هزمت يهود خيبر، فعازت
اليهود بهذا الدعاء وقالت: اللهم إنا نسألك بحق النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجنا لنا في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم،

فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان، فلما بعث النبي (صلى الله عليه وآله) كفروا به، فأقول الله {وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ
يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا} (4) يعني بك يا محمد إلى قوله {فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ} (5) (6).

وكما ترى فقد طلب رسول الله من المسلمين أن يتوسلوا به وبأهل بيته،

1 - صحيح البخاري 2 : 16.

2- كنز العمال 13 : 517.

3 - فتح البلي 2 : 413.

4 - البقرة : 89.

5 - البقرة : 89.

6 - أسباب النزول : 16 . وأخرجه الحاكم في المستدرک 2 : 263.

الصفحة 305

وتوسل الأعرابي بقبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) على مرأى ومسمع من الصحابة، ولم ينكر أحد ذلك ، وتوسل

المسلمون بالعباس عم النبي؛ فعل ذلك عمر على مرأى ومسمع من الصحابة، وهذا يسمى عند أهل السنة إجماع، وهو دليل

شوعيّ عندهم.

وكذلك هناك العديد من الروايات التي تؤكد ذلك المعنى للتوسل، أكتفي بما ذكرت وبما عليه أغلب علماء السنة وأقولهم

بجواز ذلك.

أخي المؤمن ، توسل إلى الله تعالى بمحمد وأهل بيته ، وكن على يقين تام بأن الله لن يردك خائباً، كما استجاب للأعرابي

وللمسلمين حين قحطوا وغيرها من الحوادث التي استجاب الله بسبب توجههم إلى الله بوسولنا محمد وأهل بيته عليهم الصلاة

والسلام، لأننا مهما قدمنا من أعمال وطاعات، فإنها مدخولة وناقصة، لكنها بتوسلنا واستشفاعنا إلى الله تعالى بالطاهرين

المطهرين قطعاً سترفع أعمالنا وطاعاتنا إليه ولأجل ذلك ولحب الله تعالى لعباده المؤمنين، جعل آخر شيء في الصلاة التشفع

والتوسّل بمحمد وآل محمد، حتىّ يجبر ما نقص في صلاتنا، وبالتالي تصلح أن ترفع بين يدي الكبير المتعال، ولولا وجود من نتوسّل بهم وننتشفع بهم إلى الله تعالى، لما رفع عمل، ولما تحقّق نصر للمسلمين، ولما تزل مطر من السماء، لكثرة ذنوبنا وسيئاتنا وغفلتنا عن الله.

أخرج الطواني عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): الأبدال في أمّتي ثلاثون: بهم تقوم الأرض، وبهم تمطرون، وبهم تتصرون⁽¹⁾. وأخرجه ابن مردويه. ورواه السيوطي في الدر المنثور.

قال السيوطي: وأخرج أحمد والحكيم الترمذي وابن عساكر عن عليّ (عليه السلام)

1- راجع الجامع الصغير 1 : 470، الدر المنثور 1 : 320.

الصفحة 306

قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: الأبدال بالشام، وهم أربعون رجلاً، كلّما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً، يسقي بهم الغيث، وينتصر بهم على الأعداء، ويصوف عن أهل الأرض البلاء والغرق⁽¹⁾.

فما بالك بمنّ توسّل نبيّ الله آدم (عليه السلام) بهم، وهم محمد (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهراً.

روى الحاكم في المستدرک عن عمر بن الخطّاب قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما اقترّف آدم الخطيئة قال: يا ربّ أسألك بحقّ محمد لما غفوت لي، فقال الله: يا آدم، وكيف عرفت محمداً ولمّ أخلقه؟. قال: يا رب، لأنك لما خلقتني بيدك، ونفخت في من روحي، رفعت رأسي، فأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحبّ الخلق إليك. فقال الله: صدقت يا آدم، إنّه لأحبّ الخلق إليّ؛ ادعني بحقه، فقد غفوت لك، ولولا محمد ما خلقتك⁽²⁾. ورواه في تزيخ دمشق⁽³⁾.

وأخرج ابن النجار عن ابن عباس قال: سألت النبي (صلى الله عليه وآله) عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربّه فقال قال سأل بحقّ محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت عليّ، فتاب عليه⁽⁴⁾.

اللهمّ إنّي أتوسّل وأتوجه إليك بنبيك وأهل بيته الطاهرين المعصومين، اللهمّ بحقهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

زيارة الرسول (صلى الله عليه وآله):

1- الدر المنثور 1 : 320.

2- المستدرک علي الصحيحين 2 : 625.

3- تزيخ دمشق 7 : 437.

تخيّل مسلماً يظلّ لسنوات طويلة يجمع المال ، من أجل أداء فرض الحجّ والعمرة ، وينتظر قدوم ذلك اليوم حتى يقوم بزيارة المدينة المنورة ويتشرف بزيارة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، أو زيارة البقيع أو زيارة سيدّ الشهداء حنيفة بن عبد المطلب (عليه السلام) ، أو السيّدة فاطمة الزهراء والأئمة من أهل البيت عليهم الصلاة والسلام، وينتظر ذلك المسلم قدوم ذلك اليوم؛ لأنّه يحبّ الله ورسوله وأهل بيت رسوله صلوات الله وسلامه عليهم حتى يتشرف بحبهم ويتوكّل بلقائهم، لأنّه قد سمع عشرات الروايات التي تحفّز على زيارته (صلى الله عليه وآله) بعد وفاته، وأنّ من زرّه بعد وفاته فكأنما زرّه في حياته . وأنه إن زرّه عرفاً بحقّه وجبت له شفاعته .

فيقبل المسلم المؤمن على موقد رسول الله وقره الشريف أو على موقد الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) في البقيع أو عند سيدّ الشهداء حنيفة بالبكاء والحنين والخشوع، وإذا به يفاجأ بأحد أولئك التواصب المتشدّدين على المسلمين زوراً وبهتاناً، في خطبة على منبر رسول الله، أو في درس في المسجد أو عند قبر رسول الله أو في البقيع، يوعّ المسلمين ويخيفهم من زيارة رسول الله أو زيارة موقد من تلك المواقف الشريفة. أجل! يخوّفون المسلمين من التوقّب من رسول الله وأهل بيته، ويتهمون من يفعل ذلك بالشوك، ويضيعون على المسلمين شعائرهم ويحاولون طمسها، فتختلف أفكار المسلمين، ويتحيرّون ولا يدرون من يسألون.

هل يقبلون على رسول الله ويتوكّلون بمشاهدة أئمه البهية، أم يُحجمون عن ذلك؛ لأنهم كما سمعوا من أولئك أنه شكّ؟ فيذهب الخشوع وتضيع الفوصة ويعود المسلم الى بلده بخفي حنين .

وقد قلت في بحث سابق: إنّه إذا توفّر الإذن الإلهي في فعل أو عمل فإنه يصبح مشروعاً ووسيلة للتوقّب الى الله تعالى، وذكرت أيضاً أنّ الهمّ الأولّ لأولئك التواصب هو إبعاد الناس عن رسول الله وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام ، حتى لا يعرف المسلم عنهم شيئاً، ويبقى في ظلمة الجهل، ثمّ ينتقل الى الدار الآخرة، وحين يسأله الملكان في القبر من وليك؟ فلا يوري بماذا يجيب، وفي ذلك سور للشيطان وندم ليس بعده إصلاح لمن يفاجأ بالسؤال في القبر عن الولاية .

أخي الكريم: لا يمكن أن تؤخذ أحكام شعائر الله من دون استدلال شرعيّ، أو من أحاديث وضعت أصلاً لإبعاد الناس عن شعائر الله، وأعظمها رسول الله وأهل بيته المعصومين عليهم الصلاة والسلام، ولا تؤخذ من إنسان يدّعي العلم والمعرفة وليس فيه أية صفة من صفات العدالة أو العلم، بل إنك لا ترى منه إلا الغلظة والفضاظة والنظر الى المسلمين باستحقار ودونية.

هذا واقع حاصل، وقد عشته بنفسي عند تلك الأماكن الشريفة، ويعاني منه كلّ المحبّين لرسول الله وأهل بيته؛ بسبب قلّة اطلاع وجهل وحقد أولئك المكفّرين وتعصّبهم ، وسأقدم بين يدي المسلم المحب، الأدلة على جواز زيارة القبور، والثواب فيها، وثواب زيارة رسول الله وأهل بيته سلام الله تعالى عليهم، حتّى يتبيّن أن تحريم أولئك لزيارة القبور زيارة رسول الله لم يقم

عليه أيّ دليل ، بل إنّ الدليل من كتبهم يندب إلى الزيارة والتوسّل ويحثّ عليه.

ولنبداً بسرد الأحاديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومن كتب أهل السنّة، حتّى أثبت لك أنّ ما يتبنونه من أحكام لم يقدّم عليها دليل، إلا دليل الحقد والبغض لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام .

الصفحة 309

روى الحاكم في المستدرک عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فروروا، فإنّه يوقّ القلب، وتدمع العين، وتذكر الآخرة⁽¹⁾ .

وروى الحاكم أحمد والنسائي وغوهم عن بريدة بن الحبيب عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنّه قال: إنّي كنت نهيتكم عن ثلاث عن زيارة القبور فروروا لتذكركم زيلتها خوا⁽²⁾ .

وروى أحمد في المسند عن أبي سعيد الخوي والطواني عن أمّ سلمة رضي الله تعالى عنها أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: نهيتكم عن زيارة القبور، فروروا، فإنّ لكم فيها عوة⁽³⁾ .

وروي في مستدرک الحاكم وعنه في كنز العمال عن أنس أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) قال : نهيتكم عن زيارة القبور فروروا، فإنّها تذكركم الموت⁽⁴⁾ .

وروى الطواني في الكبير عن ثوبان أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: إنّي كنت نهيتكم عن زيارة القبور فروروا واجعلوا زيلتكم لها صلاة عليهم واستغفروا لهم⁽⁵⁾ .

ثمّ إنّ النبي (صلى الله عليه وآله) قام بنفسه بزيارة المقابر في مرات عديدة، فزار قبر أبيه وقبر أمه، وزار البقيع مرات عديدة، وسأعرض لبعض تلك الروايات.

1 - المستدرک على الصحيحين 1 : 376.

2 - المستدرک على الصحيحين 1 : 376، مسند أحمد 5 : 355، سنن النسائي 7 : 234 واللفظ لأحمد.

3 - مسند أحمد 3 : 38، المعجم الكبير 23 : 278 .

4 - المستدرک على الصحيحين 1 : 375، كنز العمال 15 : 646.

5 - المعجم الكبير 2 : 94.

الصفحة 310

فقد روى في الترمذي والحاكم وغوهم عن ابن بريدة، عن أبيه، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور فقد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه فروروا فإنّها تذكر الآخرة⁽¹⁾ .

وأخرج مسلم عن أبي هريرة قال: زار النبي (صلى الله عليه وآله) قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله. ورواه أبو داود والنسائي وغوهم⁽²⁾ .

وأخرج مسلم، عن عائشة أنها قالت: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) (كلمًا كان ليلتها من رسول الله (صلى الله عليه وآله)

وآله)) يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون، غداً مؤجلون، وإنا إن شاء الله بكم لأحقون؛ اللهم اغفر لأهل بقيع الخوذة⁽³⁾.

وروى الحاكم في المستدرج عن أبي مويهبة مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: طوقني رسول الله (صلى الله عليه وآله)

وآله ذات ليلة، فقال: يا أبا مويهبة، انطلق استغفر، فإنني قد أمت أن أستغفر لأهل هذا البقيع فانطلقت معه، فلما بلغ البقيع، قال: السلام عليكم يا أهل البقيع، ليهن لكم ما أصبحتم فيه، لو تعلمون ما أنجاكم الله منه، أقيلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع أولها آخرها⁽⁴⁾.

وروى في كنز العمال عن ابن سعد في الطبقات عن عبيد بن عمير أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: أيها الناس،

زورواهم، واثقوهم، وسلموا عليهم، فالذي نفسي بيده، لا يسلم عليهم مسلم إلى يوم القيامة إلا رويًا (عليه السلام)، يعني شهداء

1 - سنن الترمذي 2: 259، المستدرج على الصحيحين 1: 374، السنن الكوى للبيهقي 8: 311.

2- صحيح مسلم 3: 65، سنن أبي داود 2: 87، سنن النسائي 4: 90.

3- صحيح مسلم 3: 63، سنن النسائي 4: 93 - 94.

4- المستدرج على الصحيحين 3: 55 - 56.

الصفحة 311

(1) أحد .

وقال الجزي في الفقه على المذاهب الأربعة: يستحب بعد زيارته (عليه السلام) أن يخرج إلى البقيع، ويأتي المشاهد

والغزوات فيزور العباس ومعه الحسن بن علي، وزين العابدين، وابنه محمد الباقر، وابنه جعفر الصادق... وقبر إواهيم ابن

النبي (صلى الله عليه وآله)؛ وجماعة من أزواج النبي (صلى الله عليه وآله)، وعمته صفية، وكثروا من الصحابة والتابعين...

ويستحب أن يزور شهداء أحد يوم الخميس، خصوصاً قبر سيد الشهداء سيدنا الحزوة، ويقول: سلام عليكم بما صورتكم فنعم

عقبى الدار، سلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لأحقون. ويقول آية الكرسي، وسورة الإخلاص⁽²⁾.

وأما زيارة قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) فإليك عدداً من الروايات عن رسول الله تحت على زيارته بعد وفاته، أذكر

بعضاً منها على سبيل المثال.

قال السيوطي في الدر المنثور: أخرج سعيد بن منصور وأبو يعلى والطواني وابن عدي والدرقطني والبيهقي في الشعب

وابن عساكر عن ابن عمر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من حجّ فزار قوري بعد وفاتي، كان كمن زلني في

(3) حياتي .

وأخرج الحكيم الترمذي والزوار وابن خزيمة وابن عدي والدرقطني والبيهقي عن ابن عمر قال: قال رسول الله (صلى الله

(4)

عليه وآله) من زار قومي وجبت له شفاعتي .

1- كنز العمال 10 : 382 عن الطبقات الكوي 3 : 121.

2 - الفقه على المذاهب الأربعة، كتاب الحج والعمرة، زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

3 - راجع الدر المنثور 1 : 237.

4- نفس المصدر السابق .

الصفحة 312

وأخرج الطواني عن ابن عمر قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) "من جاءني زائراً لم تتوَّعه حاجة إلا زيرتني، كان حقاً علي أن أكون له شفيعاً يوم القيامة"⁽¹⁾ .

وأخرج الطيالسي والبيهقي في الشعب عن عمر قال: سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقول: من زار قومي كنت له شفيعاً أو شهيداً، ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله في الآمنين يوم القيامة .⁽²⁾

وأخرج البيهقي عن حاطب قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) "من زرنني بعد موتي فكأنما زرنني في حياتي"⁽³⁾ .

وأخرج البيهقي في الشعب عن رجل من آل الخطَّاب عن النبي(صلى الله عليه وآله) قال: من زرنني متعمداً كان في جوري يوم القيامة، ومن سكن المدينة وصبر على بلائها، كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة .⁽⁴⁾

وأخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي عن أنس بن مالك أن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: من زرنني بالمدينة محتسباً، كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة .⁽⁵⁾

وأخرج البيهقي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): ما من عبد يسلم عليّ عند قومي إلا وكلّ الله به ملكاً يبلغني، وكفي أمر آخرته ودنياه، وكنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة .⁽⁶⁾

وأخرج البيهقي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) ما من مسلم يسلم عليّ إلا ردّ الله عليّ رُوحه حتى رُدّ عليه السلام .⁽⁷⁾

1- نفس المصدر السابق .

2- نفس المصدر السابق .

3- نفس المصدر السابق .

4- نفس المصدر السابق .

5- نفس المصدر السابق .

6- نفس المصدر السابق .

وأخرج البيهقي عن محمد بن المنكدر قال: رأيت جواروا وهو يبكي عند قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو يقول: ههنا تسكب العرات، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول "ما بين قري ومنوي روضة من رياض الجنة" (1) .

وأخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي عن منيب بن عبد الله بن أبي أمامة قال: رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبي (صلى الله عليه وآله) فوقف، فرفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة، فسلم على النبي (صلى الله عليه وآله) ثم انصرف (2) .

وأخرج البيهقي عن حاتم بن موان قال: كان عمر بن عبد العزيز يوجه بالبريد قاصداً إلى المدينة ليؤي عنه النبي (صلى الله عليه وآله) السلام (3) .

وهناك العشوات من الروايات غير التي ذكرت، لم أذكرها هنا روماً للاختصار، ولكن المهم هو أن تُترك أن ما يفتي به أولئك للبسطاء والعوام من المسلمين، لم يقدح عليه دليل، بل ولا شبهة دليل، ولأجل فقدانهم الدليل، لا يجدون حلاً إلا اتباع طريقة شيخ إسلامهم ابن تيمية في ردّ ورفض كل تلك الروايات وتضعيفها حتى يحلوا إشكالاتهم.

وبعبارة أخرى: يقومون بردّ حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله)، الذي لا ينطق عن الهوى، مقابل الإبقاء على آرائهم التي قام الدليل على عكسها ومن خلال كتبهم ومصاويرهم التي يستدلون منها، لكن الأمر إذا كان متعلقاً برسول الله وأهل بيته الطاهرين المعصومين، فيضربون بكتبهم وأدلتهم عرض الحائط ويكابرون، وفي كثير من الأحيان يفتنون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

1- نفس المصدر السابق.

2- نفس المصدر السابق.

3- نفس المصدر السابق.

والمهم أن تُترك أن زيلة القبور مشروعة ومنسوب إليها بدلالة النصّ العام من كتب أهل السنة، ومن خلال تواتر فعل عموم المسلمين لذلك، وبدلالة النصوص الواردة في الحثّ على زيارة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتواتر أدائها من جميع طوائف المسلمين طيلة مئات السنين، ومنه يظهر زيلة أحبة الله ورسوله أهل البيت (عليهم السلام).

فقد نذب القرآن الكريم إلى مودّتهم، قال تعالى في سورة الشورى: **{ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّوَدَّ لَهُ فِيهَا حَسَنًا إِنَّا اللَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ }** (1) .

وكذلك فعل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقد دعا وبأمر من الله سبحانه إلى حبّهم وولايتهم واتباعهم والافتداء بهديهم ونصوتهم ونصوة شيعتهم وموالاته من والاهم ومعاداة من عاداهم، فهل بعد كلّ ذلك يستثنى المسلم زيارة مواقدهم المشرفة،

ويترك التشوّف والتوكُّؤ فزفرفها؁ إذا كان النصّ العام الصحيح في كتب ومصادر أهل السنة يجيز زيارة قبر أي مسلم عادي أو من هم أقل شأنًا منهم؟ لا أظن أن هناك شخص مكتمل العقل يستنتج أحبة الله ورسوله؁ وهم أهل بيت العصمة والطهارة.

البكاء على أهل البيت (عليهم السلام):

إنّ الكثير من أعداء أتباع أهل البيت (عليهم السلام) ، ومع انتشار المحطات الفضائية؁ يعيبون ويطعنون على الشيعة كثرة بكائهم على أهل البيت (عليهم السلام) عند ذكر مصائبهم ومظلومياتهم وعند دعائهم وتضوّعهم إلى الله تعالى. ثم إنّ الكثير من العامة ينتقدون على أتباع أهل البيت تلك الظاهرة؁ وحيث إن أغلب الناس لا يستطيعون الوصول إلى تلك الوجة من الحبّ والولاء

1 - الشورى :23.

الصفحة 315

لأهل البيت من خلال البكاء؁ فإنّهم يطبّقون المثل الشائع - قال هذا حامض لما لم يناله- لأن من عادة البشر إذا لم يستطيعوا شيئًا؁ فإنّهم يطعنون فيه؁ وفي نفس الوقت يحسدون أصحابه عليه.

قال تعالى في سورة النساء: < أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ؟ فَمَنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمَنْهُمْ مِّنْ صِدْقٍ عُنْهُ وَكَفَىٰ بَجَهَنَّمَ سَعِيرًا { (1) .

والأصل أن يتفكّر الناس ويعتبروا من تلك الظاهرة؁ وأن تكون سببا لإعادة النظر في التلريخ؁ والبحث عن مظلوميّات أهل البيت؁ وسبب حبّ الشيعة لهم؁ بدلاً من الطعن وكيل التهم ضد أتباع وأحابأ أهل البيت عليهم الصلاة والسلام.

في الحقيقة؁ فإنّ دموع أولئك الجاحدون المبعضون لأهل البيت وأتباعهم قد جمدت ، ولم ترقّ قلوبهم لوسول الله وأهل بيته سلام الله تعالى عليهم؁ ولقد وصل الحدّ عند بعضهم بتفسير حالة البكاء عند الشيعة بأنّها تعبير عن الندم على التزويط في الحسين وعدم نصوته؁ فهم يبكون الحسين (عليه السلام) ندماً على ذلك ، هذا ما يدعيه البعض من أولئك وأذكر أنّي كنت مرة في زيارة لمسجد رسول الله وموقده الشريف مع إخوة لي من المؤمنين؁ وكان معنا وللأسف أحد أولئك الذين جمدت دموعهم ولم ترقّ قلوبهم؁ وقد انتابتنا حالة روحانية جعلتنا نبكي كثراً؁ ما عدا ذلك الشخص الذي جعل يبررّ عدم بكائه بقوله: إن البكاء في مثل هذه الأماكن يدلّ على كثرة الذنوب؁ وإنّ غير المذنب لا يبكي؁ وجفاف دموعه وعدم بكائه تدلّ على قوة إيمانه وانعدام ذنوبه . هكذا يبصرون ويحكمون؁ وإنّ دلّ ذلك على شيء فإنّما يدلّ على قلة

1- النساء : 54 - 55.

الصفحة 316

اطّلاعهم وعدم فهمهم لما هيّة البكاء ومعناه ومدى أثره على النفس؁ ودلالاته على حبّ الله تعالى والقرب منه؁ خصوصاً إذا

كان البكاء على أحبّاب الله .

فالبكاء ونرف الدموع حالة طبيعّية تحصل عند الإنسان السويّ نتيجة لاتحاد ظاهر الإنسان مع باطنه في لحظة خشوع أو تعظيم أو تفكّر وتذكّر .

ولأنّ هذه الحالة إذا كانت نتيجة حضور قلبيّ مشروع، فإنّها تبشّر بقوب من الله تعالى فريد من نوعه لا يحصل مع غيرها من الحالات ، فقد أعدّ الله سبحانه وتعالى الثواب الجزيل لأولئك البكّائين خشوعاً أو خشية أو تذكّراً لمصائب أحبّاب الله ومنها مصائب ومظلوميّات أهل البيت (عليهم السلام)، أو أيّ أمر يكون البكاء بسببه من مرضي الله تعالى .

ولقد مدح الله تعالى البكّائين في مواطن كثيرة في الكتاب العزيز وفي السنّة النبويّة على لسان من لا ينطق عن الهوى رسولنا الأكرم محمّد (صلى الله عليه وآله).

قال تعالى في سورة الإسواء: **{ وَيَخْرُونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خَشِوعًا }** (1) .

وأورد السيوطي في الدر المنثور ما رواه أحمد بن حنبل في كتاب الزهد عن أبي الجوّاح، عن أبي حزم: أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) قول عليه جبريل وعنده رجل يبكي، فقال: من هذا؟ قال: فلان. قال جبريل: إنّا تون أعمال بني آدم كلّها إلا البكاء، فإنّ الله يطفئ بالدمعة نهراً من نوان جهنّم (2) .

وما أخرجه الحكيم التّومذي، عن النضر بن سعد قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لو أنّ عبداً بكى في أمة من الأمم، لأنجى الله تلك الأمة من النار ببكاء ذلك

1 - الإسواء : 109.

2 - راجع الدرّ المنثور 4 : 206.

الصفحة 317

العبد، وما من عمل إلا له وزن وثواب إلا الدمعة، فإنّها تطفئ بحوراً من النار، وما اغرورقت عين بمائها من خشية الله، إلا حرم الله جسدها على النار، وإنّ فاضت على خدّه لم وهق وجهه قتر ولا ذلّة (1) .

وأخرج ابن أبي شيبة، عن الجعد أبي عثمان قال: بلغنا أنّ داود (عليه السلام) قال: إلهي، ما جزاء من فاضت عيناه من خشيتك؟ قال: جزؤه أنّ أوّمنه يوم الوّع الأكبر (2) .

وروي القوطي في الجامع عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنّه أتى على شاب في الليل يوقأ: **{ فَإِذَا انشَقَّتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدّهَانِ }** (3) . فوقف الشاب وخنقته العوة وجعل يقول: ويحي من يوم تنشقّ فيه السماء ويحي! فقال النبي (صلى الله

عليه وآله): ويحك يا فتى مثلها، فالذي نفسي بيده، لقد بكت ملائكة السماء لبكائك (4) .

وفي الدر المنثور أخرج أحمد والنسائي والطواني والحاكم وصحّحه عن أبي ربحانة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): حرمت النار على عين دمعت من خشية الله، حرمت النار على عين سهرت في سبيل الله، وعين غضت عن محرم الله،

(5)

وعين فقئت في سبيل الله .

وأخرج ابن ماجة والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب عن عثمان بن عفان قال : سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقول: عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله (6) .

1 - راجع الدر المنثور 4 : 106 .

2- المصنّف لابن أبي شيبة 8 : 120 .

3 - الرحمن : 37 .

4 - تفسير القوطي 17 : 176 .

5- الدر المنثور 1 : 246 .

6- الدر المنثور 1 : 246 .

الصفحة 318

ثم إنّ للبكاء فوائد كثيرة، فهو من أفضل العلاجات لقسوة القلب حيث ترقق الدروع القلب، وتجليه وتغسله ، وتزيل عنه الغشوة، وتجعله قابلاً مستعداً للمدد الإلهي، فعلى قدر الاستعداد يكون الإمداد، وكلماً صفى القلب انهالت عليه المواهب الإلهية والعطايا الربانية الجليلة.

روي في الحديث القدسي أنّ الله تعالى قال: ما وسعني أرضي ولا سمائي، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن. (بالعلم والمعرفة والتجليات القدسية).

أمّا أولئك الذين جمدت عيونهم وقست قلوبهم وما زالوا يعيرون على الشيعة أتباع أهل البيت (عليهم السلام) بكاءهم وصفاء قلوبهم، فيكفيهم أن يقال لهم قوله تعالى في سورة النجم: **{ أَمْ مَنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجِبُونَ }** (1) .

إنّ البكاء على مصائب أهل البيت (عليهم السلام)، خاصة مصيبة أبي عبد الله الحسين وأهل بيته وأصحابه، من أعظم وسائل القرب من الله سبحانه وتعالى؛ لأنّ المؤمن عندما يبكي على أحباب الله من العزة الطاهرة، فإنّه يشكّل حالة خاصة من الولاء لمن أمر الله ولايتهم ونصرتهم، وحالة خاصة من الطاعة لله ولرسوله ليس لها نظير، ويكون تأثرها على النفس المؤمنة عظيم جداً، حيث إنّها تمنح مفاهيم روحانية لا يبركها إلا أصحاب الأنواق السليمة والسلوك الإنساني الواقعي، تؤكد وتجسد معنى الولاية لأهل البيت (عليهم السلام) ، والمحبة لهم ولأتباعهم المخلصين، والسخط والبغض لأعدائهم وأتباعهم إلى يوم الدين .

وهذا في حقيقته يطهر قلب المؤمن وباطنه من كلّ أثر سلبي نتج بسبب الغفلة عن أهل البيت وموقعيهم ومظلوميتهم

وحقيقتهم .

فالبكاء على أهل البيت (عليهم السلام) في كل مناسبة من أهم وسائل النجاة في الدنيا والآخرة، فولا دعاء المؤمنين وبكائهم وخرنهم على أهل بيت النبوة والرحمة، الأئمة الطاهرين المعصومين، لخشفت الأرض بمن عليها.

ثم إن البكاء على أهل البيت (عليهم السلام) من أسوع وأفضل وسائل القرب من الله تعالى، ومن أعظم الدلائل على قبول الأعمال عنده عزوجل فربما يقضي العراء عروا طويلا يصلى ويصوم، وليس عنده علم عن أهل البيت وأحقيتهم ومظلوميتهم، والأخطر من ذلك أن يقدم على الله على غير ولايتهم التي أوجبها الله على المسلمين جميعاً، فتود أعماله ولا يقبل منها شيء، بينما إذا تقرب إلى الله عزوجل ولايتهم سلام الله تعالى عليهم، فإنه من المقبولين عند الله تعالى بدلالة عشرات الآيات والأحاديث التي تأمر ولايتهم واتباعهم والافتداء بهديهم صلوات الله تعالى عليهم.

روى الحاكم في المستدرک عن عبد الله بن عباس أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: أن رجلاً صُفِن بين الركن والمقام، فصلّى وصام، ثم لقي الله وهو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار. حديث حسن صحيح على شرط مسلم⁽¹⁾. ورواه والطواني في المعجم الكبير⁽²⁾.

وروي عن أبي حمزة الثمالي عن الإمام السجاد علي بن الحسين (عليه السلام) أنه قال: أي البقاع أفضل؟. فقلنا: الله ورسوله وابن رسوله أعلم، فقال: أمّا أفضل البقاع، ما بين الركن والمقام، ولو أن رجلاً عمراً ما عمر نوح في قومه، ألف سنة إلا خمسين عاماً، يصوم النهار ويقوم الليل في ذلك المكان، ثم لقي الله

1- المستدرک على الصحيحين 3 : 149.

2- المعجم الكبير 11 : 142.

بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئاً⁽¹⁾.

ولأجل ذلك اعتبر البكاء على أهل البيت سلام الله تعالى عليهم بالإضافة الى كل ما ذكرناه، دليلاً قوياً على ولايتهم، ولذلك نشاهد أتباع أهل البيت الذين ركبوا سفينة النجاة مع رسول الله وأهل بيته، يحافظون على إحياء مناسبات أهل البيت، يفرحون لفرحهم ويحزنون لحزنهم، ويحيون أمرهم، ولا شك في أن حبهم إيمان وبغضهم نفاق⁽²⁾، ومن الأدلة على حبهم البكاء عليهم.

لقد بكى رسول الله (صلى الله عليه وآله) على الحسين قبل استشهاده، وبكى على أمير المؤمنين وعلى أهل البيت، وبكى على أمه، وبكى على ابنه إواهيم، وندب البكاء على حمزة وجعفر، مما يؤكد المعاني الكثيرة التي ذكرناها، والتي تحت على البكاء عليهم ونصرتهم وولايتهم.

روى الطواني وابن عساکر وغيرهم عن أم سلمة قالت: كان الحسن والحسين يلعبان بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله)

وآله) في بيتي، فقول جبريل فقال: يا محمد إن أمتك تقتل ابنك هذا من بعدك، فأوماً بيده إلى الحسين، فبكى رسول الله(صلى الله عليه وآله) وضمه إلى صوره، ثم قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): يا أم سلمة وديعة عندك هذه التربة، فشمها رسول الله(صلى الله عليه وآله) وقال: ويح وكوب وبلاء. قالت: وقال رسول الله(صلى الله عليه وآله): يا أم سلمة إذا تحولت هذه التربة دماً فاعلمي أن ابني قد قتل. قال: فجعلتها أم سلمة في قارورة، ثم جعلت تنظر إليها كل يوم وتقول: إن يوماً

1 - من لا يحضره الفقيه 2 : 245.

2 - أنظر مثلاً قول الرسول بحق علي عليه السلام : لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق في صحيح مسلم 1 : 61، سنن الترمذي 5 : 306، سنن النسائي 8 : 116.

الصفحة 321

(1)

تحولين دماً ليوم عظيم .

وروى أحمد في مسنده: حدثنا محمد بن عبيد، ثنا شواهيل بن مورك، عن عبد الله بن نجى، عن أبيه: أنه سار مع علي وكان صاحب مطهّوته، فلما حاذى نيفوى وهو منطلق إلى صفين، فنادى علي: اصبر أبا عبد الله، اصبر أبا عبد الله، بشطّ الوات. قلت: وماذا تريد؟ قال: دخلت على رسول الله(صلى الله عليه وآله) ذات يوم وعيناه تفيضان، فقلت: يا نبي الله، أغضبك أحد؟ ما شأن عينيك تفيضان، قال: بل قام من عندي جبريل قبل، فحدثني أن الحسين يقتل بشطّ الوات. قال: فقال: هل لك أن أشمك من تربته؟ قال: فمد يده فقبض قبضة من تواب فأعطانيها، فلم أملك عيني أن قاضتا (2).

وروى الترمذي في سننه عن أبي سعيد الأشج، عن أبي خالد الأحمر، عن رزين، عن سلمى قالت: دخلت على أم سلمة وهي تبكي فقلت: ما يبكيك؟ فقالت: رأيت رسول الله(صلى الله عليه وآله) تعني في المنام وعلى رأسه ولحيته التواب. فقلت: ما لك يا رسول الله؟ قال: شهدت قتل الحسين آنفاً (3).

وأيضاً بكى رسول الله على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله عليه، قبل أن تحلّ به المصائب، وقبل أن تتزع منه حقوقه التي أوجبها الله له وفوضها على المسلمين، وقبل أن يقتله أشقى الآخرين.

فقد روى أبو يعلى في مسنده عن علي (عليه السلام) قال: بينما رسول الله(صلى الله عليه وآله) أخذ بيدي ونحن نمشي في بعض سكك المدينة، فمررنا بحديقة فقلت: يا رسول

1- المعجم الكبير 3 : 108 ، تريخ دمشق 14 : 192 - 193.

2- مسند أحمد 1 : 85، مسند أبي يعلى 1 : 298 ، وأورده الهيتمي في مجمع الزوائد 9 : 187 وقال: رجاله ثقات.

3- سنن الترمذي 5 : 323 ، المستدرک على الصحيحين 4 : 19.

الصفحة 322

الله! ما أحسنها من حديقة!. قال: لك في الجنة أحسن منها، ثم مرت بأخى فقلت: يا رسول الله! ما أحسنها من حديقة!. قال: لك في الجنة أحسن منها، حتى مررنا بسبع حدائق كل تلك أقول: ما أحسنها، ويقول: لك في الجنة أحسن منها، فلما خلا له الطويق اعتنقني، ثم أجهش باكياً، قلت: يا رسول الله! ما يبكيك؟ قال: ضغائن في صدور أقوام لا يبذونها لك إلا من بعدي، قلت: يا رسول الله! في سلامة من ديني؟ قال: في سلامة من دينك⁽¹⁾.

وروي في مسند أحمد والمعجم الكبير عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها زوج جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه. قالت لما أصيب جعفر وأصحابه دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: أتنتي بني جعفر، قالت فأنتيتهم بهم، فشمهم ونرفت عيناه فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي ما يبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال: نعم، أصيوا هذا اليوم⁽²⁾.

وروي الحاكم في المستدرک عن جابر، عن عبد الرحمن بن عوف قال: أخذ النبي (صلى الله عليه وآله) بيدي، فانطلقت معه إلى إواهيم ابنه وهو يجود بنفسه، فأخذته النبي (صلى الله عليه وآله) في حرقه حتى خرجت نفسه. قال: فوضعه، وبكى. قال: فقلت: تبكي يا رسول الله، وأنت تنهي عن البكاء. قال: إني لم أنه عن البكاء... وهذه رحمة، ومن لا رحم لا ورحم، ولولا أنه وعد صادق، وقول حق، وأن يلحق ولانا بأخرانا لحزنا عليك حزنا أشد من هذا، وأنا بك يا إواهيم لمحزونون، تبكي العين، ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب⁽³⁾.

وروي أنه (صلى الله عليه وآله) دخل على فاطمة وهي تقول: و اعماءه، فقال على مثل جعفر

1- مسند أبي يعلى 1 : 427.

2- مسند أحمد 6 : 370، المعجم الكبير 24 : 144.

3- المستدرک على الصحيحين 4 : 40.

(1) فلتبك البواكية .

وكذلك ندب رسول الله إلى البكاء على حنوة بعد استشهاده وذلك حين رجع من معركة أحد، فسمع نساء الأنصار يبكين على أزواجهن فقال: "لكن حنوة لا بواكي له" فبلغ ذلك نساء الأنصار فجئن يبكين على حنوة⁽²⁾.

وروي مسلم وأبو داود وغورهما كثير أن النبي (صلى الله عليه وآله) زار قبر أمة فبكى وأبكى من حوله⁽³⁾.

وروي النسائي وغوره عن أنس أن فاطمة (عليها السلام) بكت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين مات، فقالت: يا أبتاه من ربّه ما أدناه، يا أبتاه إلى جويل ننعاه، يا أبتاه جنة الفردوس مؤاه⁽⁴⁾.

وكذلك بكت زينب بنت أمير المؤمنين على أبيها وعلى أخويها الحسن والحسين عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام .

وأخوا وبعد كلّ ما ذكوت، أقول لماذا الطعن والتشكيك من أعداء أهل البيت وأتباعهم؟ فهاهم الشيعة قد لؤوا نداء ربهم

ويسرعون في تنفيذ أمر رسولهم ويشهدون العالم على ولايتهم وحبهم لأئمتهم وفاء بعهدهم، فلماذا يتهمهم بالباطل مع أنهم أهل الحق والحق معهم؟.

إنّ على المسلم الحقيقي أن يحاسب نفسه دوماً، وواجب تزيخه ومصاوه قبل الحكم على الآخرين والظعن عليهم، فربما تكون النجاة فيما ينكر الإنسان الجاهل بأمر ليس عنده فيها علم، فيتوسّع ويتجوأ على إنكلها

1 - الطبقات الكوى 8 : 282 ، وأنظر المصنّف لعبدالزراق 3 : 550.

2 - راجع السنن الكوى للبيهقي 4 : 70 ، شوح معاني الآثار 4 : 293.

3- صحيح مسلم 3 : 65، سنن أبي داود 2 : 87.

4- سنن النسائي 4 : 130.

الصفحة 324

والظعن فيها وليس عنده دليل على صحّة إدعائه سوى الجهل.

وليس هذا هو الظعن الوحيد على اتباع الفقة الناجية، أتباع المذهب الحقّ، بل هناك العديد من الأحكام ، لو نظر المسلم المنصف فيها وكان ذو عقل سوي، لوجد أنّ الشيعة أتباع أهل البيت (عليهم السلام) هم أهل الحقّ، وهم مع الحقّ وينهجون منهج الحقّ.

وأحبّ أن أختتم الموضوع ببعض الروايات عن أهل البيت (عليهم السلام) والتي تحفز على البكاء على أهل البيت ومصائبهم.

فقد روى الصدوق عن الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه وعلى آبائه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم ، قال : من تذكر مصابنا ، فبكى وأبكى، لم تبك عينه يوم تبكي العيون، ومن جلس مجلسا يحيي فيه أمونا ، لم يمته قلبه يوم تموت القلوب ⁽¹⁾ .
وروي عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أنّه قال: قال الإمام الحسين (عليه السلام): أنا قتيل العوة، لا يذكرني مؤمن إلا استعبر ⁽²⁾ .

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) أيضاً : نفس المهموم لظلمنا تسبيح، وهمه لنا عباده، وكتمان سوتا جهاد في سبيل الله ⁽³⁾ .

ولذلك كان البكاء على أهل البيت (عليهم السلام) من الأعمال الصالحة التي ثبت من الشلوع المقدّس استحبابها، وأعدّ الثواب العظيم عليها، لأنّ المقصود منها طاعة الله تعالى، وطاعة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، إحياء لأمر أهل البيت (عليهم السلام)، وتجديد

1 - عيون أخبار الرضا 2 : 264.

ذكراهم، وتعظيم شعائر الله فيهم وبهم كما أمر الله تعالى وطلبا لموضاته ، واستحقاق ثوابه، ونيل جزائه ، قال تعالى: {
وَمَنْ يُعْظَمْ شُعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ }⁽¹⁾ . صدق الله العلي العظيم.

حديث لا تشدّ الرحال وعلاقته بالزورات الشريفة:

اشتهر عند العامة حديث يروونه على لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله)، يمنع من السفر وشدّ الرحال الى أي مسجد بقصد زيارة المسجد، واستثنوا من ذلك المسجد الحرام في مكة، والمسجد النبوي الشريف، والمسجد الأقصى.
 فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجد الرسول (صلى الله عليه وآله)، ومسجد الأقصى⁽²⁾ .

هذا الحديث استنبط منه علماء أهل السنة ومنهم ابن تيمية، عثوات الأحكام المتناقضة، أذكر لك بعضاً منها.

قال ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري: وفي هذا الحديث فضيلة هذه المساجد ومزيّتها على غيرها، لكونها مساجد الأنبياء، ولأنّ الأول قبلة الناس واليه حجّهم، والثاني كان قبلة الأمم السالفة، والثالث أسسّ على التقوى. واختلف في شدّ الرحال إلى غيرها كالذهاب إلى زيارة الصالحين أحياء وأمواتاً، وإلى المواضع الفاضلة لقصد التبرّك بها والصلاة فيها، فقال الشيخ أبو محمد الجويني: يحرم شدّ الرحال إلى غيرها عملاً بظاهر هذا الحديث، وأشار القاضي حسين إلى اختياره، وبه قال

عياض

1- الحج : 32.

2 - صحيح البخاري 2 : 56، صحيح مسلم 4 : 126 باختلاف يسير في اللفظ.

وطائفة، ويدلّ عليه ما رواه أصحاب السنن من إنكار بصوة الغفري على أبي هريرة خروجه إلى الطور، وقال له: لو أركنتك قبل أن تزوج ما خرجت. واستدلّ بهذا الحديث، فدلّ على أنه روى حمل الحديث على عمومته، ووافق أبو هريرة.

(لاحظ عزوي القزّي أنّ أبا هريرة هو الذي يروي الحديث، ثمّ يقوم بمخالفته، فزيرته لمسجد الطور وشدّ الرحال إليه من أجل الصلاة فيه والتبرّك به، وهذا تناقض واضح وفاضح، ألم يكن أبو هريرة مقتنعاً بما روى عن رسول الله). ويضيف ابن حجر قائلاً:

وقال الخطابي: اللفظ لفظ الخبر ومعناه الإيجاب فيما ينزه الإنسان من الصلاة في البقاع التي يتبرّك بها، أي لا يؤمّ الوفاء بشيء من ذلك غير هذه المساجد الثلاثة، ومنها أن المواد حكم المساجد فقط وإنه لا تشدّ الرحال إلى مسجد من المساجد للصلاة

فيه غير هذه الثلاثة؛ وأما قصد غير المساجد لزيرة صالح أو قريب أو صاحب أو طلب علم أو تجلوة أو زهة فلا يدخل في النهي، ويؤيده ما روى أحمد من طريق شهر بن حوشب قال: سمعت أبا سعيد وذكرت عنده الصلاة في الطور فقال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لا ينبغي للمصلي أن يشدر حاله إلى مسجد تبغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي. وشهر حسن الحديث وإن كان فيه بعض الضعف.

ومنها: أن العواد قصدها بالاعتكاف فيما حكاه الخطابي عن بعض السلف أنه قال: لا يعتكف في غوها، وهو أخص من الذي قبله، ولم أر عليه دليلاً، واستدل به على أن من نذر إتيان أحد هذه المساجد لزمه ذلك، وبه قال مالك

الصفحة 327

وأحمد والشافعي والبيوطي واختله أبو إسحاق المروري. وقال أبو حنيفة لا يجب مطلقاً.

وقال الشافعي في "الأم" يجب في المسجد الحرام لتعلق النسك به بخلاف المسجدين الآخرين، وهذا هو المنصور

لأصحاب الشافعي.

وقال ابن المنذر: يجب إلى الحرمين، وأما الأقصى فلا، واستأنس بحديث جابر أن رجلاً قال للنبي (صلى الله عليه وآله):

إنني نذرت إن فتح الله عليك مكة أن أصلي في بيت المقدس، قال: صل هاهنا. وقال ابن التين: الحجة على الشافعي إن أعمال

المطبي إلى مسجد المدينة والمسجد الأقصى والصلاة فيهما قربة فوجب أن يؤزم بالنذر كالمسجد الحرام انتهى. ويضيف ابن

حجر قائلاً:

وفيما يؤزم من نذر إتيان هذه المساجد تفصيل وخلاف يطول ذكره، محلّه كتب الفروع، واستدل به على أن من نذر إتيان

غير هذه المساجد الثلاثة لصلاة أو غوها لم يؤزم غوها؛ لأنها لا فضل لبعضها على بعض فتكفي صلاته في أي مسجد

كان، قال النووي: لا اختلاف في ذلك إلا ما روي عن الليث أنه قال: يجب الوفاء به، وعن الحنابلة رواية يؤزمه كفارة يمين

ولا ينعقد نوره، وعن المالكية رواية إن تعلقت به عبادة تختص به كوبات لؤم والإفلا، وذكر عن محمد بن مسلمة المالكي أنه

يؤزم في مسجد قباء؛ لأن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يأتيه كل سبت كما سيأتي.

قال الكرمانى: وقع في هذه المسألة في عصونا في البلاد الشامية مناظرات كثيرة، وصنفت فيها رسائل من الطرفين،

(قلت): يشير إلى مارد به الشيخ تقي الدين السبكي وغوه على الشيخ تقي الدين بن تيمية، وما انتصر به الحافظ شمس الدين

بن عبد الهادي وغوه لابن تيمية وهي مشهورة في بلادنا،

الصفحة 328

والحاصل أنهم أؤموا ابن تيمية بتحريم شدّ الوحل إلى زيرة قبر سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنكرنا صورة

ذلك، وفي شوح ذلك من الطرفين طول، وهي من أشنع المسائل المنقولة عن ابن تيمية، ومن جملة ما استدلل به على دفع ما

ادّعاه غوه من الإجماع على مشروعية زيرة قبر النبي (صلى الله عليه وآله) ما نقل عن مالك أنه كره أن يقول زرت قبر

النبي (صلى الله عليه وآله)، وقد أجاب عنه المحققون من أصحابه بأنه كره اللفظ أدباً لا أصل الزيرة، فإنها من أفضل الأعمال

وأجلّ القربات الموصلة إلى ذي الجلال، وإنّ مشروعاتها محل إجماع بلا نزاع... أنتهى.

ولا يُريد التعوّض لسند الحديث ففيه كلام كثير ، عند علماء أهل السنة ، ولكن بالنظر في متن الحديث ، فإنّ التناقض واضح فيه لمن له اطلاع على سورة رسول الله(صلى الله عليه وآله).

فلقد ثبت أنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) كان يشدّ الوحال إلى غير تلك المساجد الثلاثة، ولا يمكن أن يأمر رسول الله بأمر ويقوم بمخالفته.

فقد كان يذهب إلى مسجد قباء خرج المدينة المنورة، ركباً و ماشياً، بل وأكثر من ذلك، فقد حثّ المسلمين على شدّ الوحال إليه، وندب إلى ذلك .

روى الحاكم في المستدرج عن عبد الله بن عمر قال: كان رسول الله(صلى الله عليه وآله) يكثر الاختلاف إلى قباء ماشياً وراكباً⁽²⁾ .

ثمّ انظر كم أعدّ الله من الثواب لمن شدّ الوحال إليه، وهذا لكلّ المسلمين في كل زمان ومكان.

فقد روى الحاكم وابن ماجه والبيهقي عن أسيد بن ظهير أنّ رسول الله

1 - فتح البري 3 : 52 - 54.

2 - المستدرج على الصحيحين 1 : 487 ، وأنظر باختلاف يسير في صحيح البخاري 8 : 153.

الصفحة 329

2 قال: صلاة في مسجد قباء كعبرة⁽¹⁾ .

وروى الحاكم في المستدرج أنّ النبي(صلى الله عليه وآله) قال: من خرج حتّى يأتي هذا المسجد يعني مسجد قباء فيصليّ فيه، كان كعدل عبدة⁽²⁾ .

وروى الحاكم في المستدرج عن هاشم بن هاشم قال: سمعت عامر بن سعد وعائشة بنت سعد يقولان: سمعنا سعداً يقول: لأنّ أصليّ في مسجد قباء، أحبّ إليّ من أن أصليّ في مسجد بيت المقدس. هذا حديث صحيح على شوط الشيخين⁽³⁾ .

وروى الطواني من طويق يزيد بن عبد الملك النوفلي عن أبيه عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة، عن أبيه، عن جدّه مرفوعاً: من توضأ فأصبغ الوضوء، ثمّ عمد إلى مسجد قباء، لا يريد غوه، ولا يحمله على الغدو إلا الصلاة في مسجد قباء، فصلّى فيه أربع ركعات، يوقأ في كلّ ركعة بأمر الوان، كان له مثل أجر المعتمر إلى بيت الله⁽⁴⁾ .

ثمّ إنّ هناك تناقضاً آخر يتعلّص مع الحديث الأول ، فقد روى ابن سعد في الطبقات عن عبد الله بن أبي الهذيل أنّه سمع عمر يقول: لا تشدّ الوحال إلا إلى البيت العتيق⁽⁵⁾ .

ولا يقولنّ أحد أنّ هذا قول لعمر، إذ إنّ عندكم مشوّع، وله تشريعات كثوة، والتي لم تود على لسان رسول الله، ولكنكم قرّرتم بأنّها من الشوع كصلاة الزاويح وغوها.

-
- 1- المسترك على الصحيحين 1 : 487، سنن ابن ماجة 1 : 453 ، السنن الكوى للبيهقي 5 : 248.
 - 2- المسترك على الصحيحين 3 : 12، مسند أحمد 3 : 487.
 - 3- المسترك على الصحيحين 3 : 12.
 - 4- المعجم الكبير 19 : 146.
 - 5- الطبقات الكوى 6 : 115، وعنه في كنز العمال 5 : 139.



وعلى ذلك فهل من حرم شدّ الوحال الى غير تلك المساجد الثلاثة كابن تيمية وأمثاله يعتبرون أن رسول الله قد فعل حراماً،
إذ كيف يحرم شيئاً ويأتي بمثله؟

أو أنّ هذا الحديث وضع على لسان رسول الله من أجل غاية يصووا إليها وضاعوا الحديث؟

أعتقد جزمياً أنّ هناك أسورا وحقائق مثورة هي السبب في وضع هذا الحديث . فما هي تلك الخفايا والأسوار وراء ذلك؟
إنّ من الطبيعة البشريّة ، أن يُتعلّق البشر بحب شيء، على أن يُكون هذا الحب ممتوس لدى الناس، ولأن الله تعالى اسمه
هو الذي خلقنا، وحدّد ما فطرنا عليه، فإنّه حدّد لنا وجهتنا في من نحبّ ومن نبغض، فكان حب رسول الله وأهل بيته الطاهرين
عليهم الصلاة والسلام من أهمّ ما يجب علينا في هذا الباب، ودونك الأدلّة التي تفوق الحصر عند أهل السنة التي توجب حبهم
والإيمان ولايتهم والافتداء بهم. بل جعل حبّ أهل البيت (عليهم السلام) من أهمّ العلامات التي يتميّر بها المؤمن من المنافق.
فقد روى مسلم في صحيحه والنسائي والترمذي وغيرهم كثير عن عدي ابن ثابت، عن زر، قال: قال عليّ بن أبي طالب
(عليه السلام): والذي فلق الحبة ووأ النسمة! إنّه لعهد النبي الأمي (صلى الله عليه وآله) إليّ، أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا
يبغضني إلا منافق⁽¹⁾.

وقد كانت الدولة الأمويّة والعباسيّة من الذين ناصبوا العداة لأمر المؤمنين (عليه السلام) بعد أن رُيح عن حقه الشوعي في
الخلافة بعد وفاة رسول الله مباشرة،

1- صحيح مسلم 1 : 61، سنن النسائي 8 : 117 ، سنن الترمذي 5 : 306.

ولم يكن له ولأهل بيته (عليهم السلام) من المحبّين سوى شيعته ، الذين تعلّقوا بحبّ أهل البيت، وأوفوا بعهدهم، وثبّوا على
ذلك، وبثباتهم وولائهم حافظوا على دين رسول الله وتعاليمه وشعائره.

أمّا الطرف الآخر ، طرف المنافقين، فلم يعجبهم ثبات وولاء أهل البيت وشيعتهم، وظهر فضائلهم واشتهلها ، فقام معاوية
بن أبي سفيان ، بسبّ وشتم أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) على المنابر ، واشتهر ذلك من المنافقين لأكثر من سبعين عاما.
روى مسلم وغيره كثير عن عامر بن سعد بن أبي وقاصّ، عن أبيه، قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك
أن تسبّ أبا التّواب؟ فقال: أمّا ما ذكوت ثلاثا قالهنّ له رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلن أسبه. لأن تكون لي واحدة منهنّ
أحبّ إليّ من حمر النعم. سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول له، خلفه في بعض مغزّيه، فقال له عليّ: يارسول الله!
خلفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمّا ترضى أن تكون منّي بمقولة هارون من موسى، إلا
أنّه لا نبوة بعدي، وسمعتة يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، قال: فتناولنا لها،
فقال: ادعوا لي علياً. فأتي به رمد، فبصق في عينه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه. ولما تولّت هذه الآية: **{ فَعَلَّ تَعَالَوْا نَدَعُ }**

أبناءنا وأبنائكم } . دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهم! هؤلاء أهلي .

وقام معلوية بعد ذلك بمنع نشر أي فضيلة لأمرير المؤمنين (عليه السلام) ، ومعاقبة كل من يخالف ذلك، ثم قتل الإمام (عليه السلام) ، وبعده قتل الإمام الحسن بن عليّ

1 - آل عمران : 61.

2- صحيح مسلم 7 : 120 - 121 ، سنن الترمذي 5 : 301.

الصفحة 332

(عليهما السلام)، ثم بعد ذلك قتل سيد الشهداء الحسين (عليه السلام) ، وبالرغم من كل تلك الحرائم، التي أظهرت نفاق وبغض أولئك لأهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم، ظل الشيعة يحافظون على اقتدائهم بأئمتهم، ويقومون بزيارتهم في مرقدهم والمحافظة على أثرهم ، والتبرك بها، كما وحافظوا على زيارة مساجدهم والصلاة فيها بناءً على نصوص وأحاديث عن النبي والأنمة من أهل البيت (عليهم السلام)، أظهرت فضائل تلك المساجد وعظيم ثواب شدّ الوحال إليها والصلاة فيها كمسجد الكوفة الذي روت فضائله كتب الشيعة والسنة.

لقد كان في إقامة أمير المؤمنين (عليه السلام) في الكوفة، واستشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء، ووجود عدد من الأنمة في العواق، بالإضافة إلى وجود العديد من الأحاديث التي تشير بأنّ الإمام المهديّ (عليه السلام) سوف يتحرك من مكة إلى الكوفة، ثمّ إلى بيت المقدس ، جعل الشيعة، أتباع أمير المؤمنين وأهل البيت ، يدومون على زيارة تلك الأماكن الشريفة في مناسبات عدّة خلال أيام السنة، كزيارة مرقد الإمام الحسين (عليه السلام) في ذكرى استشهاده يوم عاشوراء، وفاء ومحبة له، ولرسول الله الذي بكى عليه قبل استشهاده ودعا إلى نصوته.

فقد روى ابن حجر في الإصابة، وابن عساکر عن أنس بن الحرث بن منبه، قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إن ابني هذا يعني الحسين يقتل برّض من أرض العواق، يقال لها كربلاء، فمن شهد ذلك منكم فلينصوه .⁽¹⁾

وإذا أضفنا أنّ في زيارة مشاهد أهل البيت (عليهم السلام) خصوصاً الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء وشدّ الوحال إليها هو عنوان نصوة لهم وواءة من أعدائهم

1- الإصابة 1 : 271 ، تزيخ دمشق 14 : 224.

الصفحة 333

واستجابة وطاعة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ، في كلّ زمان ومكان، وليس كما يظنّ البعض أنه زمن قد مضى، وحدث قد انتهى قد عصمنا الله من فتنته، لا يقال ذلك، فقد روى الطواني والسيوطي وأبو داود وغروهم عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: إذا عملت الخطيئة في الأرض فمن شهدا وأنكوا فهو كمن غاب عنها، ومن غاب عنها ورضيها، كان كمن

(1)

وروى في كنز العمال عن ابن مسعود أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: ستكون أمور، فمن رضىها ممن غاب عنها كان كمن شهدها، ومن كرهها ممن شهدها فهو كمن غاب عنها⁽²⁾.

ثم إن هذا المظهر الجماهوي الكبير الذي يحافظ عليه الشيعة عند مرآد الأئمة (عليهم السلام)، يذكر المسلمين في كل مناسبة بمظلومية أهل البيت، ويظهر أحقيتهم في الولاية والحكم والسلطان، ويذكر الناس بواجب اتباعهم والافتداء بهم وبهديتهم، وهذا مما زعج الحكام ويهدد ملكهم، ويذكر المسلمين بالحوائم التي لتكبت في حق أهل البيت (عليهم السلام)، ويبين للناس أن هناك حقيقة قد أخفيت عنهم، وهي أهل البيت، وتظهر فضائلهم وتلفت النظر إليهم، مما يؤدي إلى ضرورة العودة إلى التاريخ والتدقيق فيه من جديد، وهذا ما لا يرضاه أعداء الدين مبغضو رسول الله وأهل بيته، وهو ما لا يرضاه الحكام والسلاطين، وكان من أوائلهم بعد الخلفاء معاوية بن أبي سفيان الذي عمل الكثير من أجل طمس حقيقة أهل البيت (عليهم السلام).

لأجل كل ما ذكرت، قاموا بوضع حديث لا تشد الرحال إلا لثلاثة

1- المعجم الكبير 17 : 139، الجامع الصغير 1 : 118، سنن أبي داود 2 : 325.

2- كنز العمال 3 : 687، وأخرجه الطواني في المعجم الكبير 9 : 180 بلفظ مختلف قليلاً .

الصفحة 334

مساجد، حتى يخيفوا الناس من زيارة مساجد ومرآد أهل البيت (عليهم السلام)، ثم بعد ذلك يقوم علمؤهم بالتشهير باتباع أهل البيت وشيعتهم بأنهم يخالفون رسول الله، وأنهم أهل بدع وشوك، وبالتالي تبقى أذهان الناس وعواطفهم بعيدة عن أهل البيت ومقاماتهم ومرآدهم ومساجدهم، يرضون بما لرضاه لهم أعداء الله ورسوله، ولا يعرفون حقيقة أهل البيت ومظلوميتهم، بل على العكس يشركون في تشويه الحقائق وقلب الأمور، ويجعلون من خلفائهم أمراء للمؤمنين يحافظون على دين الإسلام، حتى أن العديد من العلماء يصورون للناس أن الإمام الحسين (عليه السلام) سيد شباب أهل الجنة وريحانة رسول الله قد خرج على خليفة المسلمين السكير الخمير يزيد عليه لعنة الله ورسوله والمؤمنين.

ولال المسلمين السنة وحتى اليوم يردون بكل فخر أنهم أهل السنة والجماعة، ولا ييوي العوام متهم، بل والكثير من علمائهم، أن وراء هذه التسمية سرّ خطير، وأن السنة تعني سنة سب وستم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وأن الجماعة هم من رضوا زع الخلافة من الإمام الحسن (عليه السلام) ومنوها لمعاوية بن أبي سفيان وأطلقوا على تلك السنة عام الجماعة، أي أنهم كانوا متوقّنين باتباعهم أمر الله ورسوله وصلوا جماعة واحدة بالمعصية.

هذه بعض أهداف وضع مثل ذلك الحديث، وهي معاداة رسول الله وأهل بيته المطهّرين وشيعتهم، وطمس فضائلهم وإمامتهم ومظلوميتهم؛ ولأجل ذلك تبناه العديد من النواصب كابن تيمية والوهابيين السلفيين، واهتموا به أيما اهتمام، وأفتوا الفتوى

وأهل بيته.

ولمعرفتي بحقد أولئك وبغضهم لأهل البيت وشيعتهم ، فإنني أحب أن ألفت النظر إلى أمر أؤمت به نفسي ، ومن منطلق قاعدة الحديث الذي رواه مسلم عن عدي بن ثابت، عن زر، قال: قال علي: والذي فلق الحبة ووأ النسمة! إنه لعهد النبي الأمي (صلى الله عليه وآله) إلي أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق⁽¹⁾ .

من ذلك المنطلق فإنني أتبع قاعدة مهمة، وهي أن كل حكم أراي تشدوا فيه بالفعل أو التوك، فلا بد أنه يخفي وراءه سوا يتعلق بحكم أو فضيلة تتعلق بأهل البيت (عليهم السلام) .

وبذلك يتضح الجواب في سبب وضع هذا الحديث، والسبب الذي من أجله تشدوا في الأحكام التي استتبها منها، وأنه ليس ورعاً منهم في الدين، بل حتى يبعوا المسلمين عن رسول الله وأهل بيته، وعن ذكر فضائلهم وضرورة اتباعهم والافتداء بهديهم ونهج صراطهم المستقيم.

لكن واضعي الحديث وقعوا في إشكال كبير عند إجزة شدّ الوحال إلى مسجد رسول الله، فإن المسجد النبوي الشريف يوري قبر رسول الله، وبيته، وبيت أمير المؤمنين علي، والسيدة فاطمة الزهراء، (عليهم السلام)، وإلى جانب المسجد تقع مقبرة البقيع، التي تنتشر بوجود أجساد عدد من الأئمة المعصومين فيها (الإمام الحسن بن علي، والإمام علي بن الحسين، والإمام محمد بن علي الباقر، والإمام جعفر بن محمد الصادق، (عليهم السلام)) كما أن موقد سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء يقع إما في البقيع أو داخل المسجد على اختلاف في

1- صحيح مسلم 1 : 61 وقد تقدم قبل قليل.

الروايات، وهناك الكثير من الآثار التي تحكي معاناة رسول الله وأهل بيته في سبيل الدعوة إلى الله تعالى وإلى الصراط المستقيم.

وحتى يخرجوا من هذا المرق، تشدوا في تحريم زيارة القبور وتحريم زيارة قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فقاموا بوضع الأحاديث التي تنهى عن زيارة القبور، وتحوم التوسل إلى الله برسول الله ، ونهوا عن زيارة رسول الله، وأفتوا الفتوى المتشدة التي منعت المسلمين من تلك الزيارات المباركة، حتى يخرجوا من مرق حديث شدّ الوحال الذي وضعوا أنفسهم فيه ، ويجب أن يعلم أن كل تلك التناقضات لها أكبر دليل على أن الحديث المذكور وأشباهه لم تصدر من رسول الله؛ لأن كلام رسول الله لا يتناقض مع نفسه ولا مع كلام الله تعالى.

ولذلك كانت الأحاديث التي وضعوها لمنع زيارة رسول الله بعد وفاته وتحريم التوسل به تتعرض مع مئات الأحاديث التي

تحتّ على زيارته (صلى الله عليه وآله) والتوسّل به إلى الله، ولقد قدّمنا الكثير من الأدلّة من آيات وأحاديث فيها الكفاية للردّ على ادّعاءات المبغضين في مواضيع سابقة حتى يتبين الحق، ويتحرر المسلمون من ربة أولئك النواصب المتعصبين ضد رسول الله وأهل بيته الطاهرين المعصومين سلام الله تعالى عليهم .

السلام عليكم يا أهل بيت النبوة والرحمة:

كثير من العامّة يتوفّعون عن ذكر جملة (عليه السلام) ، أو (سلام الله عليه) بعد ذكر اسم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، أو أحد الأئمّة من أهل البيت سلام الله تعالى عليهم، ويضعون بدلاً منها كرم الله وجهه، أو رضي الله عنه، مما يوحى للناس بأنّ في ذلك شبهة تحريم أو كراهة، وأنّ ما يتلفظ به الشيعة

الصفحة 337

عند ذكر الإمام هو بدعة، ولحوص أهل السنّة على اجتناب البدعة كما يدعون، فإنهم لا يقولون ذلك ويتوفّعون عنه، وتأبى أنفسهم تحمّله، وإذا سمعوه من أحد، فإنهم يبدون الامتناع الشديد، وعدم الإقرار. ويصل الحدّ في أغلب الأحيان إلى الإنكار. فقد قال ابن كثير في تفسيره: وقد غلب هذا في عبلة كثير من النساخ للكتب أن يود علي رضي الله عنه بأن يقال (عليه السلام) من نون سائر الصحابة، أو كرم الله وجهه؛ وهذا وإن كان معناه صحيحاً لكنّ ينبغي أن يسوّى بين الصحابة في ذلك، فإنّ هذا من باب التعظيم والتكريم، فالشيخان وأمير المؤمنين عثمان أولى بذلك منه⁽¹⁾ ، أي من علي بن أبي طالب.

فهكذا هي الأمور عندهم بشأن ما يتعلّق بأهل البيت (عليهم السلام)، لا يستطيعون قبوله وإن كان صحيحاً ويعترفون بأنّه صحيح، لكنهم بعد ذلك ينكرونه.

فهل لهذا الإنكار دليل عندهم؟ أو هو الحكم على الأشياء بدون استدلال بحسب الهوى أو التقليد الأعمى؟ وإذا قلنا إنّ كلّ ما عند الشيعة لا بدّ وأنّ تجد له أصل عند أهل السنّة، فهل لهذه الجملة وذكرها ما يستدلّ به من عندهم؟.

نعم! فهناك عشرات الأدلّة والواهين تدلّ وبشكل صريح على أنّ ذكر جملة (عليه السلام) لأمير المؤمنين علي وللسيدة فاطمة لؤواء وللحسن والحسين والأئمّة من أهل البيت عموماً، كان أمراً طبيعياً يفعّله السنّة كما الشيعة في العصور كلها.

ولكنّ المشكّكين والمبغضين لأهل البيت (عليهم السلام)، وبسبب قلّة اطلاع على مصاوهم وجهلهم بمحتوياتها، يعتقدون

أنّها بدعة ابتدعتها الشيعة والعياذ

1- تفسير ابن كثير 3 : 524.

الصفحة 338

بالله، حتّى أنّ بعضهم تجاوز الأمر إلى أبعد من ذلك، فقد أخونني ابني الأكبر، أنّ أحد أساتذة التربية الإسلامية في

ملوسته يجزّؤها ويأمر بها لأبي بكر وعمر فقط، وعندما وقف ابني في إحدى العوات وذكر اسم أمير المؤمنين علي أضاف

بعدها (عليه السلام) ، فاستتكر الأستاذ ذلك وقال للصبيّ: هذا حرام، فقال له ابني: ألم تجزها لأبي بكر وعمر. قال الأستاذ نعم، فقط لهما لأنّهما من العظاماء . فيا للأسف فإنّ هذا الأستاذ يدعيّ الترفع عن البدع وبينها يضطجع، فهكذا الحال عندنا . وإليك غزوي القرئ بعض من أئمة أهل السنة بأسمائهم وكتبهم الذين طبقوا استعمال جملة (عليه السلام) عند ذكر أسماء أهل البيت (عليهم السلام)، على سبيل المثال لا الحصر.

فلقد ذكرها القوطي في الجامع لأحكام القرآن عند تفسيره آية: **{ فَإِنْ أَحْضَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ }** ⁽¹⁾ من سورة البقرة وأيضاً عند تفسير آية **{ وَالْمُحْضَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ }** ⁽²⁾ . من سورة النساء حيث يذكر أنّه روي عن داود الأودي عن الشعبي عن عليّ (عليه السلام): لا يكون المهر أقلّ من عشرة واهم ⁽³⁾ . وعند تفسيره سورة لقمان الآية ⁽⁴⁾ وعند تفسيره سورة الانشقاق الآية ⁽⁵⁾ ، وكذلك عند تفسيره سورة الكوثر يقول: وأما ما روي عن

1 - البقرة : 196 ، وأنظر تفسير القوطي 2 : 392 حيث قال : واحتجوا بأحاديث عن عليّ B.

2- النساء : 24.

3 - تفسير القوطي (الجامع لأحكام القرآن) 5 : 129.

4 - تفسير القوطي (الجامع لأحكام القرآن) 14 : 53.

5 - تفسير القوطي (الجامع لأحكام القرآن) 19 : 269.

الصفحة 339

عليّ (عليه السلام) " ⁽¹⁾ ...

كما ذكرها الطويّ في جامع البيان مئات الرايات في تفسيره لسورة النساء والأنعام وسورة الأعراف والتكوير وغيرها من

السور

كما ذكر الحاكم في المستدرک جملة (عليه السلام) لأمر المؤمنين عليّ، وكذلك بعد ذكر اسم فاطمة الزهراء، والحسن

والحسين. انظر كتاب المغزلي والسوايا، وكتاب معرفة الصحابة .

وفي تحفة الأحوزي وجدتها في كتاب الزهد باب ما جاء في إنذار النبي (صلى الله عليه وآله) قومه. يذكّر فاطمه ويضيف

(عليها السلام).

كما ذكرها الحافظ العواقي في تخريج أحاديث الإحياء مرات عديدة.

وكذلك في تهذيب سنن أبي دلوود لابن القيم، في كتاب المناسك، باب صفة حجة النبي (صلى الله عليه وآله). وأيضاً في

حاشية السندي على النسائي في كتاب عشرة النساء، باب حبّ الرجل بعض نساءه أكثر من بعض.

كما وردت في صحيح البخاري في أكثر من مرة في حقّ عليّ وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام). ومعروف عند

أهل السنة أنّه أصحّ كتاب بعد القرآن عندهم. فقد ذكرها البخاري في أبواب سترة المصليّ، باب المرأة تطوح عن المصليّ

(4)

(3)

(2)

شيئاً من الأذى ، وأيضاً في كتاب الجهاد والسير، باب لبس البيضة ، وفي كتاب الخمس، باب فرض الخمس ، وفي كتاب

1 - تفسير القوطي (الجامع لأحكام القرآن) 20 : 220.

2 - راجع صحيح البخاري 1 : 194 ، 3 : 1066 ، 1125 ، 1133 ، 1163 ، 1358 ، 1374 ، 1399 ، 4 : 1481 ،

1612 ، 1619 ، 1911 ، نشر دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1407 هـ - 1987م.

3- نفس المصدر السابق .

4- نفس المصدر السابق .

الصفحة 340

الخمس، باب الدليل على أنّ الخمس لنوائب رسول الله (صلى الله عليه وآله) والمساكين⁽¹⁾ . وأيضاً في أبواب الجزية والموادعة، باب طوح جيف المشركين في البئر⁽²⁾ . وفي كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عليّ بن أبي طالب⁽³⁾ . كما ذكر البخاري في عنوان كامل في باب: مناقب قرابة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومنقبة فاطمة (عليها السلام) بنت النبي (صلى الله عليه وآله).

باب مناقب فاطمة (عليها السلام). قال النبي (صلى الله عليه وآله): "فاطمة سيّدة نساء أهل الجنة"⁽⁴⁾ . وفي باب: ما لقي النبي (صلى الله عليه وآله) وأصحابه من المشركين بمكة⁽⁵⁾ . وفي كتاب المغزّي باب حديث بني النضير⁽⁶⁾ . وفي كتاب المغزّي، باب مروض النبي (صلى الله عليه وآله) ووفاته⁽⁷⁾ ، وفي نفس الباب أيضاً: حدثنا سليمان بن حرب: حدثنا حماد، عن ثابت، عن أنس قال: لمّا ثقل النبي (صلى الله عليه وآله) جعل يتغشاه، فقالت فاطمة (عليها السلام): واكرب أباه، فقال لها: ليس على أبيك كرب بعد اليوم". فلمّا مات قالت: يا أبتاه، أجاب رباً دعاه، يا أبتاه، من جنة الفردوس مؤاه، يا أبتاه، إلى جبريل ننعاه، فلمّا دفن قالت فاطمة (عليها السلام): يا أنس، أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله) الواب⁽⁸⁾ .

وفي كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي (صلى الله عليه وآله).

1- نفس المصدر السابق .

2- نفس المصدر السابق .

3- نفس المصدر السابق .

4- نفس المصدر السابق .

5- نفس المصدر السابق .

6- نفس المصدر السابق .

7- نفس المصدر السابق .

قال مسروق، عن عائشة، عن فاطمة (عليها السلام): أسرّ إلي النبي (صلى الله عليه وآله): "أنّ جويل كان يعرضني بالقآن كلّ سنة، وإنّه عرضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي" (1) .

وفي كتاب النكاح، باب ولا يبدين زينتهنّ إلا لبعولتهنّ (2) ، وفي كتاب النفقات، باب عمل المرأة في بيت زوجها (3) . وفي كتاب النفقات باب خادم المرأة (4) ، وفي كتاب الطب، باب حرق الحصير ليسدّ به الدم (5) ، وفي كتاب الأدب، باب التبسّم والضحك (6) ، وفي كتاب الاستئذان، باب من ناجى بين يدي الناس (7) ، وفي صحيح البخاري أيضاً وبمعنوان واضح في كتاب المغزّي، باب بعث علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وخالد بن الوليد رضي الله عنه، إلى اليمن قبل حجّة الوداع (8) .

وفي صحيح البخاري، كتاب مناقب الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين عن أنس بن مالك قال: أتني عبيد الله بن زياد وأسّ الحسين بن عليّ (عليه السلام) ، فجعل في طست، فجعل ينكت، وقال في حسنه شيئاً، فقال أنس: كان أشبههم برسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكان مخصوباً بالوسمة فقال له زيد بن رُقم رضي الله عنه: رفع قضيبك، فقد رأيت فم رسول الله (صلى الله عليه وآله) في موضعه (9) .

1- نفس المصدر السابق .

2 - صحيح البخاري 5 : 2009، 2051، 2162، 2258، 2317، 4 : 1580، دار ابن كثير.

3- نفس المصدر السابق .

4- نفس المصدر السابق .

5- نفس المصدر السابق .

6- نفس المصدر السابق .

7- نفس المصدر السابق .

8- نفس المصدر السابق .

9 - صحيح البخاري 3 : 1370، دار ابن كثير.

وفي نيل الأوطار للشوكاني، عن الحسن بن عليّ (عليه السلام) قال: "علّمني رسول الله (صلى الله عليه وآله) كلمات أقولهنّ في قنوت الوتر، اللهمّ اهدني فيمن هديت وعافيني فيمن عافيت، وتولّني فيمن توليت، وبلك لي فيما أعطيت، وقني شرّ ما قضيت، فإنّك تقضي ولا يقضى عليك، إنّه لا يذلّ من واليت، تبلى ربنا وتعاليت" (1) .

عزوي القرئ، هذا قليل من كثير جدّاً، قدّمته بين يديك مما احتوته كتب وصحاح وتفسير أئمة أهل السنة، للدلالة على

صحة ما عليه أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، حتى تكون مطمئناً أنهم لا يطبقون شيئاً إلا وله الأدلة الدامغة على صحته من أدلة خصومهم، وإذا أردت المزيد فما عليك إلا مراجعة مصاورهم.

ثم إن المسلمين تحييتهم فيما بينهم السلام، فإذا دخل مسلم على فرد أو جماعة من إخوانه، فإنه ينبغي عليه إلقاء السلام عليهم، وهذا مجمع عليه عند كل طوائف المسلمين.

ولا يقال إن السلام مسنون على الأحياء فقط، وإن هؤلاء الأئمة من أهل البيت قد ماتوا، فلا يجوز ذلك في حالة الأموات، لا يقال ذلك، لأنه قول لا دليل عليه لا في الكتاب ولا في السنة، وليس هناك أي دليل ينهي عنه.

ولو فرضنا أنه للأحياء فقط كما يدعي البعض، فإذا لم نعتبر أهل البيت (عليهم السلام) أحياء فمن هم الأحياء إذن، أليس الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون بدلالة كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل؟ قال تعالى في سورة البقرة الآية: **{وَلَا تَقُولُوا**

1- نيل الأوطار 3 : 51.

الصفحة 343

(1)

{لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحياءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ}

وقال تعالى في سورة آل عمران الآية: **{وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فُوحِينٌ**

(2)

بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيُسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}

ومن المعلوم أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من نريته (عليهم السلام) قتلوا في سبيل الله، ومرتبته عند الله

أعلى من مرتبة الشهداء بدلالة الآيات والأحاديث التي صرحت بأنهم الصديقون والصادقون عند ربهم، ومعلوم أن الصديق

أفضل عند الله من الشهيد.

قال تعالى في سورة النساء: **{وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ**

(3)

وَالصَّالِحِينَ وَحَسَنَ أُولَئِكَ رُفِيقًا}

فالصديقون مقدمون على الشهداء، وإذا كان الشهداء أحياء فالصديقون من باب أولى.

روى الحاكم في المستدرک، في كتاب معرفة الصحابة، عن علي (عليه السلام) قال: إنني عبد الله، وأخو رسوله، وأنا

الصديق الأكبر، لا يقوله بعدي إلا كاذب، صليت قبل الناس بسبع سنين، قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة. ورواه ابن ماجة في

(4)

سننه . قال المحقق في الزوائد : هذا إسناد صحيح، رجاله

1 - البقرة : 154.

2 - آل عمران : 169 - 170.

3- النساء : 169.

(1)

ثقات، رواه الحاكم في المستترك عن المنهال وقال: صحيح على شرط الشيخين .

وروى الطراني عن أبي نرّ وسلمان قالوا: أخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بيد علي فقال: هذا أول من آمن بي، وأول من يضافني يوم القيامة، وهذا الصديق الأكبر، وهذا فاروق هذه الأمة، وهذا يعسوب المؤمنين .

(2)

وكذلك بقية أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهّروا، والأئمة من أهل البيت من نزية الحسين (عليهم

السلام)، هم الصديقون بدلالة الآيات والأحاديث التي تذكر فضائلهم وموتلتهم، كآية المباهلة، وآية التطهير، وآية المودة،

(3)

وحديث الثقلين، وحديث الغدير، وحديث السفينة وغيرها .

وعلى ذلك فإنه لا يقال إنهم (عليهم السلام) أموات، بل إن رسول الله حي وهو أفضل منهم، وهم أفضل من الشهداء.

ثم إنه من الثابت في السنة النبوية، أن المسلم إذا راد زيارة مقابر المسلمين، أن يسلم على الأموات في تلك المقابر، كما

قواتر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الأحاديث الصحيحة.

فقد روى مسلم في صحيحه عن عائشة أنها قالت: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) (كلما كان ليلتها من رسول

الله (صلى الله عليه وآله)) يخرج من آخر الليل إلى البقيع. فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين.... ورواه ابن ماجة والنسائي

وغرهم عن عدد

1 - سنن ابن ماجة بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي 1 : 44 ، ويقصد من الزوائد هو كتاب مصباح الزجاجة في زوائد ابن

ماجة للإمام البوصوي.

2- المعجم الكبير 6 : 269.

3- وقد تقدّم ذكر الجميع أثناء طيات البحث.

(1)

عائشة ترة وأبي هرة ترة أخرى .

فها هو المسلم مأمور بالسلام على من في القبور من المسلمين العاديين، ومن المؤكّد أن مقابر المسلمين فيها من كان طائعا

لله ومن هو عاص، وهذه النصوص تأمر بالسلام عليهم، فما بالك برسول الله، وأمير المؤمنين عليّ، وبضعة رسول الله فاطمة

الوهاء وسيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام.

أما بالنسبة للصلاة عليهم، فأمرها واضح وضوح الشمس في رابعة النهار، فقد روى البخاري في صحيحه عن كعب بن

عجوة قال: سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فإنّ الله قد علمنا كيف

نسلم عليكم؟ قال: قولوا: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إراهيم، وعلى آل إراهيم، إنك حميد مجيد،

اللهم برك على محمد وعلى آل محمد، كما بركت على إياهم وعلى آل إياهم، إنك حميد مجيد". ورواه مسلم وغيره كثير⁽²⁾. وهذه الروايات توجب الصلاة على أهل البيت بعد الصلاة على رسول الله.

ثم إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد نهى عن بتر الصلاة عليه من خلال حذف الصلاة على أهل البيت حيث قال: لاتصلوا علي الصلاة البتراء، فقالوا: وما الصلاة البتراء قال: أن تقولوا اللهم صل على محمد وتمسكون، بل قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد⁽³⁾.

من كل ما سبق، فإنه لا يبقى مجال لمشكك بأن الصلاة والسلام على أهل

1- صحيح مسلم 3: 63، سنن ابن ماجة 1: 493، 2: 1439، سنن النسائي 1: 94، 4: 93-94.

2 - صحيح البخاري 4: 118، 6: 27، صحيح مسلم 2: 16، سنن ابن ماجة 1: 293، سنن الترمذي 1: 301.

3 - الصواعق المحرقة 2: 430.

الصفحة 346

البيت هو أمر شرعي مفروض على المسلمين، لا يجوز لمن يدعي العلم أن يترفع عنه، أو يظهر امتعاضاً عند سماعه، كأنه حريص على عدم إدخال البدع في الدين.

والسؤال الذي يرد، لماذا حذفوا ذكر الآل عند الصلاة على النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، مع أنه أمر مفروض من الله كما قدمنا بالأدلة المتطاوة والتي تفوق حد الحصر. ولست بمقتنع أن علماء أهل السنة لم يطلعوا على تلك الأدلة والواهين التي توجب الصلاة على محمد وآل محمد، بل إنني متأكد أنهم محصوها وعرفوها، ومعلوم عند المسلمين أن من لم يصل على آل محمد بعد التشهد في الصلاة فصلاته باطلة وجب عليه إعادتها، بل كلنا نعرف ومنذ نعومة أظافنا أبيات الشعر التي قالها الإمام الشافعي:

يَا أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ حَبِّبِمْ فُرُضٌ مِنْ اللَّهِ فِي الْقَوَانِ أَتَوَلَّهِ
يَكْفِيكُمْ مِنْ عَظِيمِ الْقَدْرِ أَنْكُمْ مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْكُمْ لَا صَلَاةَ لَهُ⁽¹⁾.

وكذلك بالنسبة للسلام على الأئمة من أهل البيت، فكما ذكرت أن أمر السلام عليهم كان ظاهراً ومعرفاً بين المسلمين، بل ومذكور في مئات الروايات والتي أظهرت عدداً مختصراً منها من صحيح البخاري وغيره روماً للاختصار، فليس معقولاً أن عالماً من علماء أهل السنة لم يقرأ كتبه ومصاومه.

فلماذا إذن التمعص والإنكار لما أمر الله به وأقره المسلمون؟

لماذا لا نسمع شيئاً يصلي على آل محمد كما أمر الله تعالى؟

لماذا هذا التوقع والتمنع عن طاعة الله ورسوله؟ لأن من لم يطع الله في أمر لوجهه على الناس وفرضه عليهم، فإنه لا بد

أن يكون مطيعاً لشيطانه وهواه، فماذا بعد الحق إلا الضلال.

أما من الذي يطبق هذا الأمر الإلهي من المسلمين ؟ ، فهم فقط الشيعة أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، فهم دائماً كما زى ونسمع يسلمون على أهل البيت، ويصلون عليهم طاعة لله واقتداء برسول الله (صلى الله عليه وآله).
فأين هذا الأمر الإلهي يا علماء أهل السنة والجماعة ؟. وإذا تركتموه ورفضتموه وامتعضتم منه وعلضتم أمر ربكم، فلماذا تشككون بأتباع السنة الصحيحة، أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، ألا أنهم مطيعون لله ورسوله ؟.
أو أنه ليس عندكم اعتبار لهذا الأمر الإلهي ؟.

أجيبونا، وإذا كنتم لا تريدون الجواب وتتوقعون عنه، فعلى الأقل كفواً ألسنتكم وأيديكم عن أتباع الرسول الأكرم وأهل بيته وشيعتهم، ولا تحسوا المؤمنين على إيمانهم وحبهم وطاعتهم لرسول الله وأهل بيته المعصومين الطاهرين، رزقنا الله حبهم وطاعتهم وزيلتهم في الدنيا، وشفاعتهم في الآخرة، إنه نعم المولى ونعم المجيب.

3. نداءات الحقيقة من خلال الرؤى المنامية:

أما ما ذكرنا عن السفر والزيارة وفوائدهما بعد توفيق الله تعالى للاهتداء إلى حقيقة الإيمان وحقائقه، فهو ينطبق أيضاً على الرؤى المنامية أيضاً، فالرؤى المنامية هي رحلة وسفر بالروح إلى الملكوت الأعلى، وفيها من الفوائد والتوفيقات الإلهية ما يضاهي السفر الظاهري، وذلك إذا تحقق بالرؤيا شروط عدة يجب التحقق منها، وأهمها: هو أن لا تخالف مضامين الرؤيا، الأحكام الشرعية الصحيحة، وأن لا تتناقض مع أي دليل شرعي قطعي.

روى الشيخ الصدوق في الأمالي قال: قال محمد بن القاسم النوفلي قال : قلت لأبي عبد الله الصادق (عليه السلام) :
المؤمن يرى الرؤيا فتكون كما رآها ، وربما

رأى الرؤيا فلا تكون شيئاً ؟.

فقال: إن المؤمن إذا نام خرجت من روحه حركة ممدودة صاعدة إلى السماء، فكل ما رآه روح المؤمن في ملكوت السماء في موضع التقدير و التدبير فهو الحق، و كل ما رآه في الأرض فهو أضغاث أحلام.

فقلت له : أو تصعد روح إلى السماء ؟ قال : نعم.

قلت : حتى لا يبقى منها شيء في بدنه ؟.

فقال : لا ، لو خرجت كلها حتى لا يبقى منها شيء، إذن لمات.

قلت : فكيف تخرج ؟

فقال: أما ترى الشمس في السماء في موضعها و ضوئها و شعاعها في الأرض، فكذاك الروح أصلها في البدن و حركتها

كما أنّ هناك شروطاً عديدة قد بينّها العلماء الأفاضل استنباطاً من حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومن حديث أئمة الهدى والحقّ من أهل البيت (عليهم السلام)، ومنها الإيمان، والنوم على طهارة، والذكر والتسبيح، والتقوى، وغير ذلك من الشروط التي توجب على المرء مراعاتها والرجوع إليها حتّى لا يقع المسلم في المحذور، ويخرج عن حدود العقل السليم، وحتّى لا يقع في شباك الشيطان، وحتّى لا يحجب في رؤياه، وبالتالي يسقط في دائرة نفسه وهواه، ويؤول الرؤيا بما تهواه النفس، وبما تمليه عليه من الميِّرات والتي تبعث في النفس مرض العجب المذموم، ومن ثمّ تنتقل العنوى لنشوء أمراض أخرى كالكبر والرياء وعمى البصيرة، ثمّ الهلاك المحقّق وفقدان العقل والهوس والشنوذ والعياذ بالله تعالى.

1- الأمالي: 209.

الصفحة 349

ولا لريد بتقديمي هذا عن الرؤيا وشوطها أنّ أخيف أحداً، ولكنّ الواقع الذي زاه يوجب مراعاة كلّ الشروط الشوعية للرؤيا، ومراجعة العلماء الأفاضل، وأنّ لا يتجرأ على تأويل ما راه بحسب الهوى والنفس أو ما يكون من إملاء الشيطان، فالحذر الحذر.

روى العلامة المجلسي في بحار الأنوار عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّه قال: الرؤيا ثلاثة: بشوى من الله، و تخزين من الشيطان، و الذي يحدث به الإنسان نفسه فراه في منامه⁽¹⁾.

وروى أيضاً في البحار عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنّه قال: الرؤيا من الله و الحلم من الشيطان⁽²⁾.

وروى في الفصول المهمّة، عن الفضل بن عمر، عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) قال: ... فكرياً مفضل في الأحلام، كيف دبّر الأمر فيها، فزوج صادقها بكاذبها، فإنّها لو كانت كلّها تصدقّ لكان الناس كلّهم أنبياء، ولو كانت كلّها تكذب، لم يكن فيها منفعة، بل كانت فضلاً لا معنى له، فصلت تصدقّ أحياناً فينتفع بها الناس في مصلحة يهتدي بها أو ضوّة يحذر منها، وتكذبّ كثراً لئلا يعتمد عليها كلّ الاعتماد⁽³⁾.

والرؤيا التي من الله تعالى هي رؤيا حقّ يجب تأويلها وأخذها بعين الاعتبار، فهي بالنسبة للأنبياء وأوصيائهم حقّ وصدق ويقين، وأمّا بالنسبة لغيرهم فهي تختلف، فإمّا رؤيا صالحة من الله تعالى، وإمّا حلم من الشيطان، أو أضغاث أحلام، ولقد ورد في القرآن الكريم آيات عديدة تذكر عدّة رؤى

1- بحار الأنوار 58 : 191 ، ونحوه في مسند أحمد 2 : 395.

2- بحار الأنوار 58 : 191 ، وأنظر صحيح البخاري 7 : 24 - 25.

3- الفصول المهمّة للحرّ العاملي : 690.

مناميّة كانت قد وقعت للأنبياء والرسل، ومنهم سيّدنا ونبيّنا محمد (صلى الله عليه وآله).

قال تعالى في سورة الإسراء: **{وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجْوَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طِغْيَانًا كَبِيرًا }** (1).

روى السيوطي في الدرّ المنثور قال: أخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عمر أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: رأيت ولد الحكم بن أبي العاص على المنابر كأتهم القردة، وأقول الله في ذلك: **{وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجْوَةَ الْمَلْعُونَةَ .. }** يعني الحكم وولده (2).

وأخرج ابن أبي حاتم، عن يعلى بن موهّ قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): رأيت بني أمية على منابر الأرض، وسيتملكونكم، فتجدونهم أرباب سوء، واهتم رسول الله (صلى الله عليه وآله) لذلك، فأقول الله **{وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجْوَةَ الْمَلْعُونَةَ .. }** (3).

وأخرج ابن مردويه، عن الحسين بن علي رضي الله عنهما أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أصبح وهو مهموم، فقيل: مالك يا رسول الله؟ فقال: إني رأيت في المنام كأن بني أمية يتعلوون منوي هذا. فقيل: يا رسول الله، لا تهتم فإنها دنيا تتألمهم. فأقول الله: **{وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ }** (4).

ويقول جلّ وعلا في سورة الفتح: **{ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الّهُؤَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَهُمْ وَمَقْصُرِينَ لِإِ**

1 - الإسراء : 60.

2- الدرّ المنثور 4 : 191.

3- الدرّ المنثور 4 : 191.

4- الدرّ المنثور 4 : 191.

{ تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا } (1).

روى السيوطي في الدرّ المنثور قال: أخرج ابن جوير وابن المنذر والبيهقي في الدلائل عن مجاهد قال: رُئي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو بالحديبية أنّه يدخل مكّة هو وأصحابه آمنين محلّقين رؤوسهم ومقصّوين، فلما تحرّ الهدى بالحديبية قال له أصحابه: أين رؤياك يا رسول الله؟ فأقول الله **{ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ }** إلى قوله **{ فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا }** فوجعوا ففتحوا خبير، ثمّ اعتمر بعد ذلك، فكان تصديق رؤياه في السنة المقبلة (2).

وهناك أيضاً في القرآن الكريم ذكر لرؤيا سيّدنا يوسف (عليه السلام)، وكذلك رؤيا سيّدنا إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام)، ورؤيا

ملك مصر، ورؤيا السجينين، وغوها كثير، اختصت ذكرها خوفاً من الإطالة.

والرؤيا الصالحة: هي بشلة من الله تعالى لعبده يبشروه بها ويهديه من خلالها إلى حقائق تعينه على استكمال مسودة الإيمان في هذه الحياة الدنيا.

قال تعالى في سورة يونس: **{ لَهُمُ الْبَشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }** (3).

روى في الكافي عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) قال: قال رجل لرسول الله (صلى الله عليه وآله): في قول الله عزَّ وجلَّ: **{ لَهُمُ الْبَشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا }** قال: هي الرؤيا الحسنة وى المؤمن فيبشر بها في دنياه (4).

وهذه البشلة من الله تعالى كما ذكرنا يجب مراعاة كل ما يسبقها من

1- الفتح : 27.

2- الدر المنثور 6 : 80.

3- يونس : 64.

4- الكافي 8 : 90.

الصفحة 352

شروط وآداب، وكذلك بعد الرؤيا عليه أن يكتمها ولا يؤولها على حسب الهوى والرغبة النفسية، بل يخبر بها من يملك الخوة والموهبة في التأويل من أهل التقوى والعلم من المؤمنين المخلصين الصادقين، وليس له أن يخبر بها من لا يمتلك الأهلية من المدعين، وليس له كذلك أن يخبر بها حاسداً أو مبغضاً حتى لا ينعكس تأويل الرؤيا الخاطيء على صاحبها. روى في الكافي عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يقول: إن رؤيا المؤمن ترف بين السماء والأرض على رأس صاحبها حتى يعوها لنفسه، أو يعوها له مثله، فإذا عوتت لؤمت الأرض، فلا تقصوا رؤياكم إلا على من يعقل (1).

وروى في الكافي عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): الرؤيا لا تقص إلا على مؤمن خلا من الحسد و البغي (2).

والرؤيا التي هي بشلة من الله تعالى تتعلق بمستقبل العبد وتؤثر فيه، وهذا النوع من المبشورات، منه ما هو واضح وصريح وليس بحاجة إلى تأويل، ومنها ما هو غامض وبحاجة إلى تأويل، ومنها ما يتحقق بشكل سريع، ومنها ما يقع تحقيقه بعد فترة طويلة من الزمن كرؤيا سيدنا يوسف (عليه السلام).

قال في بحار الأنوار قال: وذكر ابن عبد البر في كتاب بهجة المجالس وأنس الجالس أنه قيل لجعفر الصادق (عليه السلام)، وهو أحد الأئمة الاثني عشر كم تتأخر الرؤيا؟

فقال: خمسين سنة، لأن النبي (صلى الله عليه وآله) رأى كأن كلباً أبقع ولغ في دمه، فأولاه

1- الكافي 8 : 336.

2- الكافي 8 : 336.

الصفحة 353

بأن رجلاً يقتل الحسين ابن بنته ، فكان الشمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين (عليه السلام) ، و كان أروص ، فتأخرت الرؤيا
بعد خمسين سنة ⁽¹⁾ .

وروى في تزيخ دمشق عن محمد بن عمرو بن حسين قال: كنا مع الحسين بنهر كوبلاء، فنظر إلى شمر بن ذي الجوشن
فقال: صدق الله ورسوله، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): كأني أنظر إلى كلب أبقع يلغ في دماء أهل بيتي! فكان شمر
أروص ⁽²⁾ .

وبناءً على ما سبق، فإنّ الرؤيا كانت سبباً مباحثوا فيّ الاهتداء إلى حقيقة الإيمان ولأية أهل البيت (عليهم السلام)
وموالاتهم، وكانت سبباً في اكتشاف حقائق الإيمان، كمظلوميّات أهل البيت (عليهم السلام). وهو الذي أدّى عند الكثير من
المستبصرين للاستجابة لتلك النداءات المناميّة، والتي بفضل الله وكرمه أدّت إلى الاستبصار بحمد الله تعالى وفضله ومنة
وكرمه وتوفيقه لذلك.

ولقد ذكر العشوات من المستبصرين أنّه كان من أسباب استبصرهم الرؤى المناميّة الصادقة، والتي كانت السبب المباشر
في تحديد مستقبلهم وتصحيح اعتقاداتهم ومسلّمهم في هذه الحياة الفانية.

ولقد كان من أهمّ أسباب استبصرنا والدافع الرئيسيّ للبحث والتقصّي عن أهل البيت (عليهم السلام) وعن مظلوميّاتهم وعن
حقّهم وأحقّيتهم برؤيا مناميّة رأيت فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو يأمرنا بزيارة الإمام الحسين (عليه السلام) ،
وكانت الرؤيا في بداية شهر محرم الحرام، فبدأنا بالاستعداد لزيارة الحسين (عليه السلام) في يوم عاشوراء، وقد كان عندنا
معلومات عن أنّ ذلك اليوم هو ذكرى استشهاد

1 - بحار الأنوار 62 - 61.

2 - تزيخ دمشق 23 : 190 ، وأورده في كنز العمال 12 : 128 ، 13 : 672.

الصفحة 354

(عليه السلام) ، ولكنّه لم يكن عندنا الاطلاع الكافي إلا ما تعلمناه وعرفناه من طرق أهل السنة والجماعة، مع ما قيل في
ذلك اليوم من تحريفات ومغالطات، بحيث أنّ يوم عاشوراء كان يعتبر في بلادنا عيداً يحتفل به ويوسع فيه على العيال وهكذا.
ولكنّ الاستعدادات لذلك اليوم في هذه المرة يجب أن تختلف، حيث إنّ رسولنا ونبينا وحبينا محمداً (صلى الله عليه وآله) هو
الذي أمرنا ووجهنا في تلك الرؤيا أنّ نزور الإمام الحسين (عليه السلام) ، فلما استيقظت من النوم، بحثت عند أهل السنة

والجماعة على معنى الزيارة، فلم أجد، ثم توجهت للبحث فيما عند مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، بخصوص زيارة الحسين (عليه السلام)، وما هي آداب يوم عاشوراء عندهم.

وبعد ساعات من البحث والتقصي صدمت من المفاجأة وبدأت بالبكاء الشديد، ومن هول الصدمة لم أستطع أن أقف على قدمي، وبقيت لا أستطيع الوقوف لعدة ساعات مع البكاء الشديد، درت خلالها عقرب ساعة الزمن إلى الوراء، واستحضرت عشرات الروى المنامية التي أكرمني الله تعالى بها في حياتي، حيث كنت قد رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) أكثر من ثلاث مائة مرة قبل تريح رؤيا الزيارة هذه، وكذلك كنت قد رأيت جدتي السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، والإمام علي، والإمام الحسين سلام الله تعالى عليهم جميعاً، وكذلك إمامنا المهدي المنتظر عجل الله تعالى فوجه الشريف.

وإنني أعتبر كل تلك الروى عناية من الله تعالى، وفضل منه، حيث كانت كلها تتوج بنا من أجل الوصول لهذه الساعة الحاسمة والمصيرية، ولكن ولقلة فهمنا وقصور معلوماتنا عن أهل البيت (عليهم السلام)، كنا نقيس بحسب مقاييس

الصفحة 355

أهل السنة والجماعة، إلى أن تفضل الله تعالى ووعاية نبينا وأئمتنا صلوات الله تعالى وسلامه عليهم جميعاً بأن هذانا ووجهنا وصوتنا حتى وصلنا إلى حقيقة الإيمان وحقائقه.

ثم بعد أن هدأت النفس قليلاً، دعوت زوجتي لرؤية ما قد ظهر من الحق والحقيقة، فكانت برك الله فيها ولها، خير مستشار، حيث كانت قدرات أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) جدي وجدها في المنام، وأشار عليها في الرؤيا أن تتبع الحقيقة التي سوف أكتشفها، فكانت بركة أمير المؤمنين (عليه السلام) استجابتها سريعة وبدون تردد والحمد لله رب العالمين على ذلك، وقلت في نفسي: أنها رادة الله تعالى أن نكتشف هذا الكنز العظيم والحقيقة المغيبة.

وقد كنت قبل استبصلي على علاقة إيمانية وثيقة بعدد لا بأس به من الأخوة المؤمنين وكنا قد تعاهدنا على سلوك طريق العلم والمعرفة والعرفان، وكانت أمور هذه المجموعة المبركة مفوضة إلي، وكنا نحدد أياماً نجتمع فيها معاً من أجل العلم، وخصصنا بعد عصر كل يوم جمعة للدعاء والتضوع إلى الله تعالى، والصلاة على محمد وآل محمد.

فقت على الفور بدعوة أحد الإخوة الأفاضل، والذي كان دائماً من الباحثين عن الحق والحقيقة، وكان من الأشخاص الذين حينما رأوا الحق يتبعه ويتمسك به، فكان برك الله فيه من أوائل من شجع على الإسراع في اتباع الحق، وضرورة تبليغ جميع الأخوة بما توصلنا إليه من كشف عظيم وخطير لحقيقة أهل البيت (عليهم السلام)، وحقهم وأحقيتهم ومظلومياتهم.

بعد ذلك قمت بدعوة الإخوة عندي في البيت، وشوحت لهم ما قد تكشفت من حقائق كانت عنا مغيبة، وشوحت لهم حقيقة عاشوراء، يوم حادثة الطف،

الصفحة 356

وأضفت على الشوح التذكير بالرؤيا التي رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يأمرنا فيها بزيارة الحسين (عليه السلام). فتبين للجميع أنها عناية من الله تعالى أن تتحقق رؤياي، ونزور الإمام الحسين، ونتعرف على مظلومية الحسين وأهل البيت

(عليهم السلام). وبفضل الله تعالى، ولثقة الكبرة التي قد منحني إياها الأخرة، فقد استجابوا كلهم لنداءات العقل والقلب، وتحوّلنا جميعاً إلى التعمق في دراسة مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، وأخذنا على عاتقنا أن نضع كل الأمور قيد البحث، وضرورة إقامة الدليل على كلّ مسألة تتعرض لنا في عقائد وأحكام مذهب أهل البيت (عليهم السلام) من أدلة وكتب أهل السنة والجماعة، وكذلك أخذنا في إعادة دراسة التاريخ للعصر الأول في الإسلام، وفي وقت قصير، ومن خلال الواسة المكتفة، وبفضل الله تعالى الذي هياً لنا مواقع متعدّدة على شبكة المعلومات (الإنترنت)، وبمساعدة وتوجيهات من بعض العلماء الأفاضل من الشيعة كنت قد اتصلت بهم، منهم سماحة الشيخ أسد محمد قصير برك الله فيه وخواه الله خواً، وسماحة الشيخ علي الكوراني العاملي خواه الله خواً وبرك الله فيه وغورهم من العلماء والذين ساعدونا في بيان الكثير من الإشكالات والمسائل، واستفدنا كثيراً من الدروس العلمية والفقهية التي كانت المحطّات الفضائية تقدّمها للمشاهدين من خلالهم، ومن غورهم من العلماء الأفاضل.

وبعد كلّ تلك الأبحاث، كنّا قد استبصرونا جميعاً، إلا البعض الذين كانت قلوبهم غلف، والذين بعد إقامة الحجة والدليل على صدق وأحقية مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، وبعد تبيان حقيقة الدنيا الفانية، وإنّ العمل الأساسي فيها هو العمل بما أمر الله تعالى وبما يرضيه جلّ وعلا.

الصفحة 357

وبعد أن تظاهروا بالاستبصار كذباً وافتراءً، حولوا في البداية التشكيك والتنفير بين الإخوة، ولما لم يفلحوا، أظهروا العدوة والبغضاء، فرفض ذلك البعض الحجّة وأصموا آذانهم وأعموا أبصارهم وحجّوا عقولهم وقلوبهم ولم يكتبوا بذلك، بل بدؤوا بمعادتنا وتكفيرنا والتشهير بنا، ومن كان منّا على صلة نسب معهم قطعوا تلك الصلة عنه بالتفريق بينه وبين زوجته، ثمّ الطلاق، وكذلك من كان على علاقة تجلّية ومالية معهم (وأعنى نفسي هنا) سرقوا ماله، وحرّموا منه جهلاً نهلاً، وجندوا الناس لمعادتنا وبدؤوا يتهمونا ويتهمون أعواننا ويؤذوننا ويظلموننا ويلاحقوننا، حتّى أن منهم من بلغ الأجرّة الأمنية وخوفهم منّا، مع أننا لم نؤذ أحداً ولم نتعرض لأحد ولم نظلم أحداً ولم ننتهك عرض أحد، ولكنها على ما يبدو فائترة الإيمان يجب أن تدفع.

وبحمد الله صونا وثبتنا ووفينا بعهدهنا مع الله تعالى ومع رسوله والأئمة المعصومين الطاهرين، وتضوّعنا إلى الله تعالى أن يعوّض علينا بالخير والعافية والسلامة والسعة في الدنيا والآخرة، وتضوّعنا إليه أن يهلك أعداءنا وينتقم منهم في الدنيا قبل الآخرة. ثمّ تعمقنا في البحث والواسة أكثر فأكثر، وتوقّنا على أئمتنا سلام الله تعالى عليهم وها نحن قد زدنا عددنا من حيث النوعية والكمّ بفضل الله تعالى، وببركة رؤيا الرسول محمد والأئمة عليهم الصلاة والسلام.

وهكذا كانت الرؤيا المناميّة دافعاً قوياً وسبباً أساسياً في اكتشاف الإيمان وحقيقته، وحقه وأحقّيته، ولا يمكن في هذا البحث الموضوعي أن أفصل عن كل الرّوى التي رأيتها أوراها إخواننا المؤمنين المستبصوين، ولعلنا نؤد لها

الصفحة 358

كتاباً خاصاً لذلك في يوم من الأيام، ولكن المهم أن الرؤيا التي رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو يأمرني وإخواني فيها بزيارة الحسين (عليه السلام) ، كانت تجسيدا للحديث المشهور عن النبي والأئمة (عليهم السلام) الذي يقول: أحيوا أمرنا، ... فرحم الله من أحيوا أمرنا⁽¹⁾ . فاستجبنا لله ورسوله، وأحيينا أمرهم في نفوسنا ونفوس إخواننا، ونسأله جلّ وعلا أن يجعلنا ممن استجابوا لله ورسوله.

قال جلّ وعلا في سورة الأنفال: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَوْتِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ }⁽²⁾ .

وأدعوه تعالى وأتضع إليه بقوله تعالى في سورة آل عمران: { رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمَنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَوْلِيَاءِ }⁽³⁾ .

4 . نداء الحقيقة بصحة ما عليه الشيعة من أدلة خصومهم:

من الطبيعي جداً أنه في حال وجود خلاف بين شخصين أو جماعتين أن يدعم كل طرف موقفه بإقامة الأدلة على قوة موقفه وذلك من خلال أدلته التي يؤمها ويعترف بها ولذلك لو ناقشت أي طرف بمسألة ما، فإنه سيقول لك دليلي على صحة ما أقول من عندي كذا وكذا، ولكن الشيء المتميز عند شيعة أهل البيت (عليهم السلام) هو وجود ركيزتين أساسيتين على صدق وأحقية مذهبهم.

1 - قرب الإسناد : 36.

2- الأنفال: 24.

3 - آل عمران : 193.

الأولى: أنهم يأخذون أحكامهم من النبي محمد (صلى الله عليه وآله) عن طريق أهل البيت (عليهم السلام)، أي من طريق الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) والإمامين الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة ومن الأئمة المعصومين الطاهرين من أهل البيت.

وهذا المصدر غير مشكوك في ثبوته وقطعيته عند كل طوائف المسلمين، فأهل البيت (عليهم السلام) هم سفينة النجاة، وهم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهراً، وهم الذين من اتبعهم فقد نجا ومن تخلف عنهم هلك، وهم الصراط المستقيم، وحبل الله المتين، وهم وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والضمانة الأكيدة لمن اتبعهم بأنه لن يضل أبداً بحيث لم يثبت أن كل تلك الصفات والميزات التي حباها الله تعالى بها كانت لغوهم من المسلمين، فكانت هذه الوكزة من المميزات الهامة جداً والتي يجب أن تلفت نظر الباحث عن الحقيقة في كل زمان ومكان.

وقد استوفيت البحث في حقيقة أهل البيت (عليهم السلام) وحققهم وأحقيتهم، وصفاتهم ومميزاتهم وما أوصى الله تعالى

ورسوله فيهم وفي حقوقهم في عدّة أبحاث سابقة، منها: كتابنا سبيل المستبصرين، وكتاب محورية حديث الثقلين، وبالمناسبة فقد كانت كلّ الأدلّة التي تدلّ على أهل البيت (عليهم السلام) من كتب ومراجع أهل السنة والجماعة التي أقرّها واعترفوا بصحتها.

وسوف أجمل في نهاية الكتاب عدداً من الآيات والأحاديث والتي تتعلق بأهل البيت وفضلهم وأفضليتهم عليهم الصلاة والسلام.

الثانية: أنّ ما يشمل مذهب أهل البيت (عليهم السلام) من عقائد وأحكام تتوافر الأدلّة الشرعية على ثبوتها ومصداقيتها من كتب أهل السنة والجماعة، والتي اتفق أولئك على اعتبارها.

الصفحة 360

فإنّ القيام بتدعيم عقائدك وأحكامك الشرعية من أدلّة الخصوم هو الأمر الملفت والمثير لكلّ باحث عن الحقيقة، إذ المتعارف أنّ يأتي كلّ طرف بأدلّته من عنده، بينما في هذه الحالة يستطيع الباحث أن يأتي بالأدلة ويثبت عقائد وأحكام الشيعة الإمامية ليس من عندهم فقط، بل ويعززها ويقوّيها من أدلّة الخصوم أنفسهم وبشكل واضح وكثيف، فبالإضافة إلى ما عندهم من أدلّة واضحة وكافية، ومن أجل أن تظهر الحجّة البالغة، فإنّ كتب أهل السنة ممثلة بالشواهد والرواهين على أن الشيعة يتبعون الحقّ في كليات المذهب وجزئياته.

ولذلك فإنّ توفر الأدلّة الشرعية الصحيحة والقوية من عند الطرف المخصوم وأنّ يضيف عليها أيضاً وبشكل واضح جلي أدلّة من عند الخصوم، هو دليل واضح قويّ على أنّ مذهب أهل البيت (عليه السلام) هو الحقّ من ربهم، وهو الأحقّ بالاتباع والتسليم.

فهذه الركيزة الواضحة البيّنة هي التي تتسلطّ الأضواء عليها عند المستبصر، وكفى بها شاهداً قوياً لتنتير قلب المؤمن وتطمئنه بأنّه على خطى الحق سائر مع الحق وعلى الصراط المستقيم.

كما أنّه وبالتجربة المشاهدة أنّك عند مناقشة أيّ شخص من أهل السنة، فإنّه لا يطلب أدلّة من عند أهل البيت (عليهم السلام) (وهذا أمر نتأسّف عليه كثيراً) بل إنّه يطلب مما عندهم، أي من مفسريهم، ومن البخلي ومسلم وغيرها من صحاحهم ومسانيدهم.

ولذلك كان المستبصر دائماً قويّ الحجّة والوهان لنفسه ولغيره، لكثرة اطلاعه على ما عند القوم من مسائل وأدلة، مما يعزّز الإيمان عنده، وكذلك عند من يقرّ بالحق ويعترف به ويستسلم أمامه.



لقد كانت تجربتنا خصبة ومثورة في هذا الباب فلقد كان من أكثر أسباب استبصار المؤمنين وتحولهم إلى المذهب الحق، مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، واعتناقهم لعقائده وأحكامه من خلال كتب أهل السنة والجماعة فقط، وقبل الرجوع إلى أدلة أهل البيت وأحاديثهم، وهذا أعتوه من الأعاجيب العقلية النادرة في هذا الوجود.

ولقد كان من أهم المصادر التي تحقوي على مضمون موضوعنا كتاب الراجعات للسيد عبد الحسين شرف الدين، الذي أقام عشرات الأدلة والواهين من القوان الكريم، ومن صحاح ومسانيد أهل السنة والجماعة على حقيقة ما عند الشيعة، ومن خلال حورية رائعة مع الشيخ سليم البشوي، والتي أدت في نهايتها إلى استبصاره واعتناقه لمذهب أهل البيت (عليهم السلام).

وعلى ذلك فإنني في هذا الباب سأحاول أن أتعرض لبعض العقائد والأحكام البارزة في مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، والتي تعتبر علامة بارزة عند الناس على التشيع، مستعرضاً لها باختصار، ومظهراً للأدلة على إثباتها من القوان الكريم ومن أدلة أهل السنة، وبشكل مبسّر ومن دون الخوض في تفاصيل مملّة للقلبي، ولكن الغرض الذي رُجوه هو إثبات أن كل أصل أو فرع عند الشيعة الإمامية موجود ومعترف به عند أهل السنة، ومهما حاول البعض الطعن في مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، فإنّ الحجة لازالت قائمة على افتراء الطاعنين الذين أدّى بهم الحقد على أهل البيت أن أعانوا طباعة بعض مصادر أهل السنة، وحذفوا في الطباعات الجديدة كثيراً من الروايات التي تثبت حقيقة أهل البيت وأحقيّتهم وفضلهم وفضائلهم، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المبغضون والمنافقون.

التوحيد:

يشهد الشيعة الإمامية أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، ويشهدون بها أمام القاضي والداني، ولا ينكر ذلك إلا جاهل أو مكفر حاق، فهم مسلمون مؤمنون بالله تعالى ويوحدانيتّه، وهذا الاعتقاد بالقول والفعل يضعهم في دائرة أنّهم مسلمون لا يجوز لأحد أن يطعن في إسلامهم وإيمانهم، فمن يحكم بغير إسلامهم فقد خرج هو من دائرة الإسلام.

إنّ ما يجري اليوم ضدّ الشيعة، أتباع أهل البيت (عليهم السلام) من تكفير وقتل وتشريد، هو خروج عن كل المفاهيم التي تضمّنتها الآيات القوانية الشريفة، وهو أيضاً خروج عن الأدلة من الأحاديث الشريفة التي أجمعوا على صحتها، وهذا يدلّ على أنّ أولئك المكفّرين ليس لهم دين، وكلّ ما يستنون إليه من مبررات ناجم عن الحقد والبغض والضغائن، وناجم أيضاً عن أتباع الشيطان وعبادته، وهذا ليس غريباً على أولئك الحمقى، فبالأمس خرجوا على إمامهم علي بن أبي طالب وحكموا عليه بالكفر وقتلوه.

روى البخاري في صحيحه، في كتاب الأدب، عن أبي هريرة وابن عمر: أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: إذا قال الرجل لأخيه يا كافر، فقد باء به أحدهما. ورواه أيضاً مسلم وغوه كثير (1).

قال السيوطي في الدر المنثور: أخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل عن الحسن: أنّ ناساً من أصحاب رسول الله (صلى

الله عليه وآله) ذهبوا يتطوّقون، فلقوا أناساً من العدو، فحملوا عليهم فهزموهم، فشدّ رجل منهم، فتبعه رجل يريد متاعه، فلما غشيه بالسنان قال: إنّي مسلم، إنّي مسلم. فأوجره السنان فقتله وأخذ متاعه،

1 - صحيح البخاري 7 : 97، صحيح مسلم 1 : 57، مسند أحمد 2 : 44، 47 و غيرها.

الصفحة 363

فرفع ذلك إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) للقاتل: أقتلته بعد أن قال إنّي مسلم؟! قال: يا رسول الله، إنّما قالها متعوّذاً. قال: أفلا شققت عن قلبه؟ قال: لم يا رسول الله؟ قال: لتعلم أصادق هو أو كاذب! قال: وكنت عالماً ذلك يا رسول الله؟ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إنّما كان يعبرّ عنه لسانه، إنّما كان يعبرّ عنه لسانه. قال: فما لبث القاتل أن مات، فحفر له أصحابه، فأصبح وقد وضعت الأرض، ثمّ عادوا فحفروا له، فأصبح وقد وضعت الأرض إلى جنب قوه. قال الحسن: فلا أوري كم قال أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، كم دفنناه، موتين أو ثلاثة، كل ذلك لا تقبله الأرض، فلما رأينا الأرض لا تقبله، أخذنا وجليه فألقيناه في بعض تلك الشعاب، فأقول الله: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا }** (1) (2).

قال السيوطي في الدرّ المنثور: أخرج ابن جرير عن ابن زيد في الآية قال: تولت في رجل قتله أبو الورداء، كانوا في سرية، فعدل أبو الورداء إلى شعب يريد حاجة له، فوجد رجلاً من القوم في غنم له، فحمل عليه السيف، فقال: لا إله إلا الله، فضوبه، ثمّ جاء بغنمه إلى القوم، ثمّ وجد في نفسه شيئاً، فأتى النبي (صلى الله عليه وآله)، فذكر ذلك له، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): ألا شققت عن قلبه؟! فقال: ما عسيت أجد، هل هو يا رسول الله إلا دم أو ماء؟! فقال: فقد أخرك بلسانه فلم تصدّقه. قال: كيف بي يا رسول الله؟ قال: فكيف بلا إله إلا الله! قال: فكيف بي يا رسول الله؟ قال: فكيف بلا إله إلا الله حتى تمنيت أن يكون ذلك مبتدأ إسلامي. قال: وتول القوان: **{ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً }** حتى

1- النساء : 94.

2- الدرّ المنثور 2 : 201.

الصفحة 364

بلغ: **{ إِلَّا أَنْ يَصْدُقُوا }** (1) قال: إلا أن يضعوها (2).

وقال السيوطي في الدرّ المنثور: أخرج عبد الزقاق وابن جرير من طريق معمر، عن قتادة في قوله: **{ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا }** (3) قال: بلغني أن رجلاً من المسلمين أغار على رجل من المشركين، فحمل عليه فقال له المشرك: إنّي مسلم، أشهد أن لا إله إلا الله، فقتله المسلم بعد أن قالها، فبلغ ذلك النبي (صلى الله عليه وآله)، فقال للذي قتله: أقتلته وقد قال لا إله إلا الله؟! فقال وهو يعتذر: يا نبيّ الله، إنّما قال متعوّذاً وليس كذلك. فقال النبي (صلى الله عليه وآله): فهلا

1- المستترك على الصحيحين 3 : 38 ، السنن الكوى للنسائي 5 : 111 ، المعجم الكبير 2 : 11.

2- صحيح البخري 1 : 41 ، صحيح مسلم 1 : 45.

3- صحيح البخري 7 : 43.

4- المصدر نفسه 7 : 137.

الصفحة 366

دخل الجنة قطعاً، عن عثمان قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة⁽¹⁾. وبالتالي فالشيعة يشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وهم أيضاً يقيمون الصلوات الخمس، ويؤتون الزكاة، ويصومون شهر رمضان، ويحجون بيت الله الحرام، ويؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر، ويقرون بأن الموت حق والبعث حق والجنة والنار حق.

وهذا هو الحق، وهو ما يفعلونه ويقرونه ويؤمنون به، فهم مسلمون مؤمنون على هدى من ربهم وهم المفلحون.

قال تعالى في سورة البقرة: { بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ اَلَمْ ذَلِكِ الْكِتَابِ لَا رَيْبُ فِیْهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِیْنَ الَّذِیْنَ یُؤْمِنُونَ بِالْغَیْبِ وَیَقِیْمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ یَنْفِقُونَ وَالَّذِیْنَ یُؤْمِنُونَ بِمَا اُنزِلَ اِلَیْكَ وَمَا اُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ یُوقِنُونَ اُولٰٓئِكَ عَلٰی هُدًى مِّنْ رَبِّهِمْ وَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْمَفْلُحُونَ }⁽²⁾.

وروى البخري في صحيحه، في كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من آمن بالله، ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها⁽³⁾.

الرؤية:

1- صحيح مسلم 1 : 41.

2- البقرة 1 - 5.

3- صحيح البخري 3 : 202.

الصفحة 367

يعتقد الشيعة أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) أنه من غير الممكن رؤية الله تعالى، بل إنه من غير الجائز لا في الدنيا ولا في الآخرة.

والدليل على صحة هذا الاعتقاد واضح جلي في القرآن الكريم، وكذلك في الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) من عند العامة.

يقول سبحانه وتعالى في سورة الأنعام: { لَا تُرْكِعْهُ اَلْأَبْصَارُ وَهُوَ يَدْرِكُ اَلْأَبْصَارُ وَهُوَ اَللَّطِیْفُ اَلْخَبِیْرُ }⁽¹⁾.

روى البخاري في صحيحه، في كتاب التفسير، باب تفسير سورة النجم، عن مسروق قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: يا أمّنا، هل رأى محمد (صلى الله عليه وآله) ربه؟ فقالت: لقد قفّ شعوي مما قلت، أين أنت من ثلاث، من حدثكهن فقد كذب: من حدثك أنّ محمداً (صلى الله عليه وآله) رأى ربه فقد كذب، ثم قأت: **{ لا تُرْكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يَدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ }** (2).

إنّ الآية تشير بوضوح إلى عدم إمكانية الرؤية، ولا مزية في ذلك عند من يفهم اللغة العربية، ثم إن الآية معززة بحديث عائشة تقرّر نفس المعنى.

وعلى كل: فإنّ موضوع الرؤية مختلف فيه بين مذاهب أهل السنة أنفسهم، ولكنني أقول: إن أي حديث يعرض الآية مردود.

كما أنّ الآية لا تتعرض مع قوله تعالى **{ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ }**، فلقد أقرّ عدد كبير من علماء العامة أنّ معنى ناطرة هو منتظرة، أي منتظرة للثواب والحساب (3).

وقال تعالى في سورة الأعراف: **{ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ }**

1- الأنعام : 103.

2- صحيح البخاري 6 : 50.

3- أنظر مثلاً أحكام القرآن للخصاص 3 : 6.

الصفحة 368

رَبِّ رُنِي أَنْظِرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ وَانِي وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجِبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانِهِ فَسَوْفَ وَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجِبَلِ جَعَلَهُ دَكَاةً وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعْقًا فَلَمَّا أفاقَ قَالَ سَبْحَانَكَ تَبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ **{** (1).

وفي الآية إشارات وقوائن متعدّدة وواضحة تشير إلى عدم إمكانية الرؤية، منها أداة النهي في قوله: لن واني وهي تدلّ على التأييد، وقريئة أخرى تدلّل بأن طلب الرؤية لا يجوز؛ ولذلك قال موسى (عليه السلام): إنّي تبت إليك.

ومما يدلّ على عدم إمكانية الرؤية وأن طلب الرؤية هو معصية كبيرة توجب غضب الربّ وسخطه، هو قوله جلّ وعلا في سورة البقرة: **{ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَوَىٰ اللَّهُ جَهَنَّمَ فَأَخَذْنَاكَ مِنَ الصَّاعِقَةِ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ }** (2).

وقوله تعالى في سورة النساء: **{ يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ جَهَنَّمَ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةَ بظلمهم }** (3).

لاحظ الآية: إنّ العذاب تولّ بهم بسبب سؤالهم موسى أن يريهم الله فكانت النتيجة نزول العذاب؛ لأنّ سؤالهم الرؤية هو

الظلم بعينه، فقد اعتبر الشلوع المقدّس أنّ هذا السؤال والبحث فيه هو ظلم كبير يوجب العذاب الشديد؛ لأنّ سؤال شيء لا

يمكن تحقيقه مع ما فيه من إساءة للأدب مع الله تعالى.

وقال تعالى في سورة البقرة: { أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلُوا }^١

1 - الأعراف : 143.

2 - البقرة : 55.

3- النساء : 153.

الصفحة 369

{ مُوسَى مِنْ قَبْلِ وَمَنْ يَتَبَدَّلَ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سِوَاءَ السَّبِيلِ }⁽¹⁾

وهنا تحذير للمسلمين جميعاً أن لا يسألوا رسول الله كما سأل بنو إسرائيل وهو الرؤية، ثم جاءت القرينة في نفس الآية لتؤكد أن سؤال الرؤية هو استبدال للإيمان، وأن من يفعل ذلك فقد ضلّ ضللاً مبيناً. ومن كل ما ذكرنا، فإنه يظهر وبشكل واضح أن اعتقاد أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم هو الحق والصواب، وذلك من خلال الاستدلال من القرآن الكريم ومن خلال الحديث.

الرجعة:

وهي الرجوع إلى الدنيا بعد الموت، وهو اعتقاد عند أهل البيت وشيعتهم بأن الله تعالى يعيد قوماً بعد موتهم إلى الدنيا قبل يوم القيامة، فيعزّز فريقا ويذل آخرين، وذلك عند ظهور قائم آل محمد الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فوجه الشريف. والبحث في هذا الموضوع هو في إمكانية الرجعة أو استحالتها، ونقول: إن الإمكانية متحققة، ويمكن الاستدلال عليها بعدد كبير من الدلائل القطعية، ولا يخالف في ذلك أحد إلا خلع عن التوحيد وقواعد الإيمان الحقيقية. فإله سبحانه وتعالى قادر على ذلك، إذ هو الذي لوجد الأشياء من العدم، وهو القادر على إعادتها كما لوجدها، وبالتالي صلت قضية الرجعة هي كالبعث، ولكنها بعث جزئي، ومن يؤمن بالبعث يسهل عليه الإيمان بالرجعة، ومن ينكر البعث فإنكار الرجعة عنده محقق.

1 - البقرة : 108.

الصفحة 370

والإنسان بطبيعته ينكر القضايا غير المألوفة له، فعندما يسمع عما هو غير مألوف له، فإنه ينكوه في الحال، ولذلك عندما أخبر نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) بما هو غير مألوف في المجتمع الجاهلي بما يتعلق بقضية البعث، وأن البعث حق يجب الإيمان به أنكروا ذلك.

يقول الحق تبارك وتعالى في سورة يس: { وَضَوَّبْنَا لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يَحْيِيهَا الَّذِي

{ أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ }⁽¹⁾

والذي يجب أن يكون عليه المسلمون اليوم هو أنه في حال ظهور أمر غير مألوف أن يلجؤوا إلى النصوص الشرعية القطعية وأن يوضحوا لها، وأن لا يحكموا بالنفي أو الإثبات على ما هو غير مألوف لهم من دون أن يجلعوا النصوص الشرعية القطعية هي الحكم على ذلك الأمر غير المألوف، وبعبارة أخرى: أن لا يجعلوا أهواءهم وراءهم القاصوة حكماً على ذلك بل الحكم هو النصوص الشرعية.

إن الناظر المدقق في شوعنا الحنيف يجد عشرات الأدلة التي تقرر إمكانية الرجعة وحدثها، وهو ما سوف نستعرضه بعد قليل، ولكنني أحب أن أقدم دليلاً أولياً على إمكانية الرجعة في زمن الإمام المهدي عجل الله تعالى فوجهه، وهو دليل لا يمكن أن يخالفه أحد، وهو دليل قطعي ومتواتر أجمع عليه المسلمون بكافة طوائفهم، ثم نستمر في سرد الأدلة على إمكان الرجعة وحصولها.

1 - من المقطوع به عند كل المسلمين أن سيدنا عيسى (عليه السلام) سوف يقول

1- يس : 78.

الصفحة 371

إلى الأرض عند ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) وأن سيدنا عيسى سوف يصلّي خلف الإمام (عليه السلام) وسوف يكون تابعا له وتحت طاعته، وهذا ممّا لا يختلف عليه أحد.

ومن المقطوع به أيضاً عند كل المسلمين أن الله سبحانه وتعالى قد أعطى سيدنا عيسى (عليه السلام) القوّة على إحياء الموتى بإذنه، فقد قال تعالى في سورة آل عمران: **{ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ } وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفِخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَوْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمِمَّا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ } (1)**

وقال تعالى في سورة المائدة: **{ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفِخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَوْراً بِإِذْنِي وَتَكُونُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي } (2)**

فكما أحيا سيدنا عيسى (عليه السلام) بعض الموتى بإذن الله، فإنه في عصر الإمام المهدي (عليه السلام) يستطيع بإذن الله تعالى أن يعيد بعض الأموات إلى الدنيا، فمن يؤمن بنبي الله عيسى يجب أن يؤمن بإمكان الرجعة عندما يعود (عليه السلام) مع إمامنا المهدي عجل الله تعالى فوجه الشريف.

2 - ومن الأدلة على إمكان الرجعة هو حصولها في الأمم السابقة كما ذكر القوان الكريم، وإذا حصلت الرجعة في الأمم السابقة، فإنه بالإمكان حصولها في هذه الأمة، وحصولها في الأمم السابقة يثبت أنها سنة إلهية، والسنة الإلهية لا تتغير ولا تتبدل بدليل قوله تعالى في سورة الأحزاب: **{ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ**

خَلَوْا مِنْ قَبْلِ وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا ⁽¹⁾ وقد أكدت الروايات أن ما حصل في الأمم السابقة سوف يحصل عندنا وأنها سوف نتبع سنن من قبلنا شوا بشير وفواعا بفواع، وحذو النعل بالنعل والقذة بالقذة.

واليك بعض الشواهد من القرآن الكريم والتي تشير إلى حصول الرجعة في الأمم السابقة:

أ- قال تعالى في سورة البقرة: **{وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَوَىٰ اللَّهُ جِهَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ؟ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُشْكِرُونَ** ⁽²⁾.

ب- وقال تعالى في سورة البقرة: **{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذِرُ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ** ⁽³⁾.

ج- وقال تعالى في سورة البقرة: **{أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طِعَامِكُمْ وَشِرَابِكُمْ لَمْ يَتَسَنَّوْا وَانظُرْ إِلَىٰ دِمَائِكُمْ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نَنْشُرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ⁽⁴⁾.

د- قصة أهل الكهف الذين لجؤوا إلى الكهف ولبثوا فيه عشرات السنين

ثم بعثهم الله تعالى، قال تعالى في سورة الكهف: **{وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَبُوا تِسْعًا** ⁽¹⁾. والقصة مبينة في القرآن الكريم في سورة الكهف.

هـ- إحياء قنيل بني إسرائيل كما في سورة البقرة، يقول جلّ وعلا في سورة البقرة: **{فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي**

اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ⁽²⁾.

و- إحياء الطيور لسيدنا إبراهيم (عليه السلام)، قال تعالى في سورة البقرة: **{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ لِنِّي كَيْفَ تَحْيِي الْمَوْتَىٰ**

قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخَذَ مِنْ أَلْيَمِ يَمِينِ الطَّيْرِ فَصَوَّهِنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُوعًا ثُمَّ

ز - إحياء ذي القرنين ورجعته مرتين، وهذا ثابت في روايات كل طوائف وفق المسلمين.

قال تعالى في سورة الكهف: **{وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا} إِنْ مَكَانُ لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيلًا { (4) .**

قال السيوطي في الدرّ [عبد الحكم في فوح مصر، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في المصاحف، وابن

مردويه، من طريق أبي الطفيل، أنّ ابن الكواء سأل علي بن أبي طالب عن ذي القرنين: أنبيا كان أم ملكا؟ قال: لم يكن نبيا ولا ملكا، ولكن كان عبدا صالحا أحب الله فأحبه، ونصح الله فنصحه

1- الكهف : 25.

2 - البقرة : 73.

3 - البقرة : 260.

4- الكهف : 83 - 84 .

الصفحة 374

بعثه الله إلى قومه، فضويه على قومه فمات، ثم أحياه الله لجهادهم، ثم بعثه إلى قومه فضويه على قومه الآخر فمات،

فأحياه الله لجهادهم، فلذلك سمّي ذا القرنين، وإنّ فيكم مثله ⁽¹⁾. وأورده العسقلاني في فتح البلري شوح صحيح البخري وبيّن أنّ سفيان ابن عيينة أخرج هذا الحديث في جامعه بسند صحيح ⁽²⁾.

وقال السيوطي في الدرّ المنثور قال: أخرج ابن إسحاق والفريابي وابن أبي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت، وابن

المنذر وابن أبي حاتم من طوق، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنّه سئل عن ذي القرنين فقال: كان عبدا أحبّ الله

فأحبه، وناصح الله فناصحه، فبعثه إلى قوم يدعوهم إلى الله، فدعاهم إلى الله وإلى الإسلام، فضويه على قومه الأيمن فمات،

فأمسكه الله ما شاء، ثمّ بعثه، فرسله إلى أمة أخرى يدعوهم إلى الله وإلى الإسلام، فضويه على قومه الأيسر فمات، فأمسكه الله

ما شاء ثمّ بعثه، فسخر له السحاب، وخوة فيه فاختر صعبه على ذلوله وصعبه الذي لا يمطر ويسط له النور، ومد له

الأسباب، وجعل الليل والنهار عليه سواء، فبذلك بلغ مشرق الأرض ومغربها ⁽³⁾.

ح- إحياء أهل النبي أيّوب (عليه السلام)، قال جلّ وعلا في سورة الأنبياء: **{وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضَّرُّ وَأَنْتَ**

رَّحِيمٌ الرَّاحِمِينَ} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكُشِفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ { (4) .

1- الدرّ المنثور 4 : 241.

2 - فتح البلري 6 : 271.

قال السيوطي في الدرّ المنثور قال: أخرج ابن جرير عن ابن جريح في قوله: **{وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمَثَلَهُمْ مَعَهُمْ}** قال: أحياهم بأعيانهم وزاد إليهم مثلهم ⁽¹⁾.

وقال السيوطي في الدرّ المنثور: أخرج ابن جرير عن الحسن وقتادة في قوله: **{وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمَثَلَهُمْ مَعَهُمْ}** قال: أحيأ الله له أهله بأعيانهم وزاده الله مثلهم ⁽²⁾.

وروى الطوي في جامع البيان، عن ابن عباس: لما دعا أيوب، استجاب الله له، وأبدله بكل شيء ذهب له ضعفين؛ رد إليه أهله ومثلهم معهم ⁽³⁾.

وروى الطواني عن الضحّك بن مزاحم قال: بلغ ابن مسعود أن مروان يقول: **{وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمَثَلَهُمْ مَعَهُمْ}** قال: أتى أهلاً غير أهله. فقال ابن مسعود: بل أتى بأهله بأعيانهم ومثلهم معهم ⁽⁴⁾.

3 - آيات تدلّ على حصول الرجعة قبل يوم القيامة:

أ- قال تعالى في سورة النمل: **{وَيَوْمَ نُحْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يَكْذِبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ}** ⁽⁵⁾.

هذه الآية تدلّ على رجعة أقوام معيّنين قبل يوم القيامة، وذلك لوجود قرائن تدلّ على الرجعة، وعلى أن الحشر المقصود

في الآية هو حشر خاص قبل يوم القيامة، وليس هو الحشر العام لكلّ الخلق في يوم القيامة.

وذلك بدلالة حرف (من) في الآية، والذي يدلّ على التبويض، أي أن هذا الحشر الخاص سوف يكون لبعض الأquad من كلّ أمة.

1- الدرّ المنثور 4 : 328، وأنظر تفسير الطوي 17 : 96.

2- الدرّ المنثور 4 : 328.

3- تفسير الطوي (جامع البيان) 17 : 95.

4- المعجم الكبير 19 : 224.

5- النمل 83.

والدلالة الثانية من قوبنة في آية أخرى، وهي قوله تعالى في سورة الأنعام: **{وَيَوْمَ نُحْشِرُهُمْ جَمِيعًا}** ⁽¹⁾. وهي تدلّ هنا

على الحشر العام. وأيضاً قوله تعالى في سورة الكهف: **{وَيَوْمَ نَسِيرُ الْجِبَالِ وَتَوَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَا هُمْ فَلَمَّ تَغَادَرُ مِنْهُمْ أَحَدًا}** ⁽²⁾.

ب- قال تعالى في سورة غافر: **{ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَنَا أَتَّيْتْنَا وَأَحْيَيْتَنَا أَتَنْثِنُ فَاَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ }** .

ج- وقال تعالى في سورة الأنبياء: **{ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ }** ⁽⁴⁾ وهي من أعظم الدلائل القوانية في

الرجعة، لأنَّ أحداً من أهل الإسلام لا ينكر أن الناس كلهم يرجعون الى القيامة، من هلك منهم ومن لم يهلك، وهذه الآية

الشريفة أكبر دليل على صحّة القول بالرجعة، فمن المقطوع به أنه في الرجعة الكوى أن جميع الخلق يحشرون، وهذه الآية

تخصيص من الله تبارك و تعالى بمن أهلكه بالعذاب، وهي دليل قوي على الرجعة .

د- قال تعالى في سورة غافر: **{ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ }** ⁽⁵⁾ ومعلوم أن

مئات الأنبياء والرسول لم ينصروا في الدنيا وقتلوا ظلماً، والآية تؤكد أن الله سوف ينصروهم في الحياة الدنيا وهو دليل على

الرجعة.

ه- قال تعالى في سورة السجدة: **{ وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ }**

1- الأنعام : 22.

2- الكهف : 47.

3- غافر : 11.

4- الأنبياء : 95.

5- غافر : 51.

الصفحة 377

{ الْعَذَابِ الْأَكْبَرَ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } ⁽¹⁾ .

و- قال تعالى في سورة القصص: **{ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ }** ⁽²⁾ .

قال السيوطي في الدر المنثور : أخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة رضي الله عنه

في قوله: **{ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ }** قال: هذه مما كان يكتنم ابن عباس ⁽³⁾ .

ز- قال تعالى في سورة النور: **{ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ }** ⁽⁴⁾ .

وهناك آيات كثيرة في القرآن الكريم تتعلّق بالرجعة، ولكننا هنا نكتفي بما ذكرنا من أدلة وشواهد تشير إلى أن موضوع

الرجعة هو حق، وهو من الإسلام، وهو ما يعتقد به أهل البيت وأتباعهم، وهو رأي إسلامي وليس رأياً دخيلاً على الإسلام.

البداء:

البداء هو مقام المحو والإثبات، وهو ظهور المشيئة الإلهية للناس بعد أن كانت خفية عنهم. أي هو الظهور منه تعالى

وظهور رادته لغوه من المخلوقين. وهذا لا يخالف اعتقادنا بالله تعالى وصفاته، ولا يخالف القرآن وآياته، بل إنّه لا يخالف ما

يعتقده العامة أيضاً فحقيقة البداء عند الشيعة هو قوة الانسان على تغيير مصوره بالأعمال الصالحة والطالحة وأنّ الله سبحانه

1- السجدة : 21.

2- القصص : 85.

3- الدر المنثور 5 : 140.

4- النور : 55.

الصفحة 378

تقدواً مشروطاً موقوفاً وتقديراً مطلقاً، والإنسان إنما يتمكن من التأثير في التقدير المشروط، وأن الله عالم في الأزل بما سيقوم به الإنسان، فالله قد يجعل عُمر زيد من الناس مائة سنة لو أطاع والدته وخمسين سنة لو عصاها، فعند طاعة الولد سيكون عمره مائة عام، لكنّ عالم منذ الأزل بأنه سوف يطيع والدته. فليس المعنى كما يدعي أعداء أهل البيت بأنه أمر لم يكن معلوماً عند الله تعالى ثم علمه، أو أنه يستلزم نسبة الجهل من الله تعالى، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. ومن أهم ما يستدلّ عليه من القرآن الكريم على البداء آية المحو والإثبات، وغوها من الآيات التي سنذكر بعضها.

1 - قال تعالى في سورة الرعد: **{ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ }⁽¹⁾**.

قال السيوطي في الدر المنثور : أخرج ابن أبي شيبة في المصنف، وابن أبي الدنيا في الدعاء، عن ابن مسعود قال: ما دعا عبد قط بهذه الدعوات، إلا وسع الله له في معيشته، يا ذا المن ولا يمنّ عليه، يا ذا الجلال والإكرام، يا ذا الطول، لا إله إلا أنت ظهر اللاجين وجار المستجبرين ومأمن الخائفين، إن كنت كتبتني في أم الكتاب شقياً فأمح عني اسم الشقاء، وأثبتني عندك سعيداً، وإن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب محروماً مقترأً عليّ رزقي، فأمح حرمانني، ويسر رزقي، وأثبتني عندك سعيداً موفقاً للخير، فإنك تقول في كتابك الذي أتت **{ يَمْحُوا**

1 - الرعد: 39.

الصفحة 379

اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ }⁽¹⁾. ورواه ابن جرير والطواني .

وقال السيوطي في الدر المنثور : أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، عن عمر بن الخطاب أنه قال وهو يطوف بالبيت: اللهم إن كنت كتبت علي شقوة أو ذنبا فأمحها، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أم الكتاب، فأجعله سعادة ⁽²⁾ ومغفرة .

وروى السيوطي في الجامع الصغير، وأبو نعيم في الحلية، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال:

سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: الصدقة على وجهها، واصطناع المعروف، ويزر الوالدين، وصلة الرحم: تحول

⁽³⁾ الشقاء سعادة، وتريد في العمر، وتقي مصراع سوء .

وروى الحاكم في المستدرک عن ابن عباس في قول الله عز وجل **{ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أَمَّ الْكِتَابِ }** قال: من أحد الكتابين، هما كتابان يمحو الله ما يشاء من أحدهما، ويثبت، وعنده أم الكتاب، أي جملة الكتاب ⁽⁴⁾.

وروى البخاري، ومسلم، في صحيحيهما عن أبي هريرة، وعن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: من سؤء أن يبسط له في رزقه، أو ينسأ له في أؤه، فليصل رحمه ⁽⁵⁾.

وهذا يدل على أن الأجل محدود، والرزق محدود ولكنه هناك أمور إذا

1- الدر المنثور 4 : 66 ، وأنظر تفسير الطوي 13 : 219 - 220 ، والمعجم الكبير 9 : 171 حيث أخرجوا بعضه.

2- الدر المنثور 4 : 66.

3- الجامع الصغير 2 : 115 ، حلية الأولياء 6 : 145.

4- المستدرک على الصحيحين 2 : 349.

5- صحيح البخاري 3 : 8 ، 72 : 7 ، صحيح مسلم 8 : 8.

الصفحة 380

فعلها العبد فإنها تريد في رزقه، وتطيل عوره، وكذلك هناك أمور إذا فعلها تنقص من عوره، وتقلل رزقه، وهذا ما تشير إليه الآية والأحاديث وهو البداء بمعناه الواضح.

2 - وقال تعالى في سورة يونس: **{ فَلَوْ لَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونِسُ لَمَّا آمَنُوا كُشِفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْقَرْيَةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ }** ⁽¹⁾.

3 - قال تعالى في سورة المائدة: **{ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ؟ وَ لَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمَنْ تَحْتِ رِجْلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ }** ⁽²⁾.

4 - قال تعالى في سورة الصافات: **{ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيُ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَأْوَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ؟ وَ نَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمَ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ }** ⁽³⁾.

ومن المعروف أن رؤيا الوسل والأنبياء هي وحي من الله تعالى يجب في حقهم تنفيذه، وهذا ما سعى إليه سيدنا إبراهيم الخليل (عليه السلام)، وهو ما استسلم له سيدنا إسماعيل (عليه السلام)، فكانت الإرادة الإلهية التي ظهرت أن يتم الذبح، ولكن الله تعالى الذي يمحو ما يشاء ويثبت محاسن تلك الإرادة واستبدلها بالذبح العظيم فداء لإسماعيل، لأن إبراهيم الخليل قد صدق الرؤيا واستسلم للإرادة الإلهية

1- يونس : 98.

2- المائدة : 65 - 66.

3- الصافات : 102 - 110.

الصفحة 381

فجزاه الله تعالى بالفداء، ثم بشرنا ربنا أنه من يستسلم لإرادتي ويطيع أمري ويكون محسنا فإنني كذلك أجزيه بحسب مقام المحو والإثبات، ولذلك وكما مر معنا لمعرفة الصحابة بمقام البداء، أي المحو والإثبات، كان عمر بن الخطاب وابن مسعود وغيرهم يدعون بالدعاء الذي مر في بداية البحث.

هذا هو البداء، وهذا معناه، وهو ما عليه الشيعة أتباع مدرسة أهل البيت عليهم، السلام وهو رأي وحكم إسلامي أصيل لا يشكك فيه إلا من اتبع هواه وكان أمره فوطا.

التقية:

التقية هي كتمان الحق وستر الاعتقاد به ومكاتمة المخالفين وترك مظاهرتهم بما يعقب ضررا في الدين والدنيا. ولا يقال: إن التقية هي عين النفاق، لا يقال ذلك؛ لأن النفاق هو أظهار الإيمان وابطان الكفر، وهو ما نهى عنه الشروع المقدس، وهو عكس التقية تماما ويخالفها كليا.

والتقية ليست مما يختص بالشيعة فقط، بل إنها مما يعتقد به العامة أيضا وليس هناك أي دليل عند أعداء أهل البيت (عليهم السلام) يبرر تشنيعهم على الشيعة بخصوص التقية، بل إن الأدلة من القرآن الكريم ومن عند العامة تقر موضوع التقية وتثبتها بشكل واضح ومفصل.

1 - قال تعالى في سورة غافر: **{ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ }⁽¹⁾** . فهذا رجل كتم إيمانه واتقى قومه، فأقرّ القرآن أنه مؤمن.

2 - وقال تعالى في سورة آل عمران: **{ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ }**

1- غافر : 28.

الصفحة 382

{ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيَحْذَرَكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ الْمُصِيرُ }⁽¹⁾

روى القوطي في الجامع قال: قال ابن عباس: هو أن يتكلم بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان، ولا يقتل ولا يأتي ماثما.

وقال الحسن: التقية جائزة للإنسان إلى يوم القيامة، ولا تقية في القتل.

وقأ جابر بن زيد ومجاهد والضحاك: **{ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً }** وقيل: إن المؤمن إذا كان قائما بين الكفار فله أن يدلهم

(2)

باللسان إذا كان خائفاً على نفسه وقلبه مطمئن بالإيمان، والتقية لا تحل إلا مع خوف القتل أو القطع أو الإيذاء العظيم .

قال السيوطي في الدر المنثور: أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله **{ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً }** فالتقية باللسان من حمل على أمر يتكلم به وهو معصية الله، فيتكلم به مخافة الناس وقلبه مطمئن بالإيمان، فإن ذلك لا يضره، إنما التقية باللسان (3) .

3 - وقال تعالى في سورة النحل: **{ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَوْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }** (4) .

قال السيوطي في الدر المنثور: أخرج عبد الزاق وابن سعد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مودويه والحاكم وصححه،

والبيهقي في الدلائل، من

1 - آل عمران : 28.

2 - تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) 4 : 57.

3- الدر المنثور 2 : 16.

4- النحل : 106.

الصفحة 383

طريق أبي عبيدة بن محمد بن عمار، عن أبيه قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر، فلم يتركوه حتى سب النبي وذكر آلهتهم بخير، ثم تركوه، فلما أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: ما وراءك شيء؟ قال: شر، ما تركت حتى نلت منك، وذكرت

آلهتهم بخير، قال: كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئن بالإيمان. قال: إن عانوا فعد. فقلت **{ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ }** (1)

4 - ولقد أقر معظم علماء العامة بجواز المدراة، وصنفوا في كتبهم أبواباً أسموها بالمدراة أي التقية.

قال في النهاية: المدراة: ملاينة الناس وحسن صحبتهم واحتمالهم لئلا ينفروا عنك (2) .

روى الترمذي وأبو داود وغوهم كثير في باب المدراة عن عائشة قالت: استأذن رجل على رسول الله (صلى الله عليه وآله)

وأنا عنده فقال: بئس ابن العشوة أو أخو العشوة ثم أذن له فألان له القول، فلما خرج قلت له: يا رسول الله قلت له ما قلت ثم أنت له القول، قال: يا عائشة، إن من شر الناس من تركه الناس أو ودعه الناس اتقاءً فحشاه (3) .

وروى البخاري في صحيحه في كتاب الأدب، باب المدراة مع الناس، عن أبي الرداء قال: إنا لنكشر في وجوه أقوام، وإن

(4)

قلوبنا لتلعنهم .

وفي فيض القدير، عن سفيان بن عيينة قال: ما من حديث عن المصطفى (صلى الله عليه وآله) صحيح إلا وأصله في

القرآن، فقيل: يا أبا محمد، قوله: رأس العقل بعد الإيمان

1- الدرّ المنثور 4 : 131.

2- النهاية في غريب الحديث 2 : 115.

3- سنن الترمذي 3 : 242، سنن أبي داود 2 : 435.

4- صحيح البخاري 7 : 102.

الصفحة 384

المدراة، أين المدراة في القرآن؟ قال: قوله تعالى: **{وَاهْوَاهُمْ هُنَّ جَمِيلًا}** ⁽¹⁾ فهل الهجر الجميل إلا المدراة ومن ذلك **{ ادْفَعْ بِالنِّبِيِّ هِيَ أَحْسَنَ }** ⁽²⁾ ، **{ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حَسَنًا }** ⁽³⁾ ، **{ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ }** ⁽⁴⁾ وغير ذلك ⁽⁵⁾ .

وروى البخاري في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي، عن أنس ابن مالك قال: أقبل نبي الله (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة وهو مردف أبا بكر، وأبو بكر شيخ يعرف، ونبي الله شاب لا يعرف، قال: فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: يا أبا بكر، من هذا الرجل الذي بين يديك، فيقول: هذا الرجل يهديني السبيل. قال: فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطويق، وإنما يعني سبيل الخير. ورواه أحمد في المسند وغيرهم ⁽⁶⁾ .

وروى السيوطي وغيره عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: رأس العقل بعد الإيمان بالله مدراة الناس ⁽⁷⁾ . وروي عنه أنه قال: مدراة الناس صدقة ⁽⁸⁾ .

وروي عن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن الله تعالى تجاوز لي عن أمتي الخطأ، والنسيان، وما استكروا عليه ⁽⁹⁾ .

وهكذا فإنّ التقيّة أمر مشروع ومقرّر من شوعنا الحنيف، وهي ليست عيباً

1- المزمّل : 10.

2- المؤمنون : 96.

3- البقرة : 83.

4- الثوري : 43.

5- فيض القدير 4 : 4.

6- صحيح البخاري 4 : 259، مسند أحمد 3 : 211.

7- الجامع الصغير 2 : 3، المصنف لابن أبي شيبة 6 : 102.

8- المعجم الأوسط 1 : 146، صحيح ابن حبان 2 : 216.

9- السنن الكوي للبيهقي 7 : 356، الجامع الصغير 1 : 260.

أو شينا يشنّع به على شيعة أهل البيت (عليهم السلام)، بل إنّ الأمر هو الحقّ، وهو ما عليه أهل البيت وأتباعهم.

عدد الأئمة عند المسلمين:

يعتقد الشيعة أتباع أهل البيت (عليهم السلام) أنّ عدد الأئمة الذين نصبهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو اثنا عشر إماماً، كلهم من آل بيت النبي محمد، وهم الأوصياء بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، يعلمونّ الناس معالم دينهم، ويبينونّ لهم الصراط المستقيم وسبيل الناجين.

وهذا التعيين بالعدد المذكور هو أمر إلهي منصوص عليه في القرآن الكريم والحديث النبويّ عند كل طوائف المسلمين، وهو ما عرف من سنة الله تعالى في الأمم السابقة بأنه كان لكل أمة اثني عشر نقيبا ووَصِيًّا وإماماً. قال تعالى في سورة المائدة: **{ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا }⁽¹⁾** . وكذلك أوصياء نبيّ الله عيسى كانوا اثنا عشر وصياً ونقيباً.

قال تعالى في سورة آل عمران: **{ فَلَمَّا أَحْسَنَ عَيْسَىٰ مِنْهُمْ الْكُفْرُ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَآشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ }⁽²⁾** .

قال القوطي في تفسيره: والحواريون أصحاب عيسى (عليه السلام)، وكانوا اثني عشر رجلاً؛ قاله الكلبي وأبو روق⁽³⁾ . وقال القوطي: قال الضحاك: كانت القصة لما رأوا قتل عيسى، اجتمع

1- المائدة : 12.

2- آل عمران : 52.

3- تفسير القوطي 4 : 97.

⁽¹⁾ الحواريون في غرفة وهم اثنا عشر رجلاً .

قال السيوطي في الدر المنثور: أخرج ابن إسحق، وابن سعد، عن عبد الله ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) للنفر الذين لاقوه بالعقبة: اخرجوا إليّ اثني عشر رجلاً منكم يكونوا كفلاء على قومهم كما كفلت الحواريون لعيسى بن مريم⁽²⁾ .

وهذا ينطبق على أمة نبيّنا محمد (صلى الله عليه وآله)، فكما قال: إنّنا سننتبع سنن من قبلنا من اليهود والنصرى شوا بشير وفواعا بفواع، ولذلك كان هذا التحديد لعدد الأوصياء والنقباء من سنن الله تعالى فينا كما كان في الذين خلوا من قبلنا، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

وقال السيوطي في الدر المنثور: أخرج أحمد في المسند والحاكم في المستدرک عن ابن مسعود أنّه سئل كم يملك هذه الأمة⁽³⁾

(3)

من خليفة؟. فقال: سألنا عنها رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: اثنا عشر كعدة بني إسرائيل .

وبناء على ذلك، فقد وردت عشرات الروايات الصحيحة في صحاح المسلمين ومسانيدهم تحدّد أنّ أوصياء النبيّ محمد (صلى الله عليه وآله) والأئمة الخلفاء من بعده هم اثنا عشر إماماً، ولذلك يطلق على الشيعة الإمامية أنّهم الاثنا عشرية؛ وذلك نسبة لعدد الأئمة الذين حدّدهم الشلوع المقدّس، فهم لم يخزّوا هذا العدد، بل إنّهم التّموا أمر الله تعالى وسنته في الأئمة، وهو الموجود في صحاح العامة، واليك بعض الأمثلة على ذلك.

روى البخري في صحيحه، في كتاب الأحكام، باب الاستخلاف، عن

1 - تفسير القوطي 4 : 100.

2- الدر المنثور 2: 214 .

3- الدر المنثور 2 : 267، وأنظر مسند أحمد 1 : 398.

الصفحة 387

جابر بن سورة قال: سمعت النبيّ (صلى الله عليه وآله) يقول: "يكون اثنا عشر أمراً" فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال: كلهم من قريش .⁽¹⁾

وروى مسلم في صحيحه، في كتاب الإمارة، عن جابر بن سورة. قال: دخلت مع أبي على النبيّ (صلى الله عليه وآله). فسمعتة يقول: إنّ هذا الأمر لا ينقضي حتّى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة. قال: ثم تكلم بكلام خفي علي. قال فقلت لأبي: ما قال؟ قال كلهم من قريش .⁽²⁾

وروى الحاكم في المستدرک، عن جابر بن سورة قال: كنت عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) فسمعتة يقول: لا زال أمر هذه الأمة ظاهراً حتّى يقوم اثنا عشر خليفة .⁽³⁾

وأورد المئوي في فيض القدير عن ابن مسعود قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إنّ عدة الخلفاء من بعدي عدة نعباء بني إسرائيل .⁽⁴⁾

وهؤلاء الأئمة هم من نوية رسول الله (صلى الله عليه وآله) كما في الروايات، لكن المهم هنا هو أنّ تُعتقد أنّ العدد هو بتحديد من الله تعالى، ومع ذلك سوف أورد بعض الروايات التي تعيّن أنّهم من نوية رسول الله (صلى الله عليه وآله) على سبيل المثال، والمجال هنا فقط لإظهار أنّ عدد الأئمة الذي يعتقد به الشيعة أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) هو الحق، وهو ما تدلّ عليه الآيات والأحاديث والسنن الإلهية، أما من هم أئمة المسلمين الاثنا عشر؟ فهم الذين نصبهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) من بعده، وهم من نويته، وكلهم من بني هاشم.

روى بن كثير في البداية والنهاية قال: عن السفر الأوّل من التوراة في قصة

1 - صحيح البخاري 8 : 127.

2- صحيح مسلم 6 : 3.

3 - المستترك على الصحيحين 3 : 617.

4- فيض القدير 2 : 582.

الصفحة 388

إبراهيم الخليل (عليه السلام) ما مضمونه وتعريبه - واللفظ لابن كثير - : إن الله وُحى إلى إبراهيم: وأما ولدك إسماعيل فإنني بلركته وعظمته وكثرت نريته، وجعلت من نريته ما، يعني محمداً (صلى الله عليه وآله) ، وجعلت في نريته اثنا عشر إماماً (1) .

وروي في ينابيع المودة نقلاً عن كتاب فائد السمطين، حيث أخرج بسنده عن مجاهد، عن ابن عباس قال : قدم يهودي يقال له نعتل فقال : يا محمد، أسألك عن أشياء تلجلج في صوري منذ حين، فإن أجبتني عنها أسلمت على يدك قال (صلى الله عليه وآله) : "سل يا أبا عمرة" .
فسأل عدة أسئلة إلى أن قال:

فأخبرني عن وصيِّك من هو؟. فما من نبيّ إلا و له وصي؟ وإنّ نبينا موسى ابن عمران أوصى إلى يوشع بن نون .
فقال (صلى الله عليه وآله): إنّ وصيي عليّ بن أبي طالب، وبعده سبطاي الحسن و الحسين، تتلوه تسعة أئمة من صلب الحسين . قال : يا محمد فسمهم لي .

قال (صلى الله عليه وآله) : إذا مضى الحسين ، فابنه عليّ ، فإذا مضى عليّ ، فابنه محمد ، فإذا مضى محمد ، فابنه جعفر ، فإذا مضى جعفر ، فابنه موسى ، فإذا مضى موسى ، فابنه عليّ ، فإذا مضى عليّ ، فابنه محمد ، فإذا مضى محمد ، فابنه عليّ ، فإذا مضى عليّ ، فابنه الحسن ، فإذا مضى الحسن ، فابنه الحجة محمد المهدي، قَوْلَاء اثنا عشر .

قال نعتل : أخبرني عن كيفية موت عليّ والحسن و الحسين؟

قال (صلى الله عليه وآله) : يقتل عليّ بضربة على قومه، والحسن يقتل بالسم، والحسين بالذبح .

قال نعتل : فأين مكانهم ؟

1 - البداية والنهاية 6 : 198 - 199.

الصفحة 389

قال (صلى الله عليه وآله): في الجنة في زوجتي .

قال: أشهد أنّ لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وأشهد أنّهم الأوصياء بعدك، ولقد وجدت في كتب الأنبياء المتقدمة وفيما عهد إلينا موسى بن عمران (عليه السلام) أنّه إذا كان آخر الزمان، يخرج نبيُّ يُقال له أحمد و محمد و هو خاتم الأنبياء، ولا نبيّ

بعده، فيكون أوصيؤه بعده اثنا عشر، أولهم ابن عمه وختنه...

ثم سأله النبي (صلى الله عليه وآله) فقال له: أتعرف الأسباب؟ قال: نعم ثم عددهم . . .

فقال (صلى الله عليه وآله): كائنٌ في أمّتي ما كان في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة، وإن الثاني عشر من ولدي يغيب حتى لا يرى، ويأتي على أمّتي زمن لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ولا يبقى من الوان إلا رسمه، فحينئذ يأذن الله تبارك وتعالى بالخروج، فيظهر الله الإسلام به وبيدّه، طوبى لمن أحبهم واتبعهم، والويل لمن أبغضهم وخالفهم، طوبى لمن تمسك بهدهم (1).

كما أنّ سنة الله تعالى في مخلوقاته ترتبط ارتباطاً وثيقاً بهذا العدد، فعدد ساعات النهار هو اثنا عشر ساعة، وكذلك عدد ساعات الليل، كما أنّ البروج التي في السماء هي اثنا عشر برجاً، وهي التي أقسم الله تعالى بها في الوان الكريم في عدة آيات منها: قوله تعالى في سورة البروج: **{ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ }** (2).

وقوله جل وعلا في سورة الفرقان: **{ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا }** (3).

روى القوطي في تفسيره قال: فبروج الفلك اثنا عشر برجاً مشيئة من الرفع،

1- ينابيع المودة 3 : 281 - 283.

2 - البروج : 1.

3 - الفرقان : 61.

الصفحة 390

(1) وهي الكواكب العظام .

وكذلك عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في السنة.

قال تعالى في سورة التوبة: **{ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا }** (2).

قال السيوطي في الدر المنثور: أخرج ابن جرير وابن المنذر عن عكرمة قال: لقي النبي (صلى الله عليه وآله) نوا من الأنصار فأمّنوا به وصدّقوا، ورأى أن يذهب معهم فقالوا: يا رسول الله إن بين قومنا حرباً، وأنا نخاف إن جئت على حالك هذه أن لا يتهيأ الذي تريد. فراعوه العام المقبل فقالوا: نذهب برسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلعل الله أن يصلح تلك الحرب، وكانوا يرون أنها لا تصلح، وهي يوم بعثت، فلقوه من العام المقبل سبعين رجلاً قد آمنوا به، فأخذ منهم النقباء اثني عشر رجلاً (3).

أخي الكريم: إنّ كلّ ما ذكرنا هو أدلة قاطعة وإشارات وعلامات تعزّز ما عليه الشيعة الإمامية، وعلى كلّ فإنّ المهمّ في البحث أنّ عدد الأئمة محصور بهذا العدد وحُدّد بأشخاص معينين بتحديد الشلوع المقدس، وهو ما قرّرتّه كلّ مصادر المسلمين، فلا محلّ عند من يعيب على الشيعة الإمامية الاثنا عشرية بعد هذا البيان، فما يعتقد به أهل البيت وأتباعهم هو الحق، وهو

الذي يرضي الربَّ جلَّ وعلا.

إمامة أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام):

1 - تفسير القوطبي 5 : 284.

2- التوبة : 36.

3- الدرّ المنثور 2 : 61.



إمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) بعد رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله) من الأصول المسلم بها عند أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم والمخلصين من أمة محمد (صلى الله عليه وآله).

وهذا الأصل لم يبتدعه البشر، وليس لهم ذلك؛ لأنّ الله تعالى هو الذي أراد ذلك، وهو سبحانه وتعالى الذي أمر وحدّد ليطاع وتطبّق لأدته جلّ وعلا.

والنصوص التي تحدّد إمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) أكثر من أن تحصى، ولقد ذكرنا العشرات منها من القرآن الكريم ومن الحديث الشريف من صحاح ومسانيد أهل السنّة والجماعة، وهي موجودة في كتابنا سبيل المستبصرين، وكتاب محورية حديث الثقلين في العقيدة والأحكام فاجعها هناك.

ولكنني أذكر هنا ببعض الروايات من عند العامة تشير إلى إمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام).

وروى في المعجم الكبير عن سلمان قال: قلت: يا رسول الله، إنّ لكلّ نبيّ وصياً قمنّ وصيك؟ فسكت عني، فلما كان بعد رأني فقال: يا سلمان. فأسعت إليه قلت: لبيك، قال: تعلم من وصيّ موسى؟ قال: نعم، يوشع بن نون، قال: لم قلت: لأنه كان

أعلمهم يومئذ، قال: فإنّ وصيي وموضع سويّ وخير من أتوك بعدي وينجز عدتيّ ويقضي ديني عليّ بن أبي طالب (1).

وروى العقيلي عن سلمان قال: قال النبيّ (صلى الله عليه وآله): وصيي عليّ بن أبي طالب (2).

وروى ابن جرير وغوه عن عليّ قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا بني عبد

1- المعجم الكبير 6 : 221.

2- ضعفاء العقيلي 3 : 469.

المطلب!... إني قد جئتم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيكم يؤزرنني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعاً وقلت:... يا نبيّ الله! أكون وزيرك عليه؟. فأخذ بوقبتي، ثمّ قال: هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا (1).

وروى الطواني عن عليّ بن عليّ الهلالي، عن أبيه قال: دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) في شكاته التي قبض فيها، فإذا فاطمة رضي الله عنها عند رأسه. قال: فبكت حتّى ارتفع صوتها، فرفع رسول الله (صلى الله عليه وآله) طرفه إليها فقال: حبيبتي فاطمة، ما الذي يبكيك؟ فقالت: أخشى الضيعة من بعدك، فقال: يا حبيبتي، أما علمت أنّ الله عزّ وجلّ اطّلع إلى الأرض اطّلاعة فاختار منها أباك، فبعثه بوسالته، ثمّ اطّلع اطّلاعة فاختار منها بعلك، وأوحى إليّ أن أنكحك إياه يا فاطمة، ونحن أهل بيت قد أعطانا الله سبع خصال لم تعط لأحد قبلنا ولا تعطى أحداً بعدنا، أنا خاتم النبيين وأكرم النبيين على الله وأحبّ المخلوقين إلى الله عزّ وجلّ، وأنا أبوك، ووصيي خير الأوصياء وأحبهم إلى الله، وهو بعلك، وشهيدنا خير الشهداء

وأحبهم إلى الله، وهو عمك حفزة بن عبد المطلب وعم بعلك، ومنا من له جناحان أخضوان يطير مع الملائكة في الجنة حيث شاء وهو ابن عم أبيك وأخو بعلك، ومنا سبطا هذه الأمة وهما ابناك الحسن والحسين، وهما سيديا شباب أهل الجنة، وأبوهما والذي بعثني بالحق خير منهما. يا فاطمة والذي بعثني بالحق أن منهما مهدي هذه الأمة، إذا صلت الدنيا هرجا ومرجا، وتظاهرت الفتن، وتقطعت السبل، وأغار بعضهم على بعض، فلا كبير

1 - تزيخ الطوي 2 : 63 ، تزيخ دمشق 42 : 49.

الصفحة 393

روح صغيراً، ولا صغير يوقر الكبير، فبيعت الله عز وجل عند ذلك منهما من يفتح حصون الضلالة، وقلوبا غلفا يقوم بالدين آخر الزمان كما قمت به في أول الزمان، ويملاً الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً، يا فاطمة، لا تحزني ولا تبكي، فإن الله عز وجل راحم بك ورأف عليك مني، وذلك لمكانك من قلبي، وزوجك الله زوجاً وهو أشرف أهل بيتك حسبا وأكرمهم منصبا ورأحمهم بالوعية وأعدلهم بالسوية وأبصوهم بالقضية، وقد سألت ربي عز وجل أن تكوني أول من يلحقني من أهل بيتي. قال علي رضي الله عنه: فلما قبض النبي (صلى الله عليه وآله) لم تبق فاطمة رضي الله عنها بعده إلا خمسة وسبعين يوماً حتى ألقها الله عز وجل به (صلى الله عليه وآله).⁽¹⁾

روى السيوطي في الدر المنثور والمنقي وفي كنز العمال وغورهم، أن النبي (صلى الله عليه وآله) عندما أخی بينه وبين علي يوم أخی بين المهاجرين والأنصار قال لعلي: "والذي بعثني بالحق، ما أختك إلا لنفسي، فأنت عندي بموتلة هارون من موسى، وورثي فقال: يا رسول الله، ما رث منك؟ قال: ما ورثت الأنبياء، قال: وما ورثت الأنبياء قبلك؟ قال: كتاب الله وسنة نبيهم، وأنت معي في قصوي في الجنة، مع فاطمة ابنتي، وأنت أختي ورفيقي، ثم تلا رسول الله (صلى الله عليه وآله) هذه الآية { إخوانا على سرر متقابلين }⁽²⁾ .⁽³⁾

وقال السيوطي في الدر المنثور: أخرج ابن جرير، وابن مردويه، وأبو نعيم في المعرفة، والديلمي، وابن عساکر، وابن النجار قال: لما تولت: { إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ } . وضع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يده على صوه فقال: أنا المنذر،

1- المعجم الأوسط 6 : 327، المعجم الكبير 3 : 57.

2- الحجر : 47.

3- الدر المنثور 4 : 370 - 371، كنز العمال 9 : 167 عن مسند زيد بن أبي أوفى.

الصفحة 394

(1) وأوماً بيده إلى منكب علي رضي الله عنه فقال: أنت الهادي يا علي، بك يهتدي المهتدون من بعدي .

وقال السيوطي في الدر المنثور : أخرج ابن موديه عن أبي بزة الأسلمي قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: **{ إِنَّمَا أَنْتَ مَنْذِرٌ }** ⁽²⁾ ووضع يده على صدر نفسه، ثم وضعها على صدر عليّ ويقول: **{ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ }** ⁽³⁾ .

وقال السيوطي في الدر المنثور: أخرج ابن موديه والضياء في المختلة، عن ابن عباس في الآية. قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): المنذر أنا والهادي عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ⁽⁴⁾ .

وروى الحاكم في المستدرج عن أنس بن مالك أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) قال لعليّ: أنت تبيين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي ⁽⁵⁾ .

وهذا بالإضافة إلى الآيات الوأنيّة كأية التطهير، وأية المباهلة، وأية المودة، وأية أولي الأمر، وآيات الطاعة، وآيات الاقتداء برسول الله، وأية بلّغ ما أوتيتك وغوها، وكذلك حديث الثقلين المتواتر، وحديث الموقلة، وحديث الولاية، وحديث سفينة فوح، وحديث باب حطة، وغوها الكثير، والتي تحتاج إلى مجلد خاصّ فاجعها واطلبها في الكتب التي أشرنا إليها. وأمّا القضية الأخرى التي تتعلق بالإمامة، فهي الدليل المجمع عليه عند كلِّ

1- الدر المنثور 4 : 45 . والآية من سورة الرعد : 7 .

2- الرعد : 7 .

3- الدر المنثور 4 : 45 .

4- المصدر نفسه 4 : 45 .

5- المستدرج على الصحيحين 3 : 122، كنز العمال 11 : 615، عن الديلمي.

الصفحة 395

الناس، فقد أجمع الناس على أنّ هناك صفات معيّنة يجب أن تتوفر في الإمام والقائد والخليفة، منها: العلم ومنها: الشجاعة والقوة، ومنها: القوة على استنباط الأحكام، فمن توفرت فيه هذه الشروط يجب أن يقدم على غوه وقد كانت كل تلك الأوصاف متجسدة في شخص أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ، في حين افتقدها الآخرون وهي الأوصاف التي حددها الله تعالى في القرآن الكريم.

قال تعالى في سورة البقرة: **{ وَقَالَ لَهُمْ نُبِيِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ لَغَدِيٌّ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمَلِكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ }**

بِالْمَلِكِ مِنْهُ وَلَمْ يَوْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } ⁽¹⁾ .

أمّا بالنسبة للعلم، فقد شهد القاصي والداني والعدوّ والصديق بعلم أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وتكفينا شهادة رسول

الله (صلى الله عليه وآله) له بذلك، بل إنّ الله تعالى قد شهد له بذلك.

قال تعالى في سورة الرعد: **{ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مَرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ }**

(2)

روى الثعلبي عن ابن الحنفية قال: **{ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ }** ⁽³⁾ هو عليّ ابن أبي طالب ⁽⁴⁾ .
وروى الثعلبي في التفسير، عن أبي جعفر (عليه السلام) حينما سئل عن الذي عنده

1 - البقرة : 247.

2 - الرعد: 43.

3 - الرعد: 43.

4- تفسير الثعلبي 5 : 303 ، وأنظر تفسير القوطبي 9 : 336.

الصفحة 396

علم الكتاب فقال: إنّما ذلك عليّ بن أبي طالب ⁽¹⁾ .

وروى السيوطي في الجامع الصغير، والطواني في الأوسط، والحاكم في المستدرج عن أمّ سلمة رضي الله تعالى عنها
قالت: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): عليّ مع القوّان والقوّان مع عليّ، لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض ⁽²⁾ .

وروى الطواني، والحاكم عن ابن عبّاس قال : قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): أنا مدينة العلم، وعليّ بابها، فمن أراد
العلم فليأتها من بابها. ورواه الحاكم عن جابر. وأبو نعيم عن عليّ ⁽³⁾ .
ولقد كان يلجأ لعلمه الخفاء، كأبي بكر وعمر، ممّا يدلّ على أنّه كان أعلم منهما، وقد شهدا له بذلك، وأقوا واعتوّفا أمام كل
المسلمين، خصوصا عندما كان يضع الحلول لمعضلاتهم الكثيرة.

فقد قال المنوي في فيض القدير: إنّ عمر بن الخطّاب قال: لولا عليّ هلك عمر، واتفق له مع أبي بكر نحوه. فأخج
الدلقطني عن أبي سعيد أنّ عمر كان يسأل عليّاً عن شيء، فأجابه، فقال عمر: أعوذ بالله أنّ أعيش في قوم ليس فيهم أبو
الحسن، وفي رواية: لا أبقاني الله بعدك يا عليّ ⁽⁴⁾ .

وأما شجاعته وقوته فحدث ولا حرج، فلقد كان (عليه السلام) السبب الرئيسي في انتصار المسلمين في كل معاركهم مع
الكفّار في بدر وأحد والخندق وفتح خيبر وحنين وغوها، في حين أنّ الآخرين لم يكن لهم نور بارز، وربما هوب بعضهم من
رُض المعركة، وشجاعته (عليه السلام) وقوته يضرب بها المثل حتّى

1- تفسير الثعلبي 5 : 303 ، وأنظر تفسير القوطبي 9 : 336.

2- الجامع الصغير 2 : 177 ، المعجم الأوسط 5 : 135 ، المستدرج على الصحيحين 3 : 124.

3- المعجم الكبير 11 : 55 ، المستدرج على الصحيحين 3 : 126، 127، حلية الأولياء 1 : 64.

4- فيض القدير 4 : 470.

هذا اليوم.

وفي كشف الخفاء للعجلوني أنّ الحاكم أخرج عن جابر أنّ علياً لما انتهى إلى الحصن اجتذب أحد أبوابها، فألقاه بالأرض، فاجتمع عليه بعد سبعون رجلاً، فكان جهدهم أن أعانوا الباب، وأخرجه ابن إسحاق في سيرته عن أبي رافع، وأضاف أن السبعة لم يقبلوه (1).

وروى ابن أبي شيبه عن جابر أنّ علياً حمل الباب يوم خيبر...، وأنه حارب فلم يحمله إلا أربعون رجلاً (2).
وأما بالنسبة للقوة الخلقة على استنباط الأحكام وفهم الأفضية، فيكفي أن نذكر شهادة واحدة من النبي (صلى الله عليه وآله) وهو حديث أقضاكم علي (3).

وهكذا أخي الكريم، فإمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمر ثابت قطعي لا موية فيه عند من يطيع الله ورسوله، وعند من يعرف شروط الإمامة، وعند من له نظرة صحيحة في صحاح ومسانيد العامة وهذا هو الحق، وهو ما عليه أهل البيت وشيعتهم.

العصمة:

هذا موضوع يُنهم الشيعة من خصومهم بالغلو فيه كثراً، وسوف أبحث الموضوع وأطرحه بين يدي القارئ العزيز من وجهة نظر المستبصر، لأثبت أنّ العصمة أمر فطريّ توجبه الفطرة والعقل قبل الشروع، وأنّ ما عليه أتباع أهل البيت (عليهم السلام) هو موافق للفطرة مع الإلتزام بالنصّ الشرعيّ الذي يحددّ العصمة

1- أنظر كشف الخفاء 1 : 232.

2- المصنّف لابن أبي شيبه 7 : 507، تليخ دمشق 42 : 111.

3- راجع الحديث ومصاوه في كشف الخفاء 1 : 162.

والمعصوم.

فالعصمة هي لطف وتوفيق إلهي يهبه الله تعالى لعبده، بحيث يكون عنده حاجز يمنع من مخالفة المحظورات والقبائح من خلال رادة نفسية وفطرية تمّوج مع اللطف الإلهي وتنتج ما يسمّى العصمة.
وبالتالي فهي لطف إلهي موهوب، وإرادة شخصية قوية نشاهدها من خلال الوقائع عند كل إنسان، ولكنها تختلف من إنسان إلى إنسان بحسب قربه أو بعده من الله تعالى.

ومن الآيات التي تعوّف مصطلح العصمة، قوله تعالى في سورة يوسف: {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْ لَا أَنْ رَأَىٰ وَهَانَ

والعصمة بمعناها العام وهو المنع، موجودة في كلّ المخلوقات، كلّ حسب رَجْتِه ومَوتَلته، فهناك عصمة الفطرة، وعصمة الإنسانية، وعصمة الإسلام، وعصمة الإيمان، وعصمة الإحسان، وعصمة الإمام، وعصمة الأنبياء والرسول وأوصيائهم. والعصمة هي مطلوب فطري يفترض الناس وجوده عندهم عموماً وعند من ينظرون إليه أنه لرفع منهم مَوتَلَة، أو من يقتنون به خصوصاً، فحتّى لو أنكر العامة موضوع العصمة واختلفوا فيه حتّى عند الأنبياء، ولكن ذلك لا ينفي أنهم يطلبونها ويفترضون وجودها عند من يقتنون به، فالاعتبار البديهيّ عند الناس أنّ المقتدى به أو الأمير أو القائد أو العالم أو الأستاذ أو من هو أعلى مَوتَلَة في الحياة يفترضون أنه مانع وجنّة للناس بوجههم ويرشدهم

1- يوسف : 24.

الصفحة 399

ويحترّمهم، فالنظرة الفطرية الطبيعية أنه معصوم في نفسه، وعاصم لهم من الوقوع في المحظورات، وعاصم لهم من الفوائد والشدائد، كالطفل عندما يرى الخطر، فإنّه بمعرفته الفطرية يلجأ إلى الاختباء في أحضان والده ويلجأ إليه، حيث إنّه ومن نظرة الطفل الفطرية معصوم وعاصم.

ولأجل هذا المعنى للعصمة، قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): إنّما الإمام جنّة، يقاتل من ورائه ويتقى به (1). قال السندي في شرحه على سنن النسائي : قوله جنّة: أي كالترس، قال القوطي: أي يقتدى وأيه ونظره في الأمور العظام والوقائع الخطورة، ولا يتقدّم على رأيه، ولا ينفود تونه بأمر...، ويتقى به: أي يعتصم وأيه، أو يلجأ إليه (2).

وتختلف نواتر العصمة ودرجاتها في المخلوقات عامّة، فكلّما تدرّجنا في المستوى الخلقى والخلقى والنفسي والإنساني والإسلامي والإيماني والإحساني، فإنّها توداد رفعة وتكاملاً، ويتسع معناها شمولاً واستيعاباً بحيث إنّها تصل في النهاية عند الأوصياء والأنبياء إلى درجة العصمة المتكاملة الشاملة والتي تشمل العصمة في التشريع وغير التشريع بل في عموم شؤون الحياة.

وهذا الواقع هو المشاهد عند كلّ المخلوقات، وهو ما يدلّ عليه العقل ويستدلّ على صحته من خلال النصوص الشرعية عند كلّ طوائف المسلمين، بل إنّ كلّ المجتمعات الإنسانية تنشأ العصمة في كلّ جوانب الحياة، فالرؤية الطبيعية للإنسان الكامل أنّ يقيّد نفسه بقيود متعدّدة بحيث يكون المقصود منها الوصول إلى درجة معينة من العصمة التي تؤهله أن يكون تصاعدياً في

1 - صحيح البخاري 4 : 8، صحيح مسلم 6 : 17، سنن النسائي 7 : 155.

2- حاشية السندي على سنن النسائي 7 : 155 - 156.

الصفحة 400

التكامل وبحسب متطلبات الحياة، وما قوانين السير في دول العالم وغيرها من القوانين الاجتماعية والاقتصادية والتشريعية

إلا لتحقيق مطلب العصمة في كل جوانب الحياة.

وكما ذكرنا، فإنّ العصمة موجودة في المخلوقات بوجات متفاوتة، فعند الحيوانات مثلا هناك نوع من العصمة الفطرية التي تحجبه عن تناول ما لا يصلح للأكل أو الشرب، فلا يمكن أن نرى حيواناً يشرب مادة البقرين، أو يأكل الأسمنت، ولو قدمت أمام الحيوان وعاء فيه طين ووعاء فيه شعير، فإنّه يتجنّب بعصمته الفطرية ما لا يؤكل، وهذا واقع مشاهد. كذلك الإنسان يمتلك عصمة نسبية بوجة معينة، وهي فطرية وتتصاعد لتصل إلى عصمة معينة إنسانية، فالإنسان بفطوره يتجنّب الكثير من الأمور، وبإنسانيته يعصم نفسه عن عشوات القضايا، فلا يشرب السم، ولا يقتل، ويتجنّب القبائح بعصمته الإنسانية ما دام إنساناً سوياً في حدود دائرة العصمة الإنسانية، فلا يمكن لإنسان بعصمته الإنسانية والفطرية أن يقتل ابنه أو يحرقه.

وكذلك فإنّ الإسلام يدخل الإنسان في دائرة من العصمة هي أوسع وأعمّ من دائرة العصمة الإنسانية، فهنا عصمة تدخله في دائرة التكامل الإنساني، ما دام ملتوماً بإحكام الإسلام وشروطه الحقيقية، مطيعاً لربه، مقتدياً برسول الله (صلى الله عليه وآله). وكذلك الإيمان عاصم، ودائرة العصمة الإيمانية هي أوسع بكثير من دائرة عصمة الإسلام، ولذلك نجد نظرة الناس الفطرية والطبيعية إلى إنسان مؤمن ملتوم تختلف عن نظرتهم إلى من هم دونه، فلا يقبلون منه الكثير من التصرفات والسلوكيات إذا وقع فيها، حتّى ولو كانت من المباحات على

الصفحة 401

اعتبار أنّه يعيش في دائرة أوسع في العلم والمعرفة والتقى والإيمان، فهم يتطلعون إليه على أنه إنسان كامل أكمل منهم، يجب أن يختلف عنهم في دائرة العصمة؛ لأنّ درجات الإنسان المؤمن أعلى وأرفع من دائرة الإنسان العادي، فإذا ما قيل: إن فلانا المؤمن فعل كذا، فإنّ الناس لا يصدّقون ذلك بفطرتهم؛ لأنّه بنظرهم يمتلك من العصمة ما لا يمتلكون، ويوجبون له العصمة بفطرتهم، ويدافعون عنها، وربما يقاتلون من أجلها، وهذا واضح عند الناس عموماً عندما يهاجم رئيس حزب أو جماعة أو شيخ، فإنّ جميع الإفراد يدافعون عنه ولا يقبلون الطعن فيه، ولا في أقواله ولا أفعاله، ولو قلت: إن فلانا الذي ليس له أية قيمة في المجتمع فعل كذا، فربما ينظر إلى فعله نظرة أقل تأثراً ممّا لو قلنا: إن الوزير الفلاني فعل كذا، وهذه أقل أيضاً ممّا لو قلنا: إنّ الرئيس أو الملك فعل كذا، وكأنّه كلما ارتقى الإنسان بمكانته يجب أن ترتقي معه درجات العصمة، حتى إنّنا نستطيع أن نفوض بفطرتنا وعقولنا العصمة المتكاملة للأنبياء والأوصياء الذين هم من أعلى الناس في منزل الإيمان والتقى. غير أنّ العصمة المنشودة والتي يفوض الناس وجودها في من هم أعلى منهم في الإيمان والإحسان، بحاجة لتأكيداها في الشخص المعين إلى نصوص شوعية تفوض العصمة وتقرّها، فالتقرير بشأن العصمة بمعناها الشامل لا يترك للفتوة، بل هو لله تعالى من خلال النصّ في القرآن الكريم والحديث الصحيح.

ولذلك جاءت النصوص الشوعية عند كل طوائف المسلمين تؤكد ثبوت وجود العصمة بوجة تصاعديّة، كلما ارتقى الإنسان بإيمانه وإحسانه وتقواه، وكلما ارتقى كلما كانت العصمة إلى المعنى المطلق أقرب.

روى البخاري في صحيحه، في كتاب الوفاق، باب التواضع، عن أبي هريرة قال، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إنَّ الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقبَّ إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ ممَّا افترضت عليه، وما زال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتىَّ أحبته، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته .⁽¹⁾

وهذا الحديث يحمل في معانيه ومضامينه معنى العصمة لمن هم أقلُّ من الأنبياء والأوصياء، فهو يؤكِّد معنى العصمة والتوفيق للمؤمنين كلِّما تقربوا إلى الله تعالى.

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما، عن أبي هريرة أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسوق حين يسوق وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصرهم حين ينتهبها وهو مؤمن .⁽²⁾

وعليه فالأصل بالمؤمن هو العصمة من هذه الأمور، ولكنَّه يسلب الإيمان وتوقع العصمة عنه حين يقوِّر أن يقول عن درجات الإيمان، ولكنَّه مادام نزلَ فيها فإنَّه معصوم من ذلك، وهذا نوع من العصمة. حتى أن الكثير من النصوص الشوعية استخدمت كلمة العصمة صراحة ولو بدرجة نسبية. فقد روى البخاري و مسلم وغيرهم أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: أموت أن

1 - صحيح البخاري 7 : 190.

2 - صحيح البخاري 3 : 107، 8 : 13، 15، 21، صحيح مسلم 1 : 54، 55.

أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوا لا إله إلا الله عصموا منِّي دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله .⁽¹⁾

فهذه عصمة الإسلام، فالمسلم معصوم بعصمة وهبها الله له عندما يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، وكذلك المؤمن معصوم بدرجة أعلى من المسلم وهكذا.

وأيضاً كلِّما ارتقى المؤمن في درجات الإحسان كلِّما ارتفعت واتسعت عنده نواتر العصمة، إذ إن المحسن يمتلك من الإرادة ما يحجبه حتى عن الكثير من المباحات، وهذه المتولة من المنزل العظيمة التي تجعل العبد يعبد الله وكأنَّه واه.

وفي الحديث الشريف الذي رواه مسلم وغيره من حديث جبرائيل (عليه السلام) عند سؤاله ما الإحسان؟ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه واه .⁽²⁾

وهذه مقولة توجب العصمة على صاحبها وبدرجة أعلى من كل ما سبقها، فمن يعبد الله كأنه واه لا يلتفت إلى معصية ولا إلى قبيح ولا ينطبق على صاحبها غير ذلك.

وكذلك من ارتقى إلى مقولة الصديقية والولاية ونال مقولة المحبوبة من الله تعالى وتحقق في مرتبة الإمامة الربانية، وهذا ينطبق على الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء، والإمامين الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، والأئمة من نرية الحسين (عليهم السلام)، فإن العقل والشوع يوجبان لهم العصمة من أعلى درجاتها، إذ كيف يكون إماماً

1 - صحيح البخاري 1 : 11 _ 12، 8 : 162 _ 163، صحيح مسلم 1 : 39، واللفظ لمسلم.

2- صحيح مسلم 1 : 29، 30، 31، صحيح البخاري 1 : 18، 6 : 20.

الصفحة 404

يقتدى به ولا يكون معصوما من الضلال والرجس؟ وكيف يكون صديقاً إذا لم ينل أعلى مراتب العصمة؟.

روى الحاكم في المستدرج عن عليّ (عليه السلام) قال: إنني عبد الله، وأخو رسوله، وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كاذب، صلّيت قبل الناس بسبع سنين، قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة. ورواه ابن ماجة والنسائي وغيرهم (1).

وروى الترمذي وغيره كثير أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: عليّ مني وأنا من عليّ، ولا يؤدي عني إلا أنا أو

(2) عليّ .

وروى الحاكم في المستدرج وغيره كثير عن زيد بن رُقم رضي الله تعالى عنه قال:

لمّا رجع رسول الله (صلى الله عليه وآله) من حجة الوداع، وتول غدير خم، أمر بنوحات، فقممن، فقال: كأيّ قد دعيت فأجبت، إنّي قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله تعالى، وعوتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنّهما لن يتوّقا حتّى يردا عليّ الحوض. ثم قال: إن الله هولاي، وأنا مولى كل مؤمن. ثم أخذ بيد عليّ رضي الله تعالى عنه فقال: من كنت مولاه، فهذا وليّ، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه (3).

وروى السيوطي في الجامع الصغير، في حديث صحيح أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: أتاني ملك فسلم عليّ، تول من

السماء لم يتول قبلها، فبشّوني أنّ الحسن

1 - المستدرج على الصحيحين 3 : 112، سنن ابن ماجة 1 : 44، السنن الكوى 5 : 107، وقال محقق سنن ابن ماجة :

في الزوائد : هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، رواه الحاكم في المستدرج عن المنهال وقال : صحيح على شرط الشيخين.

2- سنن الترمذي 5 : 300، مسند أحمد 4 : 164، 165.

3- المستدرج على الصحيحين 3 : 109، السنن الكوى للنسائي 5 : 45.

والحسين سيّدا شباب أهل الجنة، وأن فاطمة سيّدة نساء أهل الجنة⁽¹⁾.

وروى السيوطي، والحاكم، عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: إذا كان يوم

القيامة نادى مناد من وراء الحجب: يا أهل الجمع، غصّوا أبصلكم عن فاطمة بنت محمد حتى تمر⁽²⁾.

وكذلك كلّما تمسك المؤمن بكتاب ربه ونبيه وأهل بيت نبيه يكون قد اعتصم ونال من لوجات العصمة بحسب قوة تمسكه

وأتباعه.

روى في كنز العمال، عن جابر أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: تركت فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم بهما، كتاب

الله وعتوتي أهل بيتي⁽³⁾.

ولذلك كان لا بدّ أن يكون الوان معصوماً، وكان لا بدّ أن يكون الرسول معصوماً، وكان لا بدّ أن يكون من أمرنا بالتمسك

بهم وموالاتهم والافتداء بهم أن يكونوا معصومين، إذ إنّ المطلوب من المسلم أن يسير في طريق العصمة التكاملية، ولا يتأتى

له ذلك إلا باتباع الوان والعزة من أهل بيت النبوة والرحمة، فيقتضي العقل والشوع أن يكون من نأخذ منهم ونقتدي بهم في

أعلى لوجات العصمة، ولا يمكن أن يأمر الله تعالى بطاعة أشخاص إلا وهم أهل لتعليم الناس أبواب الهداية ووجات العصمة

والتكامل الإنساني الذي هو سبب نجات العبد من الضلال.

قال تعالى في سورة يونس: **{ أَمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يَتَّبِعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ }**⁽⁴⁾.

1- الجامع الصغير 1 : 20.

2- الجامع الصغير 1 : 127 ، المستترك على الصحيحين 3 : 153.

3- كنز العمال 1 : 187 ، غواه بهذا اللفظ إلى ابن أبي شيبة والخطيب.

4- يونس : 35.

قال السيوطي في الدر المنثور: أخرج ابن جرير، وابن مودويه، وأبو نعيم في المعرفة، والديلمي، وابن عساكر، وابن

النجار قال: لما قلت **{ إِنَّمَا أَنْتَ مَنذَرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ }**⁽¹⁾. وضع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يده على صوره، فقال: أنا

المنذر، وأوماً بيده إلى منكب علي رضي الله عنه فقال: أنت الهادي يا علي، بك يهتدي المهتدون من بعدي⁽²⁾.

وروى الحاكم في المستترك، عن أنس بن مالك أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال لعلي (عليه السلام): أنت تبين لأمتي ما

اختلفوا فيه من بعدي⁽³⁾.

وروى الطواني أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: من أحبّ أن يحيا حياتي، ويموت موتي، ويدخل الجنة التي

وعندي ربّي، فإن ربّي عز وجل غرس قصباتها بيده، فليقول علي بن أبي طالب فإنه لن يخرجكم من هدى ولن يدخلكم في

(4)

وروي في كنز العمال عن أبي أيوب، وعن عمار بن ياسر، أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: يا عمار، إن رأيت علياً قد سلك وادياً، وسلك الناس وادياً غيره، فاسلك مع علي، ودع الناس، إنه لن يدلك على ردي، ولن يخرجك من الهدى⁽⁵⁾ .
 ألا تدلّ كل هذه النصوص أن في اتباع أهل البيت (عليهم السلام) هداية واجتنباً قطعياً للتضلال، علاوة على أن الأمر بالاتباع هو أمر إلهي، فهل يأمر الله تعالى بمتابعتهم إذا لم يكونوا معصومين؟.
 وقال السيوطي في الدر المنثور: أخرج ابن أبي شيبة عن علي بن أبي طالب

1 - الرد : 7.

2- الدر المنثور 4 : 45.

3- المستترك على الصحيحين 3 : 122.

4- المعجم الكبير 5 : 194 ، وأنظر المستترك على الصحيحين 3 : 128.

5- كنز العمال 11 : 613 عن الديلمي.

الصفحة 407

قال: إنّما مثلنا في هذه الأمة كسفينة فوح، وكباب حطّة في بني إسرائيل⁽¹⁾ .

وروى الحاكم في المستترك عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: مثل أهل بيتي مثل سفينة فوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق⁽²⁾ .

والحديث يدلّ على أن من لزمهم واتبعهم وركب سفينتهم فهو من الناجين، وهذا الضمان بالنجاة من الله تعالى في هذا الحديث يوجب العصمة لأهل البيت المعيّنين، فإذا ضمنت النجاة أصبح معنى العصمة الشامل عندهم مقوراً قطعاً.
 هذا بالإضافة إلى الآيات القرآنية التي توجب العصمة الشاملة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وفاطمة وعلي والحسين والحسين والأئمة المعيّنين بالنص من نوية الحسين سلام الله تعالى عليهم.

قال تعالى في سورة النجم: **{ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ }**⁽³⁾ . فمن ينطق عن الله تعالى ويبلغ عنه لا يمكن إلا أن يكون معصوماً لأنه مختار من الله تعالى ليبلغ وحيه للناس.

قال تعالى في سورة الأحزاب: **{ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا }**⁽⁴⁾ وَتُطَهَّرُهُمْ وَنَفِي الرِّجْسِ عَنْهُمْ يوجب العصمة قطعاً .

وكذلك آية الطاعة، وهي قوله تعالى في سورة النساء: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ**

2- المستترك على الصحيحين 2 : 343.

3- النجم : 3 - 4.

4 - الأخاب : 33.

الصفحة 408

آمُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرُّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ }⁽¹⁾ . وَمَنْ أَمَرْنَا بِطَاعَتِهِ وَاتَّبَعَهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَعْصُومًا .

روى الحاكم في المستترك، في حديث صحيح عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن عصى علياً فقد عصاني⁽²⁾ .

ولذلك عندما حدّد الشلوع المقدّس اثنا عشر إماماً من أهل البيت (عليهم السلام)، أكدّ لنا أن هؤلاء هم أئمتكم، وضمن لنا ولايتهم وإمامتهم غوة الإسلام ورفعاً الدين ومنعته، مما يوجب قطعاً عصمتهم وتحديدهم وتعيينهم، وأنه بغورهم لن يعز الإسلام وأهله.

فقد روى مسلم في صحيحه، عن جابر بن سورة: أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: لا زال هذا الدين عزواً منيعاً إلى اثني عشر خليفة... كلّهم من قريش⁽³⁾ .

وهذا المعنى في الآيات وفي الحديث وغيرها من آيات الطاعة والأحاديث التي على شاكلتها كلّها توجب العصمة وتقرّها، وبالتالي فإنّ الشلوع المقدس قد قرّر للناس وجوب وجود العصمة الفطريّ عند الناس فيمن هم قنوة لهم، ولكنه لم يترك التحديد للفظوة، بل إنّّه جلّ وعلا هو الذي حدّد من هم المعصومون كما مرّ معنا في النصوص.

والمشكلة التي ابتلي بها الناس هي أنّهم تركوا التحديد الربانيّ للمعصومين واعتموا في ذلك على عقولهم وفطرتهم فقط،

ولذلك حصل

1- النساء : 59.

2- المستترك على الصحيحين 3 : 121.

3- صحيح مسلم 6 : 4.

الصفحة 409

الاختلاف في شأن العصمة، فالأصل في العصمة كما بيّنا أنّها أمر جبليّ في الإنسان، مفطور على الاعتقاد به، ولكن الناس لما تحكّمت بهم المشاعر والأهواء غير المستندة إلى سند شوعيّ، فقاموا بتحكيم أهوائهم وشهواتهم ومشاعورهم وجعلوها حكماً على العصمة، فعصموا من لا يستحقّ العصمة، وأنكروها على من قرّر الله تعالى أنّه معصوم بالنصّ، حتى وصل بهم الأمر أن يحاسوا رسول الله على عصمته، مع أنّ موضوع عصمته (صلى الله عليه وآله) لا يجوز التشكيك فيه ولا البحث فيه أصلاً،

فالفطرة والعقل والشوع يوجبون له العصمة الشاملة؛ لأنه المصطفى والمختار من الله تعالى ليلبغ عنه، فمن يشكك في

عصمته (صلى الله عليه وآله) وكل من اختلهم الله تعالى وعينهم أوصياء لنبيه، هو كمن يشكك في اختيار الله تعالى.

ولنضرب مثلاً على من اختار طريق النجاة التي حددها الله تعالى لعباده، والتزم خط المعصومين بنص الشروع المقدس،

وبين من ترك اختيار العصمة والمعصوم لأيه وهواه، ولم يلتزم بالنص الإلهي، وهذا المثل هو قصة نبي الله فوح (عليه

السلام) مع ابنه، وحديث السفينة الذي ذكرناه يشبه فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) أهل بيته كسفينة فوح، أي أنه (صلى الله

عليه وآله) يقول: إنَّ العنوان الرئيسي لأسباب النجاة في الماضي والحاضر هو ركوب سفينة أهل البيت (عليهم السلام)،

والناس على كل حال بين خيلين، إما الاعتصام بمن عصمهم الله تعالى وجعلهم عنوان النجاة والهدى، وإما أن يحتكموا إلى

فطرتهم وأهوائهم ويتوكوا النصَّ الشوعي ويعتصموا بمن لم يعصمه الله تعالى فيؤدِّي بهم إلى الهلاك والضلال.

قال تعالى في سورة هود: **{ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورَ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَاطِلٍ وَأَهْلِكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ**

الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ } وَ قَالَ لِكُلِّوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مِجْرَاهَا وَمِرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ؟

الصفحة 410

وهي تحوي بهم في هوج كالجبال ونادي فوح ابنه وكان في معول يا بني لركب معينا ولا تكن مع الكافرين؟ قال سلوي

إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحوال بينهما النوح فكان من المعرفين {⁽¹⁾.

إذن فلقد عصم الله تعالى كل من حمل فوح (عليه السلام) في سفينته، وعصم الله تعالى المؤمنين الذين التزموا معه، فكانوا

في أمان الله تعالى وعصمته التي منحهم الله إياها، ولكن ابن زوجة نبي الله فوح اختار العصمة المنبتقة عن الوأي والهوى

والاستكبار، فظن أن الجبل عاصم له من أمر الله فكان من الهالكين بعد أن تجرأ على النص وترك تحديد العصمة لاستكباره

وعناده وهواه، إذ إن من تجرأ على منزل أهل الله ورجاله الذين اصطفاهم واجتباهم كان من الضالين الهالكين.

ولكن أولئك الذين تجرؤوا على البحث في عصمته (صلى الله عليه وآله) بعد أن حكموا شهواتهم وأهواءهم، وتوكوا فطرتهم

وعقولهم وشوعهم، فقد وصل بهم الأمر إلى الخوض فيما لا يعينهم، ولا يجوز لهم أن يخوضوا فيه، فمنهم من أنكر العصمة

مطلقاً لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومنهم من حددها له بالتشريع فقط، ومنهم من رفعها عنه حتى في التشريع.

ولأنه لا بد للإنسان من قوة ومن معصوم، فإنهم جعلوها لغوه (صلى الله عليه وآله)، فمنهم من يقبل الخطأ على رسول

الله (صلى الله عليه وآله)، ولكنه ينفية نفيًا قاطعاً عن أبي بكر وعمر، ومنهم من ينكر عصمة أهل البيت (عليهم السلام)،

ويجعلها في معاوية ويزيد، ومنهم من يرفض تقرير الشوع إذا تعرض مع كلام ابن تيمية أو محمد بن عبد الوهاب.

1- هود : 40 - 43.

الصفحة 411

والقضية في الحقيقة هي أنهم أنكروا العصمة لمن قرر الشروع المقدس أنه معصوم، وأوجبوا لمن هو غير معصوم،

وحتى لو ادّعوا أنّهم يرفعون العصمة عن أئمتهم فهو ادعاء باطل، فأقوالهم وأفعالهم تقرر لشيوخهم وأئمتهم العصمة المطلقة، وتجدهم يتّهمون رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويقولون نسي وأخطأ وسحر وغير ذلك من التهم التي ذكرنا قسماً كبيراً منها في بداية الكتاب، ولكنهم يعتقدون أنه لا يجوز الطعن في عصمة الصحابة، وجعلوا بعضهم أفضل من رسول الله، وأوصلوا بعضهم إلى مرتبة الأنبياء، كما لم يُجوزوا البحث في هذا الموضوع، وكلّ من يقترب منه فإنهم يتهمونه بالرفض، وربما الكفر في كثير من الأحيان، وفي ذات الوقت يتّهمون من يلتزم بالنصّ الشوعيّ ويعتقد بعصمة من عصمه الله تعالى، يتهمونه بالغلو، هذا هو الواقع، فلقد انقلبت الحقيقة.

ولأنّ الله تعالى يعلم أنّ الناس سوف يختلفون في موضوع العصمة والطاعة بعد رسوله محمد (صلى الله عليه وآله)، ولأنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) يعلم ذلك، فقد شدّد الله تعالى وبين رسوله في عشرات الآيات والأحاديث، منّ تجب طاعته بعد رسول الله، ومن هو المعصوم، وكذلك شدّد الشرايع المقدّسة على أنّ الأئمة سوف تخالف النصّ، وتبتلى بأهل البيت (عليهم السلام)، فمن كان معهم واتّخذهم أئمةً ووالاهم نجا، ومن فرّقهم واقتدى بغرهم ولم يوالهم ضلّ وهلك. روى الطواني والسيوطي عن خالد بن عوفة يوم قتل الحسين (عليه السلام) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إنكم ستبتلون في أهل بيتي من بعدي (1).

بعد كلّ ذلك أقول: إنّ ما عليه شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) من الاعتقاد بعصمة

1 - المعجم الكبير 4 : 192 ، الجامع الصغير 1 : 388 ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 9 : 194 وقال : رجال الطواني رجال الصحيح، غير عملة، وعملة وثقه ابن حبان.

الصفحة 412

رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأوصيائه الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) هو الحقّ، فهم كغورهم يعتقدون بالعصمة، ولكنهم لم يتوكّروا للأهواء والمشاعر المغلوطة أنّ تحدّد لهم من هو المعصوم، بل إنهم التزموا بأمر الله تعالى وبالنصوص الشرعية التي حدّدت للمسلمين من هو المعصوم، فأطاعوا الله تعالى ونفّوا وصية رسوله، فناوا بذلك رضوان الله جلّ وعلا، وسيقدمون على الله تعالى راضين مرضيين.

المسح في الوضوء:

إنّ ممّا يغلظ فيه على شيعة أهل البيت (عليهم السلام) المسح على القدمين في الوضوء، مع أنّ المسح هو الثابت، وهو الصحيح في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف، ولكنّ الناس يرفضون هذا الحكم الربانيّ، ويعملون بالغسل بدل المسح. وإنّ الناظر المطلع على كتب العامة الفقهية يتبين له أنّ حكم مسح القدمين لا يقول به الشيعة فقط، بل عشرات الصحابة والتابعين، وكذلك أئمة مذاهب أهل السنة، وهو ما سنتطرق إليه في هذا الموضوع المختصر، من خلال ذكر بعض ما ورد عند علماء العامة من روايات واجتهادات.

1 - قال تعالى في سورة المائدة:

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ }

{ وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ } (1)

إنه وباختلاف القراءات عند المسلمين، فإن عبدة أرجلكم تقواً منصوبة وتقواً بالجر، وهذا مقرر ومعترف به عند كل العلماء، فقراءة الجر متواترة، وهي من الأدلة الواضحة على أن المسح رأي إسلامي لا مزية فيه.

1- المائدة : 6.

الصفحة 413

2 - ثم إن القاءة بالنصب هي أدل على المسح منها على الغسل، وذلك أن آية الوضوء فيها جملتين فعليتين، الجملة الأولى فيها فعل أمر بغسل المفعول به، الوجه والأيدي، وأما الجملة الفعلية الثانية فهي التي فيها فعل الأمر بالمسح، والمفعول به هنا هو الرأس والأرجل، فالأصل أن تكون الجملة الفعلية الثانية: { وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ } ولكن دخول الباء الزائدة، والتي هي للتبعيض، جرت رؤوسكم، وبقيت أرجلكم على وضعها النحوي الطبيعي منصوبة تابعة لفعل الأمر بالمسح في الجملة الفعلية الآمرة بالمسح، وهذا هو الحق الذي ينظر إليه علماء اللغة من غير تأويل أو تحوير.

3 - روى الطوي في جامع البيان في تأويل قوله تعالى { وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ } قال: روى عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، قال: قول جبريل بالمسح. قال: ثم قال الشعبي: ألا ترى أن التيمم أن يمسح ما كان غسلاً ويُلغى ما كان مسحاً (1).

4 - وروى الطوي أيضاً، عن عامر أنه قال: أمر أن يمسح في التيمم ما أمر أن يغسل في الوضوء، وأبطل ما أمر أن يمسح في الوضوء الرأس والرجلان (2).

5 - وروى السيوطي في الدر المنثور قال: أخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عباس في قوله: { وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ } قال: هو المسح (3).

6 - وقال السيوطي في الدر المنثور: أخرج عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وابن ماجه، عن ابن عباس قال: أبي الناس إلا الغسل، ولا أجد في كتاب الله إلا المسح (4).

1 - جامع البيان (تفسير الطوي) 6 : 176.

2- المصدر نفسه 6 : 176.

3- الدر المنثور 2 : 262.

4- الدر المنثور 2 : 262.

الصفحة 414

7 - وقال السيوطي في الدر المنثور أيضاً: أخرج عبد الرزاق، وابن جرير، عن ابن عباس قال: الوضوء غسلتان (1)

ومسحان. وأخرج ابن أبي شيبة عن عكرمة، مثله .

8 - وقال السيوطي في الدر المنثور: أخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، عن ابن عباس قال: افترض الله غسلتين ومسحيتين، ألا ترى أنه ذكر التيمم فجعل مكان الغسلتين مسحيتين وتوك المسحيتين . وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن قتادة.
(2) مثله .

9 - روى أبو داود في سننه في كتاب الطهارة، عن أوس الثقفي أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) توضأ ومسح على نعليه وقدميه. ورواه البيهقي في السنن (3) .

10 - وروى في كنز العمال عن أبي ظبيان قال: رأيت علياً وعليه رار أصفر وخميصة، وفي يده عزة، أتى حائط السجن، فبال قائماً حتى رغا بوله، ثم تتحنى، فتوضأ ثلاثاً، ومسح على نعليه وقدميه، ثم أخذ كفاً من ماء فصبه على صلعتيه، وأبیت الماء متجاوزاً على منكبيه، ثم دخل المسجد فخلع نعليه، ثم صلى (4) . وغرضنا من هذه الرواية هو إثبات طريقة الوضوء، ولسنا بصدد مناقشة مسألة البول واقفاً والتي ينسبونها للرسول (صلى الله عليه وآله) أيضاً كما في صحيح البخاري (5) .

11 - روى أحمد في المسند، عن عبد خير قال: رأيت علياً رضي الله عنه

1- الدر المنثور 2 : 262.

2- الدر المنثور 2 : 262.

3- سنن أبي داود 1 : 43 ، السنن الكوى للبيهقي 1 : 286.

4- كنز العمال 9 : 518.

5- صحيح البخاري 1 : 62.

الصفحة 415

(1) دعا بماء ليتوضأ، فتمسح به تمسحاً، ومسح على ظهر قدميه .

12 - روى في سير أعلام النبلاء، عن ربيع بن منذر، عن أبيه قال: كنا مع ابن الحنفية، فؤاد أن يتوضأ، فزع خفيه، ومسح على قدميه (2) .

13 - روى في المعجم الأوسط، عن عباد بن تميم، عن أبيه قال: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يتوضأ، ويمسح بالماء على رجليه. ورواه أحمد في مسنده، ورواه ابن حجر في الإصابة وقال رجاله ثقات (3) .

14 - روى القوطي في تفسيره عن رفاعه بن رافع: أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: إنه لا تتم صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله، فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين، ويمسح رأسه ورجليه إلى الكعبين. ورواه النسائي في سننه، والبيهقي في سننه، وأبو داود في سننه، وابن ماجه في سننه (4) .

15 - وروى أحمد في مسنده، عن بسر بن سعيد قال: أتى عثمان المقاعد فدعا بوضوء فتمضمض واستنشق، ثم غسل وجهه ثلاثاً، ويديه ثلاثاً، ثم مسح رأسه ورجليه ثلاثاً، ثم قال: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) هكذا يتوضأ يا هؤلاء، أكذاك؟ قالوا: نعم، لنفر من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) عنده (5).

16 - وروى في كنز العمال عن ابن عباس قال: توضأ النبي (صلى الله عليه وآله) فأدخل يده في الإناء فمضمض واستنشق مرة واحدة، ثم أدخل يده، فصب على وجهه مرة، وصب على يديه مرة مرة، ومسح رأسه وأذنيه مرة، ثم أخذ ملاء كفه من

1- مسند أحمد 1 : 116.

2- سير أعلام النبلاء 4 : 127 عن الطبقات الكوى 5 : 115.

3- المعجم الأوسط 9 : 132، مسند أحمد 4 : 40، الإصابة 1 : 490.

4 - تفسير القوطي 1 : 348، سنن النسائي 2 : 262، سنن البيهقي 2 : 345، سنن أبي داود 1 : 197، سنن ابن ماجه 1 : 156.

5- مسند أحمد 1 : 67.

الصفحة 416

(1) ماء فرش على قدميه وهو منتعل .

17 - روى الطواني في الكبير، عن المغيرة بن شعبة: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بال في سباطة بني فلان، فقال: يا مغيرة، معك ماء قال نعم، إواة من ماء، وعليه جبة شامية ضيقة الكمين، فتوضأ ومسح على قدميه (2).

18 - وفي المبسوط للسرخسي، في كتاب الصلاة قال: ومن الناس من قال وظيفة الطهارة في الرجل المسح، وقال الحسن البصري رحمه الله: المضرورة يتخير بين المسح والغسل، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قول القرآن بغسلين ومسحين (3).

19 - وقال القوطي في تفسوه: كان عكومة يمسح رجليه، وقال: ليس في الرجلين غسل، إنما قول فيه المسح (4).

20 - وروى القوطي في تفسوه، عن عبد خير قال: رأيت علياً توضأ ومسح على النعلين فوسع، ثم قال: لولا أنني رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فعل كما رأيتموني فعلت، لرأيت أن باطن القدمين أحق بالمسح من ظاهرهما (5).

21 - وروى ابن ماجه في سننه، عن جابر قال: مر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ورجل يتوضأ ويغسل خفيه، فقال بيده، كأنه دفعه "إنما أمرت بالمسح" وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) بيده هكذا: من أطراف الأصابع إلى أصل الساق، وخطط بالأصابع (6).

22 - قال في عون المعبود قال في التوسط : نقل ابن التين التخيير بين الغسل

1- كنز العمال 9 : 454.

2- المعجم الكبير 20 : 405 - 406.

3- المبسوط 1 : 8.

4- تفسير القوطي 6 : 92.

5- تفسير القوطي 6 : 102 عن الدلمي في مسنده.

6- سنن ابن ماجة 1 : 193.

الصفحة 417

والمسح عن بعض الشافعيين، ورأي عكرمة يمسح عليهما، وثبت عن جماعة يعتدّ بهم في الإجماع، بأسانيد صحيحة،

(1)

كعليّ، وابن عباس، والحسن، والشعبي، وغيرهم .

23 - وروى أبو داود في سننه، في كتاب الطهارة، عن علي قال: لو كان الدين بالوأي، لكان باطن القدمين أحقّ بالمسح

من ظاهرهما، ولكن، رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) مسح ظاهرهما ورواه في كنز العمال (2) .

24 - وروى أحمد في مسنده، عن عليّ رضي الله عنه قال: كنت رى أن باطن القدمين أحقّ بالمسح من ظاهرهما، حتىّ

(3)

رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يمسح ظاهرهما .

25 - أمّا بالنسبة لحديث "ويل للأعقاب من النار"، فقد أجاب ابن رشد في بداية المجتهد ونهاية المقتصد عنه فقال: ولا شكّ

أنّ من شوع في الغسل فوضه الغسل في جميع القدم، كما أنّ من شوع في المسح فوضه المسح عند من يخير بين الأمرين،

وقد يدلّ هذا على ما جاء في أثر آخر خرج أيضاً مسلم أنه قال: فجعلنا نمسح على أرجلنا فنأدى: ويل للأعقاب من النار،

وهذا الأثر وإن كانت العادة قد جرت بالاحتجاج به في منع المسح، فهو أدلّ على جوراه منه على منعه، لأنّ الوعيد إنّما تعلق

فيه بتوكّ التعميم، لا بؤع الطهارة، بل سكت عن نوعها، وذلك دليل على جورها، وجواز المسح هو أيضاً مروى عن بعض

(4)

الصحابية والتابعين... انتهى.

1- عون المعبود 1 : 119.

2- سنن أبي داود 1 : 44، كنز العمال 9 : 605 - 606 واللفظ للثاني.

3- مسند أحمد 1 : 95.

4- بداية المجتهد ونهاية المقتصد 1 : 17.

الصفحة 418

ثمّ إنّ الآية تأمر بالمسح إلى الكعبين، وحتىّ ولو على قول من يقول بالغسل، فإنّ الأمر إلى الكعبين وهما نهاية ظاهر القدم

هذا هو الواجب، فالأمر لا يستوعب العقب، فعند من يقول بالمسح وكذلك الغسل فإنّ الأمر لا يشمل العقب، فبالتالي يكون

مضمون الحديث إن صحّ في موضوع آخر غير موضوع الوضوء، والمنتبّع للرواية يستنبط منها لماذا قال لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويل للأعقاب من النار.

ولو فرضنا أننا شخصاً يتوضأ، وبعد الوضوء قلنا له ويل للأكتاف من النار، فهل هذا يعني شيئاً متعلقاً بالوضوء؟ أو أنّ المقصود شيء آخر؟ وكذلك يرد على رواية الأعقاب إن صحّ سندها.

وعليه، فإنّه ومما تقدّم يثبت بما لا يدع مجالاً للشك أنّ حكم المسح هو حكم الإسلام، وهو ما عليه الشيعة أتباع أهل البيت (عليهم السلام)، فهم لم يخترعوا الحكم، وإنما أثبتوه بناءً على أمر الله تعالى وحكمه، وهو ما استدلّ عليه من القرآن ومن السنة الصحيحة عند كلّ طوائف المسلمين.

السجود على الأرض:

من المسائل التي يعاب فيها على الشيعة ويشنّع، السجود على الأرض مباشرة، من دون حائل بين الجبهة والأرض، وهو حكم شعويّ يتميّز به أتباع أهل البيت (عليهم السلام)، مع أنّ الدليل على وجوب أن لا يكون حائل بين الجبهة والأرض في السجود، وكذلك السجود على ما نبتت الأرض ممّا لا يؤكل ولا يلبس واضح جليّ في القرآن الكريم والأحاديث النبوية عند العامة، ومع ذلك فإنّ الدنيا تقوم ولا تقعد إذا سجد أحد على الأرض مباشرة، أو حمل معه قطعة من الأرض ليسجد عليها.

الصفحة 419

واليك بعض من الأدلّة على وجوب السجود على الأرض بدون حائل، أو السجود على ما نبتت من الأرض ممّا لا يؤكل ولا يلبس:

1 - حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي يقول فيه: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً.

وفي الحديث، فإنّ لفظة الأرض معرّفة بالألف واللام، وهذا يعني تخصيصها بالمعنى الخاصّ بالأرض، وليس ما يوضع على الأرض.

وأيضاً استنبط العلماء من الحديث أنّ التيمّم يجب أن يكون على الأرض، ولا يجوز على غيرها، وبالتالي لا يخرج السجود عن نفس المعنى.

والسجود على الأرض هو الواجب، ولكن جاءت نصوص أخرى أجرت السجود على ما نبتت من الأرض ممّا لا يؤكل ولا يلبس كالحصير.

بالنسبة لهذه المسألة، فإنّ فعل الشيعة الإمامية لا يخالف قول رسول الله أو فعله أو تقوّه، بل إنه هو الحق (1).

2 - من بعض آراء علماء العامة:

ورد في فقه العبادات على المذهب المالكي: يكره السجود على شيء من جلوس المصلّي، مثل كمره أو رده أو كور عمامته (الكائن على جبهته)، فإنّ سجد على كور عمامته الخفيف فلا إعادة عليه، وإذا كان كور العمامة ثخيناً، وليس على الجبهة منه شيء، لكن منع وصول الجبهة إلى الأرض في السجود، لم يصحّ سجوده. وكذلك يكره السجود على ثوب غير جلوس له،

(2)

أو على بساط أو منديل، أو على حصير ناعم لا خشن، لأنّ كل ذلك ينافي الخشوع .

1 - صحيح البخري 1 : 113، مسند أحمد 2 : 240 ، وغوهما كثير، سنن ابن ماجة 1 : 188.

2- فقه العبادات على المذهب المالكي 1 : 170.

الصفحة 420

وذكر ابن رشد في بداية المجتهد ونهاية المقتصد: وانفقوا على الصلاة على الأرض، واختلفوا في الصلاة على الطنافس وغير ذلك ممّا يقعد عليه على الأرض، والجمهور على إباحة السجود على الحصير وما يشبهه ممّا تتبت الأرض، والكراهية ⁽¹⁾ بعد ذلك .

وقال في فتح البري شرح صحيح البخري تعليقا على حديث توبّ وجهك قال: إنّما استفاد من قوله توبّ وجهك، استحباب السجود على الأرض ⁽²⁾ .

وقال الشوكاني في نيل الأوطار: "وقد كره ذلك (الصلاة على الطنافس وغوها) جماعة من التابعين ممّن بعدهم، فروى ابن أبي شيبة في المصنّف، عن سعيد بن المسيّب، ومحمد بن سيرين، أنّهما قالوا: الصلاة على الطنفسة وهي البساط الذي تحته حمل محدثة.

وعن جابر بن زيد أنّه كان يكره الصلاة على كل شيء من الحيوان، ويستحب الصلاة على كل شيء من نبات الأرض.

وعن عروة بن الزبير أنّه كان يكره أن يسجد على شيء دون الأرض.

والى الكراهة ذهب الهادي ومالك.

ومنع الإمامية صحّة السجود على ما لم يكن أصله من الأرض، وكره مالك أيضا الصلاة على ما كان من نبات الأرض

فدخلته صناعة أخرى كالكتان والقطن... واستدلّ الهادي على كراهة ما ليس من الأرض بحديث "جعلت لنا الأرض مسجداً وطهوراً" بناء على أنّ لفظ الأرض لا يشمل ذلك" ⁽³⁾ .

1 - بداية المجتهد ونهاية المقتصد 1 : 98.

2 - فتح البري 3 : 68.

3 - نيل الأوطار 2 : 128.



3 - وإليك مجموعة من الروايات الصحيحة من كتب العامة وصحاحهم، تشير إلى وجوب أن يكون السجود على الأرض ومباشرتها، وهذه الروايات تقرّر ما عليه أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام).

أ- روى مسلم في صحيحه عن خباب؛ قال: شكونا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) الصلاة في الرمضاء، فلم يشكنا. ورواه عدد كبير من أهل الحديث عند العامة⁽¹⁾.

قال في فتح الباري شوح صحيح البخاري: حديث خباب: شكونا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) حرّ الرمضاء في جباهنا وأكفنا فلم يشكنا. أي فلم يزل شكوانا، وهو حديث صحيح رواه مسلم⁽²⁾.

وروى في معجم الطواني الكبير: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، ثنا إواهيم بن الحجاج السامي، ثنا وهيب، عن محمد بن جادة، عن سليمان بن أبي هند، عن خباب قال: شكونا إلى النبي (صلى الله عليه وآله) شدة الحرّ في جباهنا وأكفنا فلم يشكنا⁽³⁾.

وقال في سبل السلام: وعرض حديث الاواد بحديث خباب: شكونا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) حرّ الرمضاء في جباهنا وأكفنا، فلم يشكنا أي: لم يزل شكوانا، وهو حديث صحيح رواه مسلم⁽⁴⁾.

قال في مغني المحتاج، للخطيب الشربيني: شوعا أقله (أي السجود) مباشرة بعض جبهته مصلاً، أي: ما يصلي عليه من أرض أو غوها، لخبر:

1- صحيح مسلم 2 : 109، المصنّف لابن أبي شيبة 1 : 358، المعجم الكبير 4 : 72.

2 - فتح الباري 3 : 68.

3- المعجم الكبير 4 : 80 وعنه في كنز العمال 8 : 220.

4- نيل الأوطار 1 : 385.

إذا سجدت فمكّن جبهتك، ولا تتقرّ نقواً، رواه ابن حبان في صحيحه. ولخبر خباب بن الأرت: شكونا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) حرّ الرمضاء في جباهنا وأكفنا فلم يشكنا، أي لم يزل شكوانا، رواه البيهقي بسند صحيح، ورواه مسلم بغير جباهنا وأكفنا. فلو لم تجب مباشرة المصليّ بالجبهة لأرشدهم إلى سترها⁽¹⁾.

وقال في نيل الأوطار، للشوكاني: وفي حديث خباب عند مسلم قال: "شكونا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) حرّ الرمضاء في جباهنا وأكفنا فلم يشكنا، أي لم يعنونا ولم يزل شكوانا"⁽²⁾.

وروى في صحيح مسلم بشوح النووي قال: "فأمّا الجبهة، فيجب وضعها مكشوفة على الأرض، ويكفي بعضها، والأنف مستحبّ، فلو تركه جاز، ولو اقتصر عليه وترك الجبهة لم يجز، هذا مذهب الشافعيّ ومالك والأكثرين.

وقال أبو حنيفة، وابن القاسم، من أصحاب مالك: له أن يقتصر على أيهما شاء.
وقال أحمد، وابن حبيب، من أصحاب مالك: يجب أن يسجد على الجبهة والأنف جميعاً لظاهر الحديث.
وأما اليدان والركبتان والقدمان، فهل يجب السجود عليهما؟ فيه قولان للشافعي:
أحدهما: لا يجب، لكن يستحب استحباباً مؤكداً.

والثاني: يجب، وهو الأصح، وهو الذي رجّحه الشافعي، فلو أخل بعضو

1- مغني المحتاج 1 : 168.

2- نيل الأوطار 1 : 385.

الصفحة 423

منها، لم تصحّ صلاته، وإذا أوجبناه، لم يجب كشف القدمين والركبتين، وفي الكفّين قولان للشافعي
أحدهما: يجب كشفهما كالجبهة، وأصحهما لا يجب⁽¹⁾.

من هذه الرواية والتعليقات عليها يتبين أنّ السجود الواجب في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان بمباشرة الجبهة
الأرض، وذلك بقوينة أنّ الصحابة شكوا شدة حرّ الأرض على جباههم، ولكن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يستجب
لشكواهم، وهذه قوينة الوجوب.

ثم إنّ الرواية قد وردت في صحاح ومسانيد غير صحيح مسلم، وكذلك كلّ التعليقات والشروحات على الرواية تذكر عبارة
"حرّ الرمضاء في جباهنا وأكفنا". وكلهم يؤكّدون أنّ الرواية في صحيح مسلم، مع أنّ رواية مسلم في هذه الأيام مَحذوف منها
عبارة جباهنا وأكفنا، وهذا يدلّ على أنّ يد التحريف والتروير تصل إلى كلّ ما يريد أعداء أهل البيت إخفاءه.

ب- روى السيوطي في الجامع الصغير، عن ابن سعد في طبقاته عن صالح بن خوان: كان رسول الله إذا سجد رفع
العمامة عن جبهته⁽²⁾.

وفي فيض القدير، شرح الجامع الصغير: "كان رسول الله إذا سجد رفع العمامة عن جبهته" وسجد على جبهته وأنفه نون
كور عمامته. قال ابن القيم: لم يثبت عنه سجود على كور عمامته في خبر صحيح ولا حسن وأما خبر عبد الرزاق كان يسجد
على كور عمامته ففيه متروك⁽³⁾.

1 - شرح صحيح مسلم للنووي 4 : 208.

2- الجامع الصغير 2 : 338 ، عن الطبقات الكبرى 1 : 455 ، وفيها أنّ للرواي المباشر هو صالح ابن خوان.

3 - فيض القدير شرح الجامع الصغير 5 : 181.

الصفحة 424

وروى في كنز العمال للمتقي الهندي عن عليّ قال: إذا كان أحدكم يصلّي، فليحسر العمامة عن جبهته .

وروى في نصب الرأية للزعلي: أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) رأى رجلاً يسجد إلى جنبه، وقد اعتم على جبهته،

(2) فحسر رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن جبهته .

وروى في نيل الأوطار للشوكاني، عن صالح بن خيوان السبائي: أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) رأى رجلاً يسجد إلى

(3) جنبه، وقد اعتم على جبهته فحسر عن جبهته .

وروى ابن أبي شيبة، عن عياض بن عبد الله قال: رأى النبيّ الله (صلى الله عليه وآله) رجلاً يسجد على كور العمامة،

(4) فأوماً بيده أن رفع عمامتك .

قال الخطابي: فيه دليل على أنّ السجود لا يخوئ على غير الجبهة، وأنّ من سجد على كور العمامة لم يسجد معها على

(5) شيء من جبهته لم تخوه صلاته .

ج- روى الحاكم في المستدرج على الصحيحين، عن جابر بن عبد الله قال: كنت أصلي الظهر مع رسول الله (صلى الله

عليه وآله) ، فأخذ قبضة من الحصى ليبرد في كفي، أضعها لجبتي أسجد عليها لشدة الحر . هذا حديث صحيح على شرط

(6) مسلم . ورواه البيهقي وأبو داود .

د- روى الترمذي في سننه عن أمّ سلمة قالت: رأى النبيّ (صلى الله عليه وآله) غلاماً لنا يقال

1- كنز العمال 8 : 131.

2 - نصب الرأية 1 : 514 ، السنن الكوى للبيهقي 2 : 105.

3- نيل الأوطار 2 : 290.

4- المصنّف 1 : 300.

5 - نقله العظيم آبادي في عون المعبود 3 : 71.

6 - المستدرج 1 : 195 ، سنن البيهقي 1 : 439 ، سنن أبي داود 1 : 100.

الصفحة 425

(1) له أفلح، إذا سجد نفخ فقال: يا أفلح توب وجهك .

وروى في معجم الطواني الكبير، عن أمّ سلمة: أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) رأى غلاماً لها يصلّي، فقال رسول

(2) الله (صلى الله عليه وآله): توب وجهك يا رباح .

وروى الحاكم في المستدرج على الصحيحين، عن أبي صالح قال: كنت عند أمّ سلمة فدخل عليها ذو قابة لها شاب ذو

جمة، فقام يصلّي، فنفخ، فقالت: يا بني لا تنفخ، فإنه سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول لعبد لنا أسود: أي رباح

(3) توب وجهك .

وفي كنز العمال: عن مصنف عبدالرزاق أنّ رسول الله قال لصهيب: تَرَبَّ وجهك يا صهيب .

هـ- قال في نصب الراية روى الأئمة السنة في كتبهم، عن معيقب: أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: لا تمسح الحصى وأنت تصلي، فإن كنت لا بد قاعلا فواحدة⁽⁵⁾ .

وروى ابن أبي شيبه، عن جابر قال: سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن مسح الحصى، قال واحدة، ولئن تمسك عنها خير لك من مائة ناقة كلها سود الحدقة⁽⁶⁾ .

وروى عبد الرزاق، عن أبي ذر قال: سألت النبي (صلى الله عليه وآله) عن كل شيء، حتى سألته عن مسح الحصى، فقال: واحدة أو دغ. ورواه أحمد في المسند⁽⁷⁾ .

1 - سنن الترمذي 1 : 236، كنز العمال 8 : 131..

2- المعجم الكبير 23 : 324، مسند أحمد 6 : 323.

3- المستدرک على الصحيحين 1 : 271، صحيح ابن حبان 5 : 241.

4- كنز العمال 7 : 465، عن المصنّف 1 : 391 - 392.

5 - نصب الراية 2 : 99،

6- المصنّف 2 : 302.

7 - المصنّف لعبدالرزاق 2 : 39، مسند أحمد 5 : 163.

الصفحة 426

وروى الترمذي، عن أبي ذر عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يمسه الحصى فإن ألحمته⁽¹⁾ تواجهه .

و- قال في فتح الباري شرح صحيح البخاري: روى سعيد بن منصور، عن سعيد بن المسيّب وغوره، أنّ الصلاة على الطنفسة محدث. وإسناده صحيح⁽²⁾ .

وقال في نيل الأوطار للشوكاني: روى ابن أبي شيبه في المصنّف، عن سعيد بن المسيّب ومحمد بن سيرين، أنّهم قالوا: الصلاة على الطنفسة وهي البساط الذي تحته حمل محدثة. وعن جابر بن زيد أنه كان يكوه الصلاة على كل شيء من الحيوان⁽³⁾ .

وروي في الطبقات الكبرى، عن أبان بن يزيد قال: حدثنا قتادة قال: سألت سعيداً عن الصلاة على الطنفسة، فقال: محدث⁽⁴⁾ . (الطنافس هي البسط التي لها حمل خفيف) .

ز- روي في سنن الترمذي عن أبي سعيد: أن النبي (صلى الله عليه وآله) صلى على حصير⁽⁵⁾ .

وروى أبو داود في سننه، عن أنس بن مالك، أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) كان يزور أم سليم، فتركه الصلاة أحياناً،⁽⁶⁾

فيصلي على بساط لنا، وهو حصير تتضحه بالماء .

قال الأحمدي في تحفته : قال الواقفي في شرح الترمذي: فرق المصنّف،

1 - سنن الترمذي 1 : 235، سنن النسائي 3 : 6.

2 - فتح البري 1 : 289.

3- نيل الأوطار 2 : 128.

4 - الطبقات الكبرى 5 : 134.

5 - سنن الترمذي 1 : 208.

6- سنن أبي داود 1 : 155.

الصفحة 427

يعني الترمذي، بين حديث أنس في الصلاة على البساط، وبين حديث أنس في الصلاة على الحصير، وعقد لكلّ منهما باباً.

وقد روى ابن أبي شيبة في سننه ما يدلّ على أنّ العواد بالبساط الحصير بلفظ: فيصلي أحيانا على بساط لنا وهو حصير

فننضحه بالماء. قال الواقفي: فتبيّن أنّ مواد أنس بالبساط، الحصير، ولا شك أنّه صادق على الحصير؛ لكونه يبسط على

(1)

الأرض، أي ي فرش .

وروي في سنن النسائي، عن أنس بن مالك: أنّ أمّ سليم سألت رسول الله(صلى الله عليه وآله) أن يأتيها فيصلي في بيتها،

(2)

فتنّخذة مصلي، فأتاها، فعمدت إلى حصير فنضحته بماء، فصلي عليه وصلوا معه .

ح- روى البخاري عن ميمونة قالت: كان رسول الله يصلي على الخوة. وأبو داود والنسائي وغيرهم عن ميمونة، ورواه

(3)

الترمذي عن ابن عباس وقال: وفي الباب عن أمّ حبيبة وابن عمر وأمّ سلمة وعائشة وميمونة، وأمّ كلثوم .

وروي في مجمع الزوائد عن ابن عمر قال: كان رسول الله(صلى الله عليه وآله) يصلي على الخوة. وقال: رواه أحمد،

والنوّار، والطواني في الكبير، والأوسط وزاد فيه: ويسجد عليها، ورجال أحمد رجال الصحيح، ورواه أحمد أيضاً بإسناد

(4)

رجاله رجال الصحيح .

ط- روى أحمد في مسنده عن وائل بن حجر قال: رأيت رسول الله(صلى الله عليه وآله) يسجد على الأرض، واضعاً

(5)

جبهته وأنفه في سجوده .

1 - تحفة الأحمدي بشوح جامع الترمذي 2 : 250.

2- سنن النسائي 2 : 57.

3- سنن الترمذي 1 : 207.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد، وفيه: فصلّى بنا النبي (صلى الله عليه وآله) حتى رأيت أثر الطين والماء على جبهة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ورأيت أثره⁽¹⁾.

وروى مسلم في صحيحه، عن أبي سعيد، قال: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين انصرف وعلى جبهته ورأيت أثره⁽²⁾.

وروى في المعجم الأوسط، عن أبي هريرة قال: سجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) في يوم مطير حتى إنني لأنظر أثر ذلك في جبهته ورأيت أثره⁽³⁾.

وقال السيوطي في الدر المنثور: أخرج مالك، وابن أبي شيبة، والطيالسي، وأحمد، والبخاري، ومسلم، وابن ماجه، وابن جرير، والبيهقي، عن أبي سعيد الخوري قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يعتكف العشر الأوسط من شهر رمضان، فاعتكف عاما حتى إذا كان ليلة إحدى وعشرين، وهي الليلة التي يخرج من اعتكافه فقال: من اعتكف معي فليعتكف العشر الأواخر، وقد رأيت هذه الليلة، ثم أنسيتها، وقد رأيتني أسجد من صبيحتها في ماء وطين، فالتمسوها في العشر الأواخر، والتمسوها في كل وتر. قال أبو سعيد: فمطوت السماء من تلك الليلة، وكان المسجد على عيش، فوكف المسجد. قال أبو سعيد: فأبصرت عينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلى جبهته وأنفه أثر الماء والطين من صبيحة إحدى وعشرين⁽⁴⁾.

وهكذا أخي الكريم، وبعد كل ما ذكرنا بالنسبة للسجود، يتبين أن السجود على الأرض مباشرة هو الواجب، أو على ما نبت من الأرض مما لا يؤكل ولا

1 - صحيح البخاري 1 : 198، صحيح مسلم 3 : 172 واللفظ للأول.

2- صحيح مسلم 3 : 172.

3- المعجم الأوسط 1 : 36.

4- الدر المنثور 6 : 373.

يلبس، وهو ما عليه الشيعة الإمامية، وهو الحق الذي أكدّه كل علماء المسلمين، فلماذا يشنع الجاهلون على أتباع أهل البيت (عليهم السلام) مباشرة الأرض في سجودهم؟ إنّه الجهل والمكاورة والحسد.

أمّا لماذا يحمل الشيعي معه قطعة من أرض كربلاء من تربة الحسين (عليه السلام) إذا أراد الصلاة؟ فالجواب من عدة وجوه وهي: أنّ الواجب هو السجود على الأرض مباشرة، وهذا لا يتوفر اليوم في بيوتنا ومساجدنا المغطاة بالطنافس وأنواع

السجّاد، فوجب أن تتحقّق شروط مباشرة الأرض بالسجود، ولا يتم ذلك إلا إذا كان مع المصلّي قطعة من التراب الطاهر، أو الحصير، حتّى يتحقّق الحكم الشرعي، وذلك أن السجود على هذه الأنواع من السجاد مبطل للسجود، كما ذكر عشوات العلماء من أهل السنّة قبل الشيعة، والوجه الثاني: أن يكون مكان السجود طاهراً، وطهارة مكان السجود تتحقّق بالتأكّد من طهارة الموضع، ولضمان الطهارة تهيّأ قطعة من الأرض أو الحصير من أجل السجود عليها.

ومن أفضل الأماكن في الأرض هي تربة أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)، سيّد الشهداء، وسيّد شباب أهل الجنّة، وحبیب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، الذي دعا لمن أحبّ الحسين عندما قال: حسين منّي وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً⁽¹⁾.

كما أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان هو أول من حمل وقبّل تربة الحسين، وأول من بكى عليها، وهذا يعطي لتربة الحسين (عليه السلام) الأولويّة، مع أنّ الأرض كلّ الأرض جعلت مسجداً وطهوراً، ولكن دائماً هناك أفضلية وأولويات وهذه هي سنّة الحياة.

1 - سنن الترمذي 5 : 324، مسند أحمد 4 : 172.

الصفحة 430

روي في مجمع الزوائد، عن أنس بن مالك: أنّ ملك القطر استأذن أن يأتي النبي (صلى الله عليه وآله) فأذن له، فقال لأُمّ سلمة: إملي علينا الباب، لا يدخل علينا أحد. قال: وجاء الحسين بن عليّ ليدخل، فمنعته، فوثب فدخل، فجعل يقعد على ظهر النبي (صلى الله عليه وآله)، وعلى منكبه، وعلى عاتقه، قال: فقال الملك للنبي (صلى الله عليه وآله): أتحبّه؟ قال: نعم. قال: إن أمّتك ستقتله، وإن شئت رأيتك المكان الذي يقتل به. فضرب بيده، فجاء بطينة حواء فأخذتها أمّ سلمة فصورتها في خملها. قال ثابت: بلغنا أنّها كربلاء. قال الهيثمي ورواه أحمد وأبو يعلى والزار والطواني بأسانيد⁽¹⁾.

التكثّف في الصلاة:

من المسائل البارزة في مذهب أهل البيت (عليهم السلام) إسبال اليدين في الصلاة، فلا يجوز التكثّف، بل إنّه من المبطلات لها إذا صار جزءاً منها.

وإسبال اليدين في الصلاة من القضايا التي يعاني منها المستبصرون، خصوصاً إذا رآهم أحد العامة، مع أنّ إسبال اليدين هو الواجب في المذهب المالكي، ولكنّ العامة لا يعجبهم هذا الأمر، ويبدؤون بالطعن والتشكيك فيمن يطبق حكم الله تعالى في الصلاة.

والحقيقة أنّ قضية التكفير، وهي وضع اليدين على الصدر، ليس لها أصل في الشيعة، بل إنّها مستحدثة في خلافة عمر بن الخطاب عندما زلّه وفد من العجم، فلما وقفوا أمامه ليؤنّوا له التحية، وضعوا أيديهم على صدورهم احتراماً، فأعجبه ذلك الفعل، فأمر الناس بعدها بتلك الكيفية؛ ولذلك فإنّ من دقّق في الروايات يتبيّن له أن الأمر بالتكفير جاء مستحدثاً بعد رسول

فقد روى البخاري في صحيحه، في كتاب صفة الصلاة، عن أبي حزم، عن سهل بن سعد قال: كان الناس يؤمرون أن يضع الرجل يده اليمنى على فواحه اليسوى في الصلاة. قال أبو حزم: لا أعلمه، إلا ينمي ذلك إلى النبي(صلى الله عليه وآله) (1)

والحديث معلول؛ لأنه ظنّ من أبي حزم، وليس من كلام رسول الله، وهذا ما ذكره العديد من علماء العامة. ولما أن جاء عصر وضع الحديث في العصر الأموي، حتى قام الوضاعون بتثبيت تلك الهيئة من خلال إسناد الفعل إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله).

والدليل على ذلك كثرة، الاختلاف في تلك المسألة بين المذاهب الإسلامية، وحتى بين علماء المذهب الواحد عند العامة، فمسألة التكفير - أي وضع اليدين على الصدر - لها في كتب الفقه أحكام كثيرة، وهيئات متعدّدة، وكلّ صاحب هيئة من تلك الهيئات يطعن في روايات أصحاب الهيئات الأخرى، فمن قال بأنّ وضع اليد اليمنى على اليسوى تحت السوة مثلاً، فإنه يضعف كلّ ما ورد من روايات تأمر بوضع اليدين على السوة، أو فوقها، أو بشدهما على الصدر، وكذلك بالنسبة للآخرين، فإنهم يطعنون بروايات بعضهم، ويختلفون بهيئات وضع اليدين كثراً، وهذا الاختلاف بحد ذاته دليل على أن تلك الهيئة لم ترد عن رسول الله(صلى الله عليه وآله)، فما كان من الوحي، ومن نبع النبوّة والرسالة، فإنه لا يختلف ولا يتناقض.

وعلاوة على كلّ ذلك، فإنّ حكم التكفير عندهم، أنه سنة، فلماذا الاختلاف في تلك المسألة بشكل يخرج عن حدود المعقول؟

والجواب: كما

ذكرت في عدّة أبحاث، أنّ كلّ مسألة تبرز في مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، هي التي تكون غالباً عرضة للطعن والتشكيك والتأويل يوماً من قبل خصوم أهل البيت وأتباعهم، وأيضاً فإنّ كلّ مسألة تم اختراعها بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله) ولم تكن من سنته قاموا بتثبيتها ووضع الأحاديث، مما يحولها من قول أو فعل مستحدث إلى سنة نبوية، وهذه المسألة هي من نوعيّة ما ذكرنا، ولذلك كثر الاختلاف فيها.

ولكنّ الحقّ دائماً لأبد وأنّ يُنتصر، ولا بدّ أنّ يكون هناك رأي فقهية عند العامة تعرّف وتقرّر ما كانت عليه الهيئة المطلوبة للصلاة وغيرها، فكما بيّنا وسنبين أنّ العديد من علماء العامة، كالإمام مالك وأصحابه وغيرهم، قالوا بإسبال اليدين، وإنّ التكفير

منهياً عنه، وأنه ليس من سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، واليكم بعض من آراء العلماء واختلافهم، ثم تلحق بعد ذلك مجموعة من الروايات من عند العامة، حتى يتبين لك الحق، وأن ما عليه الشيعة الإمامية هو الحق الثابت عن رسول الله (صلى الله عليه وآله).

قال في تحفة الأحوذى: وقال المالكية بـرسال اليدين في الصلاة. قال الحافظ ابن القيم في الأعلام بعد ذكر أحاديث وضع اليدين في الصلاة ما لفظه: فهذه الآثار قد وردت برواية القاسم عن مالك قال: تركه أحب إلي، ولا أعلم شيئاً قد ردت به سواه انتهى. والعجب من المالكية أنهم كيف آثروا رواية القاسم عن مالك، مع أنه ليس في رسال اليدين حديث صحيح، وتركوا أحاديث وضع اليدين في الصلاة، وقد أخرج مالك حديث سهل بن سعد المذكور، وقد عقد له باباً بلفظ: وضع اليدين إحداهما على الأخرى في الصلاة، فذكر أولاً: أثر عبد الكريم بن أبي المخارق أنه قال: من كلام النبوة: إذا لم تستح فاصنع ما شئت، ووضع اليدين إحداهما على الأخرى في الصلاة،

الصفحة 433

يضع اليمنى على اليسرى وتعجيل الفطر والاستيناس بالسحور. ثم ذكر حديث سهل بن سعد المذكور (ورأى بعضهم أن يضعهما فوق السورة، ورأى بعضهم أن يضع تحت السورة) قد أجمل الترمذي الكلام في هذا المقام، فلنا أن نفضله. فاعلم أن مذهب الإمام أبي حنيفة: أن الرجل يضع اليدين في الصلاة تحت السورة، والواة تضعهما على الصدر، ولم يرو عنه ولا عن أصحابه شيء خلاف ذلك، وأما الإمام مالك فعنه ثلاث روايات: إحداهما وهي المشهورة عنه، أنه يرسل يديه كما نقله صاحب الهداية، والسخسي في محيطه، وغورهما، عن مالك. وقد ذكر العلامة أبو محمد عبد الله الشاسي المالكي في كتابة المسمى بعقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة، والزرقاني في شوح الموطأ: أن رسال اليد رواية ابن القاسم عن مالك وزاد الزرقاني أن هذا هو الذي صار إليه أكثر أصحابه. الثانية: أن يضع يديه تحت الصدر فوق السورة، كذا ذكره العيني في شوح الهداية عن مالك، وفي عقد الجواهر أن هذه رواية مطرف والماجشون عن مالك. الثالثة: أنه تخير بين الموضع والإرسال، وذكر في عقد الجواهر وشوح الموطأ أنه قول أصحاب مالك المدنيين.

وأما الإمام الشافعي فعنه أيضاً ثلاث روايات: إحداهما: أنه يضعهما تحت الصدر فوق السورة، وهي التي ذكرها الشافعي في الأم، وهي المختلة المشهورة عند أصحابه المذكورة في أكثر متونهم وشروحهم. الثانية: وضعهما على الصدر، وهي الرواية التي نقلها صاحب الهداية من الشافعي، وقال العيني: إنها المذكورة في الحوي من كتبهم. الثالثة: وضعهما تحت السورة، وقد ذكر هذه الرواية في شوح المنهاج بلفظ: قيل: وقال في المواهب اللدنية: إنها رواية عن بعض أصحاب الشافعي.

الصفحة 434

وأما الإمام أحمد فعنه أيضاً ثلاث روايات: إحداهما: وضعهما تحت السورة، والثانية: وضعهما تحت الصدر، والثالثة: التخير بينهما، وأشهر الروايات عنه الرواية الأولى، وعليه جماهير الحنابلة، هذا كله مأخوذ من فوز الكرام للشيخ محمد قائم السندي،⁽¹⁾ ورواهم الصوة لمحمد هاشم السندي .

وقال في بداية المجتهد ونهاية المقتصد: اختلف العلماء في وضع اليدين إحداهما على الأخرى في الصلاة، فكه ذلك مالك في الفوض، وأجزه في النفل. ورأى قوم أنّ هذا الفعل من سنن الصلاة، وهم الجمهور. والسبب في اختلافهم أنّه قد جاءت آثار ثابتة نقلت فيها صفة صلاته عليه الصلاة والسلام، ولم ينقل فيها أنّه كان يضع يده اليمنى على اليسرى، وثبت أيضاً أنّ الناس كانوا يؤمرون بذلك. وورد ذلك أيضاً من صفة صلاته عليه الصلاة والسلام في حديث أبي حميد، فأى قوم أنّ الآثار التي أثبتت ذلك اقتضت زيادة على الآثار التي لم تنقل فيها هذه الزيادة، وأنّ الزيادة يجب أن يصر إليها. ورأى قوم أنّ الأوجب المصير إلى الآثار التي ليس فيها هذه الزيادة، لأنّها أكثر، ولكون هذه ليست مناسبة لأفعال الصلاة، وإنّما هي من باب الاستعانة، ولذلك أجزها مالك في النفل ولم يجزها في الفوض (2).

ومما يؤكد على أنّ التكفير في الصلاة منهي عنه وأنه أمر مستحدث وأنّ الإسبال هو الصحيح، ما سأذكره من روايات قر علماء العامّة صحتّها وإنّ حاولوا تأويلها كعادتهم بما يتلاءم مع رأيتهم وأحكامهم. فقد روى في نصب الراية أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) نهى عن التكفير في الصلاة، ورواه ابن خزيمة.

1- تحفة الأحوزي 2 : 73 - 74.

2- بداية المجتهد ونهاية المقتصد 1 : 112.

الصفحة 435

ومما يدلّ على أنّ التكفير والتكفّف في الصلاة كان أمراً غير موجود في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكان مستهجنًا أيضاً من قبل العديد من الصحابة، الروايات التالية، ولكنّها ومع وضوحها، فإنهم حاولوا صرفها عن معناها بمعان أخرى، حتّى لا يطعنوا بما كانوا يؤمرون به بوضع اليد اليمنى على اليسرى.

فقد أورد السيوطي في الجامع الصغير عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إنّما مثل الذي يصليّ ورأسه معقوص مثل الذي يصليّ وهو مكتوف. رواه أحمد والطواني وغيرهم (1).

وروى مسلم في صحيحه أنّ عبد الله بن عباس رأى عبد الله بن الحارث يصليّ ورأسه معقوص من روائه، فقام فجعل يحلّه، فلما انصرف، أقبل إلى ابن عباس فقال: مالك ورأسى؟ فقال: إني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إنّما مثل هذا مثل الذي يصليّ وهو مكتوف. والنسائي وأبو دلوود وغيرهم (2).

هذه الروايات واضحة في مفهومها، وصريحة في منطوق معنى كلمة مكتوف، وليقل المؤولون ما يقولون، وليفسوها بما يشاؤون، فهذا ديدنهم في كلّ ما يخالف فتواهم وتفسواتهم.

ولكنّ المهمّ هو أنّ ما يقوله الشيعة، أتباع أهل البيت (عليهم السلام)، هو حكم إسلامي، وله أدلة قوية عند كلّ مذاهب

المسلمين.

التسليم والخروج من الصلاة:

من أحكام الصلاة عند الشيعة الإمامية، أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، هو التسليمة الواحدة للخروج من الصلاة، ثم التكبير بعدها ثلاثاً، وهذا حكم ثابت

1- الجامع الصغير 1 : 398، مسند أحمد 1 : 316، المعجم الكبير 11 : 334.

2- صحيح مسلم 2 : 53، سنن النسائي 2 : 215 - 216، سنن أبي داود 1 : 153.

الصفحة 436

ومعروف، ولكننا لا نستطيع إزله أمام الجاهلين بمذاهبهم قبل مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، فكان لا بد أن نبين صحة ما عليه الشيعة من أدلة العامة، وأن غالبية أحكام الإمامية لها أصول ثابتة عند أهل السنة، ويستدل عليها بقوة من عندهم. فأما بالنسبة للتسليمة الواحدة، فقد وردت روايات عديدة تفور هذا المعنى، نكتفي منها بما يلي:

فقد أورد السيوطي في الجامع الصغير، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): في كل ركعتين تسليمة. ورواه ابن ماجه (1).

وأما فيما يتعلق بالتسليمة الواحدة واتجاهها، فإليك الروايات:

روى الحاكم في المستدرک، عن عائشة: أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يسلم في الصلاة تسليمة واحدة تلقاء وجهه، يميل إلى الشق الأيمن قليلاً شيئاً. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. وقد رواه وهيب بن خالد، عن عبيد الله بن عمر، عن القاسم، عن عائشة: أنها كانت تسلم تسليمة واحدة (2).

وروى ابن ماجه، في سننه، في باب من يسلم تسليمة واحدة، عن سهل بن سعد الساعدي، عن أبيه، عن جده: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) سلم تسليمة واحدة تلقاء وجهه. ورواه أيضاً عن عائشة (3).

وروي في كنز العمال، عن الحسن البصري قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأبو بكر وعمر يسلمون تسليمة واحدة (4).

1- الجامع الصغير 2 : 228، سنن ابن ماجه 1 : 419.

2- المستدرک على الصحيحين 1 : 23 - 231.

3- سنن ابن ماجه 1 : 297.

4- كنز العمال 8 : 159، وأخرجه عبد الرزاق في المصنّف 2 : 222 واللفظ للأول .

الصفحة 437

وروى الطواني في الكبير، عن سمرة، أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يسلم تسليمة حيال وجهه (1).

وأما بالنسبة إلى التكبير بعد التسليم فإليك الروايات:

فقد روى البخاري في صحيحه، في كتاب صفة الصلاة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت أعرف انقضاء صلاة النبي (صلى الله عليه وآله) بالتكبير⁽²⁾.

وروى مسلم في صحيحه، في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، عن ابن عباس، قال: كنا نعرف انقضاء صلاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالتكبير⁽³⁾.

وروى النسائي في سننه، عن ابن عباس قال: إنما كنت أعلم انقضاء صلاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالتكبير⁽⁴⁾.

وروى أبو داود في سننه، عن ابن عباس قال: كان يعلم انقضاء صلاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالتكبير⁽⁵⁾.

وروى أبو داود في سننه: أن أبا معبد، مولى ابن عباس، أخوه أن ابن عباس أخوه:

أن رفع الصوت للذكر حين ينصوف الناس من المكتوبة، كان ذلك على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأن ابن عباس قال: كنت أعلم إذا انصوفوا بذلك وأسمعه⁽⁶⁾.

واليك بعض من أقوال العلماء ورآئهم فيما يتعلّق بالتسليم، والذي في

1- المعجم الكبير 7 : 225.

2 - صحيح البخاري 1 : 204.

3- صحيح مسلم 2 : 91.

4- سنن النسائي 3 : 67.

5- سنن أبي داود 1 : 226.

6- سنن أبي داود 1 : 226.

الصفحة 438

جملتهم يؤكّدون على التسليمة الواحدة:

قال النووي في الأذكار النووية: والواجب تسليمة واحدة، وأما الثانية فسنة لو تركها لم يضره⁽¹⁾.

قال الترمذي: ورأي قوم من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) وغوهم تسليمة واحدة في المكتوبة. قال الشافعي: إن شاء سلم تسليمة واحدة، وأن شاء سلم تسليمتين⁽²⁾.

وقال في حاشية السندي على النسائي: تمّ سلم واحدة أي: تسليمة واحدة، والاكتفاء بالواحدة ورد⁽³⁾.

وروى الكتّاني في نظم المتناثر من الحديث المتواتر قال: قال ابن القيم روى البيهقي في المعرفة، من طريق حميد، عن

أنس: أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يسلم تسليمة واحدة، ورجاله ثقاة اهـ. ومن حجج من يقول بها، وهم المالكية، عمل

أهل المدينة، وما روى مرسلاً عن الحسن: أن النبي (صلى الله عليه وآله) وأبا بكر وعمر كانوا يسلمون تسليمة واحدة⁽⁴⁾.

وقال الجزوي في الفقه على المذاهب الأربعة عند تطوّقه لرأي المالكية: وأما الفذ والإمام، فلا يسلم كل منهما إلا تسليمة

(5)

واحدة، هي تسليمة التحليل، ويندب لهما أن يبدأها لجهة القبلة .

وقال السرخسيّ في المبسوط: وكان مالك يقول: يسلم تسليمة واحدة تلقاء وجهه، وهكذا روت عائشة، وسهل ابن سعد الساعديّ، عن رسول الله⁽⁶⁾ .

1- الأذكار النووية : 70.

2- سنن الترمذي 1 : 182.

3- حاشية السندي على النسائي : 289.

4- نظم المتناثر من الحديث المتواتر : 98.

5- الفقه على المذاهب الأربعة 1 : 265.

6- المبسوط 1 : 30.

الصفحة 439

وقال في بداية المجتهد ونهاية المقتصد: اختلفوا في التسليم من الصلاة، فقال الجمهور بوجوبه، وقال أبو حنيفة وأصحابه: ليس بواجب، والذين أوجبوه، منهم من قال: الواجب على المنفرد والإمام تسليمة واحدة، ومنهم من قال: اثنتان⁽¹⁾ .

وقال الصنعاني في سبل السلام: وذهب الشافعي إلى أنّ الواجب تسليمة واحدة، والثانية مسنونة. وقال النووي: أجمع العلماء الذين يعتد بهم: أنّه لا يجب إلا تسليمة واحدة، فإن اقتصر عليها استحبه له أن يسلم تلقاء وجهه، فإن سلم تسليمتين، جعل الأولى عن يمينه، والثانية عن يسره⁽²⁾ .

وقال الصنعاني في سبل السلام: واستدل المالكية على كفاية التسليمة الواحدة بعمل أهل المدينة، وهو عمل قولثوه كانوا⁽³⁾ عن كابر .

وقال الشوكاني في نيل الأوطار : وعن أنس عن ابن أبي شيبه: "أنّ النبي(صلى الله عليه وآله) سلم تسليمة واحدة" وعن الحسن موسلاً: "أنّ النبي(صلى الله عليه وآله) وأبا بكر وعمر كانوا يسلمون تسليمة واحدة" ذكره ابن أبي شيبه، وقال: حدثنا أبو خالد، عن حميد قال: "كان أنس يسلم واحدة" وحدثنا أبو خالد، عن سعيد ابن مرزبان قال: صليت خلف ابن أبي ليلى، فسلم واحدة، ثم صليت خلف علي فسلم واحدة، وذكر مثله عن أبي وائل، ويحيى بن وثاب، وعمر بن عبد العزيز، والحسن، وابن سيرين، والقاسم بن محمّد، وعائشة، وأنس، وأبي العالية، وأبي رجاء، وابن أبي أوفى، وابن عمر، وسعيد بن جبير، وسويد، وقيس ابن أبي حلزم، بأسانيدهم إليهم، وذكر ذلك عبد الزراق عن الزهري.

1- بداية المجتهد ونهاية المقتصد 1 : 107.

2- سبل السلام 1 : 196.

قال الترمذي: ورأى قوم من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) والتابعين وغوهم تسليمه واحدة في المكتوبة (1).

التأمين بعد الفاتحة في الصلاة:

التأمين: وهو قول أمين بعد قِراءة الفاتحة في الصلاة، وهو عند الإمامية مبطل؛ للصلاة لأنه من كلام الناس الذي لا يجوز في الصلاة، ولأنه لم يرد نص صحيح عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه فعل ذلك. وقال الشوكاني في نيل الأوطار: وقد استدلل صاحب البحر على أن التأمين بدعة، بحديث معاوية بن الحكم السلمي: أن هذه صلاتنا لا يصلح فيها شيء من كلام الناس (2).

وذكر النووي في شوح مسلم، عند قوله (صلى الله عليه وآله): إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس...، قال: فيه تحريم الكلام في الصلاة، سواء كان حاجة أو غيرها، وسواء كان لمصلحة الصلاة أو غيرها، فإن احتاج إلى تنبيهه أو إذن لداخل ونحوه، سبَّح إن كان رجلاً، وشفقت إن كانت امرأة، هذا مذهبنا، ومذهب مالك، وأبي حنيفة رضي الله عنهم (3) والجمهور من السلف والخلف.

وأما بالنسبة للعامة، فقد اختلفوا فيها، فمنهم من أوجبها، ومنهم من جعلها مندوبة، ومنهم من قال بالجهر بها، ومنهم من قال بالإسوار، ومنهم من شرطه إذا قالها الإمام، ومنهم من لم يشترط ذلك، وغير ذلك من الاختلافات، والتي

1- نيل الأوطار 2 : 342 - 343.

2- نيل الأوطار 2 : 246.

3- شوح صحيح مسلم 5 : 20 - 21.

تؤكد أن عدم وضوح الأمر بالتأمين والاختلاف فيه، هو عملية متناقضة، كالمسائل الأخرى المتناقضة والمتضاربة، وهذا يدل على أنها ليست من نبع النوبة ومعدن الرسالة.

إن التأمين بعد قِراءة الفاتحة في الصلاة لم يكن معروفاً في العهد النووي، ولا أمر رسول الله به، بل إنها مسألة استحدثت بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) في عهد عمر بن الخطاب، والراجح أنها استحدثت في عهد معاوية، وكان المنظر الأول لها أبو هريرة، كما سيتبين من خلال الروايات التي تدعو إلى التأمين، فإنها في أغلبها ولادة عنه.

فقد روى ابن ماجة في سننه، عن أبي هريرة؛ قال: تَرَكَ النَّاسُ التَّأْمِينَ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) إِذَا قَالَ {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} (1) قال: آمين، حتى يسمعها أهل الصف الأول. فيرتج بها المسجد (2).

فهل من الممكن أن يتوكَّل الصحابة التأمين، إذا كان هو المأمور به في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، حتى يأتي

أبو هرة بعد عقد أو عقود حتى يذكر الناس به، ويشددّ عليه، ويأمر به؟.

ومما يؤكد أنّ التأمين كان أمراً مستحدثاً، رواية البخري التالية:

فقد روى في صحيحه، في كتاب صفة الصلاة قال: أمّن ابن الزبير ومن وراءه، حتى أن للمسجد للجة، وكان أبو هرة

ينادي الإمام: لا تفتني بآمين. وقال نافع: كان ابن عمر لا يدعه، ويحضهم، وسمعت منه في ذلك خوا⁽³⁾.

لاحظوا عندما يقول أمّن ابن الزبير، فلو كان التأمين بعد الفاتحة في الصلاة

1- الفاتحة : 7.

2- سنن ابن ماجة 1 : 278.

3 - فتح البري 2 : 218.

الصفحة 442

معروفاً أو مشهوراً في العهد النووي لما قال: إنّ ابن الزبير أمّن، وتشديد أبي هرة أيضاً في الحديث، يدلّ على أنه كما

قلنا أمراً مستحدثاً، وكذلك قول نافع في الرواية يؤيد ما ذهبنا إليه.

وإليك أخي الكريم طائفة من أقوال علماء العامة وما فيها من تناقضات، ولكنّ المدقق في تلك الآراء يتبين له صحة ما ذهبنا

إليه.

قال ابن حجر في فتح البري: وخالف مالك في إحدى الروايتين عنه، وهي رواية ابن القاسم فقال: لا يؤمن الإمام في

(1)

الجهريّة، وفي رواية عنه: لا يؤمن مطلقاً .

وقال الجزوي في الفقه على المذاهب الأربعة: ... قالوا: التأمين يكون سواً في الجهريّة والسرية، سواء كان ذلك عقب

(2)

فواغه من قاءة الفاتحة، أو بسبب سماعه ختام الفاتحة من الإمام، أو من جلّه، ولو كانت قاءتهما سوّية .

وقال في بداية المجتهد ونهاية المقتصد: فأما هل يؤمن الإمام إذا فوّغ من قاءة أم الكتاب، فإن مالكا ذهب في رواية ابن

القاسم عنه، والمصريين، أنّه لا يؤمن، وذهب جمهور الفقهاء إلى أنّه يؤمن كالمأموم سواء، وهي رواية المدنيين عن مالك،

وسبب اختلافهم أنّ في ذلك حديثين متعلّضين الظاهر: أحدهما: حديث أبي هرة المتفق عليه في الصحيح أنّه قال: قال

رسول الله(صلى الله عليه وآله): إذا أمّن الإمام فأموأ. والحديث الثاني ما خرّجه مالك، عن أبي هرة أيضاً أنّه قال عليه

الصلاة والسلام: إذا قال الإمام غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فقولوا آمين. فأما الحديث الأول، فهو نصّ في تأمين

الإمام. وأما الحديث الثاني، فيستدلّ منه على أنّ الإمام لا يؤمن، وذلك أنه لو كان يؤمن

1 - فتح البري 2 : 218.

2- الفقه على المذاهب الأربعة 1 : 250.

لما أمر المأموم بالتأمين عند الفواغ من أم الكتاب قبل أن يؤمن الإمام؛ لأن الإمام كما قال عليه الصلاة والسلام: إنما جعل الإمام ليؤتم به. إلا أن يخص هذا من أقوال الإمام، أعني أن يكون للمأموم أن يؤمن معه أو قبله، فلا يكون فيه دليل على حكم الإمام في التأمين، ويكون إنما تضمن حكم المأموم فقط، لكن الذي يظهر أن مالكا ذهب مذهب التوجيه للحديث الذي رواه؛ لكون السامع هو المؤمن لا الداعي، وذهب الجمهور لتوجيه الحديث الأول؛ لكونه نصاً؛ ولأنه ليس فيه شيء من حكم الإمام، وإنما الخلاف بينه وبين الحديث الآخر في موضع تأمين المأموم فقط، لا في هل يؤمن الإمام أو لا يؤمن، فتأمل هذا. ويمكن أيضاً أن يتأول الحديث الأول بأن يقال: إن معنى قوله: فإذا أمن فأمنوا، أي إذا بلغ موضع التأمين، وقد قيل: إن التأمين هو الدعاء، وهذا عدول عن الظاهر لشيء غير مفهوم من الحديث إلا بقياس: أعني أن يفهم من قوله: فإذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين فأمنوا. أنه لا يؤمن الإمام⁽¹⁾.

الجهر بالبسملة من علام الإيمان:

يعتبر الشيعة الإمامية البسملة آية من آيات القرآن الكريم، وأن الجهر بها في الصلوات الجهرية والسوية من علامات الإيمان، وأيضاً فإن هذا الحكم كغره من الأحكام له أصول ودلائل كثيرة من عند العامة، وبه قال العديد من علمائهم. ولقد كانت البسملة في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) آية من القرآن الكريم، بل من أعظم آياته الشريفة، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقرأها ويجهر بها، وكذلك الصحابة من بعده، حيث لم يشك أحد بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله).

1 - بداية المجتهد ونهاية المقتصد 1 : 119.

واستمر الوضع على الإقرار بأنها آية عظيمة من القرآن الكريم، حتى جاء عمرو بن العاص، وبأمر من معاوية بن أبي سفيان وعمد إلى أعظم آية في القرآن الكريم فأنكروها ووضع قواعد رآتها من الفاتحة، بل من القرآن وسوره. فقد قال السيوطي في الدر المنثور: أخرج البيهقي، عن الزهري قال: من سنة الصلاة أن يقرأ **{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}** وإن أول من أسر **{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}** عمرو بن العاص بالمدينة. ولقد كان معاوية بن أبي سفيان قد قرّر ترك البسملة، حقداً وبغضاً لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ولقد قام بعدة محاولات قبل أن يعلن أن البسملة ليست من آيات القرآن الكريم، ولكنه في كل مرة كان المهاجرون والأنصار يتصنون له.

روى الحاكم في المستدرک على الصحيحين، عن أنس بن مالك قال: صلّى معاوية بالمدينة صلاة، فجهر فيها بالقراءة، فقرأ فيها: بسم الله الرحمن الرحيم لأمّ القرآن، ولم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم للسورة التي بعدها حتى قضى تلك القراءة، فلما سلم، ناداه من سمع ذلك من المهاجرين والأنصار من كل مكان: يا معاوية، أسوقت الصلاة، أم نسيت؟⁽¹⁾.

وقال السرخسي في المبسوط: ولما صلى معاوية بالمدينة، ولم يجهر بالتسمية، أنكروا عليه وقالوا: أسوقت من الصلاة، أين التسمية، فدلّ أنّ الجهر بها كان معروفاً عندهم⁽²⁾.

1- المستترك على الصحيحين 1 : 233.

2- المبسوط 1 : 15.

الصفحة 445

ثمّ جاء بعد ذلك وضاعوا الحديث، وبأموال حكومة بني أمية، وأوامر معاوية ليثبتوا هذا التحريف الخطير في القوان الكريم وآياته، ووضعوا أحاديث مزوّرة من أجل تأييد ذلك التحريف الخطير، ولكن يأبى الله إلا أن يتمّ نوره ولو كره المبغضون والحاقدون، فلقد امتلأت كتب الحديث عند العامة بالروايات الصحيحة، والتي تقرّر بأنّ البسملة آية من الفاتحة، وأيضا بالروايات التي تقرّر الجهر بها، واليك بعض من تلك الروايات:

روى الدارقطني والبيهقي في السنن بسند صحيح، عن عبد خير قال: سئل علي رضي الله عنه عن السبع المثاني فقال: **{ الْحَمْدُ لِلَّهِ }** فقبل له: إنّما هي ستّ آيات! فقال: **{ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ }** آية⁽¹⁾.

قال السيوطي في الدر المنثور: أخرج الطواني في الأوسط، وابن مردويه في تفسوه، والبيهقي، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) **{ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }** سبع آيات **{ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ }** إحداهن، وهي السبع المثاني، والقوان العظيم، وهي أمّ القوان، وهي فاتحة الكتاب⁽²⁾.

فأخرج الدارقطني، والبيهقي عن أبي هريرة: أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) كان إذا قرأ وهو يؤمّ الناس افتتح بسم الله الرحمن الرحيم، قال أبو هريرة: آية من كتاب الله، اقرأوا إنّ شئتم فاتحة الكتاب، فإنّها الآية السابعة⁽³⁾.

وأخرج ابن الأثير في المصاحف، عن أمّ سلمة قالت: "قرأ رسول الله (صلى الله عليه وآله) **{ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ }؟** **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟** **الْوَحْمَنُ الرَّحِيمُ؟** **مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ؟** **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ؟** **أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمَسْتَقِيمَ**

1- سنن الدارقطني 1 : 311، السنن الكوى 2 : 45. وأورده في الدر المنثور 1 : 3.

2- الدر المنثور 1 : 3 - 4.

3- نفس المصدر السابق.

الصفحة 446

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } وقال: "هي سبع يا أمّ سلمة"⁽¹⁾.

وروى ابن الضوييس، عن ابن عباس قال: **{ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ }** آية⁽²⁾.

وروى الحاكم في المستترك، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في السبع المثاني قال: هنّ فاتحة الكتاب، وأها ابن

عبّاس: بسم الله الرحمن الرحيم سبعاً.

قال ابن جريح: فقلت لأبي: أخبرك سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه قال: بسم الله الرحمن الرحيم آية من كتاب الله؟ قال: نعم، ثم قال: وأما ابن عباس: بسم الله الرحمن الرحيم في الركعتين جميعاً⁽³⁾.

وروى الثعلبي، عن أبي هوراة قال: كنت مع النبي (صلى الله عليه وآله) في المسجد إذ دخل رجل يصلي، فافتتح الصلاة، وتعوذ ثم قال: **{ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }** فسمع النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: يارجل قطعت على نفسك الصلاة، أما علمت أن **{ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ }** من الحمد. فمن تركها فقد ترك آية، ومن ترك آية فقد أفسد عليه صلاته⁽⁴⁾.

قال السيوطي: وأخرج أبو داود، والترمذي، والدلقطني، والبيهقي، عن ابن عباس قال: كان النبي (صلى الله عليه وآله) يفتتح صلاته بـ **{ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ }**⁽⁵⁾.

وروى الثعلبي، عن علي أنه كان إذا افتتح السورة في الصلاة يقول **{ بِسْمِ }**

1- نفس المصدر السابق .

2- أنظر الدر المنثور 1 : 7.

3- المستدرج على الصحيحين 1 : 551.

4- تفسير الثعلبي 1 : 104، وعنه في الدر المنثور 1 : 7، واللفظ للثاني.

5- الدر المنثور 1 : 8.

الصفحة 447

{ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } وكان يقول: من ترك قواعدها فقد نقص. وكان يقول: هي تمام السبع المثاني⁽¹⁾.

وروى الثعلبي، عن طلحة بن عبيد الله قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) "من ترك **{ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ }** فقد ترك آية من كتاب الله"⁽²⁾.

هذه مجموعة مختصة من روايات العامة تقرر ما أقره الله تعالى ورسوله من أن البسملة آية من الفاتحة بل هي أعظم آية من آيات القرآن الكريم، وأما فيما يتعلق بالجهر بها فإليك مجموعة أخرى من الروايات تدعم ما عليه الشيعة الإمامية أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام).

قال السيوطي: وأخرج الزوار، والدلقطني، والبيهقي، في شعب الإيمان، من طريق أبي الطفيل قال: سمعت علي بن أبي طالب، وعمراً يقولان: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يجهر في المكتوبات بـ **{ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ }** في فاتحة الكتاب⁽³⁾.

وروى الدلقطني، عن أبي هوراة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): علّمني جبرئيل الصلاة فقام فكبر لنا، ثم قرأ **{ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ }** فيما يجهر به في كل ركعة⁽⁴⁾.

وروى الثعلبي عن علي بن زيد بن جدعان أن العبادلة كانوا يستفتحون القاءة بـ **{ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ }** يجهرون بها. عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن صفوان⁽⁵⁾.

1- تفسير الثعلبي 1 : 103.

2- المصدر نفسه 1 : 104.

3- الدر المنثور 1 : 8.

4- سنن الدارقطني 1 : 305.

5- تفسير الثعلبي 1 : 106.

الصفحة 448

قال السيوطي: وأخرج الطواني في الأوسط، والدارقطني، والبيهقي عن نافع. أن ابن عمر إذا افتتح الصلاة يقوأ بـ **{ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ }** في أمّ القوآن وفي السورة التي تليها، ويذكر أنه سمع ذلك من رسول الله⁽¹⁾.

وأخرج الدارقطني، والحاكم، والبيهقي، عن أبي هرة قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يجهر بـ **{ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ }** في الصلاة⁽²⁾.

وروى الدارقطني، عن ابن عمر قال: صلّيت خلف النبي (صلى الله عليه وآله)، وأبي بكر، وعمر، فكانوا يجهرون بـ **{ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ }**⁽³⁾.

وروى الدارقطني، عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أمني جبريل (عليه السلام) عند الكعبة، فجهر بـ **{ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ }**⁽⁴⁾.

وأخرج الدارقطني، عن الحكم بن عمير، وكان بريا، قال: صلّيت خلف النبي، فجهر في الصلاة بـ **{ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ }** في صلاة الليل، وصلاة الغداة، وصلاة الجمعة⁽⁵⁾.

وأخرج الدارقطني عن عائشة: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يجهر بـ **{ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ }**⁽⁶⁾.

وقال الشوكاني في نيل الأوطار: قال الخطيب: وأمّا التابعون ومن بعدهم ممّن قال بالجهر بها فهم أكثر من أن يذكرها، وأوسع من أن يحصروا، منهم: سعيد بن المسيّب، وطلوس، وعطاء، ومجاهد، وأبو وائل، وسعيد بن جبیر،

1- الدر المنثور 1 : 8.

2- نفس المصدر السابق .

3- سنن الدارقطني 1 : 304.

4- المصدر نفسه 1 : 307.

وابن سيرين، وعكومة، وعلي بن الحسين وابنه محمد بن علي، وسالم بن عبدالله بن عمر، ومحمد بن المنكدر، وأبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، ومحمد بن كعب، ونافع مولى ابن عمر، وأبو الشعثاء، وعمر بن عبد العزيز، ومكحول، وحبيب بن أبي ثابت، والزهري، وأبو قلابة، وعلي بن عبدالله، بن عباس، وابنه، والأرق بن قيس، وعبدالله بن معقل بن مقون. وممن بعد التابعين عبيدالله العمري، والحسن بن زيد، وزيد بن علي بن حسين، ومحمد بن عمر بن علي، وابن أبي ذئب، والليث بن سعد، وإسحاق ابن راهويه. وزاد البيهقي في التابعين: عبدالله بن صفوان، ومحمد بن الحنفية، وسليمان التيمي. ومن تابعيهم: المعتمر بن سليمان...

وذكر البيهقي في الخلافيات: أنه اجتمع آل رسول الله (صلى الله عليه وآله) على الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، حكاة عن أبي جعفر الهاشمي، ومثله في الجامع الكافي وغوه من كتب العروة. وقد ذهب جماعة من أهل البيت إلى الجهر بها في الصلاة السرية والجهرية.

وذكر الخطيب عن عكومة: أنه كان لا يصلي خلف من لا يجهر بالبسملة. وعن أبي جعفر الهاشمي مثله، واليه ذهب الشافعي وأصحابه، ونقل عن مالك قراءتها في النوافل في فاتحة الكتاب وسائر سور القرآن⁽¹⁾. هذا بعض ما يتعلّق بالبسملة، ومن خلاله يتبين أن ما عليه شيعة أهل البيت (عليهم السلام) هو الحق، فهم دائماً يحافظون على كتاب الله وسنة نبيه، ويحيونها بعد أن حاول أعداء الله ورسوله طمسها، فالله متم توره ولو كره المشركون.



أشهد أنّ علياً ولي الله:

الشهادة خبر قاطع، وشهده شهوداً: سمعه وحضوه، وشهد لفلان، أي: أدى ما عنده من شهادة، وأشهد بكذا، أي: أحلف بكذا، والشهادة هي الحضور والإخبار بما شاهد وشهد، والشهادة هي الإقرار والاعتراف.
والشهادة التي نريدها في البحث: هي الإقرار والاعتراف والإيمان ولاية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام.

ومن المعروف أنّ الإقرار والاعتراف بشيء يكون بناءً على حضور ومشاهده، أو من مصدر موثوق قطعي، بحيث إنك لو شهدت بشيء بناءً على قول الموثوق تكون الشهادة هنا كالحضور، وهذه كشهادة الصحابي الجليل ذو الشهادتين، الذي شهد بما لم ير، ولكن لثقتة وإيمانه بصدق النبي (صلى الله عليه وآله) شهد، فكانت تلك الشهادة دليلاً على مصداقية الإيمان بنوّة محمد (صلى الله عليه وآله)، فمنحه الله تعالى ورسوله لقب ذي الشهادتين، أي أنّ الإقرار بالإيمانيات التي أمر الله تعالى بها، وأمر بهار رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو أقوى من الحضور المادي بضعفين.

روى عبدالرزاق عن الرهوي أو قتادة أو كليهما: أن يهودياً جاء يتقاضى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال النبي (صلى الله عليه وآله): قد قضيتك فقال اليهودي: بينتك! قال فجاء خزيمة الأنصاري فقال: أنا أشهد أنّه قد قضاك، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): ما يديك؟ فقال: إني أصدقك بأعظم من ذلك، أصدقك بخبر السماء، فأجاز رسول الله (صلى الله عليه وآله) شهادته بشهادة رجلين (1).

وروى العجلوني في كشف الخفاء، عن النعمان بن بشير: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله)

1- المصنّف 8 : 367، 11 : 236 وأورده في كنز العمال 13 : 380.

اشترى من أعرابي فوساً فجحدته الأعرابي، فجاء خزيمة فقال: يا أعرابي أتجدد؟ أنا أشهد عليك أنك بعته، فقال الأعرابي: إن شهد عليّ خزيمة فأعطني الثمن، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا خزيمة، إنا لم نشهدك، كيف تشهد؟ قال: أنا أصدقك على خبر السماء، ألا أصدقك على ذا الأعرابي، فجعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) شهادته بشهادة رجلين (1).

وروى الحاكم في المستدرک، عن محمد بن إسحاق قال: شهد خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، مع عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه صفين، وقتل يومئذ سنة سبع وثلاثين من الهجرة (2).

ونأتي إلى موضوع الشهادة بالولاية لأمر المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، والتي طالما شنّ خصوم الشيعة على أتباع أهل البيت (عليهم السلام) بسببها كثراً، مع أنّها حقيقة واضحة في دين الإسلام، وفي تزيخ المسلمين، وأحاديث كل طوائف المسلمين.

إننا عندما نعلم بأن فلانا عالما، فإننا نقول نشهد أن فلانا عالم، ونشهد على عشرات القضايا صباح مساء من دون أي اعتراض من أحد، فلماذا عندما نشهد بالولاية لأمر المؤمنين (عليه السلام) تقوم الدنيا ولا تقعد؟ مع أن الشهادة بالولاية هي أمر إلهي واضح جلي لكل المسلمين، ولطالما نطق ولاية أمير المؤمنين نبينا محمد (صلى الله عليه وآله)، الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، ولقد اعترف ولاية أمير المؤمنين أيضا جل الصحابة، وعلى رأسهم أبو بكر وعمر وسنأتي على الروايات بخصوص الأمر.

قال تعالى في سورة المائدة: **{ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ**

1- كشف الخفاء 2 : 14.

2- المستترك على الصحيحين 3 : 397.

الصفحة 452

يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ⁽¹⁾ .

روى القطبي في تفسيره، عن ابن عباس قال: تولت في علي بن أبي طالب. وقاله مجاهد والسدي... وذلك أن سائلا سأل في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلم يعطه أحد شيئا، وكان علي في الصلاة في الوكوع، وفي يمينه خاتم، فأشار إلى السائل بيده حتى أخذه، فقلت الآية ⁽²⁾ .

وقال السيوطي في الدر المنثور: أخرج عبد الزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وأبو الشيخ، وابن موديه، في قوله: **{ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ** ⁽³⁾ الآية، قال: تولت في علي بن أبي طالب .

أخرج الطواني في الأوسط، وابن موديه، عن عمارة بن ياسر قال: وقف بعلي سائل وهو راكع في صلاة تطوع، فزع خاتمه، فأعطاه السائل، فأتى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فاعلمه ذلك، فقلت على النبي (صلى الله عليه وآله) هذه الآية **{ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ** ⁽⁴⁾ فَوَأْهَأَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) عليه وآله على أصحابه، ثم قال: من كنت هولا فعلي هولا، اللهم وال من والاه واعد من عاداه ⁽⁵⁾ . ورواه أبو الشيخ، وابن موديه، عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

روت صحاح ومسانيد المسلمين الحديث المتواتر عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال في عدة مواقف: من كنت هولا فهذا علي هولا، اللهم وال من والاه واعد

1- المائدة : 55.

2- تفسير القطبي 6 : 221.

3- راجع الدر المنثور 2 : 293.

4- نفس المصدر السابق .

5- نفس المصدر السابق .

الصفحة 453

(1) من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله .

وروى أحمد في مسنده، والنسائي، والحاكم، عن بريدة: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: من كنت وليه فعليّ

(2) وليه .

وروى الحاكم في المستدرک، عن ابن عباس : أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال لعلي بن أبي طالب: يا علي، أنت ولي

(3) كل مؤمن بعدي ومؤمنة .

وروى الترمذي، عن عمران بن حصين: أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: إن علياً مني وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن

(4) من بعدي. ورواه أحمد في مسنده والحاكم في المستدرک، وكنز العمال، وغوهم عن ابن عباس وعن الواء بن عزب .

فهذه روايات، وهناك غيرها كثير، كلها تأمر ولاية أمير المؤمنين علياً (عليه السلام)، وتعيّن (عليه السلام) ولياً ومولى

للمؤمنين في كل مكان وزمان، وهذا التعيين والتنصيب الرباني يستحق منا أن نقر وتشهد ولايته (عليه السلام) ، فنقول أشهد

وأقرّ وأعترف أنّ علي بن أبي طالب (عليه السلام) ولي الله وحجته ووصي رسوله.

أمّا بالنسبة لأضافتها في الأذان، فإن الشيعة لا يعتبرونها جزءاً من الأذان، وبأن عموم المسلمين يعتبرون الأذان سنة، فلا

مانع من التحدّث بين ألفاظ الأذان بشيء، وهذا ما يفعله غالب المسلمين، ولا مانع بعد الشهادة الثانية في الأذان أن نستحضر

الشهادة بالولاية لأمير المؤمنين (عليه السلام).

1- أنظر مسند أحمد 1 : 118، 4 / 119 : 281، 370، المستدرک على الصحيحين 3 : 109، سنن النسائي الكوى 5 :

132، وغيرها كثير جداً.

2- مسند أحمد 5 : 350، 358، 361، السنن الكوى 5 : 45، 113، 130، المستدرک 2 : 130.

3- المستدرک على الصحيحين 3 : 134.

4- سنن الترمذي 5 : 296 - 297، مسند أحمد 4 : 438، 5 : 356، المستدرک 3 : 111، مسند أبي داود : 360.

الصفحة 454

عيد الولاية، عيد الغدير:

يوم الغدير وعيد الغدير هو يوم إكمال الدين وإتمام النعمة على المسلمين والمؤمنين بتنصيب أمير المؤمنين علي بن أبي

طالب (عليه السلام) ، وهو يوم عظيم يحتفل فيه المؤمنون، ويفرحون فيه، وذلك للأدلة التي وردت في فضله وعظمته

وأهميته.

وبالرغم من وضوح أهمية ذلك اليوم، والآيات النزلة فيه، والأحاديث الواردة بخصوصه، فإن العامة يشنعون على أحباب أهل البيت وشيعتهم احتفالهم بذلك اليوم، غافلين عن كل ما ورد بخصوص ذلك اليوم من آيات وأحاديث، ويأخذون بتعليمات من حرف وحظر عليهم معرفة فضيلة هذا اليوم، حتى صار ذلك العيد نسياً منسياً، إلا ما كان من الشيعة الذين حافظوا على الاحتفاء به، لأهميته وعظيم قدره.

روى الخطيب البغدادي بأكثر من سند عن أبي هريرة قال: من صام يوم ثمانى عشر من ذي الحجة كتب له صيام سنتين شهراً، وهو يوم غدیر خم، لما أخذ النبي (صلى الله عليه وآله) بيد علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال: ألسنت ولي المؤمنين؟ قالوا: بلى، يارسول الله، قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، فقال عمر بن الخطاب: بخ بخ لك يا بن أبي طالب، أصبحت وولاي ومولى كل مسلم، فأقول الله { **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...** }⁽¹⁾ . ورواه ابن عساکر وابن المغزلي⁽²⁾ .
ومن ذلك نستدل أن عيد الغدير كان معروفاً في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكذلك في العصور التي تلت، إلى أن جاء عصر التحريف والتبوين بحسب

1- المائدة : 3.

2- تزيخ بغداد 8 : 284 - 285 ، تزيخ دمشق 42 : 233 - 234 ، مناقب الإمام عليّ: 69.

الصفحة 455

رغبات السلطة الحاكمة المبغضة لعليّ وأهل بيته (عليهم السلام)، ولا يعني إنكلهم لفضيلة هذا اليوم شيئاً، فالأحاديث الواردة في هذا اليوم والآيات النزلة فيه تدلّ على فضله، واليك بعض من تلك الروايات من عند العامة، ومن عند من ينكر فضيلة وبركات يوم الغدير .

قال تعالى في سورة المائدة: { **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** }⁽¹⁾ .

هذه الآية الشريفة تولت في أواخر عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) عند عودته من ما يعرف بحجة الوداع بين مكة والمدينة عند غدیر خم، وقد مضى من دعوته (صلى الله عليه وآله) أكثر من عشرين عاماً، كان فيها رسول الله قد بلغ كل أمور الشريعة وعرفها للمسلمين من صلاة وصوم وحجّ وأحكام الزكاة وغيرها من أحكام الشريعة، ولم يبق شيء إلا وبلغه، فماذا يعني هذا الأمر الإلهي بتبليغ ما أتول إليه؟ وما هو الأمر الذي أمر بتبليغه للناس وأمام عشرات الألوف من المسلمين.

قال السيوطي في الدر المنثور: أخرج ابن أبي حاتم، وابن موديه، وابن عساکر، عن أبي سعيد الخوري قال: تولت هذه الآية: { **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ** }⁽²⁾ على رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم غدیر خم، في علي بن أبي طالب .

وقال السيوطي: أخرج ابن موديه، عن ابن مسعود قال: كنّا نؤا على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) { **يَا أَيُّهَا**

1- المائدة : 67.

2- الدر المنثور 2: 298.

الصفحة 456

المؤمنين {وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رَسُولَهُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَنْ النَّاسِ} (1)

وبعد أن أعلن رسول الله (صلى الله عليه وآله) تنصيب أمير المؤمنين (عليه السلام) أمام كل تلك الحشود في غدير خم، وبذلك تمت النعمة، وكمل الدين ولاية سيدنا ومولانا أمير المؤمنين (عليه السلام)، تولت بعد ذلك آية إكمال الدين وتمام النعمة، لتعلن ذلك اليوم عيداً للولاية.

قال تعالى في سورة المائدة : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } (2)

وقد قال السيوطي في الدر المنثور: أخرج ابن موديه، والخطيب، وابن عساكر، عن أبي هريرة قال: لما كان يوم غدير خم، وهو يوم ثمانين من ذي الحجة، قال النبي (صلى الله عليه وآله): من كنت مولاه فعلي مولاه. فأقول الله { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ } (3)

الطلاق وحكمه:

يشترط الشيعة الإمامية أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) في حال الطلاق، طهارة المرأة من الحيض والنفاس، فلا يصح الطلاق والروءاء حائض، ولا يصح في طهر فيه جماع. وهذا الحكم الشوعي يستدل عليه من الوان الكريم، وكذلك من عشرات الروايات عند كل طوائف المسلمين، ومن العجيب أن كتب الحديث والصاح وكتب التفسير تنظر إلى الحكم كما هو عند الشيعة ولكنهم لا

1- نفس المصدر السابق .

2- المائدة: 3.

3- الدر المنثور 2: 295 .

الصفحة 457

يعملون به، فتطلق المرأة دون مراعاة تلك الشروط، وكذلك تطلق ثلاثا دفعة واحدة، وهو مما لم يقر عليه أي دليل، بل إنه كما قلنا: أن الأدلة عند أهل السنة هي في الحقيقة داعمة ومؤيدة لما عليه أهل المذهب الحق الشيعة أتباع أهل البيت (عليهم السلام). وإليك بعض مما عند العامة فيما يتعلق بمسألة الطلاق، وموافقهم لما عليه الشيعة.

قال تعالى في سورة الطلاق: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتِ الْمَرْءَ فَطَلِّقِيهَا فِي سَمْعِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمُ } (1)

روى القوطي في الجامع لأحكام الوآن عند قوله تعالى فطلقهنّ لعدتهنّ قال: ولا خلاف أنه يؤمر بالطلاق وقت الطهر، فيجب أن يكون هو المعتبر في العدة، فإنه قال: **{ فَطْلُقُوهُنَّ }** يعني وقتا تعتدّ به، ثم قال تعالى **{ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ }** يريد ما تعتدّ به المطلقة وهو الطهر الذي تطلق فيه، وقال (صلى الله عليه وآله) لعمر: "بره فلواجعها، ثم ليمسكها حتى تطهر، ثم تحيض، ثم تطهر، فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء". أخرجه مسلم وغيره. وهو نص في أن زمن الطهر، هو الذي يسمى عدة، وهو الذي تطلق فيه النساء ⁽²⁾.

وروى القوطي في الجامع قال: قال السديّ تولت الآية في عبدالله بن عمر، طلق امرأته حائضا تطليقة واحدة، فأبره رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأن واجعها، ثم يمسكها حتى تطهر وتحيض ثم تطهر، فإذا أراد أن يطلقها، فليطلقها حين تطهر من قبل أن يجامعها. فتلك العدة التي أمر الله تعالى أن يطلق لها النساء ⁽³⁾.

1- الطلاق : 1.

2 - تفسير القوطي (الجامع لأحكام الوآن) 3 : 115.

3- المصدر نفسه 18 : 148.

الصفحة 458

وقال السيوطي في الدر المنثور: أخرج البيهقي، عن ابن عباس قال: طلق ركبانة امرأته ثلاثا في مجلس واحد، فحزن عليها حزنا شديداً، فسأله رسول الله (صلى الله عليه وآله): كيف طلقته؟ قال: طلقته ثلاثا في مجلس واحد. قال: نعم، فإنما تلك واحدة، فارجعها إن شئت. فراجعها. فكان ابن عباس رى إنما الطلاق عند كل طهر، فتلك السنة التي كان عليها الناس والتي أمر الله بها **{ فَطْلُقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ }** ⁽¹⁾.

وأخرج أبو داود، عن ابن عباس قال: إذا قال أنت طالق ثلاثاً بضم واحد فهي واحدة ⁽²⁾.

وروى الطوي في جامع البيان القول في تأويل قوله تعالى: **{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ }**: يعني تعالى ذكره بقوله: **{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ }** يقول: إذا طلقتم نساءكم فطلقوهن لظهورهن الذي يحصيانه من عدتهن، طاهراً من غير جماع، ولا تطلقوهن بحيضهن الذي لا يعتدّن به من قريتهن ⁽³⁾.

وروى الطوي عن قتادة، قوله: **{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ }** والعدة: أن يطلقها طاهراً من غير جماع تطليقة واحدة ⁽⁴⁾.

وروى الطوي عن قتادة، في قوله: **{ فَطْلُقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ }** قال: إذا طهرت من الحيض في غير جماع، قلت: كيف؟ قال: إذا طهرت فطلقها من قبل أن تمسها، فإن بدا لك أن تطلقها أخرى، تركتها حتى تحيض حيضة أخرى، ثم

1- الدر المنثور 1 : 279.

2- سنن أبي داود 1 : 489.

3 - تفسير الطوري (جامع البيان) 28 : 164.

4- المصدر نفسه 28 : 166.

الصفحة 459

(1) طَلَّقَهَا إِذَا طَهَّرْتَ الثَّانِيَةَ، فَإِذَا رُدَّتْ طَلَّاقَهَا الثَّالِثَةُ أَمَهَلْتَهَا حَتَّى تَحِيضَ .

وروى الطوي عن ابن عباس في قوله: **{ فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ }** يَقُولُ: لَا يَطْلُقُهَا وَهِيَ حَائِضٌ، وَلَا فِي طَهْرٍ قَدْ جَامَعَهَا فِيهِ، وَلَكِنْ يَتَوَكَّأُ حَتَّى إِذَا حَاضَتْ وَطَهَّرْتَ طَلَّقَهَا تَطْلِيقَةً (2) .

وروى النسائي، عن نافع، عن ابن عمر... أَنَّ ابْنَ عُمَرَ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ، فَذَكَرَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلنَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فَقَالَ: بَرِهْ فَلَوَّاجِعِهَا حَتَّى تَحِيضَ حِيضَةً أُخْرَى، فَإِذَا طَهَّرْتَ، فَإِنْ شَاءَ طَلَّقَهَا وَإِنْ شَاءَ أَمَسَكَهَا، فَإِنَّهُ الطَّلَاقُ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ بِهِ، قَالَ تَعَالَى: فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ (3) .

روى البخاري، في صحيحه، في كتاب التفسير، باب تفسير سورة الطلاق، عن ابن شهاب قال: أَخْبَرَنِي سَالِمٌ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ أَخُوهُ أَنَّهُ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ، فَذَكَرَ عُمَرُ لِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، فَتَغَيَّظَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، ثُمَّ قَالَ: لَوَّاجِعِهَا، ثُمَّ يَمْسُكُهَا حَتَّى تَطْهَرَ، ثُمَّ تَحِيضُ فَتَطْهَرُ، فَإِنْ بَدَأَ لَهُ أَنْ يَطْلُقَهَا فَلْيَطْلُقْهَا طَاهِرًا قَبْلَ أَنْ يَمْسُهَا، فَتَلْكَ الْعِدَّةُ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ (4) .

وقال في فتح البري شوح صحيح البخاري: وَطَّلَاقُ السَّنَةِ أَنْ يَطْلُقَهَا طَاهِرًا مِنْ غَيْرِ جَمَاعٍ، رَوَى الطَّوِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى **{ فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ }** قَالَ: فِي الطَّهْرِ مِنْ غَيْرِ جَمَاعٍ، وَأَخْرَجَهُ عَنْ جَمْعٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَمِنْ بَعْدِهِمْ كَذَلِكَ، وَهُوَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ أَيْضًا (5) .

1- المصدر نفسه 28 : 166.

2- المصدر نفسه 28 : 168.

3- سنن النسائي 6 : 212.

4 - صحيح البخاري 6 : 67.

5 - فتح البري 9 : 301.

الصفحة 460

وروى مسلم، في صحيحه، في كتاب الطلاق، عن ابن عمر؛ أَنَّهُ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ). فَسَأَلَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): بَرِهْ فَلَوَّاجِعِهَا. ثُمَّ لِيَتَوَكَّأَ حَتَّى تَطْهَرَ، ثُمَّ تَحِيضُ، ثُمَّ تَطْهَرُ، ثُمَّ إِنَّ شَاءَ أَمَسَكَ بَعْدَ، وَإِنْ شَاءَ طَلَّقَ قَبْلَ أَنْ يَمْسَ، فَتَلْكَ الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ (1)

الله عَزَّوَجَلَّ أَنْ يُطَلِّقَ لَهَا النِّسَاءَ .

وقال الصنعاني في سبل السلام: وفي قوله: حتّى تطهر، ثم تحيض، ثم تطهر، دليل على أنه لا يطلق إلا في الطهر الثاني نون الأول.

وقد ذهب إلى تحريم الطلاق فيه مالك وهو الأصحّ عند الشافعية، مستدلينّ بقوله: (وفي رواية لمسلم) أي عن ابن عمر: **مُرُهُ فَلَوَأَجَعَهَا، ثُمَّ لِيَطْلُقَهَا طَاهِرًا أَوْ حَامِلًا...**

وفي قوله: قبل أن يمسه دليل على أنه إذا طلق في الطهر بعد المس فإنه طلاق بدعي محرم، وبه صوح الجمهور. وقال بعض المالكية: إنه يجبر على الرجعة فيه، كما إذا طلق وهي حائض (2).

وروى الشوكاني في نيل الأوطار، عن ابن عمر: "أنه طلق امرأته وهي حائض، فذكر ذلك عمر للنبي (صلى الله عليه وآله) فقال: مره فلواجعها، ثم ليطلقها طاهراً أو حاملاً. رواه الجماعة إلا البخاري، وفي رواية عنه: "أنه طلق امرأة له وهي حائض فذكر ذلك عمر للنبي (صلى الله عليه وآله)، فتغيظ فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ثم قال: لواجعها ثم يمسه حتى تطهر، ثم تحيض، فتطهر، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها قبل أن يمسه فتلك العدة كما أمر الله تعالى" وفي لفظ: "فتلك العدة"

1- صحيح مسلم 4 : : 179.

2- سبل السلام 3 : : 169.

الصفحة 461

التي أمر الله أن يطلق لها النساء" رواه الجماعة إلا الترمذي، فإن له منه إلى الأمر بالرجعة. ولمسلم والنسائي نحوه، وفي أخوه قال ابن عمر: **وقأ النبي (صلى الله عليه وآله) { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ لَعَدَّتِهِنَّ } (1)**. وقال السيوطي في الدر المنثور: أخرج مالك، والشافعي، وعبد الرزاق في المصنّف، وأحمد، وعبد بن حميد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن جرير، وابن المنذر، وأبو يعلى، وابن موديه، والبيهقي في سننه، عن ابن عمر: أنه طلق امرأته وهي حائض، فذكر ذلك لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، فتغيظ فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وآله) ثم قال: لواجعها، ثم يمسه حتى تطهر، ثم تحيض فتطهر، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهراً قبل أن يمسه، فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء، وقأ النبي (صلى الله عليه وآله) (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن في قبل عدتهن) (2).

زواج المتعة:

من الأحكام الشوعية، والتي يطعن فيها خصوم الشيعة الزواج المؤقت (المتعة). ومع أن الأدلة على جواز هذا النوع من الزواج بل فعله من قبل الصحابة بعد أن شرعه الله تعالى رحمة للمؤمنين والمؤمنات.

ولقد أكدت الروايات الصحيحة على العمل في هذا الحكم في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وفي عهد أبي بكر،

ونصفاً من خلافة عمر، حتىّ منعه عمر بن الخطاب، مما يدلّ دلالة قاطعة على أن هذا الزواج بقي مباحاً بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وعُمل به في عهد أبي بكر وعمر، فلم يتّوّل فيه تحريم،

1- نيل الأوطار 7 : 4.

2- الدرّ المنثور 6 : 229.

الصفحة 462

وهذا ما تقرّره الأدلّة من عند خصوم الشيعة، وانما عمر هو الذي نهى عنه وعاقب عليه.

قال تعالى في سورة النساء: **{ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً }** ⁽¹⁾.

روى القوطي في تفسيره قال: قال الجمهور: البراد نكاح المتعة الذي كان في صدر الإسلام. وقوا ابن عباس، وأبي، وابن

جبير [إلى أجل مسمّى] **{ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ }** ⁽²⁾.

وقال السيوطي في الدرّ المنثور: أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن الأثير في المصاحف، والحاكم وصحّحه، من

طرق عن أبي نضرة قال: قأت على ابن عباس: **{ وَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً }** قال ابن عباس: (فما

استمتعتم به منهن إلى أجل مسمّى) . فقلت: ما نقرؤها كذلك! فقال ابن عباس: والله لأتولها الله كذلك ⁽³⁾ .

وقال السيوطي في الدرّ المنثور: أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، عن قتادة قال: في قاءة أبي بن كعب (فما استمتعتم

به منهنّ إلى أجل مسمّى) ⁽⁴⁾ .

وأخرج ابن أبي داود في المصاحف، عن سعيد بن جبير قال: في قاءة أبي ابن كعب (فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل

مسمّى) ⁽⁵⁾ .

1- النساء : 24.

2- تفسير القوطي 5 : 130.

3- الدرّ المنثور 2 : 140.

4- الدرّ المنثور 2 : 140.

5- نفس المصدر السابق .

الصفحة 463

وأخرج عبد الرزاق، عن عطاء: أنّه سمع ابن عباس يقرؤها (فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسمّى فآتوهنّ أجورهنّ)

وقال ابن عباس: في حرف أبي (إلى أجل مسمّى) ⁽¹⁾ .

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير عن مجاهد: **{ فما استمتعتم به منهنّ }** قال: يعني نكاح المتعة ⁽²⁾ .

وأخرج ابن المنذر من طريق عمّار مولى الشريد قال: سألت ابن عباس عن المتعة: أسفاح هي أم نكاح؟ فقال: لا سفاح ولا نكاح. قلت: فما هي؟! قال: هي المتعة كما قال الله. قلت: هل لها من عدّة؟ قال: نعم. عدتها حيضة. قلت: هل يتولثان؟ قال: لا⁽³⁾.

وروى الطوي في نفسه عن السدي: **{ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا وَاعَدْتُمُنَّ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ }** . فهذه المتعة، الرجل ينكح المرأة بشروط إلى أجل مسمى، ويشهد شاهدين، وينكح بإذن وليها، وإذا انقضت المدّة فليس له عليها سبيل، وهي منه برية، وعليها أن تستوى ما في رحمها، وليس بينهما موات، ليس يرث واحد منهما صاحبه⁽⁴⁾.

وروى الطوي في نفسه عن مجاهد: **{ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ }** قَالَ: يَعْنِي نِكَاحَ الْمُتَعَةِ⁽⁵⁾.
 روى أحمد في مسنده، عن عمران بن حصين أنّه قال: تمتعنا مع

- 1- نفس المصدر السابق .
- 2- نفس المصدر السابق .
- 3- الدر المنثور 2 : 141.
- 4- تفسير الطوي 5 : 18.
- 5- نفس المصدر السابق .

الصفحة 464

رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلم ينهنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد ذلك عنها، ولم يقول من الله عزّ وجلّ فيها نهي⁽¹⁾.

وروى مسلم في صحيحه، عن غنيم بن قيس قال: سألت سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن المتعة؟ فقال: فعلناه. وهذا يومئذ كافر بالعرش. يعني بيوت مكة⁽²⁾.
 ومما يدلّ على أنّها كانت حلالاً، ولم تولّ كذلك، حتى قام عمر بن الخطاب بعد نصفاً من مدة خلافته، الروايات الواردة، وكذلك كلام أئمة الفقه عند العامة، واليك بعض منها.

قال في بداية المجتهد ونهاية المقتصد: اشتهر عن ابن عباس تحليلها، وتبع ابن عباس على القول بها أصحابه من أهل مكة، وأهل اليمن، ورووا أنّ ابن عباس كان يحتج لذلك لقوله تعالى **{ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ }** وفي حرف عنه إلى أجل مسمى، وروى عنه أنّه قال: ما كانت المتعة إلا رحمة من الله عزّ وجلّ رحم بها أمة محمد (صلى الله عليه وآله)، ولولا نهي عمر عنها ما اضطررنا إلى أنّنا إلا شقي. وهذا الذي روي عن ابن عباس رواه عنه ابن جريح وعمرو بن دينار. وعن عطاء قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: تمتعنا على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)⁽³⁾.

وأبي بكر ونصفاً من خلافة عمر. ثم نهى عنها عمر الناس .

وقال السيوطي في الدر المنثور : أخرج عبد الرزاق، وابن المنذر، من طريق عطاء، عن ابن عباس قال: بوحم الله عمر،

ما كانت المتعة إلا رحمة من الله

1- مسند أحمد 4 : 438.

2- صحيح مسلم 4 : 47.

3- بداية المجتهد ونهاية المقتصد 2 : 47.

الصفحة 465

رحم بها أمة محمد، ولولا نهيه عنها، ما احتاج إلى الوأنا إلا شقي، قال: وهي التي في سورة النساء { فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ

مِنْهُنَّ } إلى كذا وكذا من الأجل، على كذا وكذا، قال: وليس بينهما وراثه، فإن بدا لهما أن يراضيا بعد الأجل فنعم، وإن توقفا

فنعم، وليس بينهما نكاح. وأخبر أنه سمع ابن عباس واهما الآن حلالاً (1).

وروى مسلم في صحيحه، عن أبي نضرة قال: كان ابن عباس يأمر بالمتعة. وكان ابن الزبير ينهى عنها. قال: فذكرت ذلك

لجابر بن عبد الله. فقال: على يدي دار الحديث. تمتعنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله). فلما قام عمر قال: إن الله كان يحل

لرسوله ما شاء بما شاء وإن القوان قد تول منزلته، فأتوا الحج والعرة لله، كما أمركم الله، وأبوا نكاح هذه النساء، فلن أوتى

رجل نكح امرأة إلى أجل، إلا رجتمه بالحجارة (2).

وروى البخاري في صحيحه، عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: تمتعنا على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)،

فقول القوان، قال رجل وأيه ما شاء (3).

وروى في كنز العمال عن جابر قال: تمتعنا متعة الحج، ومتعة النساء على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلما كان

عمر نهانا فانتهبنا (4).

وروى أحمد في مسنده، عن أبي نضرة قال: قلت لجابر بن عبد الله: إن ابن الزبير ينهى عن المتعة، وإن ابن عباس يأمر

بها، قال: فقال لي: على يدي جرى الحديث، تمتعنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال عفان: ومع أبي بكر، فلما ولي

عمر،

1- الدر المنثور 2 : 141.

2- صحيح مسلم 4 : 38.

3- صحيح البخاري 2 : 153، وأنظر صحيح مسلم 4 : 48.

4- كنز العمال 16 : 520 عن ابن جرير.

- خطب الناس فقال: إِنَّ الْوَأْنَ هُوَ الْوَأْنَ، وَإِنْ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) هُوَ الرَّسُولُ، وَإِنِّهَآ كَانَتَا مَتَعَتَانِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله)، إِحْدَاهُمَا مَتْعَةُ الْحَجِّ، وَالْأُخْرَى مَتْعَةُ النِّسَاءِ⁽¹⁾.
- وروى أحمد في المسند، عن جابر بن عبد الله قال: تَمَتَّعْنَا مَتَعَتَيْنِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله)، الْحَجَّ وَالنِّسَاءَ، فَهَنَانَا عَمْرَ عَنْهَا فَانْتَهَيْنَا⁽²⁾.
- وروى أحمد في المسند عن بهز وعفان قالا: ثنا همّام، عن قتادة، عن مطرف قال: قال عمران بن حصين: تَمَتَّعْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله)، وَأَقُولُ فِيهَا الْوَأْنَ قَالَ عَفَّانُ: وَقَوْلُ فِيهِ الْوَأْنَ، فَمَاتَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) وَلَمْ يَنْهَ عَنْهَا وَلَمْ يَنْسَخْهَا شَيْءٌ، قَالَ رَجُلٌ وَأَيُّهُ مَا شَاءَ⁽³⁾.
- وروى في كنز العمال، عن عمر بن الخطاب قال: مَتَعَتَانِ كَانَتَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله)، أَنَّهُى عَنْهُمَا وَأَعَاقَبَ عَلَيْهِمَا: مَتْعَةُ النِّسَاءِ، وَمَتْعَةُ الْحَجِّ⁽⁴⁾.
- وروى في كنز العمال، عن أبي قلابة: أَنَّ عَمْرًا قَالَ: مَتَعَتَانِ كَانَتَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله)، أَنَا أَنَّهُى عَنْهُمَا، وَأَضْرَبَ فِيهِمَا⁽⁵⁾.
- وقال السرخسي في المبسوط: وَقَدْ صَحَّ أَنَّ عَمْرًا نَهَى النَّاسَ عَنِ الْمَتْعَةِ، فَقَالَ: مَتَعَتَانِ كَانَتَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَأَنَا أَنَّهُى النَّاسَ عَنْهُمَا، مَتْعَةَ النِّسَاءِ، وَمَتْعَةَ الْحَجِّ⁽⁶⁾.
- وبهذا العرض المختصر يتبين أن الشيعة، أتباع أهل البيت (عليهم السلام)، لم يبيحوا

1- مسند أحمد 1 : 52.

2- مسند أحمد 4 : 429.

3- مسند أحمد 4 : 429.

4- كنز العمال 16 : 519 ، عن أبي الصالح كاتب الليث في نسخته، والطحوي.

5- كنز العمال 16 : 521 ، عن ابن جرير وغوه.

6- المبسوط 4 : 27.

- المتعة إلا لأن الله تعالى شوّعها، وأقر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بفعلها.
- فالمتعة هي حكم شرعي له عتوات الأدلة من عند من يطعنون على الشيعة، فمذهب الخصوم أدل على صحة ما عليه الشيعة كما استعرضنا.
- وأما الروايات التي تقول بتحريمها، فهي روايات متناقضة ومختلفة ولا تصلح للاستدلال على التحريم خصوصاً بعد دلالة

القرآن القطعية على حلية المتعة وكذا فإن الروايات التي تؤكد أن المنع جاء من عمر بن الخطاب، أيضا قطعية، فلا يمكن أن يحتج بتلك المتناقضات المضطربة، ولا يمكن تقديمها على القطعي من الأدلة.

حج التمتع:

إن ما ذكرنا بالنسبة إلى زواج المتعة، يصح أن يقال هنا أيضا، فحج التمتع كان أيضا مشروعا زمن النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، ولكن عمر بن الخطاب في مدة خلافته، هو الذي منع حج التمتع وعاقب عليه، وتبعه في ذلك عثمان. روى في كنز العمال، عن عمر بن الخطاب قال: متعتان كانتا على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أنهى عنهما وأعاقب عليهما: متعة النساء، ومتعة الحج⁽¹⁾.

وروى في كنز العمال، عن أبي قلابة: أن عمر قال: متعتان كانتا على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أنا أنهى عنهما وأضرب فيهما⁽²⁾.

ولأن منع زواج المتعة وحج التمتع كان وأي عمر، ولا يستند إلى دليل، بل إن المنع مخالف لأمر الله تعالى، فقد كان عددا كبيرا من الصحابة

1- كنز العمال 16 : 519 ، عن أبي صالح كاتب الليث في نسخته، والطحوي.

2- كنز العمال 16 : 521 ، عن ابن جرير وغوه.

يستتكرون ذلك المنع ويفضونه ويتوثقون عليه، ومنهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

روى مسلم في صحيحه، عن جابر بن عبد الله قال: تمتعنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلما قام عمر قال: إن الله كان يحل لرسوله ما شاء بما شاء، وإن القرآن قد قرأ منزله، فأتوا الحج والعمرة لله كما أمرهم الله. وأبقوا تكاح هذه النساء، فلن أوتى رجل نكح امرأة إلى أجل، إلا رجتمه بالحجارة⁽¹⁾.

وروى مسلم في صحيحه في كتاب الحج، باب حج التمتع عن عبد الله ابن شقيق قال: كان عثمان ينهى عن المتعة، وكان علي يأمر بها. فقال عثمان لعلي كلمة. ثم قال علي: لقد علمت إنا قد تمتعنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله). فقال: أجل، ولكننا كنا خائفين. ورواه أحمد في مسنده⁽²⁾.

وروى النسائي، عن مروان: أن عثمان نهى عن المتعة وأن يجمع الرجل بين الحج والعمرة، فقال علي: لبيك بحجة وعمرة معا. فقال عثمان: أتفعلها وأنا أنهى عنها فقال علي: لم أكن لأدع سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأحد من الناس⁽³⁾.

ورواه أحمد في المسند بلفظ آخر عن مروان بن الحكم قال: كنا نسير مع عثمان، فإذا رجل يلبي بهما جميعا، فقال عثمان: من هذا؟ فقالوا: علي فقال: ألم تعلم أنني قد نهيت عن هذا. قال: بلى، ولكن لم أكن لأدع قول رسول الله (صلى الله عليه وآله)

(4) لقولك .

وبهذا البحث والذي قبله، يتبين أنّ متعة الحجّ ومتعة النساء كانتا على عهد

1- صحيح مسلم 4 : 38.

2- صحيح مسلم 4 : 46، مسند أحمد 1 : 61.

3- سنن النسائي 5 : 148، وأنظر سنن البيهقي 5 : 22.

4- مسند أحمد 1 : 95.

الصفحة 469

رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ولم يكن هناك تحريم أو منع من ذلك، حتّى منع ذلك عمر، ولكنّ شيعة أهل البيت (عليهم السلام) قالوا كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام): لم نكن لندع سنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) لقول أحد، وهذه الأدلّة من عند الخصوم هي أقوى لما نحن عليه من الحقّ فطاعة الله ورسوله مقدّمة على كلّ طاعة.

الجمع في الصلاة:

لقد أجاز الشوع الحنيف الجمع في صلاة الظهر والعصر، وكذلك المغرب والعشاء، وفعل ذلك رسولنا الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله) ، وكذلك الصحابة، إلا أنّه وبعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) اختلف المسلمون في ذلك، وذلك بعد أن برزت مسألة الجمع عند أهل البيت وأتباعهم، فقد أخذ خصوم أهل البيت بمحاربة كلّ ما يظهر ويميّز مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، فكانت السلطة الحاكمة تفرض على المسلمين ما فيه مخالفة لشيعة أهل البيت (عليهم السلام)، حتّى صلت المخالفات بعد تثبيتها وترويدها بروايات موضوعة، صلت حقيقة عند العامة، ولذلك يسمو غالبا عند العامة اتّباع أولئك المخالفين على حساب الحكم الشوعي والقوان والسنة.

ومن تتبّع ما ذكرت من مسائل وأبحاث في كتابنا هذا، فإنّه سوف يتبين له أن الطاعة والاتباع عند أولئك ليس للقوان وآياته، وليس للرسول وتشويحاته، ولكنّه طاعة أشخاص لم يأمر الله تعالى بطاعتهم، وهذا هو جوهر الخلاف بين المذهب الحقّ، وبين المذاهب الأخرى.

ومسألة الجمع في الصلوات من تلك المسائل التي يعترض عليها العامة ويشنعون فيها على الشيعة، مع أن كلّ مذاهبهم

تجيز الجمع وكتبهم ممثلة

الصفحة 470

بالأدلّة على أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد شرّع الجمع وفعله، فلماذا الإنكار والجحود؟.

فالمسألة ليست مختصّة بالشيعة، بل إنّها من المسائل المقررة عند كلّ المذاهب الأخرى، واليك بعض من الأحاديث

الصحيحة، وبعض من أقوال علماء العامة واجتهاداتهم.

روى مسلم في صحيحه، في باب الجمع بين الصلاتين في الحضر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: جمع رسول

الله(صلى الله عليه وآله) بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، بالمدينة، في غير خوف ولا مطر .

(في حديث وكيع) قال: قلت لابن عباس: لم فعل ذلك؟ قال: كي لا يوج أمتة.

وفي حديث أبي معاوية، قيل لابن عباس: ما أراد إلى ذلك؟ قال: أراد أن لا يوج أمتة. ورواه أبو داود والترمذي وغيرهم

كثير، والحديث بأسانيده المتعددة، ومتونه المختلفة، مجمع على صحته ولم ينكره أحد، ولكن بعضهم يقول: إنه لا يعمل به، ولا أروي على أية قاعدة جرى عدم العمل به.

وروى الترمذي، عن ابن عباس قال: جمع رسول الله(صلى الله عليه وآله) بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء

بالمدينة من غير خوف ولا مطر. فقيل لابن عباس: ما أراد بذلك؟ قال أراد أن لا يوج أمتة. قال أبو عيسى: حديث ابن

عباس قد روي عنه من غير وجه: رواه جابر بن زيد، وسعيد بن جبيرة، وعبدالله بن شقيق العقيلي (2).

وروي في كنز العمال، عن عمرو بن شعيب قال: قال عبدالله: جمع لنا

1- صحيح مسلم 2: 152، سنن أبي داود 1: 272، سنن الترمذي 1: 121، مسند أحمد 1: 223.

2- سنن الترمذي 1: 121.

الصفحة 471

رسول الله(صلى الله عليه وآله) مقيماً غير مسافر بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء فقال رجل لابن عمر: لم ترى

النبي(صلى الله عليه وآله) فعل ذلك؟ قال: لأن لا يوج أمتة إن جمع رجل (1).

وروى أحمد في مسنده، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس قال: صليت مع رسول الله(صلى الله عليه وآله) ثمانياً جميعاً،

وسبعاً جميعاً، قلت لابن عباس: لم فعل ذلك قال: أراد أن لا يوج أمتة (2).

وروى مسلم في صحيحه، عن عبدالله بن شقيق، قال: خطبنا ابن عباس يوماً بعد العصر حتى غابت الشمس، وبدت

النجوم، وجعل الناس يقولون: الصلاة، الصلاة. قال: فجاءه رجل من بني تميم، لا يفتر ولا ينثني: الصلاة، الصلاة. فقال ابن

عباس: أتعلمني بالسنة لا أم لك! ثم قال: رأيت رسول الله(صلى الله عليه وآله) جمع بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء.

قال عبدالله بن شقيق: فحاك في صوري من ذلك شيء. فأتيت أبا هريرة، فسألته، فصدق مقالته (3).

وروى مسلم في صحيحه، عن عبد الله بن شقيق العقيلي قال: قال رجل لابن عباس: الصلاة، فسكت، ثم قال: الصلاة،

فسكت، ثم قال: الصلاة، فسكت، ثم قال: لا أم لك! أتعلمنا بالصلاة؟ وكنا نجمع بين الصلاتين على عهد رسول الله(صلى الله

عليه وآله) (4).

وقال النووي في شرح صحيح مسلم قال: وذهب جماعة من الأئمة إلى جواز الجمع في الحضر للحاجة لمن لا يتخذ عادة،

وهو قول ابن سيرين،

1- كنز العمال 8 : 246.

2- مسند أحمد 1 : 349.

3- صحيح مسلم 2 : 152 - 153.

4- صحيح مسلم 2 : 153.

الصفحة 472

وأشهب من أصحاب مالك، وحكاه الخطابي عن القفال، والشاشي الكبير من أصحاب الشافعي، عن أبي إسحاق المروري، عن جماعة من أصحاب الحديث، واختاره ابن المنذر، ويؤيده ظاهر قول ابن عباس: "أراد أن لا يوج أمته" فلم يعلله بموض⁽¹⁾ ولا غوه .

وقال في عون المعبود شرح سنن أبي داود عند كلامه "أراد أن لا يوج أمته" وقال ابن المنذر: ولا معنى لحمل الأمر فيه على عذر من الأعدار، لأن ابن عباس قد أخبر بالعلة فيه، وهو قوله: "أراد أن لا يوج أمته"⁽²⁾ .

وقال في نيل الأوطار: وقد استدلل بحديث الباب، القائلون بجواز الجمع مطلقاً، بشروط أن لا يتخذ ذلك خلقاً وعادة. قال في الفتح: وممن قال به ابن سيوين وربيعه وابن المنذر والقفال الكبير، وحكاه الخطابي عن جماعة من أصحاب الحديث⁽³⁾ .

وكما ترى، فإن كل الروايات مطلقة غير مقيدة لا بسفر ولا بخوف ولا مطر ولا مرض، وكل من حاول تقييد تلك الروايات أو تأويلها بما لا تحتل، فإن كل تلك التقييدات والتأويلات باطلة؛ لأنها بدون تخصيص أو تعليل، وكل من فعل ذلك، فإنه يجتهد بأي مقابل النص الواضح، وهذا لا يجوز؛ لأنه ترك السنة وفعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتقره.

فهل من أنكر الجمع بدون عذر يحاول أن يقول لنا أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي لا ينطق ولا يشوع عن الهوى، قد فعل الجمع خطأً أو عن الهوى؟.

وهل الواجب علينا أن نلتزم بتلك التأويلات الخاطئة المنبثقة عن الوأي

1 - شرح صحيح مسلم 5 : 219.

2- عون المعبود 4 : 56.

3- نيل الأوطار 3 : 264.

الصفحة 473

والهوى، أم الواجب علينا أن نلتزم بفعل رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟. فالمسألة واضحة جلية، وهذه الروايات الصحيحة الواضحة من عند من ينكر الجمع في الحضر من غير عذر أكثر من أن تحصي، وكلها صحيحة، وليست بحاجة لأي تأويل أو تقييد.

التكبيرات في صلاة الجنزة:

يقول الشيعة الإمامية بأنّ عدد التكبّوات في صلاة الجنّزة هو خمس تكبّوات وهو الورد في السنة الصحيحة، وعن أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، في حين أنّ العامة يكبرون أربعاً، مع أنّ كتبهم ممتلئة بالأدلة على صحة ما عليه الشيعة أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، وهم يقرّون أيضاً بأنّ أولّ من ألغى التكبّوة الخامسة هو عمر بن الخطاب، أي أنّ العمل كان على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان على خمس تكبّوات، حتّى جاء عمر وجعلهنّ أربعاً.

وأما من يقول بأنّ الإجماع قد انعقد على أربع تكبّوات، فإنّ هذا غير صحيح، وذلك أنّ المسألة ليست بحسب رأي الناس، وإنّما بحسب ما يقرّره الشلوع المقدّس، فلا يجوز أن يجتمع الناس على مخالفة ما يقرّره الشلوع الحنيف.

ثمّ إنّ عدداً كثيراً من الصحابة خالف عمر في عدد التكبّوات، فمنهم من خمس، ومنهم من قال بست تكبّوات، ومنهم من قال بسبع، ومنهم من قال بتسع كما ورد في روايات عديدة، فكيف يقال: إنّ الإجماع انعقد على أربع، لا يمكن أن يقال ذلك.

وأما بالنسبة لما ذكر في كتب العامة من أدلّة وروايات بخصوص ما عليه الشيعة الإمامية، فإليك بعض مما روي في ذلك، مع بيان أنّ عمر بن الخطاب

الصفحة 474

هو الذي خالف تلك الروايات، وجمع الناس على أربع تكبّوات، فمن كان يأخذ بما حدّد الله ورسوله، فإنّه يدعم اعتقاده بما سنقدّم من روايات، وأما من كان يقدّم الرأي على الشلوع، فلينتقيد بما فرضه الرجال بالرأي، ولو خالف الكتاب والسنة.

روى الترمذي، وابن ماجه، عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى قال: كان زيد بن رُقم يكبر على جنازتنا أربعاً. وإنّه كبر على جنّزة خمساً. فسألته، فقال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يكوها⁽¹⁾. وقال في نيل الأوطار: رواه الجماعة - يعني الخمسة - إلا البخاري⁽²⁾.

وروى المتقي الهندي في كنز العمال، عن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) قال: تولّ جبريل (عليه السلام)، على النبي (صلى الله عليه وآله) يعلمه السلام على الناس والصلاة على الجنّزة، فقال: يا محمد، إنّ الله عزّوجلّ فوّض الصلاة على عباده خمس صلوات، في كلّ يوم وليلة، فإنّ موضّ الرجل، فلم يقدر يصلّي قائماً صلىّ جالساً، فإنّ ضعف عن ذلك، جاءه وليه فقال له: يكبر عن وقت كلّ صلاة خمس تكبّوات، فإذا مات، صلىّ عليه ووليه، وكبر عليه خمس تكبّوات، مكان كلّ صلاة تكبّوة، حتّى يوفّيّه صلاة يومه وليته⁽³⁾.

وروى الطوائف في المعجم الكبير، قال حدثنا عليّ بن عبد الغريز، ثنا أبو نعيم، ثنا العلاء بن صالح، ثنا أبو سلمان: أنّه صلىّ مع زيد بن رُقم على جنّزة، فكبر عليها خمس تكبّوات، فقلت: أوهمت أم عمداً، فقال: بل عمداً، إنّ النبي (صلى الله عليه وآله) كان يصلّيها⁽⁴⁾.

1 - سنن الترمذي 2 : 244، سنن ابن ماجه 1 : 482.

2 - نيل الأوطار 4 : 98.

قال أبو عيسى التومذي: حديثُ زيد بن رُقْمَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وقد دُهِبَ بَعْضَ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى هَذَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، وَغَوَّهْمُ رَأَوْا التَّكْبِيرَ عَلَى الْجَنُزَةِ خَمْسًا، وَقَالَ أَحْمَدُ وَاسْحَاقُ: إِذَا كَبَّرَ الْإِمَامُ عَلَى الْجَنُزَةِ خَمْسًا، فَإِنَّهُ يُتَّبَعُ الْإِمَامُ ⁽¹⁾.

وروى مالك في الموطأ قال: وروي عن ابن مسعود، وزيد بن رُقْمَ، وحذيفة، خمس تكبيات ⁽²⁾.

وقال في المبسوط: والصلاة على الجنزة أربع تكبيات، وكان ابن أبي ليلى يقول: خمس تكبيات، وهو رواية عن أبي

⁽³⁾ يوسف .

وقال في تحفة الأحوذى: وقد اختلف السلف في ذلك، فروى مسلم عن زيد بن رُقْمَ أَنَّهُ يَكْبِرُ خَمْسًا، وَرَفَعَ ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، وَرَوَى ابْنُ الْمُنْذِرِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ صَلَّى عَلَى جَنُزَةِ رَجُلٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ فَكَبَّرَ خَمْسًا. وَرَوَى ابْنُ الْمُنْذِرِ وَغَوَّهُ عَنْ عَلِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَكْبِرُ عَلَى أَهْلِ بَدْرِ سِتًّا، وَعَلَى الصَّحَابَةِ خَمْسًا، وَعَلَى سَائِرِ النَّاسِ رُبْعًا، وَرَوَى أَيْضًا بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي مَعْبُدٍ قَالَ: صَلَّى خَلْفَ ابْنِ عَبَّاسٍ عَلَى جَنُزَةِ فَكَبَّرَ ثَلَاثًا. قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ: ذَهَبَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى أَنَّ التَّكْبِيرَ رُبْعٌ، وَفِيهِ أَهْوَالٌ أُخْرَى، فَذَكَرَ مَا تَقَدَّمَ، قَالَ: وَالَّذِي نَخْتَارُ مَا ثَبَتَ عَنْ عُمَرَ. ثُمَّ سَأَلَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ إِلَى سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: كَانَ التَّكْبِيرُ رُبْعًا وَخَمْسًا، فَجَمَعَ عُمَرُ النَّاسَ عَلَى رُبْعٍ. وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، إِلَى أَبِي وَائِلٍ قَالَ: كَانُوا يَكْبِرُونَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) سَبْعًا وَسِتًّا وَخَمْسًا وَرُبْعًا، فَجَمَعَ عُمَرُ النَّاسَ عَلَى رُبْعٍ ⁽⁴⁾.

1- سنن التومذي 2 : 244.

2- الموطأ 2 : 109.

3- المبسوط 2 : 63.

4- تحفة الأحوذى 4 : 89.

وروى مالك في الموطأ، عن النخعي أن الناس كانوا يصلون على الجنائز خمسًا وستًا ورُبْعًا، حتَّى قبضَ النبي، ثم كبروا كذلك في ولاية أبي بكر، ثم وليَّ عمر فقال لهم: إنكم معشر أصحاب محمد، متى تختلفون يختلف الناس بعدكم، والناس حديثو عهد بالجاهلية، فأجمع رأيهم أن ينظروا آخر جنزة كبرَّ عليها النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فيأخذون به، ويفضون ما سواه، فنظروا فوجدوا آخر ما كبرَّ رُبْعًا ⁽¹⁾.

وقال الصنعاني في سبل السلام: وقد اختلفت الروايات في عدَّة تكبيات الجنزة، فأخرج البيهقي، عن سعيد بن المسيب: أن

عمر قال: كل ذلك قد كان، رُبعاً وخمسا، فاجتمعنا على الأربعاء. ورواه ابن المنذر من وجه آخر عن سعيد، ورواه البيهقي أيضاً، عن أبي وائل قال: كانوا يكبرون على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) رُبعاً، وخمسا وستا، وسبعاً، فجمع عمر أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فأخبر كلُّ بمارأى، فجمعهم عمر على رُبْع تكبوات. وروى ابن عبد البر في الاستذكار بإسناده: كان النبي (صلى الله عليه وآله) يكبر على الجنائز رُبعاً، وخمسا، وستا، وثمانيا، حتَّى جاء موت النجاشي، فخرج إلى المصلَّى، وصفَّ الناس وراءه، وكبرَّ عليه رُبعاً، ثمَّ ثبت النبي (صلى الله عليه وآله)، على رُبْع، حتَّى توفاه الله؛ فإنَّ صحَّ هذا فكأنَّ عمر ومن معه لم يعرفوا استقوار الأمر على الأربعاء، حتَّى جمعهم وتشاوروا في ذلك⁽²⁾.

وقال الشوكاني في نيل الأوطار، في قوله "كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يكوها" استدلالاً به من قال: إن تكبير الجنوة خمس، وقد حكاها في البحر عن العوة جميعاً، وأبي ذرٍّ، وزيد بن رُقْم، وحذيفة، وابن عباس، ومحمد بن الحنفية،

1- الموطأ 2 : 109.

2- سبل السلام 2 : 103.

الصفحة 477

وابن أبي ليلى، وحكاها في المبسوط عن أبي يوسف⁽¹⁾.

وقال السيوطي في تزيخ الخلفاء قال العسكري- في الحديث عن أوليات عمر - : وأول من جمع الناس في صلاة الجنائز على رُبْع تكبوات⁽²⁾.

وهكذا يتبيّن أنّ عند العامة أصل صحيح وصريح، بأنَّ ما عليه الشيعة الإمامية هو الحق، وأنهم لم يأتوا بأحكامهم من فإغ، وإنَّما هم يستنون في كلِّ شيء إلى دليل صحيح، حتَّى من كتب خصومهم، وهو ما بيناه لك أخي الكريم في أغلب أبحاثنا. وقد رأيت كيف أنَّهم في هذا الحديث يتخطون في عدد التكبوات، ولا يوجد عندهم دليل واضح يتمسكون به ويستدلون على تكبواتهم الأربعاء، وقد نقلنا لك قرني الغرير كلماتهم من دون تعليق، لتحكم بنفسك عليها، وتعرف أنَّ ما عليه أتباع أهل البيت هو الحق.

خلاصة إثبات المذهب الحق من أدلة الخصوم:

وخلاصة هذه النقطة، وبعد أن طرحتنا عدّة أمور بارزة من مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، والتي يعتزها الخصوم من أكثر المسائل بروزاً في مذهب الشيعة، ويعترضون عليها ويطعنون فيها وفي صحتها، ومنهم من يكفر الشيعة بسببها، وهذه المسائل من أكثر المسائل التي يواجهها المستبصرون عندما يطعن العامة على الشيعة.

ولقد وضعت تلك المسائل وأسندتها بأدلة دامغة من نفس كتب ومصادر الطاعنين في حقيقتها، فتبيّن لنا أنَّها عقائد وأحكام إسلامية حقيقية مستندة إلى أدلة قوية ومتعددة من مصادر التشريع الإسلامي، مما يقطع أمام كل الناس أن

الشيعة مسلمون ملتزمون بالنص، لا يأتون بالأحكام والعقائد إلا بما يرضي الله تعالى، ويوافق الشريعة ومساوئها الحقيقية. ولقد كان إثبات عقائد وأحكام مذهب الشيعة الجعفرية أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) من أدلة الخصوم، ومن أدلة العامة وكتبهم ومساوئهم سبباً هاماً ومؤثراً في استبصار العديد من المؤمنين، وكما ذكرت، فإن هذه الميزة، وهي إثبات ما عند الشيعة من أدلة الخصوم، ميزة رئيسية في المذهب الحق تميزه عن غيره، وتعتبر هذه الميزة إعجازاً إلهياً من أجل إقامة الحجّة الدامغة على الناس، فله الحجّة البالغة التي تقطع عذر المحوج، وتزيل الشكّ عن نظر فيها.

كلمة لا بد منها:

وهكذا أخي الكريم، فلقد ذكرت من أحوال المستبصرين ما يشير إلى كيفية سلوكهم من البداية، ثمّ التوجّح في الترقّي في المذهب الحقّ، وذكرت أنّ الاستبصار يدلّ على الطهارة النفسية والمعنوية عند المستبصر، وأنه لأبداً وأنّ يستجيب لنداء الحقيقة القلبي، ويواجه بالعقلي، حتّى تنتهي إلى الحقيقة الإيمانية الخالدة.

كما وأنّ هناك نداءات أخرى كثرة وقوية يعايشها المستبصر قبل استبصاره، ومنها: كثرة التناقضات في كتب العامة، وفي كلّ المجالات، كأنّ يأتي حديث يثبت البسمة وفي نفس الصفحة حديث آخر يمنعها، وكأنّ يكون هناك حديث ينهي عن استقبال القبلة في الخلاء وفي نفس الصفحة حديث يشير إلى أنّ ابن عمر رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) يستقبل القبلة في الخلاء، وغيرها المئات من التناقضات التي وُجبت من أحبّ حقيقة الإيمان وعشقها أنّ يبحث في تفاصيلها، فقد تبين للمستبصر من خلال التناقضات أنّ هناك خللاً مخفياً لأبداً من التوصل إليه، وأهم ملاحظة يستنتجها المستبصر من خلال دراسة التناقضات تلك أنّ دين الله التوحيد

لا يدخله التناقض ولا يعثره خلل أو نقص.

وكذلك كثرة الأمور الغامضة، والتي لا يسمحون بتفسورها أو التطوّق إليها، وعلى سبيل المثال الحروب التي حصلت بين الصحابة، كمعركة الجمل، وصفين، وأنّ يثبت عن بعض الصحابة تصورات معينة تتنافى وتتناقض مع ما قيل عنهم، وغير ذلك مما يحتاج إلى تفصيل كبير.

ومن النداءات أيضاً، بل ومن أهمّها: كثرة النصوص القوانية والحديثية التي تتحدث عن أهل البيت (عليهم السلام) عموماً، وعن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وإمامته وولايته وحقّه وحقيقته، وكذلك عن مظلوميته ومظلومية السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وعن فضلها وكذلك فضائل أهل البيت عموماً وعن الأمر الإلهي بلزومهم ولزوم طاعتهم وولايته ونصوتهم والوادة من أعدائهم وغير ذلك من النصوص وفي شتى المجالات.

ومنها أيضا: دراسة واقع المسلمين السيِّئ، والذي يستدعي توسيع دائرة البحث والنقصي واستخلاص العبر.
هذه الأمور كلّها بحاجة إلى كتاب خاصّ بها، فلا يسع المجال للتفصيل فيها في هذا الكتاب، وإن شاء الله تعالى يأذن في
إنجّره، ونستكمل كلّ تلك المسائل في جزء ثانٍ بإذن الله تعالى.
تم بحمد الله تعالى وفضله، فهو الموقّق والحمد لله رب العالمين.

21
\
1
\
2007



1
محرم
1428

مصادر الكتاب

- 1 . القوآن الكريم
- 2 . أحكام القوآن، أحمد بن عليّ الرلي الجصّاص، تحقيق عبدالسلام محمدّ عليّ شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1415 هـ _ 1994م.
- 3 . الأذكار النووية، يحيى بن شريف النووي، دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - طبع سنة 1414 هـ - 1994 م.
- 4 . إرشاد القلوب، الحسن بن أبي الحسن محمدّ الديلمي، تحقيق السيّد هاشم الميلاني، نشر : دار الأسوة للطباعة والنشر، إوان - قم، الطبعة الأولى، 1375 هـ . ش، 1417 هـ . ق.
- 5 . الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبدالله، ابن عبدالبر القوطبي، تحقيق: عليّ محمدّ البجولي، نشر دار الجيل، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1412 هـ.
- 6 . أسد الغاية في معرفة الصحابة، غوالدين عليّ بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير الجزري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
- 7 . أسنى المطالب في مناقب سيدنا عليّ بن أبي طالب، شمس الدين بن الجزري، مكتبة الإمام أموال المؤمنين العامة، إصفهان - إوان.
- 8 . الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبدالوجود، عليّ محمدّ معوض، نشر دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان،

- الطبعة الأولى، 1415 هـ.
- 9 . الأمالي، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: قسم الواسات الاسلامية، مؤسسة البعثة، نشر دار الثقافة، الطبعة الأولى، 1414 هـ.
- 10 . الأمالي، محمد بن عليّ الصدوق، تحقيق : قسم الواسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، نشر مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى، 1417 هـ.
- 11 . الأمالي، محمد بن النعمان المفيد، تحقيق : حسين الأستاذ ولي وعلي أكبر غفلي، دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، 1414 هـ - 1993 م.
- 12 . بحار الأنوار، محمدّ باقر المجلسي، تحقيق : علي أكبر غفلي، نشر دار إحياء التوآث، بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة، 1403 هـ - 1983 م.

13. بدائع الصنائع، أبو بكر الكاشاني، نشر المكتبة الحبيبية، باكستان، الطبعة الأولى، 1409 هـ - 1989 م.
- 14 . بداية المجتهد ونهاية المقتصد، محمد بن أحمد بن محمد بن رشد (ابن رشد الحفيد)، تنقيح وتصحيح : خالد العطار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، 1415 هـ - 1995 م.
- 15 . البداية والنهاية، ابن كثير دمشقي، تحقيق : علي شوي، نشر دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1408 هـ - 1988 م.
- 16 . بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار، تصحيح وتعليق: الميرزا حسن كوجه باغي، منشورات الأعلمي، طبع سنة 1404 هـ - 1362 هـ .ش.
17. تزيخ بغداد، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: مصطفى
الصفحة 482
- عبدالقادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1417 هـ - 1997 م.
- 18 . تزيخ الخفاء، جلال الدين السيوطي، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد، نشر مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى، 1371 هـ - 1952 م.
- 19 . تزيخ الطوي، محمد بن جرير الطوي، نشر مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، طبعة مقابلة على نسخة مطوعة بمطبعة بويل بمدينة ليدن - سنة 1879م.
- 20 . تزيخ مدينة دمشق، ابن عساكر، تحقيق : علي شوي، طبع ونشر دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، طبع سنة 1415 هـ.
- 21 . تحفة الأحوزي بشوح جامع التومذي، محمد بن عبدالرحمن المبركفوري، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1410 هـ - 1990 م.
- 22 . تفسير ابن كثير، إسماعيل بن كثير دمشقي، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، طبع سنة 1412 هـ - 1992 م.
- 23 . تفسير الإمام العسكري عليه السلام، منسوب للإمام الحسن العسكري، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي، مطبعة مهر، إوان - قم، الطبعة الأولى، ربيع الأول، 1409 هـ .
- 24 . تفسير الثعلبي، أبو إسحاق أحمد الثعلبي، تحقيق : أبو محمد بن عاشور، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1422 هـ - 2002م.
25. التفسير الصافي، المولى محسن الملقب بالفيض الكاشاني، صححه وعلق
الصفحة 483

- 26 . تفسير الطوي، ابن جرير الطوي، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، نشر دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، طبع سنة 1415 هـ - 1995 م.
- 27 . تفسير الفخر الزلي، الفخر الزلي، دار إحياء التراث، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1415 هـ - 1995 م.
- 28 . تفسير القوطي، محمد بن أحمد القوطي، تصحيح: أحمد عبدالعليم الوردوني، نشر دار إحياء التراث، بيروت - لبنان.
- 29 . التمهيد، يوسف بن عبدالله بن عبدالبرّ النوري، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبدالكبير، نشر وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، طبع سنة 1387 هـ .
- 30 . تنوير الحوالك، جلال الدين السيوطي، نشر مكتبة الحقيقة، استانبول - تركيا، طبع سنة 1406 هـ - 1986 م.
- 31 . تهذيب الأحكام، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: السيد حسن الموسوي الخراسان، دار الكتب الإسلامية، إوان - طهوان، الطبعة الرابعة، 1365 هـ . ش.
- 32 . الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي، نشر دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1401 هـ - 1981 م.
- 33 . الجرح والتعديل، عبدالرحمن بن أبي حاتم الزلي، نشر دار إحياء التراث،
-
- الصفحة 484
- بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1371 هـ - 1952 م.
- 34 . حاشية السندي على النسائي، ابن عبدالهادي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- 35 . حلية الأولياء، أبو نعيم، أحمد بن عبدالله الإصبهاني، نشر دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، 1405 هـ.
- 36 . خصائص أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: الداني بن منير آل زهوي، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، طبع سنة 1426 هـ - 2005 م.
- 37 . الخصال، محمد بن الحسن الصدوق، تصحيح وتعليق: علي أكبر غفري، منشورات جماعة المتوسمين في الحوزة العلمية، قم - إوان، طبع سنة 1403 هـ - 1362 هـ . ش.
- 38 . الدرر السنية في الوّد على الوهابية، أحمد زيني دحلان، نشر مكتبة إيشيق، استانبول - تركيا، طبع سنة 1396 هـ - 1976 م.
- 39 . الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، نشر دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- 40 . روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، محمود بن عبدالله الألويسي.
- 41 . الوهد، هناد بن السوي الكوفي، تحقيق: عبدالرحمن عبدالجبار الغريواني، نشر دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، الطبعة الأولى، 1406 هـ.

42 . سبل السلام، محمد بن إسماعيل الصنعاني، مراجعة وتعليق: محمد عبدالغيز الخولي، نشر شركة مكتبة ومطبعة

مصطفى البابي الحلبي

الصفحة 485

وولاده بمصر، الطبعة الرابعة، 1379 هـ - 1960م.

43 . سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعرف للنشر والتوزيع، الرياض، 1415 هـ - 1995

م

44 . السنّة، عمرو بن أبي عاصم، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة،

1413 هـ - 1993 م.

45 . سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القرويني، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، نشر دار الفكر.

46 . سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى،

1410 هـ - 1990 م.

47 . سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق وتصحيح: عبدالوهاب عبداللطيف، نشر دار الفكر للطباعة والنشر،

بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، 1403 هـ - 1983 م.

48 . سنن الدارقطني، علي بن عمر الدارقطني، علق عليه وخوّج أحاديثه: مجدي بن منصور بن سيد الشورى، دار الكتب

العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1417 هـ - 1996 م.

49 . السنن الكوى، أبو بكر، أحمد بن الحسين البيهقي، نشر مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، طبع سنة 1414 هـ - 1994

م

50 . السنن الكوى، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: الدكتور عبدالغفار سليمان البندري وسيد كسروي حسن، دار الكتب

العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1411 هـ - 1991 م.

الصفحة 486

51 . سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي، نشر دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1448 هـ -

1930م.

52 . سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، إشراف وتخريج شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت -

لبنان، الطبعة التاسعة، 1413 هـ .

53 . السورة الحلبية، علي بن وهان الدين الحلبي، نشر دار المعوفة، بيروت - لبنان، طبع سنة 1400 هـ.

54 . شوح تجريد العقائد، علي بن محمد القوشجي، الطبعة الحجرية، منشورات رضى بيدار غزوي.

55 . شوح صحيح مسلم، محيي الدين النووي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، طبع سنة 1407 هـ - 1987 م.

- 56 . شوح معاني الآثار، أحمد بن محمد بن سلامة الطحوي، تحقيق: محمد زهوي النجار، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، 1416 هـ - 1996 م.
- 57 . شوح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات مكتبة الوعشي النجفي، قم - إيران، 1404 هـ.
- 58 . شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1410 هـ.
- 59 . شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النزلة في أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم، عبيد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني، تحقيق: محمد باقر المحمودي، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة
الصفحة 487
- والإرشاد الإسلامي اوان، الطبعة الأولى، 1411 هـ - 1990 م.
- 60 . صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، نشر مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، 1414 هـ - 1993 م.
- 61 . صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، نشر المكتبة الإسلامي، الطبعة الثانية، 1412 هـ - 1992 م.
- 62 . صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د . مصطفى ديب البغا، نشر دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة، 1407 هـ - 1987 م، وطبعة دار الفكر، طبع سنة 1401 هـ - 1981 م.
- 63 . صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، نشر دار احياء التراث، بيروت - لبنان.
- 64 . الصواعق المحرقة، أحمد بن حجر الهيتمي، تحقيق: عبدالرحمن بن عبدالله التوكي وكامل محمد الخراط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1997 م.
- 65 . ضعفاء العقيلي، محمد بن عمرو العقيلي، تحقيق: د . عبدالمعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، 1418 هـ.
- 66 . الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، دار صادر، بيروت - لبنان.
- 67 . علل الشوائب، محمد بن علي الصدوق، منشورات المكتبة الحيدرية، طبع سنة 1386 هـ - 1966 م.
الصفحة 488
- 68 . عمدة القاري، بوالدين محمود بن أحمد العيني، نشر دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
- 69 . عون المعبود شوح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، 1415 هـ .

- 70 . عيون أخبار الرضا، محمد بن علي بن الحسين الصدوق، طبع ونشر مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، طبع سنة 1404 هـ - 1984 م.
- 71 . فتح البلي شوح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية.
- 72 . الفصول المهمة، السيد عبدالحسين شرف الدين، نشر قسم الإعلام الخرجي لمؤسسة البعثة، إوان، الطبعة الأولى.
- 73 . الفصول المهمة، محمد بن الحسن الحرّ العاملي، تحقيق : محمد بن محمد الحسين القائيني، نشر مؤسسة معرف إسلامي إمام رضا، قم - إوان، الطبعة الأولى، 1418 هـ - 1376 هـ . ش.
- 74 . فقه العبادات على المذهب المالكي، الشيخ إراهيم اليعقوبي الحسني، والكتاب من تقديم الشيخ إراهيم اليعقوبي الحسني.
- 75 . الفقه على المذاهب الأربعة، عبدالرحمن الجروي، مكتبة الحقيقة، استانبول - تركيا، طبع سنة 1413 هـ - 1993 م.
- 76 . فيض القدير شوح الجامع الصغير، محمد عبدالرؤوف المنوي، تصحيح: أحمد عبدالسلام، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1415 هـ - 1994 م.
-
- الصفحة 489
- 77 . القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي.
- 78 . قرب الإسناد، عبدالله بن جعفر الحموي، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، إوان - قم، الطبعة الأولى، 1413 هـ.
- 79 . الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تصحيح وتعليق : علي أكبر غفري، نشر دار الكتب الإسلامية، تهران - إوان، الطبعة الرابعة، 1362 هـ . ش.
- 80 . كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، تحقيق : جواد القيومي، نشر مؤسسة نشر الفقهاء، إوان، الطبعة الأولى، 1417 هـ.
- 81 . الكامل في التاريخ، غوالدين علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير الجزري، دار صادر، بيروت - لبنان طبع سنة 1386 هـ - 1996 م.
- 82 . الكامل في ضعفاء الرجال، عبدالله بن عدي، تحقيق: الدكتور سهيل زكار، نشر دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، محرم 1409 هـ - 1988 م.
- 83 . كتاب الأم، محمد بن أرييس الشافعي، نشر دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، 1403 هـ - 1983 م.
- 84 . كتاب المؤمن، الحسين بن سعيد، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي، نشر مدرسة الإمام المهدي، الطبعة الأولى، 1404 هـ.
- 85 . الكشاف عن حقائق التنزيل، محمود بن عمر الزمخشوي، نشر شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، طبع سنة 1385 هـ - 1966 م.

بيروت - لبنان، طبع 1408 هـ - 1988 م.

87. كمال الدين وتمام النعمة، محمد بن علي الصنوق، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفري، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة

لجماعة المدرسين بقم المشرفة، طبع سنة 1405 هـ - 1363 هـ . ش.

88. كنز العمال، المنقي الهندي، ضبط وتفسير: بكوي حياتي، نشر مؤسسة الوسالة، بيروت - لبنان، طبع سنة 1409 هـ

- 1889 م.

89. لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، نشر أدب الحوزة - قم - اوان، طبع سنة 1405 هـ.

90. المبسوط، شمس الدين السرخسي، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، طبع سنة 1406 هـ - 1986 م.

91. مجمع الزوائد، نور الدين الهيثمي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، طبع سنة 1408 هـ - 1988 م.

92. المجموع، محيي الدين النووي، طبع دار الفكر، بيروت - لبنان.

93. المحلى شرح المجلّى، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبع مكتب التحقيق بدار إحياء

التراث، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1418 هـ - 1997 م.

94. المستترك على الصحيحين، أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، إشراف: يوسف عبدالرحمن الورعشي، دار المعرفة،

بيروت - لبنان، طبع سنة 1406 هـ.

95. مسند أبي داود، سليمان بن داود الطيالسي، دار المعرفة بيروت - لبنان.

96. مسند أبي يعلى، أبو يعلى الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، نشر دار المأمون للتراث.

97. مسند أحمد، أحمد بن حنبل، نشر دار صادر، بيروت - لبنان.

98. مشكاة الأتوار، علي الطوسي، تحقيق: مهدي هوشمند نشر دار الحديث، إوان.

99. المصنّف، ابن أبي شيبة الكوفي، تحقيق: سعيد اللحام، نشر دار الفكر، بيروت - لبنان، طبع سنة 1409 هـ - 1989

م.

100. المصنّف، عبدالرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المكتب الاسلامي، بيروت - لبنان،

الطبعة الثانية، 1403 هـ.

101. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطواني، تحقيق: قسم التحقيق بدار الحرمين، نشر دار الحرمين، طبع سنة 1415

هـ - 1995 م.

102. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطواني، تحقيق وتخرّيج، حمدي عبدالمجيد السلفي، نشر دار احياء التراث، الطبعة

- 103 . المغني، عبدالله بن قدامة، نشر دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
- 104 . مغني المحتاج، محمد بن أحمد الشوبيني، دار إحياء التراث، بيروت - لبنان، طبع سنة 1377 هـ - 1958 م.
- 105 . الملل والنحل، محمد بن عبدالكريم الشوستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، نشر دار المعرفه، بيروت - لبنان.
- 106 . المناقب، الموفق بن أحمد الخورزمي، تحقيق الشيخ مالك المحمودي - مؤسسة سيد الشهداء، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة

الصفحة 492

المدرسين، قم - إوان، الطبعة الثانية، 1414 هـ.

- 107 . مناقب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، علي بن محمد الشافعي المعروف بابن المغزلي، دار الأضواء، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، 1424 هـ - 2003 م.
- 108 . من لا يحضوه الفقيه، محمد بن علي القمي الصدوق، صححه وعلق عليه : علي أكبر غفري، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إوان، الطبعة الثانية.
- 109 . المواقف، عبدالرحمن بن أحمد الأيجي، تحقيق: عبدالرحمن عموة، نشر دار الجيل، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1417 هـ - 1997 م.
- 110 . الموطأ، مالك بن أنس، تصحيح وتعليق: محمد فؤاد عبدالباقي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، طبع سنة 1406 هـ - 1985 م. ونشر دار القلم - دمشق، الطبعة الأولى، 1413 هـ - 1991 م.
- 111 . نصب الراية، جمال الدين الزيلعي، نشر دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1415 هـ - 1995 م.
- 112 . نظم المتناثر من الحديث المقواتر، محمد جعفر الكتاني، دار الكتب السلفية، مصر، الطبعة الثانية.
- 113 . النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزوي، نشر مؤسسة اسماعيليان، إوان، الطبعة الرابعة، 1364 ش.
- 114 . نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، التي جمعها الشريف الوضي، شوح الشيخ محمد عبده، مطبعة النهضة، قم، نشر دار الذخائر،

الصفحة 493

إوان - قم، الطبعة الأولى، 1412 هـ - 1370 ش.

- 115 . نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار، محمد بن علي الشوكاني، نشر دار الجيل، بيروت - لبنان، طبع سنة 1973 م.

- 116 . وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحرّ العاملي، تحقيق: مؤسسة آل البيت، نشر مؤسسة آل البيت، قم - إوان،

الطبعة الثانية، 1414 هـ.

. ينابيع المودة، القندوزي الحنفي، تحقيق: سيدّ علي جمال أشرف حسيني، دار الاسوة، إوان، الطبعة الأولى،

117

.1416هـ.